وزارة الدفاع

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

مركز الدراسات الإستراتيجية



موسوعة التاريخ العسكرى المصرى

في العصر الحديث

الكتاب الرابع

تاريخ الجيش المصرى فى عصر الخديوى توفيق والخديو عباس حلمى الثانى

(١٨٧٩ - ١٩١٤ م)

تأليف

ا.ا. أ.ح م د/ عبد الرحمن الهوارى

١٩٩٣



في العصـــر الحديـــث
الكتـــاب الرابـــع

تاريخ الجيش المصرى فى عصر
الخديوى توفيق والخديو عباس حلمى الثانى
(١٨٧٩ - ١٩١٤ م)

تأليـــف

لواء أ ح م د/ عبد الرحمن الهوارى

١٩٩٣

وزارة الدفاع

أكاديمية ناصر العسكرية العليا

مركز الدراسات الإستراتيجية

موسوعة التاريخ العسكرى المصري

في العصر الحديث

الكتاب الرابع

التاريخ العسكرى للجيش المصرى من عصر الخديوى توفيق إلى عصر الخديوى عباس حلمى الثانى

(١٨٧٩-١٩١٤)

تأليف

لواء أ. ح دكتور / عبد الرحمن الهوارى

١٩٩٣

تقديم

بنظرة شاملة للتاريخ العسكرى المصرى عبر كل العصور يستلفت النظر أن القدرة الذاتية المصرية أخذت تتراكم و تتصاعد وتلافى عوامل الضعف فيها منذ فجر التاريخ وحتى قيام الدولة الحديثة الفرعونية ، ثم بدأت هذه القدرة تفقد بعض عناصرها ، الأمر الذى أدى إلى دخول مصر فى مرحلة تكاد تكون فيها مفتقدة لمعظم عناصر قدرتها الذاتية ، وذلك بتوالى إحتلالها بواسطة الفرس ثم الإغريق ثم الرومان ثم العرب بدولهم المختلفة ثم فرض السيطرة عليها بواسطة حكام أجانب من أيوبيين ومماليك لا يفترقون كثيرا عن الغزاة الفاتحين . ثم استمرت هذه المرحلة من فقدان عناصر القدرة بإحتلال العثمانيين لها إلى أن أتت الحملة الفرنسية إلى مصر .

وهناك من الشواهد ما يشير إلى أن مصر بدأت تستعيد بعضا من عناصر قدرتها الذاتية منذ تلك الآونة وحتى الآن ، رغم ما تلاقيه من صعوبات جمة توضع فى طريقها وصلت إلى الإنذارات و التهديدات بل وإستخدام القوة المسلحة ضدها فى كثير من الأحيان .

ونظرا للأهمية الواضحة لتتبع المسيرة المصرية فى مرحلة محاولة إعادة بناء قدرتها الذاتية ، خصصت دراسات الجزء الثالث من هذه الموسوعة للتاريخ العسكرى المصرى . ولقد تم تقسيم الفترة الزمنية منذ الحملة الفرنسية على مصر وحتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ إلى أحد عشر فترة ، تميزت كل منها بطابع خاص رغم عدم تساوى الفترات زمنيا .

فلقد تميزت فترة الحملة الفرنسية بأنها الفترة التى تم فيها إستثارة المشاعر القومية المصرية.

وتلتها فترة حكم محمد على و إبراهيم و التى تميزت بأنه تم فيها إشتراك الجندى المصرى فى الجيش المصرى بعد طول غياب دام أكثر من ثلاثة وعشرين قرنا من الزمان . وفيها وضح تكاتف الدول الخارجية – رغم مابينها من عداوات تقليدية – فى الوقوف ضد السماح للمارد المصرى من الانطلاق .

أما فترة خلفاء محمد على حتى نهاية حكم إسماعيل فلقد تميزت بمحاولات حكام مصر تثبيت

وتوسيع سلطانهم ، ويفتح الباب للتدخل الأجنبى فى شئون مصر الداخلية .

أما فترة حكم توفيق وعباس الثانى من بعده فلقد تميزت فى بدايتها بوصول المشاعر القومية المصرية إلى ذروة لم تقف أمامها القوى الخارجية مكتوفة بل تدخلت تدخلا عسكريا سافرا متعاونة مع حكام مصر الدخلاء لوضع حد لتفجر الطاقة المصرية ، بل والسيطرة الكاملة عليها ، كما تميزت هذه الفترة أيضا بظهور حالة فريدة فى نظم حكم الدول المحتلة . فلقد أصبحت مصر على رأسها حاكم (خديو) ليس من أهلها ، ومن الناحية الشكلية هى ولاية عثمانية خاضعة للسلطان العثمانى وفى نفس الوقت هى دولة واقعة تحت الإحتلال الإنجليزى العسكرى مع إشتراك إنجليزى / فرنسى فى السيطرة على إقتصادها . الأمر الذى لم يظهر له مثيل فى تاريخ أى دولة .

أما الفترة التى تلت حكم عباس الثانى وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية فلقد تميزت بنمو المشاعر القومية المصرية من جديد ووصولها إلى ذروة جديدة إنتهت بعد صراعات ومواقف مختلفة إلى بدايات السماح للقدرات الذاتية المصرية بالإنبثاق من جديد تحت سيطرة خارجية قابضة .

أما فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وحتى قيام ثورة يوليه ١٩٥٢ فكان أهم ما يميزها هو النمو السريع المسيطر عليه فى القدرة الذاتية المصرية وبدأ إشتراك مصر فى الصراع العسكرى العربى الإسرائيلى .

وفى الفترة السابعة كانت بدايتها ذروة جديدة فى المشاعر القومية المصرية بإندلاع ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ وتخلص مصر من حكم أسرة محمد على ثم تلى ذلك محاولة مصر الإنطلاق من جديد بإقامة صرح حضارى جديد ببناء السد العالى بأسوان الأمر الذى دفع القوى الخارجية لمحاولة إيقاف هذه الإنطلاقة فتطورت الأحداث وأدت إلى تأميم قناة السويس من جانب مصر . تلى ذلك العدوان الإسرائيلى الإنجليزى الفرنسى عليها والذى إنتهى بإنسحاب هذه الدول وعادت بذلك إلى مصر حريتها كاملة وأصبحت مصر دولة مستقلة لأول مرة بعد أن إستمرت تحت الإحتلال فى صور مختلفة منذ الغزو الفارسى لها عام ٥٢٥ قبل الميلاد .

ولم تضيع مصر الوقت فحاولت أن تسابق الزمن فى تطوير صناعتها فى المجالات المختلفة

وعلى رأسها الصناعات الحربية ، كما خاضت مصر فى تجربة رائدة فى مجال القومية العربية - رغم فشل هذه التجربة بعد ذلك - بإتحادها مع سوريا فى وحدة إندماجية مكونة « الجمهورية العربية المتحدة » .

وتأتى الفترة الثامنة بتجربة مصرية جديدة فى مجال القومية العربية ألا وهى الدعم المصرى العسكرى لحماية الثورة اليمنية ضد التدخلات الأجنبية .

ويلى ذلك الفترة التاسعة التى تلقت فيها مصر ضربة كان الغرض منها الحد من قدرتها وتحجيمها فى محاولة لوقف التيار المصرى الدافق نحو التقدم الحضارى المحتوم .

أما الفترة العاشرة فلقد أطلق عليها الكثيرون فترة حرب الإستنزاف ولكن الحقيقة من الواجب أن يطلق عليها فترة إعادة البناء .

وفى الختام تأتى الفترة الأخيرة والتى يمكن أن يطلق عليها إسم « الشموخ العسكرى » وفيها تمت حرب أكتوبر المجيدة والتى أعادت إلى الأذهان أمجاد المصريين القدماء أيام أحمس فى طرده للهكسوس .

وإذ نسأل المولى عز وجل الهداية والتوفيق ندعوه سبحانه أن يكتب لمصرنا العزيزة فى قدره المحتوم كل المجد وكل الفخار ولجيشها كل سؤدد وإزدهار .

محتويات كتاب تاريخ الجيش المصرى
من عصر الخديوى توفيق الى عصر الخديوى عباس حلمى الثانى
(١٨٧٩-١٩١٤)

تابع المحتويات

مقدمــــة

يتناول هذا الكتاب فترة من تاريخ مصر الحديث تضمنت ٣٥ عاما (١٨٧٩ - ١٩١٤) تضمنت أحداثاً تاريخية هامة ، وقع فيها الإحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ ، وكذلك الثورة العرابية في مصر ، والثورة المهدية في السودان وتصاعد الحركة الوطنية في مصر ، ودور الجيش المصري فيها حتى مقدمات الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .

وقد تم تناول هذا الموضوع في ستة أقسام كالتالي :

القســـم الاول : وأشتمل على تاريخ الجيش المصري وقيام الثورة العرابيـــة .

القســم الثانــي : وتناول بالدراسة القتال والمعـــارك في الميدان الغربـــي والـــذى انتهـــى باحتلال الاسكندرية .

القســم الثالــث : وتناول بالدراسة القتال والمعارك في الميدان الشرقـــي وهزيمـــة الجيش المصـــرى وإنتهاء الحملة البريطانية على مصر بالاحتلال .

القســم الرابــع : وتناول بالدراسة أحداث الثـــورة المهديـــة بالســـودان ودور الجيش المصرى فيهـــا .

القسم الخامـس : وتناول بالدراسة سياسة الاحتلال البريطاني تجـاه الســـودان وتسخيـــره للجيش المصرى في القضاء على الثورة المهدية .

القسم السادس : وتناول دور الجيش المصرى في الحركة الوطنية المصرية ، وانتهى هذا القسم بحالة الجيش المصري في مطلع نشوب الحرب العالمية الاولى .

وقد زيل الكتاب بمجموعة من الملاحق من الوثائق والخرائط والكروكيات الإيضاحيـــة ، بالإضافة الـــى قائمـــة المصادر والمراجع .

نسأل الله - تعالى - أن تعم الفائدة من هذا المرجع - وندعوه أن يوفق خطواتنا في سبيل رفعة مصر وقواتنا المسلحة .

وبالـــــــه التوفيـــــق

الجزء الأول

عصر توفيق والثورة العرابية والإحتلال البريطانى لمصر

(١٨٧٩-١٨٨٢)

القسم الأول

الجيش المصرى والثورة العرابية

(يونيو ١٨٧٩ - مايو ١٨٨٢)

القسم الأول
الجيش المصرى والثوره العرابية
(يونيو ١٨٧٩-مايو ١٨٨٢)

أولا : خلفية تاريخية :

نتيجه للأزمة المالية التى اجتاحت البلاد فى نهاية عهد الخديوى اسماعيل والذى تمادى فى الإستدانة من الدول الأجنبية ، ونتيجة لما وصلت اليه حال البلاد من الفوضى والإضطراب ، فقد رأى الساخطون على النظارة الأوروبية ومنهم رجال الجيش ، ضرورة إعادة تشكيل مجلس النواب ومنحه السلطة الدستورية الواسعة فى إدارة شئون البلاد ، وأن تكون الإدارة مسئولة أمامه . هذا وقد شجع الخديوى اسماعيل هذه الحركة الدستوريه للتخلص من النفوذ الأجنبى وبالفعل تشكل هذا المجلس فى ٢ يناير ١٨٧٩ ، ومنذ ذلك الوقت قام بتزعم حركة المعارضة ، ومن القرارات التى أوصى بها هذا المجلس للتخفيف عن كاهل الميزانية طرد معظم الموظفين الأجانب والإستغناء عن خدماتهم . ومن ناحية أخرى – فقد وافق مجلس النظار على تخفيض عدد قوات الجيش المصرى وذلك بخفض عدد الضباط من ٢٦٠٩ ضابطا لتصبح ٩٩٣ ضابط ومن ٩٠٤٧٩ جندى الى ٣٦٢٤٧ جندى [١]– على أن يستمر التخفيض تباعا بعد ذلك . كما ترتب على ذلك أيضا الغاء المدارس الحربية (المدفعية – المشاه – الخياله – أركان حرب – الطب البيطرى) ، كما استقر الرأى على الغاء البحرية تماما وكان لقرار خفض قوات الجيش دوى كبير فى جميع أنحاء البلاد .

والحقيقة أن كل هذه النكبات التى حلت بمصر كانت نتيجة لتدخل الأجانب فى أمور البلاد ، وإشتداد وطأتهم فى النواحى العسكرية ، وطموح أبصارهم – مما أوجب استياء الجيش من الأجانب عموما (أوروبيين – أتراك – شراكسه – أرمن ..[٢] فثورة رجال الجيش فى ذلك الوقت كانت تعبر عن

(١) محمد محمود السروجى (د) : الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر القاهره ، دار المعارف ، ١٩٦٧ ، ص ص٥٤٦، ٥٤٧

(٢) خليل سليم نقاش :مصر للمصريين ، القاهرة ، ١٨٨٤ ، جـ ٤ ، ص ٥

« ثورة الخواطر الخفية التى كانت موجوده فى عهد اسماعيل » . واتجهت هذه الثوره الى القضاء على التدخل الأجنبى .

ومما أزكى فى نفوس الضباط هذه الروح العدائية شعورهم المكبوت ضد كبار رجال الجيش من الأتراك والشراكسة الذين كانو يتمتعون بالمراكز الرئيسية فى الجيش .

اجتمعت كل الدوافع السابقة وإتخذت شكل مظاهرة عسكرية يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ ولم تهدأ هذه العاصفه الا بعد حضور الخديوى بنفسه الى نظاره الماليه وأخذ يعد المتظاهرين بإيجابة مطالبهم .

واستغل الخديوى إسماعيل هذه المظاهره العسكريه لإسقاط نظاره نوبار ، وتم له ما أراد وعين مكانه نجله الأكبر محمد توفيق ، وأوعز الى المجلس الذى جمعه من الأعيان وأعضاء الشورى بوضع قانون مالى عام يتمكن به من إلغاء القرارات السابقه ، واجتمع المجلس فى ابريل ١٨٧٩ وأقر الجميع لائحه عرفت باسم «اللائحة» الوطنية وإشتملت على ثلاثه أقسام ، الأول فى تسوية الإيرادات والثانى فى تسوية الديون والثالث فى تسوية مصروفات الحكومة . وأقر الخديوى هذه اللائحة بالإضافة الى إصداره الأوامر بزياده عدد الجيش الى ستين ألف جندى والتى أثارت ثائره الدول الأوربية خصوصا إنجلترا وفرنسا وإنتهى الامر بعزل الخديوى اسماعيل وتولى أكبر أبنائه محمد توفيق ، وصدر فرمان من الباب العالى بعدم زيادة حجم الجيش عن ١٨ الف ، ولا يرخص للخديوى بانشاء سفنا مدرعة الا بعد الاذن ، وبذلك عادت مصر الى نصوص فرمان ١٨٤١ فيما يتعلق بقوات الجيش .

ومع بداية حكم توفيق وجهت الى الجيش المصرى ضربة جديدة – وذلك بتخفيض عدده الى ١٢ الف جندى بهدف زيادة ضغط المصروفات ، هذا فضلا عما وصلت اليه الروح المعنوية فى الجيش من سوء نتيجة تأخر صرف المرتبات ، وما صحب ذلك من فوضى واضطراب .

تكاتفت عوامل الهدم على النيل من قوة مصر الحربية فى وقت وصل فيه التدخل الأجنبى مداه ، وزاد التذمر من ضعف الحكومه وسوء إدارتها رتهاونها فى حقوق المصريين وتخاذلها أمام التدخل الأجنبى كان لهذا كله أكبر الأثر في قيام الثورة العرابية ، وفى أن يكون الجيش المصرى طليعة الحركه الثوريه وقوتها الدافعه .

ثانيا : حالة مصر فى نهاية عهد اسماعيل :

تميزت الفترة السابقة للثوره العرابية بسيطرة الأتراك والشراكسه علي الحياة المدنية و العسكرية فى مصر ، بل أن رياض باشا رئيس الوزاره في الفتره السابقه للثوره كان لا يميل الى ترقية الضباط المصريين ليفسح المجال لاصدقائه من الأتراك والشراكسه للترقى الى أعلى المناصب (١) . ويصف الزعيم احمد عرابى هذه الحالة فى مذكراته بقوله « .. لقد تحملت مدة ولاية اسماعيل بكل صبر وثبات تحت ضغط الظلم والاستبداد ، ومكثت برتبة القائمقام مدة تسع عشر سنة انظر الى صغار الضباط الذين كانوا تحت ادارتى فى عهد سعيد واسماعيل باشا وهم يترقون دونى (٢) .. »ويتضح من ذلك ما كان يعانيه الضباط المصريون من جور . كان أهم مايميز تلك الفترة هو موضوع اشتداد الازمة المالية فى مصر ، حيث أصدر اسماعيل باشا مرسوما سنة ١٨٧٦ ، بانشاء صندوق الدين ، وكان هذا الصندوق أول هيئة أوروبية رسمية لفرض التدخل الاجنبى فى شئون مصر . كما إضطر اسماعيل تحت الضغط الانجليزى الى قبول المراقبة الثنائية ، وهكذا أخضعت المالية المصرية للرقابة الأجنبية وأصبح هناك مراقبان احدهما انجليزى للإيرادات والثانى فرنسى للمصروفات . وتطور الامر الى تشكيل وزارة مختلطة تضم وزيران أوربيان أحدهما انجليزى للمالية والثانى فرنسى للأشغال ، تقلد نوبار هذه الوزارة ، عام ١٨٧٨ وهو أرمنى متمصر عرف بولائه للأجانب والسير فى ركابهم . وإستقبل الشعب هذه الوزارة بالسخط الشديد .

وزارة نوبار والجيش المصرى :

قامت وزارة نوبار عن عمد بإهمال الجيش المصرى إهمالا شديدا وكانت سياسة الأجانب تقوم على إضعافه حتى لا يقف على طريقهم حينما تأتى ساعة التدخل العسكرى فكانوا بذلك يمهدون الطريق للإحتلال ، وكانت من جملة التدابير التى قامت بها وزارة نوبار إزاء الجيش تسريح عدد كبير من الجنود تحت ستار الإقتصاد فى النفقات كما أحالت ٢٥٠٠ ضابط دفعة واحدة الى الاستيداع (٣) .

1 - Newman, Great Britain in Egypt, London, 1883, P.53.

(٢) أحمد عرابى : مذكرات أحمد عرابى ، دار الوثائق القومية ، جـ ١ ، ص ٤٥ .

(٣) المقصود بذلك هو الاحالة الى المعاش .

وهكذا كان هناك سببا مباشرا لحركة عسكرية ضد السلطة القائمة وان كانت هذه الحركة العسكرية تمثل سخط الشعب كله على الوزارة الاوروبية ، وعلى إزدياد التدخل الأجنبى فى شئون البلاد. وفى ١٨ فبراير ١٨٧٩ عقد نحو ٦٠٠ ضابطا اجتماعاً فى ثكنات العباسية وخرجوا فى مظاهرة ضخمة انضم اليها طلبة المدرسة الحربية ونحو ٢٠٠٠ جندى وساروا فى شوارع القاهرة بهذا الموكب قاصدين وزارة المالية ، وفى الطريق قاموا بالقبض على نوبار رئيس الوزراء وكذلك على وزير المالية البريطانى واتجهوا بهم الى وزارة الخارجية وسجنوا رئيس الوزراء والوزير فى احدى غرفها (١) .

لهذا قدمت الوزارة النوبارية فى ١٠ مارس ١٨٧٩ استقالتها بعد الإهانة التى لحقت بها ، وعهد الخديوى الى نجله محمد توفيق بتأليف الوزارة الجديدة (٢) ولقد كانت مظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩ – أول عصيان عسكرى من نوعه ضد السلطة السياسية (٣) . وقد استغل الاجانب نقمة الشعب المصرى على الخديوى فسعوا لخلعه ، وكانوا أيضا مشتركون فى النقمة عليه لإعتقادهم بعدم اخلاصه للوزارة الأوروبية وإسراعه فى قبول إستقالتها وتأليف وزارة برئاسة نجله .

وفى ٢٦ يونية سنة ١٨٧٩ أصدر السلطان مرسوما بخلع إسماعيل وتولية توفيق بدلا منه . ومن ثم غادر القاهرة فى ٣٠ يونيو ١٨٧٩ (٤) .

حالة مصر فى أوائل حكم الخديوى توفيق :

تقلد محمد توفيق باشا الحكم كما سبق ان ذكرنا فى ٢٦ يونية ١٨٧٩ ، ومصر اذ ذاك تجتاز مرحلة من أدق المراحل فى تاريخها القومى ؛ فالشعب يئن من المظالم والضرائب الفادحة التى عاناها فى عهد إسماعيل ويتطلع الى حكم جديد ينتهى فيه عهد الاسراف والمظالم ، والخواطر ساخطة على التدخل الأجنبى فى شئون مصر وما تعدد من مظاهره ، فمن إنشاء صندوق الدين الى فرض الرقابة الثنائية الانجليزية الفرنسية على مالية مصر ، الى تغلل نفوذ الاجانب عامة فى البلاد ، وقد بدأت ثورة

(١) جاد طه (د .) : معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٥ ،ص . ١٧

(٢) امين سعيد : سلسلة كتب تاريخ مصر السياسى الحديث ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٥٨ ج ١٢ ، ص ص ٤٤ – ٤٥

(٣) محمد فؤاد شكرى (د .) : مصر والسودان ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥ ، ص ١٦٧ .

(٤) أمين سعيد ، المرجع السابق ، ص ٩٧ – ٩٨ .

الأفكار والتطلع الى الحرية والنظم الدستورية فى أواخر عهد إسماعيل فى نفوس الطبقة المثقفة من الأمة ، وإتسع مداها فى أوائل عهد توفيق وإتجهت الأفكار الى إقرار تلك النظم والعمل على توطيدها لكى تستقر على أساس متين (١) .

كانت المطامع الاوروبية وبخاصة الانجليزية ترقب تطور الحوادث لكى تحقق اغراضها الإستعمارية فى مصر وقد بدأت هذه المطامع تتحرك نحو أهدافها سنة ١٨٧٥ - حين إشترت إنجلترا أسهم مصر فى قناة السويس فان هذه المأساه كانت نذيرا لتوثب انجلترا لبسط يدها على البلاد ، وكانت فرنسا تطمع فى ان يكون لها من النفوذ فى مصر مثل مالإنجلترا أو يزيد . والدول والجاليات الأجنبية عامة كانت ترمى الى مد نفوذها المالى والاقتصادى فيها، وتركيا كانت لا تفتأ تفكر فى إغتنام الفرصة لكى تنتقص المزايا والحقوق التى نالتها مصر ، فلا غرو أن كانت البلاد ، تجتاز مرحلة دقيقة فى تاريخها القومى حين ولى أمرها الخديوى توفيق .

فرمان ٧ أغسطس ١٨٧٩ وتقييد حجم الجيش المصرى :

صدر فى ٧ أغسطس ١٨٧٩ (١٩ شعبان ١٢٩٦ هـ) فرمان تركى الى الخديوى محمد توفيق إحتوى على تعديلات تنقص من المزايا التى نالها الخديوى اسماعيل فى فرمان ٨ يونية ١٨٧٣ وشملت هذه التعديلات تحديد حجم الجيش المصرى وتتضمنت أيضا الآتى : -

١ - فيما يتعلق بحق مصر فى عقد معاهدات مع الدول الاجنبية ، فقد قيد الخديوى بوجوب ابلاغ نصوص هذه المعاهدات الى الباب العالى قبل نشرها .

٢ - حدد عدد الجيش المصرى بثمانية عشرة الف جندى فى وقت السلم .

٣ - قيد حق الخديوى فى الاستدانة ، فحظر عليه عقد القروض الا إذا كان الغرض منها تسوية الحالة المالية الحاضرة وأن تعقد بموافقة دائنى مصر .

الأحوال السياسية فى مصر بعد تولية الخديوى توفيق :

على مدى ثلاثة أشهر توالت ثلاثة وزارات هى وزارة شريف ، ثم الوزارة التى رأسها الخديوى توفيق بنفسه ، ثم وزارة رياض التى تألفت فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ ، هذا وقد تأكد لدى المواطنين أن حكومة

(١) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الانجليزى ، ط ٢ ، القاهرة ، الدار القوية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص٣ .

مصطفى رياض باشا ، قد قبلت المراقبة التى تحولت الى آداه تفرض سيطرة انجليزية – فرنسية على مصر، عندما شاهدوا التعاون الوثيق بين رئيس الوزراء والمراقبة ، ومن ثم إنتشر التذمر ضد « الحكم الجديد » وكره الشعب نظاما إعتبره إمتداداً للظلم الذى تحمله لصالح الأجانب ، وسار المصريون بخطى سريعة فى طريق الثورة ضد حكومة الخديوى الضعيفة المستسلمة للنفوذ الاجنبى ، ولم يجد الساخطون وسيلة لانهاء هذه الحالة – سوى المطالبة – بتأسيس الحكومة على قواعد الشورى (١) .
ومنح بعض المنتخبين من الاهالى حق المشاركة فى كليات أعمال الحكومة » ومعنى هذا تقييد السلطة التنفيذية كأجراء ضرورى لانهاء النفوذ الاجنبى المسيطر عليها ، وكان بسبب هذا التذمر أن نشأ حزب سرى من المثقفين والاغنياء سموا انفسهم « بالحزب الوطنى » وجعلوا مركز حزبهم فى حلوان .
ولم يكن هؤلاء هم المتذمرين فقط من الحكومة ، بل انتشر التذمر كذلك بين رجال الجيش نتيجة الغبن الواقع عليهم واستئثار الطبقة التركية بالمناصب العليا فى الجيش (٢) . وهكذا ولد الاحساس بالظلم والشعور بالثورة .

مقدمات الثورة العرابية وأسبابها :

ثالثا : ظهرت الثورة العرابية فى عهد وزارة رياض باشا ، ومن الواجب قبل أن نعرض لوقائعها وحوادثها أن نذكر شيئا عن مقدماتها وأسبابها .

ولأول وهلة ، توصف الثورة العرابية بأنها ثورة عسكرية ، وهذا صحيح لا مراء فيه اذا لاحظنا ان دعاتها والقائمين بها هم من ضباط الجيش ، وإنها قامت وتحركت وفازت وقتا ما بقوة الجيش ، ثم إنتهت بهزيمته .

ولكن مما لا ريب فيه كذلك أنها ليست ثورة عسكرية فحسب ، بل هى أيضا ثورة قومية اشتركت فيها طبقات الأمة كافة ، واذا أردنا أن نستقصى أسبابها وجدناها على نوعين ؛ أسباب خاصة وهى المرتبطة بطبقة الضباط والجند وموقفهم من الحكومة وموقف الحكومة منهم – أما الأسباب الاخرى فهى أسباب عامة وهى التى تتصل بحالة الشعب ، والعوامل التى دفعته الى مناصرة الثورة وتأييدها

---

(١) جاد طه (د .) : مرجع سابق ، ص ١٧١ .

(٢) د . محمد فؤاد شكرى (د .) : مرجع سابق ، ص ص ١٩٨ – ٢٠٠

١ - الاسباب الخاصة :

ترجع هذه الاسباب الى تذمر الضباط الوطنيين من سوء معاملـــة رؤسائهـــم ، وخاصة عثمان باشا رفقى وزير الحربية فى وزارة رياض باشا . وكان عثمان رفقى قائدا شركسيا متعصباً لجنسه ، يتحيز للضباط الذين من أصل شركسى أو تركى أو أرناءودى ، ويعمل على جمع زمام السلطة فى أيديهم ، ويؤثرهم على الوطنيين فى الترقيات والتعيينات ، وينظر الى الضباط المصريين بعين الزراية والبغض، فهو وحده يعد من أسباب الثورة العرابية ، وكان من ناحية الكفاءة يعد عديم المواهب ، قليل النظر فى العواقب ، يمثل طبقة الرؤساء العسكريين المنحدرين من سلالة الترك والشراكسة الذين كانت لهم رئاسة الجيش فى عهد اسماعيل واوائل عهد توفيق ، ولم يكن الضباط الوطنيون يجدون منهم فى الجملة إنصافا ، ولا مساواة ، ولا معاملة حسنة . ولو ان إسماعيل درج على سنة سعيد فى تشجيع المصريين وترقيتهم فى المناصب العسكرية لسادت روح المساواه فى الجيش ولما هيأ امثال عثمان رفقى السبيل الى الفتنة ، ولا مراء فى أن إسماعيل كان يميز الضباط والرؤساء الشراكسة والترك على الوطنيين فى المعاملة ، رغم ما بدا منهم من العجز وعدم الكفاية ، مما ظهر أثره جليا فى الهزائم التى حلت بالجيش المصرى سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ فى حرب الحبشة ، ولو ظلت روح المساوة التى بثها سعيد فى الجيش سائدة فى عهد اسماعيل وتوفيق ، لما قامت الثورة العرابية ، لان عرابى وزملاؤه لم يثوروا الا حين طفح الكيل من محاباة أمثال عثمان باشا رفقى للترك والشركسة ، وإضطهادهم للضباط الوطنيين ، فعرابى وزملاؤه كانوا على حق فى المرحلة الاولى من الثورة لان الطبيعة البشرية مفطورة على كراهية الظلم والاضطهاد ، ولم تكن المظالم التى يشكو منها الضباط الوطنيون مقصورة على حرمانهم حقوقهم فى الترقى ، بل كانوا كذلك هدفا لاشد ضروب العنت والارهاق اذ كان يكفى ان تلصق بأى منهم تهمة ما ، ولو لم تكن صحيحة ، ليكون جزاؤه أن تنزع منه درجته أو يقصى عن منصبه ، أو ينفى الى أقاصى السودان ، وتصبح حياته عرضة للخطر .

كانت الثورة العرابية اذا "ثورة دفاع عن الحق ، ودفاع عن الحياة وليس من ينكر ما كان عليه معظم الرؤساء الشراكسة والترك والأرناؤود من الفلظة والغطرسة والزهـو والخيلاء . والزرايـة

بالوطنين . فإن هذه النزعات كانت فاشية فيهم لا فى مصر وحدها ، بل فى سائر بلاد السلطنة العثمانية ، اذ كان العرب عامة يعانون سوء معاملة الترك واضطهادهم إياهم ، وكانت هذه المعاملة من أسباب قيام الفتن والثورات فى السلطنة العثمانية ، حتى نهاية الحرب العالمية الاولى . ولا جدال فى أن ظهور أحمد عرابى كان فى مقدمة الأسباب المباشرة للثورة ، فهو الذى بث فى الضباط روح التضامن والاتحاد والمطالبة بحقوقهم المهضومة ، وكانت هذه المطالب فاتحة الثورة كما سيجىء بيانه ، فهذه الجرأة كان لها أثر كبير فى ظهور الثورة وإجتذاب الضباط اليه ، حيث بث فيهم روح التضامن والاقدام . وغنى عن البيان ، فإن عرابى وعديد من الضباط قد تأثر بجمال الدين الأفغانى وتعاليمه بطريق مباشر أو غير مباشر . بل إن البلاد كلها قد تأثرت بها ، ورغبت فى التحرر ، وفى حياة أفضل تسودها الحرية والأمن على الرزق .

ومن الأسباب المباشرة ، سبب يرجع الى شخصية الخديوى توفيق ، فقد كان من أخص صفاته التردد والضعف ، فلم يعالج الثورة فى مهدها بالحزم والشدة ، أو بالعدل ورفع المظالم التى شكا منها الضباط ، بل كان موقفه منها موقف التردد والتناقض ، ولم يكن صريحا فى سياسته ولا فى تصرفاته ، وكان أيضا يميل الى الدسائس ، وكان له عدا ذلك من ظروفه العائلية ما يشجع عوامل التحريض على الثورة ومنها تنافس أعضاء الاسرة على سند الخديوية اضف الى ذلك أن أعضاء وزراة رياض باشا كانوا مختلفى الرأى والنزاعات فى مواجهة الثورة ، فكان هذا الموقف ، وما ينطوى عليه من الاضطراب والتناقض من العوامل التى ساعدت على ظهور الثورة ونجاحها (١) .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ص ٦٩ – ٧٢

٢ - **الاسباب العامة :**

وثمة أسباب عامة يشترك فيها الشعب بجميع طبقاته منها سياسية واقتصادية وثالثة إجتماعية وهى على التوالى : -

أ - الاسباب السياسية :

ترجع تلك الاسباب الى تذمر المصريين بصفة عامة من سوء نظام الحكم القائم ورغبتهم فى التخلص منه ، فقد كان قوام هذا النظام إستبداد الحكام وإضطهادهم للموظفين ، فالمصريون اذن كانوا يتطلعون الى التخلص من نظام الحكم القائم ، وقد ادرك المثقفون من الأمة أن إصلاح هذا النظام إنما يكون بقيام الدستور وإنشاء مجلس نيابى يوطد مبادىء العدل والحرية ويتحقق فيه معنى الرقابة على الحكام ، ويحول دون ارتكاب المظالم ... ومن هنا إتحدت الفئة المثقفة من الامة مع الضباط والوطنيين فى الشعور والميول وأجمع الكافة على المطالبة بالمجلس النيابى ، فالثورة العرابية من هذه الوجهة كانت ثورة ضد المظالم .

وبينما كانت فئة المثقفين تترقب إعلان الدستور على يد الخديوى توفيق اذا بهم يرون شريف باشا يستقبل لمعارضة توفيق تشكيل مجلس النواب وإصراره على الحكم المطلق ثم تكليفه رياض باشا بتأليف وزارة كان من مبادئها الاساسية حكم البلاد حكما مطلقا ، وهكذا عارض رياض فى انشاء مجلس النواب وإنحاز للنفوذ الاوربى ، وأصر على قمع كل معارضيه بالشدة ، كما إنذرت صحف المعارضة وعطلت بعضها . ولقد كان للصحف المعارضة دورها البارز ، فما كانت تبثة من روح التبرم بنظام الحكم والتطلع الى الحرية والدستور وما لقيته من اضطهاد ، كل ذلك كان من الاسباب الممهدة للثورة والمحرضة عليها .

ب - الأسباب الاقتصادية :

كانت الاحوال الاقتصادية فى ذلك الوقت شديدة الوطأة على المواطنين ، فأن الديون التى اقترضها الخديوى اسماعيل ، ألقت على البلاد عبئا جسيما من الاثقال الفادحة وإضطرت

الحكومة الى تخصيص نصف موارد الميزانية لسداد فوائد الديون ، فكان ذلك سببا لتذمر المواطنين لان تخصيص هذا المبلغ الضخم الذى يجبى كل عام من عرق الفلاح وكده معناه حرمان المواطنين من ثمرة جهودهم وإضاعتها لحساب الدائنين ، هذا فضلا عن فداحة الضرائب فى مجموعها وعدم توزيعها توزيعا عادلا وتحصيلها بوسائل القهر والارهاق ، فانضم المواطنون الى الثورة وشايعوها أملين أن تخفف عنهم أعباء الضرائب ، وكان إستفحال نفوذ الأجانب عامة وإستحواذهم على مرافق البلاد الإقتصادية قد أدى الى ضيق الأهالى بنظام الحكم ، لأن الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها والمزايا التى نالها التجار والمرابون منهم أكسبتهم الأموال الطائلة ، فأثروا على حساب الخزانة المصرية وعلى حساب المواطنين .

ومن مظاهر سياسة الحكومة الاقتصادية انتقاص عدد الجيش توفيرا للنفقا ت [1] وسواء كان هذا الانقاص بسبب الأحول الاقتصاديه أو لإضعاف الجيش عمداً ، فما لاشك فيه أن إحالة الكثير من الضباط الى الإستيداع ، قد أدى الى مشاركة هولاء الموظفين الذين رأوا مظاهر اتساع سلطة الأوربيين وازدياد نفوذهم فى دور الحكومة وتميزهم بالرواتب الضخمة مما ملىء نفوسهم بروح السخط والتبرم .

جـ - الأسباب الاجتماعية :

إن حالة المجتمع المصرى كانت تؤهلة فى ذلك الوقت بتلبية نداء الثورة وذلك كما ذكرنا نتيجة لشعور المواطنين بالمظالم الواقعة عليهم ، فانتشار التعليم فى عصر محمد على والبعثات التى أوفدها هذا الوالى ، والنهضة الادبية التى صاحبت النهضة العلمية

---

(١) صدرت أول ميزانية وضعت فى عهد توفيق والتى صدر المرسوم بتقريرها فى يناير ١٨٨٠وقد قدرت فيها الايرادادت بمبلغ ٦٢٢ر٥٦١ر٨ جنيها والمصروفات بمبلغ ٥٤٤ر٦٤١ر٣ جنيها ، يضم اليها ٤٨٦ر٦٨١ جنية قيمة الجزية السنوية التى تؤدى للأستانة ، الباقى وقدره ٥٩٢ر٢٢٨ر٤ جنيها خصص للدين العام ، أى أن مخصصات الديون كانت تبلغ أكثر من نصف الايرادات وقد بلغت مخصصات الخد يوى والعائلة الخديوية ٣١٥٫٠٠٠ جنيه بينما خصص لنظارة الحربية والبحرية ٧٣٤ر٤١٤ جنيها ، مما يشير بشكل واضح عن الضعف الكبير فى ميزانية الجيش وهى تمثل بنسبة حوالى ٤ر٠٪ من الدخل القومى (أنظرالوقائع المصرية عدد ٢٣ يناير سنة ١٨٨٠)

والصحافة التى أدلت بدلوها ، فى ترقية الافكار ، وتأثير جماعة من المفكرين على رأسهم جمال الدين الأفغانى فى المجتمع المصرى كل ذلك أدى الى زيادة الشعور بالظلم والى ضرورة التغيير (١) .

الحركة الشعبية والحركة العسكرية فى مصر :

قبل أن نسترسل فى موضوع مقدمات الثورة العرابية وما تبعها من أحداث أحب أن أشير الى نقطة هامة وهى الربط بين الإدارة الشعبية والإدارة العسكرية فى مصر . وكان عبدالله النديم (خطيب الحركة الوطنية) ورسول الحزب الوطنى - كان صاحب دعوة تهدف الى إنقاذ الوطن من الوقوع فى أيدى الاستعمار وتخليصه من الظلم والاستبداد ، وتوفير الأمن والعدالة للجميع .

وقاد عبدالله النديم حركة التحرر التى أخذت طريقين : -

١ - الطريق السياسى الذى حاول رد التسرب الأجنبى عن إدارة البلاد متستترا وراء حمق الخديوى والشراكسة ، وتمكين المصريين من أن يأخذوا مكانهم فى مناصب دولتهم .

٢ - الطريق الاجتماعى ، الذى حارب التسلط الإقطاعى ، فلا يكون رأس المال دولة بين الأغنياء وأن يأخذ الفلاح نصيبة العادل من الحياه .

وهذه الإتجاهات ، نراها ثمرة نضوج مبكر ، مرجعها الى أن دعاة الحركة الوطنية والاجتماعية نشأوا من صميم الشعب . وذاقوا مرارة الآمه وحرمانها . وكان لابد أن يلتقى تيار هذه الحركة الشعبية ، التى مثلها عبدالله النديم ، والحركة العسكرية التى ظهر فيها أحمد عرابى .

وحاول رياض باشا نفى النديم من البلاد ، ولكن تصدى له الحزب العسكرى للدفاع عنه ، فقد كان على بك فهمى قائد الحرس حاضرا عرض هذا القرار عن الخديوى ، ولكنه نصح الخديوى بالرفض ، لأن العسكريين سيتدخلوا للمحافظة عليه ولو بقوة السلاح ومن هنا بدأت حركة توحيد الفكريين عبدالله النديم وبين العسكريين . ووافق النديم على توحيد الجهود وكتب « اعلنت حب العسكر والتعويل عليهم وناديت بانضمام الجموع اليهم ، وأوغلت فى البلاد ، ونددت بالاستبداد » .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم الثائر أحمد عرابى ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ، ص ص ١٦ - ٢١ .

وفى اللقاء بين أقوى العناصر من اقطاب مدرسة جمال الدين الافغانى ، وبين العسكريين الوطنيين ، تحددت أهداف الحركة الوطنية ، فى منشور تضمن مطالب الشعب ، وخطى خطوة جديدة فى الوصول الى مراكز القوة ، وذلك بطلب استقالة رياض باشا المتعسفة ، واقامة حكم نيابى ، وايقاف الزحف الاجنبى على إقتصاديات البلاد وقد جاء فى هذا المنشور « ان الوزارة الرياضية قد ركبت متن الشطط ، وعدلت عن السراط المستقيم ، ولم يكن مقصدها مؤديا الا الى اضمحلال البلاد وتلاشيها من بيع أراضى كثيرة للأجانب ووجود كثير منهم فى إدارة الحكومة ومصالحها بالرواتب الفادحة ، والسعى فى رفع الاحجار الطبيعية الموجودة فى بوغاز الاسكندرية .. ، وإن سكوتنا وإضرابنا عن ذلك يعد من العجز والجبن والتفريط فى وطننا ومقر نشأتنا ، فاعلموا يا معاشر الوطنيين إن أولادكم المنتظمين فى سلك الجهادية ، قد اتكلوا على البارىء سبحانه وتعالى وعزموا على كل ما من شأنه الانصاف لحقوقهم ، وذلك لا يتم الا بسقوط وزارة رياض باشا وتشكيل مجلس النواب ليحصل الوطن على الحرية المبتغاه .... (١)

ويقول عرابى فى تأريخه لهذه المرحلة .. « جمال صديقى الأعز الهمام ، صاحب الغيرة والعزم القوى ، السيد عبدالله نديم ، بين الصفوف ينادى بالآية الكريمة : وان طائفتين من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما .... الخ الآية والتقت قلوب الرجال من مدنيين وعسكريين على ضرورة مقاومة الظلم » .

---

(١) محمد صبيح : أيام .. وأيام ١٨٨٢ - ١٩٥٢ ، القاهرة ، مطبعة العالم العربى ١٩٦٦ ، ص ص ١١١-١١٢ .

رابعا : الثـــورة العرابيـــة :

١ - بدأ ظهور روح السخط والتبرم فى الجيش :

كانت لتصرفات عثمان باشا رفقى وزير الحربية أثره الكبير فى سخط وتبرم الجيش ، إذ وضع قانونا جديدا للقرعة العسكرية من شأنه إذا نفذ أن يحول دون ترقى الضباط من تحت السلاح أى قصر الترقيات على المتخرجين من المدارس الحربية . وصدر المرسوم الخديوى بهذا القانون فى ٣١ يولية ١٨٨٠ الموافق - ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٧ هـ (١) وهو يقضى بأن يبقى الجندى فى العسكرية العاملة أربع سنوات ثم يعود بعد هذه المدة الى بلدة ويبقى رديفا مدة خمسة سنوات مع تردده على مركز مديريته شهرين من كل سنة لحضور التمرينات العسكرية وبعد مضى السنوات الخمس يصبح جنديا احتياطيا رهن الطلب لمدة ست سنوات أخرى ، وبعد انقضائها تنتهى مدة خدمته العسكرية الاصلية والإحتياطية وينسخ اسمه من دفاتر الجهادية .

تذمر عرابى وزملائه من هذا القانون ، وإعتقدوا أنه إنما وضع لمنع ترقية المصريين فى الجهادية وقصر الترقيات على الضباط الشراكسة والترك لأنه جعل مدة الخدمة العامة أربع سنوات ، يحول دون إمكان ترقية الجنود ضباطا من تحت السلاح ، لعدم كفاية هذه المدة للحصول على المعلومات العسكرية التى تؤهلهم للترقى ، وليس من سبيل الى ترقيتهم إذا ما صاروا من الرديف أو الاحتياط ، فوضع هذا القانون يؤدى الى منع نظام الترقى من تحت السلاح ، ذلك النظام الذى سهل لكثير من الوطنيين أن يصلوا الى مرتبة الضباط ، ومنهم عرابى وزملائه ولقد كانت الملابسات التى اقترنت بهذا القانون سببا فى جعل الضباط يعتقدون أن الغرض من وضعه هو النكاية بهم . ولم يكتفى عثمان باشا رفقى بإصدار هذا القانون بل كان فى تصرفاته يؤثر الضباط الشراكسة والترك فى الترقيات والتعيينات ويضطهد الوطنيين ، وآخر ما بدا منه ، مما عجل بالثـورة - انه أصدر أمراً بنـقل الاميرالاى عبد العـال بك حلمى قائد الآى طره

---

(١) أنظر الوقائع المصرية عدد ٤ أغسطس سنة ١٨٨٠ ، والاعداد التالية

(وكان يعرف بالالآى السودانى) الى ديوان الجهادية (وزارة الحربية) وفى هذا تنقيص من درجته ومركزه وأمر بتعيين خورشيد بك نعمان بدله وهو من أصل شركسى ، وأصدر أمرا آخر بفصل أحمد بك عبد الغفار قائمقام الآى الفرسان وعين بدله ضابطا شركسيا يدعى شاكر بك طمازة .

علم عرابى بهذه الاوامر قبل نشرها فى ١٦ يناير ١٨٨١ ، فثار غاضبا فقال لزميل له « ان هذه لقمة كبيرة لا يقوى عثمان رفقى على هضمها » (١) .

٢ - **إجتماع الضباط ومطالبهم إثر هذه الاحداث :**

اجتمع عدد من الضباط بمنزل أحمد عرابى (٢) بك ليلة ١٦ -١٧ يناير ١٨٨١ - وكانوا فى شدة الهياج والغضب لصدور هذه الأوامر ، وأخذوا يتشاورون فيما يجب عمله لمنع نفاذها ، فاتفقوا على إختيار عرابى رئيسا لهم ، وعهدوا اليه العمل للتخلص من هذه الحالة ، على أن يتضامنوا وإياه فى تنفيذ ما يأمر به ، ويذكر عرابى فى مذكراته طلبه منهم أن يقسموا على ذلك ، فاقسموا على السيف والمصحف ، ثم كتب عرابى من فورة عريضة الى رياض باشا بالشكوى من تعصب عثمان باشا رفقى لجنسه ، وإجحافه بحقوق الضباط الوطنيين ، وطلب فيها وضع حد لما يصيبهم من إضطهاده ، وعزله من منصبه وإعادة قائمقام الفرسان .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية ، الإحتلال الإنجليزى ، ط ٣ ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ص ٨٩ ، ٩٧ .

(٢) يذكر أحمد عرابى مذكراته أن الإجتماع ضم كل من الأميرالآى عبد العال على بك قائد الآى طره ، والبكباشى خضر أفندى خضر من ضباط الالآى الأول حرس الخديوى بقشلاق عابدين والبكباشى محمد أفندى عبيد من ضباط الآلآى المذكور والبكباشى الفى أفندى يوسف من ضباط الالآى الرابع الذى كان عرابى قائدا له ، وأحمد بك عبد الغفار قائمقام الآى الفرسان (أنظر عبد الرحمن الرافعى ، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٧٥ ،

ويقول عرابى فى مذكراته : إن العريضة تضمنت مطالب عديدة يرمى معظمها الى تغيير نظام الحكم وتتلخص فى **الآتى** : –

أ – عزل ناظر الجهادية وتعيين غيره من أبناء الوطن .

ب – تشكيل مجلس نواب من نبهاء الأمة تنفيذاً لما وعد به الخديوى كتابة عقب إرتقائه مسند الخديوية (١) .

جـ – زيادة حجم الجيش العامل الى ١٨٫٠٠٠ جندى .

د – تعديل القوانين العسكرية لكى تكون كافلة للعدل والمساواة بين رجال الجيش وقال على باشا فهمى فى استجوابه إن العريضة كانت مقصورة على طلب عزل عثمان رفقى وتلك الروايات وروايات أخرى ترجح عدم المطالبة بتأليف مجلس النواب أو زيادة عدد الجيش فى عريضة الضباط ، ومنطلق الحوادث يؤيد ذلك ، فإن المقام لم يكن يقتضى المبادرة الى طلب المجلس النيابى أو تعديل القوانين العسكرية وزيادة عدد الجيش ، بل كان الأمر لا يعدو المطالبة بعزل عثمان رفقى .

عموما فبعد أن كتب عرابى العريضة تلاها على الحاضرين فوفقوا عليها ووقع عليها هو نفسه وكل من على بك فهمى وعبد العال بك حلمى ، ووضع المجتمعون الخطط الكفيلة بالمحافظة على النظام عند قيامهم بما إعتزموه ، والمحافظة على حياتهم اذا أرادت الحكومة ان تبطش بهم .

يعد هذا الإجتماع فاتحة الثورة العرابية ، لان تعاهد زعماء الضباط على مقاومة تنفيذ الأوامر العسكرية ، والجهر بمناصبة وزير الحربية العداء ، والمطالبة بعزله ، واختيارهم عرابى رئيسا لهم ، وحلفهم اليمين على التضامن ، كل ذلك معناه التمرد والخروج على النظام وتحدى الحكومة والاستهانة بهيبتها وقوتها ، أو بعبارة اخرى هى الثورة على الحكومة .

---

(١) ينفى الشيخ محمد عبده رواية عرابى بقوله « .. انه لم يرد بالعريضة اية اشارة الى الدستور (انظر عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية . الاحتلال الانجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٩٩)

وفى ١٧ يناير ١٨٨١ ذهب الضباط الثلاثة الى رياض باشا (رئيس الوزراء) وقابلوه حيث وعدهم بالنظر فى الأمر – وبعد إسبوع من هذه المقابلة ذهبوا الى داره وقابلوه ثانية وسألوه عما تم فى أمر العريضة ، فأجابهم متهددا متوعدا قائلا لهم « إن تقديم مثل هذه العريضة يؤدى الى الهلاك » . فأصر عرابى ومن معه على طلباتهم ، وأبان عرابى أن هذا حق وعدل ، وإنتهى الحديث بأن أخبرهم بأنه سينظر فى طلباتهم .

وفى ٣١ يناير ١٨٨١ ، اجتمع مجلس الوزراء فى سراى عابدين برئاسة الخديوى ، وبحث فى أمر هذه العريضة ، فاستقر الرأى على وجوب محاكمة الضباط الثلاثة ، أمام مجلس عسكرى ، وكان الأمر موضع جدل طويل فى المجلس ، إذ كان رياض باشا يميل الى إحالة تحقيق ما فى العريضة على مجلس عسكرى ، ولكن عثمان رفقى رأى وجوب القبض عليهم ومحاكمتهم امام مجلس عسكرى وإنضم الخديوى الى هذا الرأى ، وتابعه أغلب الوزراء ، وأخذ عثمان رفقى على عهده أن ينفذ ذلك على أن يكون مسؤلا اذا حدث ما يخل بالامن .

استقر اذن رأى مجلس الوزراء على محاكمة الضباط الثلاثة وأصدر الى وزير الحربية امراً بالقبض عليهم وسجنهم ، وتأليف المجلس العسكرى بمحاكمتهم برئاسة الجنرال إستون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى وعضوية اسماعيل باشا كامل وخسرو باشا ورضا باشا وشوقى باشا ولارمى باشا ، وفعلا إستدعى الضباط الثلاثة الى قصر النيل أمام المجلس العسكرى ، وتلى عليهم الأمر القاضى بإعتقالهم لمحاكمتهم وسيقوا الى قاعة السجن بقصر النيل بين حراسة الضباط الشراكسة وعين بدلا منهم ثلاثة ضباط (١) لتولى قيادة الآياتهم .

٣ - **الهجوم على قصر عابدين واطلاق سراح الضباط الثلاثة :**

علم الضباط بما وقع لكل من عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى ، وإعتزموا إنقاذ إخوانهم ونهض البكباشى محمد افندى عبيد (٢) وجنود الالآى الأول من قشلاق عابدين الى قصر النيل ،

---

(١) وهم الأميرالآى محمود بك طاهر قومندانا للآلآى الرابع بدلا من عرابى بك ، و الاميرالاى خورشيد بك نعمان أميرالآيا للآلآى السودانى بطرة بدلا من عبد العال حلمى بك ، والقائمقام خورشيد بك أميرالآيا لآلآى الحرس بدلا من على بك فهمى .

(٢) استشهد محمد عبيد فيما بعد فى معركة التل الكبير .

فلما بلغوه وضع البكباشى محمد عبيد حصارا حول القصر وأمر بقية الجند بالهجوم على الديوان فهجم الجنود ، وإقتحموا الديوان ، فوقع الرعب فى نفوس القواد والضباط الموجودين بالديوان وفى مقدمتهم عثمان باشا رفقى (وزير الحربية) ، وبادروا الي الفرار بما فيهم وزير الحربية الذى فر من إحدى النوافذ ، وتمكن الجند من الوصول الى مقر الضباط الثلاثة وفكوا سراحهم . وفى نفس الوقت خرجت قوة الآلآى السودانى بطرة برئاسة البكباشى خضر افندى خضر وتوجهت الى قصر النيل لإنقاذ الضباط الثلاثة حيث وصلوا الى ميدان عابدين وانضموا الى الآلاى الاول ، وإحتشد الناس فى الميدان لمشاهدة هذا المنظر الذى لم يألفوه من قبل ، وعندئذ وقف عرابى خطيبا وأثنى على إخلاص الضباط والجند وإتحادهم لانقاذه وصاحبيه من السجن .

أما الآلآى الرابع (آلآى العباسية) ، فقد تخلف عن الاشتراك فى الحركة فذهبوا ليلا الى ميدان عابدين ليظهروا إخلاصهم لعرابى ويلتمسوا منه العفو عن تأخيرهم ، فذهبوا ليلا وقابلوا عرابى فقبل عذرهم ظاهرا ، وبقوا بالقشلاق بقية الليل حيث عادوا صباحا الى العباسية مع أميرالاهم الاصلى (عرابى) .

٤ - **تعيين البارودى وزيرا للحربية أول انتصار للثورة :**

كان احتشاد جنود الآلآيين بأسلحتهم فى ميدان عابدين كافيا لايقاع الاضطراب فى نفس الخديوى وحاشيته ، وقد استدعى وزراؤه وتشاوروا فيما يصح عمله إزاء هذه الحركة ، فأشار محمود سامى باشا البارودى (وكان وقتئذ وزيرا للأوقاف) باجابة طلبات الجند ولم ير الخديوى بدا من الاذعان ، وإتفق الرأى على أن يذهب البارودى يصحبه خيرى باشا رئيس الديوان ليقابلا عرابى وصاحبيه ويتعرفا على ما يطلبون ، فقابلهم وعرف منهم أنهم يطلبون عزل عثمان باشا رفقى ويلتمسون العفو عنهم لأن عثمان باشا هو السبب فيما حدث ، فعاد البارودى وخيرى باشا الى الخديوى ، وعرضا عليه حديثهما مع الضباط الثلاثة ، فأمر باستدعائهم فحضروا ، وإلتمسوا منه العفو فعفا عنهم .

واستقال عثمان باشا رفقى وأصدر الخديوى امرا فى أول فبراير بإسناد وزارة الحربية الى البارودى (١) بالاضافة الى منصبه السابق كوزير للاوقاف وبهذا التعيين تحققت ثلاثة انتصارات نالها الضباط المصريون : –

أولهمـا : اطلاق سراح الضباط الثلاثة .

ثانيهما : عزل عثمان باشا رفقى الذى كان خصما لهم .

ثالثهما : تعيين محمود باشا سامى البارودى وزير للحربية وكان نصيرا لهم حيث توطدت صلات الثقة بين البارودى والضباط .

وانتهى الأمر الى عودة الضباط الثلاثة الى قشلاقاتهم .

وأراد الخديوى بعد انقضاء أيام على واقعة قصر النيل أن يجتذب إليه قلوب ضباط الجيش ويزيل تأثير الحادثة فى نفوسهم ، فاستدعى الى سراى عابدين يوم ١٢ فبراير ١٨٨١ ضباط الآيات العاصمة من رتبة بكباشى فما فوق ، وحضر الاجتماع وزير الحربية (البارودى) ورؤساء الجيش ، وألقى الخديوى خطبة فيهم ضمنها العفو عما حدث يوم أول أكتوبر فبراير ، وأكد لهم أنه لم يبق فى نفسه أثراً منها وطلب إليهم احترام النظام وطاعة الحكومة وكان الظن أن مثل هذه الخطبة ترد النظام الى الجيش ، وتدعوا الضباط الى الاطمئنان الى نيات الحكومة نحوهم ، إذ لم يكن خافيا أنهم كانو يتوجسون شرا من ناحيتها ، ويتوقعون أن تتربص بهم الدوائر للاقتصاص منهم اذا مكنتها الفرصة ، وبذلك تزداد هوه التنافر إتساعا بينهم وبين الحكومة ، فأراد الخديوى بهذه الخطبة أن يدخل الطمـأنينة الى نفوسهم ويدعوهم الى الثقة بمقاصد الحكومة ، ولكن الحوادث جاءت على خلاف ما كان يظن ويتوقع (١) عموما فانه لم يكـن

---

(١) نص الامر العالى الصادر من الخديوى الى رئيس مجلس الوزراء فى أول فبراير ١٨٨١ – ٢ ربيع الاول ١٢٩٨ هـ بتقليد البارودى وزارة الحربية بناء على استعفاء عثمان رفقى باشا من نظارة الجهادية صار احالة نظارة الجهادية الى محمود سامى باشا حسب ما تقرر وصدر امرنا بذلك فى تاريخه وهذا لدولتكم بالاشعار

(انظر عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية ، الاحتلال الانجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ١٠٨)

لواقعه قصر النيل أثرها فى الجيش فحسب ، بل كان لها أثر بالغ فى الأمة كلها ، اذ جعلت لعرابى مكانة كبيرة فى البلاد ، والواقع أن الحادثة وما تنطوى عليه من الجرأة على الحكومة وإطلاق سراح المسجونين وعزل وزير الحربية وتعيين وزير يؤيد الجيش فى مطالبه ، كل هذه الأعمال جعلت من عرابى زعيما قوميا إتجهت اليه الأنظار لتحقيق أماني الشعب ، وكانت المظالم التى شكا منها زعماء الجيش ، تشبه المظالم التى كانت البلاد تشكو منها ، ولم يكن الناس راضين عن الحكومة وسياستها فلا غرو أن اغتبط الناس لتحقيق مطالب الجيش ، وذاع فى البلاد إسم عرابى كمنقذ للامة من المظالم .

٥ - **مطالب الضباط بعد واقعة قصر النيل :**

لم يطمأن عرابى وصحبه على مركزهم وعلى حياتهم بعد واقعة قصر النيل ، فبالرغم من عزل عثمان باشا رفقى ، وتعيين وزير حربية يعطف عليهم ويؤيدهم ، فانهم كانوا يخشون على حياتهم أن تمتد اليها يد الاغتيال إنتقاما مما فعلا ، وأقاموا لهم حرسا من المخلصين لأشخاصهم ، وأكثروا من الاجتماعات السرية ، يعقدونها ليلا فى منزل عرابى ، ويدعون اليها من يثقون بإخلاصهم من الضباط للتشاور فيما يفعلون ، وتنفيذ ما يستقر عليه رأيهم ، وقد أسفرت هذه الإجتماعات عن تقديم عريضة من جميع الآلايات بالمطالب **الآتية** :

أ - سن قانون يشمل حالات الترقى والتقاعد والمكافآت والاجازات وتسوية معاش الاستيداع ،

ب -زيادة مرتبات جميع الضباط والعساكر بالنسبة لارتفاع اسعار الحاجات عن قيمتها . منذ ثمانين سنة (حين انشاء العسكرية وترتيب تلك المرتبات) .

جـ -عدم جواز الترقى للعسكريين الا بسن قانون خاص يجرى العمل على مقتضاه .

د - عدم إستقطاع مرتبات الضباط والعساكر فى مدة الاجازات التى تعطى لهم إذا لم تتجاوز ثلاثين يوما .

هـ - أن يؤخذ من الضباط والعساكر نصف الأجرة فى السكك الحديدية .

و - إرجاع أحمد بك عبد الغفار قائمقام السوارى الذى فصله عثمان رفقى من الخدمة من غير محاكمة .

وبالفعل أجابت الحكومة معظم هذه المطالب ، حيث عرض محمود سامى باشا البارودى على مجلس الوزراء وجوب سن القوانين اللازمة لاصلاح حالة الجند ، وزيادة رواتب الضباط والعساكر وتعديل النظم والقوانين العسكرية كافة ، فوافق مجلس الوزراء على اقتراح وزير الحربية ورأى البدء بزيادة رواتب الضباط والجنود ، وتأليف لجنة للنظر فيما يجب إجراؤه من التعديلات والاصلاحات فى النظم والقوانين العسكرية ، ورفع رياض الى الخديو فى ٢٠ ابريل ١٨٨١ تقريرا بذلك أشار فيه طلب ناظر الجهادية زيادة رواتب الضباط والجند . ووافق الخديوى على هذه المقترحات وصدر مرسومان بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٨١ .

أ - يقضى الأول بزيادة رواتب الضباط والجنود .

ب - يقضى الآخر بتأليف لجنة برئاسة وزير الحربية والبحرية للنظر والبحث فى القوانين والنظم المعمول بها وقتئذ ، وإدخال كل ما ترى لزومه من التعديلات والاصلاحات فيها وما ينبغى اجراؤه من الأصلاح فى المدارس الحربية وإعداد مشروع قانون بشروط الدخول فى سلك الضباط و تعيينهم وترقيتهم وإستيداعهم ورفتهم وتقاعدهم ، وتسوية حالة الضباط المحالين الى الإستيداع .

وفى نفس الوقت طلب الضباط زيادة عدد الجيش العامل ليصل الى ١٨٫٠٠٠ مقاتل وانشاء حصون جديدة وقدموا عرائض بذلك كما طلبوا فيها انشاء مجلس نيابى تكون الوزارة مسئولة أمامه مع تخويلة حق تقرير الميزانية (١) .

٦ - تصرفات غير حكيمة من الضباط واستقالة البارودى :

حدثت عدة تصرفات من ضباط وجنود الجيش أدت الى عدم الانتظام والطاعة للأوامر التى تصدر ، مما حدا بالخديوى أن يتخذ قراره بإقالة البارودى ، حيث قرر أن بقاء البارودى فى

---

(١) رسالة لمسيونج (monge) القائم بأعمال قنصل فرنسا العام فى مصر الى وزارة خارجية فرنسا فى ٣٠ مايو ١٨٨١ ، الكتاب الاصفر سنة ١٨٨١ ، وثيقة رقم ١٦ . (أنظر عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٩)

وزارة الحربية هو منشأ هذه الفوضى ولا سبيل الى إعادة النظام الا بإقالته ، فاستقال البارودى وعين بدلا منه داود باشا يكن .

أ - **الامتناع عن الذهاب الى السودان :**

بالغ عرابى وزملائه ، بالغو فى الاستهانة بكل أمر تصدره الحكومة حتى عرضوا فى بعض المواطن مصالح البلاد للخطر ، فمن ذلك أن الحكومة أرادت إرسال الآى طره (الالآى السودانى) الى السودان لتعزيز قوات الجيش المصرى ، وكانت الحاجة تدعو الى ذلك ، اذ كانت دعوة المهدى قد أخذت فى الظهور وبدأ المهدى يتحدى سلطة الحكومة فى السودان ، ولكن عرابى وزملائه إعتقدوا أن الغرض من إرسال هذا الالآى هو تفريق الجماعة العسكرية وإضعافها ، وهذا خطأ فى تقدير عرابى يرجع الى أنه لم يكن يعنى كثيرا بمسألة السودان ، ولا يقدر مبلغ حاجة مصر الى ارتباطه بها ، بل كل ما يستغرق نظره من شأن السودان أنه منفى للمغضوب عليهم من الحكومة . وهذه ناحية ضعف كبيرة فى سياسته ، كما أن عليه جزءا كبيرا من تبعة استفحال ثورة المهدى ، وما أعقبها من الكوارث ، لأن المهدى ما كان ليتغلب على قوات الحكومة لولا عجزها عن إمداد الجيش المصرى بسبب ارتباك أحوالها وتسلط العرابيين عليها ، ومَن أخطائهم أنهم حالوا دون إمداد الجيش المصرى هناك خوفا على وحدتهم أن تضعف على أن هذه الوحدة لم تلبث أن تفككت .

ب - **حادثة مقتل جندى بالاسكندرية :**

وهى اقتحام عدد من الجنود لسراى رأس التين بالاسكندرية مع وجود الخديوى بها أثر وقوع حادث لزميل لهم صدمته سيارة حيث دخل الجند السراى وأحدثوا ضجة وصاحوا مطالبين بمعاقبة الجانى ، فأمر الخديوى بطردهم ومحاكمتهم ، وحكم عليهم بالسجن بمدد وصلت بالحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وكان لهذا الحكم وقع أليم فى النفوس ، وكتب عبد العال فهمى تقرير الى وزير الحربية (البارودى) يشكو فيه من قسوته ، رفع البارودى هذا التقرير بدوره الى الخديوى ، الذى استاء من ذلك وعده تطاولا على مقامه ، وغضب على البارودى واعتزم اقصاءه عن وزارة الحربية .

وقابل عرابى وصحبه هذا التغيير بالانزعاج والتبرم ، وتوجسوا خيفة من عواقب ابعاد البارودى الذى كانوا يطمئنون اليه ، وتوقعوا شرا من تعيين داود باشا يكن (صهر الخديوى) على رأس الوزارة التى تملك ناصية الجيش (١) . على أنهم كتموا شعورهم وأخذوا يتدبرون فيما يجب عليهم عمله للمحافظة على حياتهم بعد هذا التغيير ، وذهبوا الى داود باشا فى ديوان الجهادية يهنئونه بمنصبه الجديد ، وطلبوا اليه أن يجعل فاتحة أعماله اصدار قوانين الاصلاحات العسكرية التى وضعتها اللجنة ، فوعدهم بذلك ، ولكنه لم يلبث أن أصدر منشورا أبلغه لجميع الآلايات نهى فيه الضباط عن إجتماعهم فى المنازل أو فى أحياء المدينة ونبه على عدم ترك مراكز الآلايات ليلا ونهارا .

كان الغرض من صدور هذه الاوامر تفريق اجتماعات الضباط ، اذ كانت هذه الاجتماعات الوسيلة العملية لتبادلهم الآراء والافكار ، وتعاهدهم على التضامن وإتحاد الكلمة ، واتفاقهم على الخطط التى يتبعونها لحفظ كيانهم وتحقيق مطالبهم ، فداود باشا يكن قد حقق بهذه الاوامر المخاوف التى ساورت عرابى وصحبه من تعيينه وزيرا للحربية بدلا من البارودى ولكن هناك أمر على درجة من الاهمية تجاهلة داود باشا يكن وهو أن الحكومة لم تعد فى استطاعتها أن تأخذ الجيشّ بالقوة ، لأن قوتها لم يكن قوامها الا ذلك الجيش نفسه ، فلما خرج زمامه من يدها أصبحت عديمة الحول والقوة ، ولم يكن خافيا أن الجيش بضباطه وجنوده قد صار الى جانب عرابى ، فان الدعوة التى قام بها وهى تخويل الضباط الوطنيين حقوقهم ، ومساواتهم بالعنصر الشركسى ، وهى دعوة محببة الى نفوس الجند والضباط ، وانتصاره الأول فى واقعة قصر النيل ، واكراهه الخديوى على اجابة مطالبه الاولى ، قد زاد من نفوذه ، وجعل الضباط المتمردين ينضمون اليه .

---

(١) يقول المسيو سكلنكس قنصل فرنسا العام بمصر فى رسالته الى وزير خارجية فرنسا عن تعيين داود باشا وزير للحربية ، انه يمثل الخديوى معنويا ، (انظر عبد الرحمن الرافعى ، الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٩)

ولم يكن خافيا على العرابيين ما صار اليه عسكر الحكومة من الضعف والانقسام ، ولذلك لم يترددوا حين رأوا الحكومة تتنكر لهم أن أعلنوها بالثورة .

٧ - **واقعة عابدين (٩ سبتمبر سنة ١٨٨١) :**

لم يكن لواقعة قصر النيل أثرها في الجيش فحسب ، بل كان لها أثر بالغ في الامة ، اذ جعلت لعرابي مكانة كبيرة في البلاد ، وأخذت الالسنة تلهج باسمه وتمتدح شجاعته وإقدامه والواقع أن الحادثة في ذاتها وما تنطوى عليه من الجرأة على الحكومة ، وكسر شوكتها ، وإطلاق سراح المسجونين ، وعزل وزير الحربية عثمان رفقى الذى كان موضع سخط الضباط الوطنيين وتعيين وزير يعطف عليهم ويؤيدهم ، ثم الإصلاحات التى قام بها البارودى ، وأخصها زيادة رواتب الضباط والجند ، كل هذه الأعمال جعلت من عرابى زعيما قوميا إتجهت اليه الأنظار لتحقيق أمانى الشعب ، ولم يكن الجيش يعبر عن أفكار وعواطف تخالف أفكار الجماهير بل كان فى واقع الامر يمثل الامة فى أفكارها ونفسيتها ، فهو أول شيء جزء من صميم الأمة وضباطه وجنوده متصلون بها بروابط القرابة والدم ، وكانو يمثلون الامة من هذه الناحية ومن كونهم جاءوا من مختلف نواحى المديريات ، وكانت المظالم التى شكا منها زعماء الجيش تشبه المظالم التى كانت البلاد تشكو منها ، ولم يكن الناس راضين عن الحكومة وسياستها ، بل كانوا يتبرمون بمظالم الحكام وينقمون من الوزارة استسلامها للنفوذ الاجنبى وخضوعها لأوامر القناصل ومحاباتها الموظفين الاجانب فى مصالح الحكومة وتمييزها إياهم بالرواتب الكبيرة والمزايا العديدة فلا غرو أن إغتبط الناس بتحقيق مطالب الجيش ، وذاع فى البلاد إسم عرابى كمنقذ للأمة من المظالم ومحقق للآمال ، وقد لقى عرابى عطفا وتأييدا من جميع الطبقات ، وأخذ هو يبث أفكاره بينهم ليكونوا عدته وحزبه ويتأهب للقيام بحركة جريئة توطد نفوذه وسلطانه ، ويطمئن بها على حياته وحياة صحبه الموالين له فى الجيش ، وهى المطالبة بتأليف المجلس النيابى ، مع إسقاط وزارة رياض باشا ، أو بعبارة أخرى إحداث انقلاب فى نظام الحكم ، وإحلال حكم ثورى محل الحكم الاستبدادى .

ولما أطمأن عرابى الى أن الجيش فى قبضة يده ، والأمة تناصره ، شرع فى إحداث الانقلاب الذى كان يرجوه فى نظام الحكم أو بعبارة أخرى أخذ يتأهب لمتابعة الثورة التى بدأها فى الأول من فبراير ١٨٨١ .

وكانت الحكومة من ناحيتها تدفعه الى الثورة دفعاً ، بما بدا منها من الحركات العدائية التى قصدت منها تفريق شمل زعماء الجيش وضباطه تمهيدا للتنكيل بهم ، فهى أولا لم تصدر القوانين العسكرية الجديدة التى وضعتها لجنة الاصلاح وكان هذا اخلالا بوعدها فى تحسين حالة الضباط والجنود ، وبرهانا على سوء مقاصدها نحو الجيش وإشتدت هذه المقاصد ظهورا بعد عودة الخديوى من مصيفه بالاسكندرية الى العاصمة وكأنما كان مجيئه نذيرا بتنفيذ خطة الحكومة فى القضاء على نفوذ الحزب العسكرى .

ودبرت هذه الخطة فى الاسكندرية أثناء مصيف الخديوى بها فقد خيل اليه أنه إستمال جنود الآى الحرس وضباطه ، وعلى رأسهم على بك فهمى ، وجعلهم عدته فى إنقاذ أوامره . وإستمال اليه ايضا قائد الآى الاسكندرية (حسين بك مظهر) . فاعتزم نقل الآلاى المذكور الى القاهرة ليكون له بالعاصمة الآيان تحت طاعته .

ولم يكد الخديوى يصل الى القاهرة حتى بدأ ينفذ خطته ، وقوامها تفريق وحدات الجيش ، ونقل الفرق الموالية للحزب العسكرى من العاصمة لكى يستبدل بها فرقا أخرى موالية للخديوى، فأصدر داود باشا يكن وزير الحربية أمرا بنقل الآلاى الثالث مشاه (الآي القلعة) الذى كان يرأسه ابراهيم بك حيدر الى الاسكندرية بدلا من الآى الاسكندرية (الآلاى الخامس) وأن يأتى هذا الى القاهرة مكانه ، فلما علم ضباط الآلاى الثالث بهذا الامر اضطربوا له وأوجسوا شرا من عواقبه ، وخشوا أن يكون غرض الحكومة الانتقام منهم والتنكيل بهم ، وكانت الظروف مؤيده لظنونهم .

واتفقت كلمة ضباط الآلاى على رفض الاذعان لأمر وزير الحربية ، والامتناع عن مغادرة القلعة ، فلما جمع ابراهيم بك حيدر قائد الآلاى ضباطه وتلا عليهم أمر الوزير ، أعلنوا جميعا انهم يرفضون الاذعان له ، فكتب الى وزير الحربية يخبره بذلك ، وإعتزم عرابى وزملائه تحريك

الجيش والسير به الى سراى عابدين فى شكل مظاهرة عسكرية لإملاء إرادتهم على الخديوى ، لكى يضعوا حدا للحالة القلقة التى وصلت اليها البلاد ، ولاحداث الانقلاب الذى ارادوه .

٨ - **المظاهرة العسكرية فى ميدان عابدين :**

اتفقت كلمة زعماء الضباط على اقامة المظاهرة العسكرية أمام سراى عابدين يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ووضعوا له خطة محكمة ، وهى حضور جميع آلايات الجيش المرابط بالقاهرة الى ميدان عابدين فى أصيل ذلك اليوم ، لتقديم طلبات الأمة الى الخديوى وقوامها اسقاط الوزارة وتأليف المجلس النيابى ، وزيادة عدد الجيش ، واتفق على تجمع جميع آلايات القاهرة فى الساعة الرابعة عصر يوم الجمعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ (١٥ شوال سنة ١٢٩٨ هـ) لعرض طلباتهم على الخديوى ، وأرسل عرابى الى وزير الحربية يبلغه بهذه المظاهرة وبالتالى أبلغ وزير الحربية ذلك الى الخديوى ، الذى إستدعى رئيس الوزارة رياض باشا ، والجنرال أستون باشا رئيس أركان حرب الجيش فاتفقت كلمتهم على محاولة اقناع قواد الآلايات بالعدول عن هذه المظاهرة ، بل لقد قام الخديوى بنفسه بهذه المحاولة ولكنه فشل فرجع عائدا الى سراى عابدين من الباب الخلفى .

إحتشد الجيش فى الموعد المحدد فى ميدان عابدين ، وكان أول من حضر الى الميدان الآى الفرسان (السوارى) بقيادة أحمد بك عبد الغفار ، ولعله بادر بالحضور ، لأنه كان من أول الناقمين على النظام القديم ، اذ فصله وزير الحربية الأسبق (عثمان باشا رفقى) .

ثم جاء عرابى ممتطيا جواده شاهراً سيفه ، يقود الآى العباسية وبصحبة الآى المدفعية يقوده اسماعيل بك صبرى ، ومعه المدافع بذخيرتها ، ولما وصل عرابى تفقد على بك فهمى فلم يجده ، وأخبره بعض الضباط أنه وزع آلاى الحرس داخل السراى، ومعه كمية وافرة من الذخيرة ، وأنه على استعداد للدفاع عنها اذا استدعت الحاجة فبعث إليه يستدعيه حضر على بك فهمى فسأله عرابى عن سبب جعله العسكر على أبواب السراى ومنافذها من الداخل ، فطمأنه على بك فهمى فطلب اليه عرابى أن يسحب الآية من السراى ويأخذه مكانه فى الميدان ، فخرج وإصطف فى

الميدان ، ثم جاء بعد ذلك الالآى الثانى من قصر النيل والالآى الثالث من القلعة والآلآى السودانى من طره ، وبذلك أكتمل الجيش فى ميدان عابدين وبلغ عدد الجنود المحتشدين فى الميدان نحو أربعة آلاف بأسلحتهم ومدافعهم . وغضت أطراف الميدان بالجموع الحاشدة من الناس ، وكان الموقف رهيبا ، لأن مجىء الجيش متهددا متوعدا ، وإحتشاده بأسلحته وذخائره ومدافعه امام السراى الخديوية ، يحاصرها ويسد المسالك على من فيها ، كل ذلك خليق بأن يفزع الخديوى ووزرائه .

ظن الخديوى أنه لو نزل الى الميدان فان ماله من الهيبة التقليدية فى نفوس الرعية والجند يصد الجيش وضباطه عن التمرد ، فنزل من السراى الى حيث رؤساء الجند ، يصحبه المستر« كوكسن » قنصل انجلترا فى الاسكندرية ، وكان نائبا عن القنصل العام السيد « إدوار مالت » لوجوده بأجازة و السيد « أوكلن كولفن » المراقب المالى الانجليزى فلما توسط الميدان نادى عرابى ، فجاءه راكبا جواده شاهرا سيفة، وخلفه نحو ثلاثين ضابطا شاهرى السيوف .

وتقدم عرابى بمطابه الى الخديوى وهى مطالب الجيش عادله والتى نصت على .

أ - عزل رياض باشا وتعيين ناظر جهادية من أبناء البلاد .

ب - تشكيل مجلس النواب تنفيذا لوعد الخديو .

جـ - زيادة حجم الجيش الى العدد المحدد بالفرمانات السلطانية .

د - تعديل القوانين العسكرية بحيث تكفل المساواة والعدل بين الجميع، فلا يمتاز أحد بسبب جنسه .

ولم يستجب عرابى الى أى مناوره من قبل الخديوى أو من قبل القنصل الإنجليزى والمراقب المالى الإنجليزى .

٩ - قبول مطالب عرابى وسقوط وزارة رياض باشا :

تداول الخديوى فى الموقف مع من كانوا بداخل السراى من وزراء وقناصل وغيرهم فرأوا أن لا بد من الأذعــان لمطالب الجند لأن الجــيش بأكــمله يؤيد هذه المطالب ، ولم يكن لدى الخديوى أيه قوة يعتمد عليها - فاستقر الرأى على إجابة هذه المطالب تدريجيا وأن يبدأ بسقوط الوزارة ، فـقدم رياض باشا استقالته الى الخديوى ، وكلف محـمد شريف باشا ليرأس الوزارة الجديدة (١) وهذه الوزارة هى ثالث الوزارات التى ألفها شريف باشا وبعدأن اجيبت مطالب عرابى توجـه الى الخديوى فى الســراى وشكر له ارضـاءه مطالب الأمـة ، وأصدر أمره الى الآلايات بالرجوع الى مراكزها .

وتردد شريف باشا فى قبول الرياسه لخوفه من تدخل الجيش فى السياسه ، وظل فى تردده حتى عاهده العرابيون ألا يتدخل الجيش فى السياسه وأن يكون خاضعا لأوامــر الحكومـــة فـقبل تأليف الوزارة وألفـها فى ١٤ سبـتـمبر ١٩٨٨١ ، وأسندت الحربيـة الى البارودى والخارجية الى مصطفى فهمى (٢) .

---

(١) نشرت الوقائع المصرية فـــى ١١ سبتمبر ١٨٨١ (١٧ شوال ١٢٩٨ هـ) ، « أنه فى ليـــلة السبت ١٦ شوال سنة ١٢٩٨ هـ « ١٠ سبتمبر ١٨٨١ » استقفنت وزارة رياض باشا وكلف شريف باشا بتشكيل نظارة جديدة » ولم يكتف رياض باشـــا بالاستـــقالة بل رحل الى أوربا خوفا على حياته يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨١ .

(أنظر عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية ، والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنـــــشر ، ١٩٦٦ ، ص ١٤٥ .

(٢) جاء هذا التعيين بناء على اقتراح من عرابى الى شريف باشا .

تأليف وزارة شريف باشا وابتهاج الأمه والجيش :

قبل شريف باشا تأليف الوزارة واسند اليه الداخليه أيضا ، واسند الى محمود سامى باشا البارودى وزارة الحربية والبحرية ، والى على حيد ر باشا وزارة المالية ، والى اسماعيل باشا أيوب للأشغال ، ومصطفى فهمى باشا للخارجية ، ومحمد زكى باشا للمعارف والأوقاف ومحمد قدرى باشا للحقانية . وابتهجت الأمة والجيش بتأليف وزارة شريف باشا ، وإستبشرت خيرا بأنبلاج عهد الحرية وزوال عهد الإستبداد . وتعد وزارة شريف باشا هى وزارة الأمة التى ألفهابرغبة زعماء البلاد وأعيانها ثم حقق الثقه التى أولتها الأمه إياه وإضطلع بالمهمه التى ألقتها الثوره على عاتقه وأول ما رسم من الخطط الحكيمة إعادة النظام الى الجيش لأن الثورة العرابية باعتبار أنها ثورة عسكرية قد أخرجت الجيش عن مهمته الأصلية ، وهى حفظ النظام ، وجعلته أداة سياسية للسيطرة والحكم ، وهنا موضع الخطر ، اذ بذلك يختل النظام العسكرى ويفقد الجيش روح النظام والقيام بالواجب ، ويتسرب الإنقسام الى صفوفه ، ثم تقع الحكوة فريسة الفوضى ، فبذل شريف باشا جهده ، فى الحيلوله بين الجيش والسياسة ، وبالفعل إنتهز فرصة مقابلته لكبار الضباط فأوضح لهم مبادئه المتقدمه ورغبته فى إبعاد الجيش عن السياسه وقال : فى عملكم ما قال الأقدمون : ان الرياسه ضعف السياسة ، ولا حكومة الا بقوة ، ولا قوة إلا بإنقياد الجنود إنقيادا تاما ، وإمتثالهم إمتثالا مطلقا ، فكل حكومة عليها فرائض وواجبات ، من أهمها صيانة الوطن وحفظ الأمن العمومى فيه وهذا وذاك لا يأتيان إلا بطاعة رجالها العسكريين ، فداخله شك مريب فى الموقف الذى يختاره - جانب المصالح الخديوية ولاجنبية ، أم جانب الثورة بكل أعماقها . وكان الرد قريبا الى منطقة أمثاله فقد اختار جانب طبقته وان كان أفضل من فيها .

وزارة شريف باشا والقوانين العسكرية الجديدة :

سبق القول ، أنه تم تشكيل لجنة لاصلاح القوانين العسكرية ووضع قوانين جديدة تكفل هذا الاصلاح ، وتحقق المطالب التى تقدم بها العرابيون ، ولكن مع تولى داود باشا يكن لوزارة الحربية أوقف هذه الدراسة ولم تصدر بها المراسيم الخديوية ، وكان ذلك من أهم أسباب ثورة الجيش يوم واقعة عابدين ، فلما ألف شريف باشا وزارته – عنى باصدار هذه القوانين العسكرية الخمسة التى أنجزتها اللجنة ، فرفع الى الخديوى تقريرا فى ٢٢ سبتمبر ١٨٨١ ، عرض فيه هذه القوانين .

وطلب إصدار مرسوم باقرارها وهى :

١ – قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية .

٢ – قانون تسوية حالة . الضباط المحالين الى الاستيداع .

٣ – قانون القواعد الاساسية للترقى .

٤ – قانون معاشات الجهادية البرية والبحرية .

٥ – قانون الضمائم والامتيازات والإعانات العسكرية .

واستصدرت الوزارة فى ٢٦ أكتوبر ١٨٨١ مرسوما آخر بتنظيم التعليم فى المدارس الحربية يشتمل على برامج التعليم فيها ، وشروط الالتحاق بها ، وبيان التعليمات العسكرية فيها . ابتهج الضباط بصدور هذه القوانين ، وزادتهم ثقة بوزارة شريف باشا ، وذهب وفد منهم الى داره وقدموا له شكرهم وشكر زملائهم على عنايته ، واهتمام وزارته باصدارها وأعربوا له عن حسن مقاصدهم وكامل ثقتهم به وبوزارته (١)

(١) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ص ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٣ – ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٧ – ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٦٩ .

وشريف باشا بخطابه هذا سعى جهده فى ألا يتخذ دعاة الاستعمار من الثورة ذريعة للتدخل فى شئون البلاد ، من أجل ذلك لم يفته النصح للعرابيين ألا يقحموا الجيش فى غمار السياسة ، فتضطرب الاحوال ، وتتفتح الثغرات للتدخل الاجنبى ولم يكن يخفى أن زعماء الثورة من الضباط قد داخلهم شىء كثير من الزهو والخيلاء اذ كانوا قوام الحركة والواقع أن عرابى ، اخطأ للمرة الثانية فى اعتماده على شريف باشا فى تحقيق أهداف الثورة ... وكان الخطأ الاول انه لم يتخلص من الخديوى فى مظاهرة عابدين .

كما انه لم يدرس خطة العمل ، التى تسير عليها ثورة الشعب ، معتمدة على القوة الضاربة وهى جنود الجيش وسلاحهم . فعلى الرغم من مدرسة الافغانى التى كانت تطالب بتحرير البلاد من الاستغلال الطبقى والنفوذ الاجنبى ، ممثلا فى اسرة محمد على ، ورفع المظالم عن الشعب بحكم وطنى صميم ونظيف ، إلا أن خطة التنفيذ كانت تسير حسب المناسبات ولا تتعمق فى دراسة الشخصيات والواقع أنه لم يكن من أفراد هذه المدرسة من يستطيع التخطيط بعيد المدى غير جمال الدين نفسه أما تلاميذه فلم تكن لأحد منهم نظرته النافذة ولا جرأته الكبيرة لانه ينبغى لأعوان الأفغانى أن يحذروا من المستقبل بعد أن بلغت الجرأة بالخديوى توفيق أن ينفى جمال الافغانى .

كان شريف باشا أبو الدستور ولكن بحساب ، فما دام الدستور لا يفرض قيود صارمة على إمتيازات الطبقة الحاكمة فهو مطلب يستحق الدفاع عنه وما دامت الانتخابات النيابية تقدم لكراسى المجلس التشريعى أعيان البلاد فكل شىء بخير .

وكان شريف باشا نفسه لا يأمن على ضياعه الواسعه ونفوذه الشخصى من داخل الحكم أو خارجه ، أو من القصر ولذلك تجنس بالجنسية الفرنسية الى جانب جنسيته المصرية . وكذلك صنع رياض ، وصنع نوبار ، وقد رأوا جميعا مصير إسماعيل صديق ، لأنه لم يحصل على جنسيية أجنبية فى الوقت المناسب وكان يسعى إليها حثيثا .

وقد رأى شريف باشا قوة أخرى تظهر فى الميدان .هى قوة الشعب وأبنائه داخل الجيش

نقل بعض الوحدات العسكرية من القاهرة الى الاقاليم :

رغب شريف باشا فى نقل زعماء الحركة من القاهرة الى الاقاليم لكى يخفف من ضغط الحزب العسكرى على الحكومة ، ويحقق مبدأه الذى تولى الوزارة على أساسه ، وهو إبعاد الجيش عن السياسة جهد المستطاع ، وقد أقنع عرابى وصحبه بأن مصلحة البلاد تقضى بإبعاد الآلايات التى يتولون قيادتها عن العاصمة حتى تهدأ الخواطر ، ويقوى سلطان الحكومة حيال الدول ، وزاد من حجة شريف باشا إرسال الحكومة التركية وفدا الى مصر للتحقيق فى أسباب تمرد الجيش وخروجه على الخديوى . واستقر رأى وزارة الحربية على نقل الآى عبد العال حلمى الى دمياط ، والآى عرابى الى رأس الوادى بالشرقية ، وكان سفر الآلايين الى مقرهما الجديد فرصة للمظاهرات الوطنية التى تجلت فيها حماسة الأهلين وعواطفهم نحو الجيش . وبالفعل تم نقل الآلايين خلال الاسبوع الاول من أكتوبر ١٨٨١.

وبعد ثلاثة شهور من نقل عرابى الى الشرقية ، اقترح البارودى تعيينه وكيلا لوزارة الحربية وصدر الامر العالى بذلك فى ٤ يناير ١٨٨٢ ، وعاد الى العاصمة واستقر بها وتوطدت الثقة بينه وبين البارودى ، وعظم نفوذه ، وصارت داره مركزا لطلاب الحاجات وذوى الشكايات يقصدون اليه من كل فج .

وزارة شريف وميزانية سنة ١٨٨٢ وزيادة عدد الجيش :

طلبت وزارة الحربية فى شهر ديسمبر سنة ١٨٨١ ، زيادة ٢٥٠ ألف جنيه على ميزانياتها لكى تزيد عدد الجيش الى ١٨٫٠٠٠ جندى ، وبعد المناقشات استقر الرأى على زيادة ميزانية الحربية بمقدار ١٥٤٫٩٦١ جنيه ، وصدر الأمر العالى فى ٢٢ ديسمبر ١٨٨١ بتقرير ميزانية سنة ١٨٨٢ بما فيها التعديلات الى أدخلت على ميزانية وزارة الحربية .

الاصلاحات الدستورية فى عهد شريف باشا :

فى مجال الاصلاح الدستورى ، عمدت وزارة شريف الى إجراء الانتخابات العامة ، طبقا لنظام مجلس شورى النواب القديم الذى يجعل انتخاب النواب موكلا الى عمد البلاد ومشايخها فى المديريات وجماعة الأعيان فى القاهرة والاسكندرية ودمياط ، وتم إفتتاح مجلس النواب فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ .

ومن أهم اصلاحات الوزارة بعد الاصلاح الدستورى ، هو إنشاء المحاكم الاهلية ووضع نظامها الجديد ، ففى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ صدر القانون المعروف بلائحة ترتيب المحاكم الاهلية ، وهى تتضمن معظم القواعد العامة للنظام القضائى الحالى (١) .ثم أعد شريف اللائحة الاساسية أو الدستور لعرضه على مجلس النواب وكان هذا الدستور يتضمن مبدأ المسئولية الوزارية أمام المجلس ومراقبة أعمال السلطة التنفيذية ويعطى للمجلس حق إقرار القوانين والميزانية والضرائب ، بحيث تعذر على الحكومة فرض أى ضرائب أو إستصدار القوانين الا بعد تصديق المجلس . وكان معنى هذا إعطاء مجلس النواب حق النظر فى الترتيبات اللازمة أو المتصلة بالتسوية المالية وذلك فى وقت أشتد فيه السخط على أعمال المراقبة الثنائية التى تأسست عامة ١٨٧٩ بل على على التدخل الأوربى بصفة عامة .

وأزعج فرنسا اعداد هذا الدستور الجديد ، وخصوصا لأن الصحف المصرية كانت تحمل آنذاك حملات عنيفة على التدخل الأجنبى ، وعلى الانجليز والفرنسيين على السواء فصار الخوف عظيما من أن تشتد المعارضة ضد هذا التدخل عندما يجتمع مجلس النواب (٢) .

ومن ناحية أخرى فقد تأخر افتتاح مجلس النواب حتى يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ ، وأكد الخديوى احترامه للاجراءات الدستورية فى خطبة العرش التى تلاها بنفسه هذا اليوم ، وأكد النواب فى ردهم على خطبة العرش فى ٢٩ ديسمبر احترامهم للاتفاقات المالية والمعاهدات الدولية .

وفى ٢ يناير ١٨٨٢ قدم شريف اللائحة الاساسية « أو الدستور للمجلس وقال فى خطابه الذى ألقاه بهذه المناسب ..... « لا يخفاكم الحالة المالية التى كانت عليها مصر مما أوجب عدم ثقة الحكومات الاجنبية بها ، ونشأ من ذلك تكليفها بترتيب مصالح وتعهدها بالتزامات ليست خافية عليكم بعضها بعقود خصوصية ، والبعض بقانون التصفية ، فهل يتيسر للحكومة أن تجعل هذه الامور موضعا لنظرها أو لنظر النواب ؟ حاشا ، لأنه يجب علينا قبل كل شىء القيام بتعهداتنا وعدم خدشها بشىء حتى نصلح خللنا وتزداد ثقة العموم بنا ونكسب أمنية الحكومات الاجنبية » . (٣)

(١) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم الثائر أحمد عرابى القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ، ص ص ٥٣ - ٨٧

(٢) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٦

(٣) محمد أنيس (د .) ، رجب حراز (د .) : ثورة ٢٣ يوليو ، القاهرة ، مطبعة الجبلاوى ، ١٩٦٦ ، ص ١٠١ .

ولقد كان من أجل المحافظة على التزامات مصر المالية قبل الدول الاوروبية ان منح دستور شريف مجلس النواب حق مناقشة الميزانية أو إقرارها ، ومن ثم فسرعان ما دب الخلاف بين شريف ومجلس النواب حول موضوع إقرار الميزانية . فقد رأى النواب أن من حقهم مناقشة الميزانية ما دام لهم حق مراقبة أعمال الحكومة ، بينما رأى شريف ان موضوع الميزانية مرتبط بالالتزامات مصر المالية لدى الدول الاخرى وهو موضوع لا يستطيع أن يناقشه مجلس النواب ، خشية أن يؤدى ذلك الى تدخل الدولتين إنجلترا وفرنسا .

خامسا : المؤامرة الفرنسية البريطانية :

وبينما كانت أزمة الميزانية قائمة بين شريف والنواب ، كانت الدولة العثمانية والقوى الاستعمارية الاوروبية تبذل جهودها للإصطياد فى الماء العكر والتمهيد للتدخل المسلح فى مصر وقامت سياسة هذه الدول إزاء المسألة المصرية على النحو التالى :

١ - الدولة العثمانية :

إنتهزت فرصة حوادث عابدين فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ لإعادة إحتلال مصر بجنود عثمانيين وعلى الرغم من أن عرابى بذل قصارى جهده لإستماله الباب العالى الى تأييد الحركة الوطنية المصرية ، فقد رأى الاخير فى ضياع سلطة الخديوى بعد حوادث سبتمبر سنة ١٨٨١ فرصة مواتية لتدبير إحتلال مصر بجيش عثمانى ولكن فرنسا وإنجلترا وقفتا موقف المعارضة من أى تدخل حربى يقوم به السلطات العثمانى فى مصر فاكتفى السلطان عبد الحميد بإيفاد بعثة الى مصر لتحقيق أسباب العصيان العسكرى وعندئذ أرسلت الدولتان سفنها الحربية الى مياه الاسكندرية للقيام بمظاهرة بحرية الأمر الذى أرغم البعثة العثمانية على مغادرة مصر فى ٨ أكتوبر سنة ١٨٨١ .

٢ - انجلتـــرا :

كان العامل المسيطر على السياسة البريطانية وقتئذ ، هو تجنب القيام بأى تدخل مسلح فى مصر سواء من جانبها منفردة أو بالاشتراك بينها وبين فرنسا ، وكان وزير الخارجية البريطانية (جرانفل ranvil) يؤثر فى الواقع احتلال عثمانيا للبلاد بأعتباره أهون الشرور على آخر فرنسى انجليزى ، اذا دعت ضرورة الموقف الداخلى فى مصر الى التدخل الخارجى العسكرى ولكن سياسة بريطانيا أخذت تتحول تدريجيا الى التفكير فى التدخل المسلح منفردة ، مع ما سوف يؤدى اليه هذا التدخل المنفرد من إحتلالها لمصر وحدها فى النهاية .

٣ - فرنســـا :

كانت سياسة رئيس وزرائها ووزير خارجيتها (غمبتا Gembetta) على نقيض سياسة جرانفيل ، مؤثرا إحتلال فرنسيا انجليزيا مشتركا لمصر على إحتلال عثمانى لها ، وكان غمبتا

يخشى من أى يؤدى نجاح الحركة الوطنية فى مصر التى اعتبرها مظهرا من مظاهر التعصب الاسلامى - الى احداث موقف مشابه فى افريقية الشمالية ولا سيما فى تونس التى كانت فرنسا قد فرضت سيطرتها عليها بموجب معاهدة (باردو) Bardou فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١ وكان غمتا قد إستمد فكرته عن الموقف فى مصر من نوبار باشا وريفرز ويلسون اللذين كانا فى باريس حينئذ وفضلا عن ذلك فقد تأثر غمبتا اليهودى الأصل فى سياسته نحو مصر بالمصالح المالية اليهودية فاتجهت سياسته الى منع العثمانيين من احتلال البلاد باية وسيلة ، وتجنب جعل المسألة المصرية دولية .

ولم يلبث أن نجح غمبتا فى التأثير على جرانفيل وتلاقت السياسة الفرنسية مع السياسة البريطانية من حيث جعل التدخل فى المسألة المصرية مقصورا على فرنسا وانجلترا وحدهما .

أزمة يناير سنة ١٨٨٢ (مذكرة فرنسا وانجلترا الى الحكومة المصرية)

إعترض وضع الدستور أزمة سياسة خطيرة نسميها أزمة يناير ١٨٨٢ ، وترجع هذه الازمة الى سوء نية الدولتين إنجلترا وفرنسا ، حيال مصر ، وإئتمارهما بالنظام الدستورى ، الذى كاد يستقر باعلان اللائحة السياسية ، ولم يكن بقى على إعلانها وصدور المرسوم بها سوى إجراءات شكلية من تبادل الرأى بين مجلس النواب والحكومة على التعديلات الطفيفة التى ادخلتها لجنة المجلس فى مشروع اللائحة .

ولكن إنجلترا وفرنسا أرادتا أن تحدثا حدثا يخلق الاضطراب فى مصر ، وقد يؤدى بالدستور ، وذلك بتدخلهما فى شئون مصر الداخلية ، وايقاع الفرقة بين الخديوى والامة لكى تتخذ من هذه الفرقة ذريعة للتدخل المسلح .

وفى اليوم الثامن من شهر يناير سنة ١٨٨٢ [1] توجه السيد ادوارد مالت « Edward Malet » معتمد انجلترا والمسيو سنكفنكس « Scienkiewicz » المعتمد الفرنسى مجتمعين الى سراى عابدين وقدما الى الخديو مذكرة مشتركة من الدولتين مؤرخة فى ٧ يناير ١٨٨٢ ، مكتوبة بصيغة

(١) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٦٤

رسالة برقية من وزارة خارجية كل منهما الى معتمدها فى مصر ، وابلغاها أيضا الى شريف باشا ، وملخصها ، « انهما حيال الحوادث الاخيرة قد إجتمعا على تأييد سلطة الخديوى ، وفحوى المذكرة أن الدولتين إنتحلتا لنفسيهما حق القوامة والرقابة على مصر وإقرار الامن والنظام فيها ، والتدخل فى شئونها الداخلية ... وظاهر من عبارتها أن فرنسا وانجلترا كانتا تنظران بعين الاستياء الى تأليف مجلس النواب ، وقيام النظام البرلمانى فى مصر ... ولم تكتما الاعراب عن هذا الاستياء صراحة فى المذكرة اذ جعلتا من الحوادث الموجبة للتدخل « صدور الامر للخديوى باجتماع مجلس النواب » [١] .

قوبلت هذه المذكرة فى مصر بالسخط العام ، وهاجت لها الخواطر وقلق الناس قلقا عظيما وأدرك رؤساء الجيش من رجال الحركة الوطنية أن المذكرة موجهة أولا الى حركتهم ، فاجتمعوا فى ديوان وزارة الحربية (قصر النيل) للتشاور فى الأمر ، وهناك وافاهم محمود باشا سامى البارودى وزير الحربية ، فهدأ روعهم وذهب الى زملائه الوزراء ، وأنهى اليهم ما أثارته المذكرة فى نفوس الضـ ـط من السخط والاستياء ، فتوجه الوزراء وعلى رأسهم شريف باشا الى الخديوى ، وتداولوا الامر بينهم فاستقر رأيهم على ابلاغ المذكرة الى الباب العالى ، مع الاعراب عن عدم قبولها .

وتوجه شريف باشا الى معتمدى فرنسا وانجلترا ، وإنهى اليهما اعتراضه على المذكرة .

تدخل آخر فى وضع الدستور :

كانت مذكرة الدولتين حلقة من سلسلة خطة مبيتة لاحراج مركز الحكومة البرلمانية التى أسست فى مصر ، فقد أعقبها إعتداء آخر على حقوق البلاد ، اذ طلبا قنصلا الدولتين من شريف باشا بايعاز من الرقيبين الأوربيين ألا يخول مجلس النواب حق تقرير الميزانية ، وقد ما اليه فى ٢٦ يناير سنة ١٨٨٢ مذكرة بهذا المعنى أثناء اشتغال (اللجنة الدستورية) بالنظر فى اللائحة السياسية .

وكانت المذكرة تهديدا بالتدخل فى وقت لا تدعوا فيه حالة البلاد الداخلية الى إتخاذ أية خطوة من هذا القبيل ما دام زعماء الحركة من مدنيين وعسكرين لا يبغون التعرض للإتفاقات الدولية التى حددت وضع البلاد السياسى ، أو تلك التى قامت على أساسها التسوية المالية ، وما دام الغرض من حركتهم

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم الثائر أحمد عرابى ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ، ص ص ٨٨ – ٨٩ .

الدستورية تقييد سلطة الحكومة بأن تصبح مسئولة أمام مجلس النواب .

ولم يلبث أن ظهر التآزر واضحا بين المدنيين والعسكريين أو بين الحزبين الوطنى والعسكرى داخل مجلس النواب لمناوأة التدخل الانجليزى الفرنسى ، وإصطدم النواب مع وزارة شريف المتعاونة مع الرقابة المالية ، وذلك عندما أصر النواب على أن لهم الحق فى تقرير الميزانية على أن لا يتعرضوا للجوء المخصص من الايرادات للدين العام ، وهذا على خلاف ما كان يراه محمد شريف باشا من ضرورة التريث وإرجاء البحث فى الميزانية حيث أنه كان قد صدر مرسوم باعتمادها فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨١ ، أى قبل إنعقاد مجلس النواب بأسبوع ولن يكون هناك بحث للميزانية الا فى ختام عام ١٨٨٢ عند النظر فى إعداد ميزانية السنة الجديدة (١٨٨٣) (١) .

وكان شريف قد إرتبط بوعد وعد به المراقبة المالية بعدم تخويل المجلس الحق فى تقرير الميزانية بسبب إصرار المراقب المالى الانجليزى والمراقب الفرنسى على حرمان المجلس من هذا الحق بدعوى أنه ولو كان مقصورا على المصالح التى لم تخصص ايراداتها للدين العام فانه يضر بالضمانات المقررة للدائنين ، إذ أنه كنتيجة حتمية سوف يحل مجلس شورى النواب محل الوزارة فى ادارة شئون البلاد فيبطل بذلك عمل (المراقبة) وهو إبداء ملاحظات على تصرفات وزراء مسئولين أمام الخديوى وفى وسعه عزلهم اذا اساءوا التصرف ، بينما لا يكون لملاحظات المراقبة أية قيمة أمام مجلس شورى النواب .

وخشى بعض المدنيين مثل الشيخ محمد عبده من أن يؤدى الصدام بين العرابيين وبين الوزارة الى اصرار فرنسا على تنفيذ ذلك التعهد بتأييد الخديوية الذى ذكرته المذكره المشتركة مما يخشى منه إحتلال البلاد ، وكان الخوف من هذا الاحتلال منتشر من آثار ارسال هذه المذكرة (٢) .

وإزاء اختلاف وجهتى النظر بين شريف باشا وبين النواب ، توجه الاول بإستقالته ، وقد كان فى استطاعته شريف باشا أن يبقى متمسكا بالوزارة ويستصدر من الخديوى مرسوما بحل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة ، ولكنه لم يفعل ، وآثر الاستقالة إحتراما للروح الدستورية السلمية

---

(١) جاد طه (د) : مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

(٢) محمود فؤاد شكرى (د) : مرجع سابق ، ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

السلمية ، لان حل مجلس النواب فى مفتتح الحياة النيابية ولما لم يمض على اجتماعه شهر هو عبث ظاهر بروح الدستور .

وهكذا اسقطت وزارة شريف باشا وكلف البارودى بتأليف الوزراة ، ويعد ذلك إقصاءاً تاما لسلطة الخديوى ، وإنتصارا حاسما للحزب العسكرى لأن الخديوى لم يكن راغبا فى تغيير شريف باشا ولم يكن له رأى ما فى تولى البارودى رياسة الوزارة وإختيار أعضاء وزارته .

على أن المتسبب فى سقوط وزارة شريف هما الحكومتان الانجليزية والفرنسية بتقديمهما مذكرة ٧ يناير ١٨٨٢ .

هذا وقد ذاعت شهرة عرابى فى أوربا عقب سقوط الوزارة ، بعدما تبين أنه له النفوذ الفعال فى مجلس النواب ، اذ استطاع بواسطة إسقاط الوزارة التى رغب فى التخلص منها (١) .

وتأليف وزارة جديدة برئاسة محمود سامى البارودى أن يكون أحمد عرابى وزيرا للجهادية والبحرية بها .

ولا شك أن الثورة العرابية ، بدأت تسلك سبيلا بعيدا عن الحكمة من يوم أن إتفق عرابى وزملائه على اسقاط وزارة شريف وبدأت بذلك مرحلة الشطط ، فان موقف شريف كان بلا نزاع أقدر من البارودى على حسن تدبير الأمور فى تلك الأوقات العصيبة ، اذ كان له ماضيه السياسى مما يجعل له كفاية خاصة فى الاضطلاع بالمهام السياسية .

الجيش المصرى فى عهد وزارة البارودى :

نزل الخديوى على إرادة الحزب العسكرى (فى الظاهر إرادة النواب) ، فأسند رئاسة الوزارة الى محمود سامى باشا البارودى ، وتعد وزارة البارودى وزارة العرابيين ففيها أكبر زعمائهم (عرابى والبارودى ومحمود فهمى) ، وتعد هذه الوزارة وزارة الثورة ففى عهدها إشتد الخلاف بين العرابيين والخديوى حتى نادوا بخلعه .

---

(١)جاد طه (د .) : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

وأصدر الخديوى أمرا الى عرابى فى ذلك اليوم (٢٨ مايو سنة ١٨٨٢ - ١١ رجب سنة ١٢٩٩ هـ) بإعادته الى وزارة الحربية ورئاسة الجيش .

عاد إذن عرابى الى تقلد وزارة الحربية ورياسة الجيش والسيطرة على الحكومة وظلت النفوس قلقة تترقب ما تتمخض عنه الحوادث وأصدر عرابى منشور الى وزارة الداخلية فى أول يونية سنة ١٨٨٢ بتكلفة بالمحافظة على الامن العام .

وبقى عرابى وصحبه نافذى الكلمة فى شئون الحكومة كافة ، وفى غضون ذلك طلب عرابى الى الخديوى إنفاذ الأوامر التى صدرت فى عهد وزارة البارودى بجمع الجنود الإحتياطية (الإمدادية) فأجابه الخديوى الى طلبه ، وصدر أمر وزارة الحربية بجمع هؤلاء الجنود .

بقيت البلاد بلا وزارة منذ استقالة البارودى فى ٢٧ مايو ١٩٨٢ . ومنذ منتصف يونيو اتجهت الانظار الى وجوب تأليف وزارة تضطلع بأعباء الحكم وكان الخديو قد بارح القاهرة الى الاسكندرية ، فسعى قنصلا النمسا والمانيا لديه للتقريب بين الخديوى وعرابى وترغيبه فى تأليف وزارة جديدة يبقى فيها عرابى وزيرا للحربية ، فأخذ الخديوى يستشير بعض رجال الدولة فى أمر تأليف الوزارة الجديدة ، فاستدعى شريف باشا ثم مصطفى فهمى باشا ثم عمر لطفى باشا وغيرهم وكلف كلا منهم بتأليف الوزارة فأبوا جميعا لما كان بينهم وبين عرابى من جفاء ، وتدخل قنصلا المانيا والنمسا ، واتصلا بعرابى وتفاوضا معه فى هذا الشأن ، واستقر الرأى على النصح للخديو باختيار اسماعيل راغب باشا لتشكيل الوزارة وعلى ذلك الف راغب باشا الوزارة وفيها عرابى وزيرا للحربية كما كان وقد قابلت السياسة الانجليزية هذه الوزارة بالجفاء وعدم ثقة وبارح السيد ادوارد ماليت قنصل بريطانيا العام الاسكندرية يوم ٢٧ يونيو .

وأوعزت الحكومة البريطانية الى السيد أوكلين كولفن الرقيب المالى الانجليزى بالامتناع عن حضور جلسات مجلس الوزراء وكانت هذه علامات تنذر وتنبىء بما كانت تبيته السياسة الانجليزية من إثارة الحرب والقتال (١) .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، ١٢٦ - ١٢٧ .

ويتولى عرابى وزارة الحربية ، وكانت فى ذلك الحين أهم الوزارات شأنا أو أعظمها نفوذا ، وهنا تحليل دقيق يذكره الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه « الثورة العرابية » قال فيه إن عرابى كان يطمع فى أن يتولى وزارة الجهادية بعد أن أرتقى فى عهد وزارة شريف الى منصب وكيلها ، كما كان يطمع البارودى فى رياسة الوزارة وهكذا كان التطلع الى المناصب الوزارية من أسباب ما حل بمصر من الكوارث » .

١ - **عرابى باشا فى وزارة الحربية :**

بدأ عرابى باشا عمله فى الوزارة بارسال منشور الى وحدات الجيش بتقليده مسند الوزارة قال فيه « حيث أن مسند نظارتى الجهادية والبحرية الجليلتين قد أحيل الى عهدتنا من طرف الخديوى المعظم بارادة سنية موشحة , بتاريخ ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ هـ . فاعتقادى ووثوقى بمساعدة حضرتكم وعموم حضرات الضباط والصف الضباط والعساكر فى القيام بواجبات هذه النظارة مع الإستمرار فى سيرها على المحور اللائق الموافق لنص أحكام القوانين العسكرية قد جرأنى على قبول هذا المسند الجليل حالة كونى عالما بما أنتم عليه من وثوق حضرة الجناب الخديوى بنا ولهذا لزم تحريره لحضرتكم إخطارا بما ذكر وإعلان كافة الضباط والصف ضباط وعساكر الآلاى إدارة حضرتكم - وفقنا الله جميعا لما فيه النجاح والاصلاح » [١] .

وأخذ عرابى فى تنفيذ القوانين والاصلاحات العسكرية الصادرة فى عهد وزارة شريف باشا فابتداء بصرف استحقاق ورشة المتوفين فى الحروب ، وإحالة ثلثمائة من الضباط العاملين الى المعاش ومعظمهم من الترك والشركس بحجة تجاوزهم السن القانونية للمعاش [٢] .

عظم شأن عرابى ، حيث أن وزارة الحربية كانت تتمثل فيها سلطة الحكم ، وقوة الحركة

---

(١) خليل سليم النقاش : مرجع سابق ص ٢٣٠

الوطنية ، فاصبح عرابى الرئيس الفعلى للحكومة وزاد من مكانته نيلة رتبة اللـواء ودرجة الباشوية ، وصار له الامر والنهى ، لا فى وزارة الحربية فحسب بل فى كل وزارات الحكومة وهذا مكمن الخطر الكبير .

٢ - **الترقيـات العسكرية**

نظم عرابى حركة ترقيات شاملة فى صفوف الجيش شملت كل الضباط الذين ناصروه وأيدوه وأخلصوا للحكومة ، وشملت ترقية لمعظم الرتب .

٣ - **إستفحال الثورة فى السودان :**

كان لتهاون الحكومة فى مسألة السودان آثر كبير فى استفحال ثورة المهدى وبدأ منها هذا التهاون فى العدول عن إرسال المدد الذى قرره شريف باشا قبل سقوط وزارته ، وبهذا إتيحت الفرصة لجموع المهدى أن تحقق انتصاراتها فى أكثر من مرة على القوات المتمركزة بالسودان . جملة القول : أن سياسة وزارة البارودى حيال السودان كانت سياسة خاطئة ، وكان لها الاثر السيء فى إستفحال ثورة المهدى ، ولا غرابة فى ذلك ، فان البارودى وعرابى وصحبهما كانوا لا يقدرون السودان حق قدره ، بل كانوا ينظرون اليه كمنفى للمغضوب عليهم ، وهذا تفريط يلقى عليهم تبعة كبيرة فيما صار اليه أمر السودان .

دستور سنة ١٨٨٢ :

أقر مجلس النواب الدستور ، وصدر به المرسوم الخديوى فى ٨ فبراير سنة ١٨٨٢ وكان مدة إنعقاد المجلس فترة تقدم ونشاط تمتعت مصر خلالها بالهدوء والسكينة ، ولم تكد تنتهى الدورة النيابية حتى أكفهر جو الصفاء ، وأخذت الأحداث تتوالى على البلاد ... »

والجدير بالذكر أن الدوائر السياسية الانجليزية والفرنسية إستقبلوا إعلان الدستور بالسخط والاستياء ، وبدت هذه المظاهر على شدتها من الرقيبين الاوربيين : فقد أرسلا معا مذكرة مشتركة الى قنصليهما بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٨٨٢ أى عقب وزارة البارودى بيومين وقبيل إعلان الدستور بيوم واحد - ، اعترضا فيها على هذا الانقلاب ، وتجلت فى مذكرتهما روح التبرم بالنظام الدستورى بأكمله والنقمة من تخويل مجلس النواب حق تقرير الميزانية ، وتحريض

حكومتيهما على محاربة هذا النظام (١) .

ظهور الفتن والمؤامرات :

لم تكد تنتهى الدورة النيابية حتى إكفهر جو الصفاء الذى ساد مصر من قبل ، وأخذت الأحداث تتوالى على البلاد فكأن انفضاض المجلس كان نذيرا بالانتكاس ، ولقد كان محتملا لو بقى المجلس منعقدا أن يعالج هذه الأحداث بالحكمة والروية ، ولكن شاءت الأقدار والملابسات أن يضطرب الجو بعد إنتهاء الدورة البرلمانية ، فاحتملت وزارة البارودى وحدها تبعة معالجة الموقف ، وواجهت مشكلات عدة ، داخلية وخارجية ، وتفاقم الخلاف بينها وبين الخديوى حتى أدى الى استقالتها .

وأول الأحداث الداخلية التى إنتابت البلاد بعد إنفضاض مجلس النواب هو مؤامرة الضباط الشراكسة .

مؤامرة الضباط الشراكسة والحكم عليهم :

هى حادثة خطيرة كان لها تأثير كبير فى تطور الثورة العرابية ، بل فى مصير البلاد قاطبة ، وخلاصتها أنه فى شهر ابريل سنة ١٨٨٢ ، علم عرابى من طلبة باشا عصمت قائد اللواء الاول أن بعض الشراكسة يتآمرون به ويدبرون الامر لقتلة وقتل رؤساء الضباط الوطنيين والوزراء ، وأن بعض من صدر اليهم الامر منهم بالسفر الى السودان كانوا قوام هذه المؤامرة ، فعرض عرابى الأمر على الوزراء ثم على الخديوى ، فتقرر التحقيق فى هذه المؤامرة فى مجلس عسكرى وأياما كان أمر هذه المؤامرة ، فقد إختلفت الأراء فى حقيقتها ، فقال بعض الرواه : إنها مؤامرة حقيقية كان القصد منها إغتيال رؤساء الحزب العسكرى وفى مقدمتهم عرابى وقال البعض الأخر : إنها مؤامرة خيالية ، قوامها فزع عرابى وخوفه على حياته ، فصدق الرواية التى خلقتها أوهام المفسدين ، وأراد الانتقام من خصومه .

وقال أخرون : أن حقيقة المؤامرة انه ظهرت بين الضباط الشراكسة ومن ينتمون اليهم حركة

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، الثورة العرابية ، والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ص ٢٣٤ ، ٢٠٥ .

تذمر واستياء من تخطيهم فى الترقيات الأخيرة وإلحاق بعضهم بالمراكز الخالية بالجيش المصرى فى السودان ، فاعتقدوا أنهم مقصودون بالذات ، وأن الغرض من نقلهم الى السودان هو النكاية بهم ، وألحق أنه لم يكن ثمة مقصد ولا نكاية [١]. وأبى الضباط الشراكسة الاذعان للأمر وإمتنعوا عن السفر الى السودان ، وبدرت من بعضهم عبارات تهديد ووعيد وقد فسرها الموالون لعرابى بأنها مؤامرة مدبرة لاغتياله والواقع أنها لا تدبير ولا مؤامرة ، ونحن نميل الى هذه الرواية ، لانها أقرب الى المنطق والعقل .

ومهما إختلفت الآراء فى حقيقة هذه المؤامرة ، فلا جدال فى أن العداوة بين العرابيين والضباط الشراكسة كانت كامنة فى النفوس ، وأن كلا الفريقين كان يأتمر بالآخر .

وبعد محاكمة عسكرية إعترف فيها البعض بتدبير مؤامرة لاغتيال عرابى . أصدر المجلس العسكرى فى ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٢ (١٢ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ هـ) حكمة فى القضية ويقضى على الاربعين ضابطا المتهمين بالنفى المؤبد الى أقاصى السودان ، مع تجريدهم من الرتب العسكرية والإمتيازات والنياشين ، وأن يكونوا متفرقين فى الجهات التى ينفون اليها .

رفع الحكم الى الخديوى للتصديق عليه ، فرآه بالغا منتهى القسوة ، فامتنع عن إقراره ووقع من أجل ذلك اختلاف كبير بينه وبين الوزارة ، اذ أصر على تعديل الحكم ، وتمسكت الوزارة باقراره وإستدعى الخديوى يوم ٢ مايو السيد : ادوار مالت قنصل انجلترا ، والمسيو سنكفنكس قنصل فرنسا وأستشارهما فى الأمر ، فأشارا اليه ألا يقر الحكم . وكان من حقه تخفيفه وتعديله من تلقاء نفسه ، بل استدعى الخديوى باقى قناصل الدول العظمى وطلب إليهم معونة الدول [٢] .

فأهاج ذلك سخط الوزراء والعرابيين جميعا ، وزاد سخطهم ، ورأى الخديوى عرض الموضوع على السلطان باعتبار أن المحكوم عليهم نالوا منه رتبا عسكرية عاليه .

---

(١) محمد فؤاد شكرى (د) : م مرجع سابق ، ص ٢٣٣ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ص ٢٩٧ – ٢٩٨ ، ٢٤١ .

وفى ٦ مايو عرض الوزراء على الخديو حسما للخلاف ومنعا لتدخل السلطان أن يصدر أمره بتعديل الحكم ، وأن يستبدل به النفى خارج القطر ، على أن يختار المحكوم عليهم الجهة التى يريدونها ، وفى ٩ مايو سنة ١٨٨٢ صدر قرار الخديوى بتعديل الحكم . (١)

على أن هذا التعديل لم يحسم الخلاف بين الخديوى والوزراء ، فقد ذهب البارودى الى الخديوى عقب توقيعه أمر التعديل ، ولامة فى لهجة شديدة لنزوله على قناصل الدول وإهماله رأى الوزراء ، وطالب اليه إضافة عقوبة التجريد من الرتب العسكرية الى أمر التعديل وقد استاءت الوزارة من تصرف الخديوى الذى أجاز تدخل الدول الاجنبية لمحاولة الاستفادة من تعهد فرنسا وإنجلترا الذى تضمنه مذكرتهما المشتركة فى ٧ يناير سنة ١٨٨٢ بتأييد الخديوية .

قررت الوزارة دعوة مجلس النواب للاجتماع لتعرض عليه الخلاف بينها وبين الخديوى وذاعت الانباء عن تصميم العرابيين على خلع الخديوى (٢) وأخيرا أمكن الوصول الى تسوية ظاهرية فحسب وبعد جهد ومشقة وذلك على أساس بقاء الوزارة وتعديل الاحكام العسكرية طبقا لما رآه الخديوى وكان الأجدر بعرابى وصحبه أن يقبلوا هذا التعديل من بادىء الأمر بغير حاجة الى ايجاد هذه الأزمة ، وكان الأنفع للبلاد ما داموا قد قبلوا التعديل فى النهاية ألا يثيروا من أجله حربا بينهم وبين الخديوى فى وقت كانت الأخطار تكتنف مصر فيه من كل جانب ، ولم يكن الخلاف الذى شجر بينهم وبين الخديوى مما يستوجب عقد مجلس النواب لأن عقد المجلس بصفة مستعجلة وبغير الأوضاع القانونية معناه إعلان الثورة على الخديوى ، ولم يكن بقى من اوجه الخلاف بعد أن اتفقت وجهة نظر الفريقين على تعديل الحكم سوى تجريد الضباط المحكوم عليهم من الرتب العسكرية أو عدم تجريدهم ... والمجالس النيابية لا تعقد بصفة غير عادية من خلاف صغير كهذا .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم الثائر أحمد عرابى ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ، ص ص ٩٩ - ١٠١ .

(٢) محمد فؤاد شكرى (د) : مرجع سابق ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

مجيء الاسطولين الانجليزى والفرنسى ومطالب انجلترا وفرنسا (مذكرة ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢) :

فى أثناء الخلاف بين الوزارة والخديوى ، تواترت الأنباء عن إعتزام فرنسا وانجلترا ارسال اسطوليهما الى الاسكندرية ، وقد تحققت هذه الانباء .. فقررت الدولتان على أثر ما بلغها من اشتداد الخلاف بين الخديوى والوزارة ودعوة مجلس النواب للانعقاد إرسال اسطوليهما الى مصر ، اذا اعتبرنا هذه الحالة ثورة تستدعى التدخل ، وقد أفضى اللورد جرانفيل وزير خارجية إنجلترا بهذه الفكرة يوم ١٢ مايو سنة ١٨٨٢ الى المسيو بيسو - سفير فرنسا فى لندن قائلا أن الحاجة ماسة للقيام بمظاهرة حربية فى مياه الاسكندرية . وقد صادفت هذه الفكرة قبولا من الحكومة الفرنسية . وسوغت الدولتان هذا العمل بأن الغرض منها حماية رعاياهما من الاخطار التى يستهدفون لها ، ولم يكن ثمة خطر ولا خوف من هذه الناحية ، وإنما هى حجة مصطنعة ووسيلة باطلة تستر الغرض الحقيقى وهو خلق الذرائع للتدخل المسلح فى شئون مصر [1] وقد هز تتابع وصول البوارج الانجليزية الى الاسكندرية الرأى العام المصرى هزا شديدا ، وقام القنصل الفرنسى فى يوم ٢٢ مايو أى بعد وصول الاسطول الانجليزى بيومين إثنين بزيارة محمد سلطان رئيس مجلس النواب ، حاملا اليه مطالب الحكومتين الانجليزية والفرنسية وهى :

١ - استقالة وزارة البارودى .

٢ - اخراج عرابى من القطر المصرى على أن تضمن له انجلترا وفرنسا راتبه ورتبته وأوسمته .

٣ - تحديد إقامة على فهمى وعبد العال حلمى فى ريف مصر وتضمن الدولتان رتبهما ومرتباتهما .

٤ - تسريح الجيش المصرى فلا يبقى منه سوى عدد قليل للمحافظة على الحدود الجنوبية [2] .

وقد رفضت الوزارة هذه المذكرة على أساس أنها قد تضمنت مطالب فيها إعتداء على الفرمانات والمعاهدات الدولية ، ولأن الوزارة ترى أن هذه المطالب متعلقة بمسألة داخلية ، فاذا كانت الدولتان تريان أنها متعلقة بمسألة سياسية عمومية ، فالواجب عرض هذه المسألة على تركيا صاحبة السيادة

(١) عبد الرحمن الرافعى: الزعيم الثائر أحمد عرابى ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ص ص ١٠٣ - ١٠٤ . المرجع السابق ص ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) أمين سعيد : مرجع سابق ، ص ص ١١٤ ، ١١٥ .

الشرعية على مصر [١] . ، وقام رئيس مجلس النظار ومعه وزير الخارجية بزيارة الخديوى وأبلغاه قرار المجلس برفض المذكرة وطالبا منه أن يتضامن مع حكومته في رفضها [٢] ، فأجابهما الخديوى بأنه قد قبل مطالب الدولتين بالفعل ، ومن ثم إستقالت وزراة البارودى إحتجاجا على مطالب الدولتين وعلى قبول الخديوى إياها فقبل الخديوى استقالتها [٣] . وقد أدى هذا الموقف بين الحكومة التى تدافع عن حقوق مصر ومكانتها بين الخديوى الى هياج الرأى العام وإشتد السخط على الخديوى ، وإرتفعت الاصوات فى كل مكان بالدعوة الى خلعه .

توتر الأوضاع الداخلية وعودة عرابى لتولى وزارة الحربية :

بالرغم من استقالة الوزارة ، فان عرابى بقى على إتصال دائم بضباط الجيش لكى يضمن ان لا يقبل الجيش وزيرا للحربية سواه .. وهذا ظاهر من الخطاب الذى أرسله بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ الى انصاره من الضباط ، فقد أخبرهم فيه انه مع استقالته من وزارة الحربية ، فانه لم يستقل من رئاسة الحزب الوطنى ، ويطلب اليهم أن يأتمروا بأوامره وان يحافظوا على الامن ، ويقول عرابى فى مذكراته انه أرسل هذه الرسالة تلغرافيا الى جميع المراكز العسكرية بعد أن قابله قناصل الدول وطالبوا اليه تأمين رعاياهم ولم يكن من الميسور فى هذه الظروف تأليف وزارة جديدة تخلف الوزارة المستقبلية فى خطتها وتنال ثقة النواب والضباط [٤]

وإضطر الخديوى بعد رفضه الاول ببقاء عرابى « ناظرا للجهادية » وتحت ضغط عدد من النواب مؤلف من سلطان باشا وحسن باشا الشريعى وسليمان باشا أباظة ، اصدر الخديوى اوامره بإجابة طلبهم قائلا « بما إنكم أتيتم طالبين تقليد نظارة الجهادية لسعادة عرابى باشا ، حيث انكم تظنون أن هذا التعيين يساعد على حفظ النظام ، فلا مانع من إجابتكم »

---

(١) محمد فؤاد شكرى (د .) : مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

(٢) امين سعيد : مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم الثائر أحمد عرابى ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ، ص ١٠٧ .

(٤) امين سعيد : مرجع سابق ، ص ص ١١٥ - ١١٦

القسم الثانى

القتال والمعارك فى الميدان الغربى واحتلال الإسكندرية

(يونيه - يوليو ١٨٨٢)

القسم الثانى

القتال والمعارك فى الميدان الغربى واحتلال الإسكندريــــــة

(يونيو - يوليو ١٨٨٢)

توصف الثورة العرابية بأنها ثورة عسكرية كان دعاتها والقائمون بها مــن رجال الجيش ، ومما لا ريب فيه أيضا أنها كانت ثورة قومية إشتركت فيها طبقات الأمــه بكافة طوائفهــــا ، وإلتقت عندها الحركتان الوطنية والعسكرية معا ، وكانت فى مظاهرها امتدادا لتطور الكفاح الذى بدأ منذ أن تحكم غير المصريين فى مصر .

نشأت هذه الثورة فى ظروف كادت فيها البلاد أن تلقى هلاكها ، فلم يكن الحكم خالصا للوطنيين وكان الظلم والطغيان والإستبداد سائداً بين الموظفين ، وكانت حالة البلاد السياسية والإقتصادية والإجتماعية تنذر بالشر .

كان الشعب يئن من الأعباء والضرائب الفادحة التى عاناها فى عهد إسماعيل ، وكان الناس يتطلعون الى فجر حكم جديد ينتهى فيه عهد الإسراف والمظالم ، وكانت الخواطر ساخطة على التدخل الأجنبى فى مصر وتعدد مظاهرة ، وكانت الثورة العسكرية قد أخذت ترقب النظم الدستورية . كانوا يأملون أن يعالج الخديو توفيق الإرتباك المالى الذى نشأ عن قروض اسماعيل وأن يقر الأوضاع الدستورية التى تكفل حقوق الأفراد وحريتهم .

كان ذلك كله أمل المصريين ورجائهم ، بينما كانت المطامع الأوروبية وبخاصة الإنجليزية ترقب تطور الحوادث لكى تحقق أغراضها الإستعمارية فى مصر ، تلك المطامع التى أخذت تتحرك نحو أهدافها منذ عام ١٨٧٥ حين اشترت انجلترا أسهم مصر فى قناة السويس .

وكانت فرنسا تطمع فى أن يكون لها من النفوذ فى مصر مثل ما لانجلترا أو يزيد ، وكانت الجاليات الأجنبية ترمى بصفة عامة الى مد نفوذها المالى والإقتصادى .

أما تركيا فكانت لا تفتأ تفكر فى اغتنام الفرصة لكى تقتنص من المزايا والحقوق التى نالتها البلاد .

هكذا كانت تسير الأمور فى هذه الفترة من تاريخ مصر وهى حقبة ينبغى تناولها لا أنها أدت فى النهاية الى الإحتلال البريطانى لمصر والذى إستمر لأكثر من سبعين عاما .

الإستعدادات البريطانية للتدخل المسلح :

١ - **بريطانيا والإعداد لغزو مصر :**

أعد الإنجليز عدتهم لغزو مصر ، منذ ضمنوا أن توفيقا سيكون عونهم فى البلاد .. فوجدوا فيه الصورة المثالية لحاكم ضعيف متهالك ، خائر العزيمة .. وبهذا حل محل المملوك الألفى الذى كانوا يعدونة لهذا الدور منذ فترة ولكن الألفى ما ت قبل حملتهم الى مصر وكانت لبريطانيا خطة ذات ثلاث شهب ، كلها ترتكز على الوجود الأجنبى فى مصر أو خارجها .

إعتمادهم على الخديو وبطانته ، وهو الذى يعتبر مصر والمصريين ميراثا له ، وللشراكسة والألبانيين والأتراك ، وقد تكونت لهم فى مصر مصالح ووظائف وضياعا واسعة .

٢ - الجاليات الأجنبية من مغامرى أوروبا الذين نزحوا الى مصر بعد بدء العمل فى شق قناة السويس وحصولهم على إمتيازات ضخمة ، تجعل اقتصاديات البلاد ، وجهد أهلها لقمة مستساغة لهم .

وقدبلغ عدد الأجانب فى مصر خلال حكم اسماعيل وتوفيق نحو ١٥٠ ألف أجنبى تحميهم ١٧ قنصلية ، ومن عجائب الحياه فى مصر ، فى ظل هذه القنصليات ، أن الأجنبى اذا قتل مصريا أو نهب ماله ، يذهبون به الى قنصليته فيحقق معه القنصل فإذا وجده مدانا ، أصدر عليه حكما لإرساله الى بلده .

٣ - الطرف الثالث للمؤامرة ، معظم الدول الأجنبية التى كانت تطمع فى مزيد من خيرات مصر . وتكره المصريين لأسباب تاريخية تخلفت عن الحروب الصليبية ، وعدم تمكن المشتركين فيها من إحتلال مصر ...

هذه العقدة التاريخية لم يحلها مضى ثمانية قرون على إنتهاء هذه الحروب ، بل لم يتخلص منها الأوروبيون بإحتلال مصر ، فقد بدت آثارها فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، عندما ذهب قائد فرنسى الى قبر صلاح الدين فى خارج دمشق ، وقال على ملأ من جنوده : " الآن عدنا ياصلاح الدين " .. وعندما ذهب القائد الإنجليزى (اللنبى) الى

القدس فى نفس الفترة ، قال بعد احتلال المدينة " الآن انتهت الحروب الصليبية " ولهذا لم نعجب أن نجد أن جنسيات كثيرة تستجيب للإنجليز وتحشد معهم أساطيلها ، لمهاجمة موانىء مصر ٠

والشىء الملفت للنظر ، هو إشارة بعض الوثائق البريطانية [١] عن اشتراك بعض القطع الأمريكية (١-٢ قطعة) ، فى الحملة الإنجليزية بحجة حماية رعاياها ، وتشير مذكرات كيتشنر الى جنسيات أخرى من الغزاه الذين اشتركوا ضد مصر ٠

٤ - **تقرير إتجاه التقدم صوب القاهرة فى ضوء طبوغرافية مسرح العمليات :**

من الواضح أن إتجاه التقدم صوب القاهرة ، قد تم اختياره وتقرر بصفة نهائية فى أوائل يولية ، وأن ترتيبات الحملة قد حددت بناء على قرار التقدم عبر الصحراء بين الإسماعيلية والزقازيق وأنه لم يعرض إطلاقا أى اقتراح خاص بالتقدم من الإسكندرية صوب القاهرة وجاء هذا الإختيار فى ضوء الإعتبارات التالية :

أ - كان من الأنسب لحملة مشتركة تبدأ من أوروبا ومن الهند أن تحتل القوات الآتية من الهند السويس ، وأن تحتل القوات المبحرة من أوروبا - بورسعيد ثم الإسماعيلية الواقعة فى منتصف الطريق على القناة ٠

ب - لم يكن يفصل الإسماعيلية عن القاهرة سوى ٧٥ ميلا بينماكان هناك ١٤٠ ميلا تفصل الإسكندرية عن القاهرة خاصة وأن الحملة ستتم فى فصل الصيف الحار ، أضف الى ذلك أن الصحراء الممتدة بين الإسماعيلية والقاهرة صحراء متماسكة فى أغلب أجزائها ، غير أنه يتخللها كثبان رملية وساحات صغيرة رملية ناعمة لابد من إجتيازها ، ورغم أنها مجهدة للأفراد والحيوانات إلا أنها بوجه عام صحراء صالحة لسير المشاه والفرسان ومن الممكن تحرك المدفعية فى كل مكان تقريبا وبدرجة لا تتوفر فى الأرض المنزرعة على الإطلاق ، فمناورات المدفعية فى أغلب مناطق الصحراء أكثر سهولة منها فى الأرض العادية ، وفى مثل هذه الظروف لم يكن من

---

(١) محمد صبيح : مرجع سابق ، ص ص ١٢٦ - ١٢٧ ، ١٢٩ ٠

المستصوب إن أمكن إغراء المصريين على الدخول فى معركة صحراوية حاسمة تصطدم فيها قواتهم بجش يفوقهم قوة وتنظيما .

أما فى الدلتا وهو الطريق الذى يمكن أن تمر به الحملة من الأسكندرية الى القاهرة فهى مناطق زراعية تزرع كلها وفق نظام رى كبير من القنوات الصناعية ، وتكاد تنعدم تماما الطرق الصالحة لسير العربات ذات العجل وتقوم حركة النقل كلها أما بالسكك الحديدية أو القوارب فى الترع أو على ظهور الدواب ، وفى اشهر اغسطس وسبتمبر وأكتوبر وهى فترة الفيضان فى نهر النيل ، تغمر المياه منطقة الدلتا بفضل أعمال الرى ، ومن المحتم أن يبطىء أى جيش من تقدمه كثيرا فوق هذه الأراضى ومن الصعوبة بمكان تحرك المدفعية فى تلك المناطق مما يتعذر على الفرسان إجراء مناورات بها ، كذلك فإن المجهود الرئيسى للقوات المصرية سيتمركز للدفاع عن الدلتا ، حيث الدفاع عن الأراضى الزراعية والفلاحين .

جـ - إن تقدير الموقف البريطانى وضع للهجوم من إتجاه الإسماعيلية - القاهرة ، بإعتبار أن عرابى سيختار خط دفاعه الرئيسى بالقرب من الثكنات التى انشئت عند التل الكبير وهو خط دفاعى لا تتوفر فيه الهيئات الحاكمة التى توفر الإتزان الدفاعى وبالتالى يسهل على القوات البريطانية تطويقها وتدمير القوات المصرية ومن ثم يسهل السيطرة على الخط الحديدى والقناة العذبة القريبة من الزقازيق [1] .

د - إن الحملة قد إستهدفت منذ البداية الإستيلاء على القاهرة ، وكان من الأهمية بمكان أنه أينما تتجه النية لتوجيه الضربة ، فيجب ألا تكون هذه الضربة حاسمة فحسب بل يجب أن تكون الخيالة وهى السلاح الذى من واجبه جنى ثمار النصر قادرة ما أمكن على الظهور على أبواب القاهرة فى وقت لا يزال فيه سكانها فريسة الذهول الذى تثيره هزيمة القائد الحربى للثورة فى أول معركة له .

هـ - هكذا فقط كان من الممكن توجيه الضربة الرئيسية لإنهاء الحرب من إتجاه الإسماعيلية ومن دراسة الخريطة رقم (١) نجد أنه لم يكن هناك غير جانب واحد ،

---

(١) وزارة الحربية : الحملة الإستعمارية البريطانية على مصر ١٨٨٢ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، كود ٦/١١، ١٩٥٦ ، ص ص ١٨- ٢٢ .

يمكن منه اقتراب الخيالة صوب القاهرة فى سرعة وعلى أرض تسمح بالقيام بمعركة حاسمة . وبالتقدم عبر الصحراء الصلبة وبمحاذاة ترعة الإسماعيلية يتحقق مثل هذا التقدم المؤدى الى قلب العاصمة مباشرة . أما فى بقية الإتجاهات فإن نظام الرى وإنعدام الطرق يعيق سرعة التقدم ويؤدى بالقوات المتقدمة الى الجانب الآخر من النهر عند وصولهم الى مشارف القاهرة ، ولا جدال أن هناك فائدة كبيرة من وجود قناة بمحاذاة طريق السير المقترح والتى تساعد على النقل وتزويد القوات بحاجاتها من المياه بالإضافة الى التسهيلات التى هيأها الخط الحديدى .

و - إن هذا الإتجاه لن يحتاج الى حملة كبيرة لا تستطيع انجلترا أن توفرها بسرعة فى ظروف السلم ، وفى نفس الوقت يمكن أن يحقق لهم سرعة السيطرة على المواصلات الداخلية والإتجاه مباشرة صوب القاهرة .

ز - أما عن الطرق الممكنة الأخرى ، فقد حالت نعومة أغلب أجزاء الصحراء الغربية عن التفكير فى أمرها ، كما أن أية حملة نهرية فى أحد فرعى النيل رغم مزاياها - كانت تتعرض لأخطار مواجهة السدود المقامة عند مداخل النهر .

ح - إن التقدم من الإسماعيلية يهيىء الوقاية والحماية لقناة السويس التى لابد وأن تتعرض تعرضا تاما عند القيام بأى تقدم من الأسكندرية صوب القاهرة ، فضلا عن المساحة المائية الممتازة التى تهيؤها بحيرة التمساح لحشد مختلف وسائل النقل

ط - لا جدال إذن فى أن مختلف هذه الأسباب تؤيد إختيار طريق الإسماعيلية ، وكان من الضرورى أن يتخذ الإنجليز قرارهم على وجه السرعة وأن يعملوا وفقا له اذا أرغمتهم الظروف على تغييرة ، فقد توقفت طبيعة الإستعدادات اللازمة على الطريق المنتخب .

ويقول الإنجليز أنه كان من الحيوى إبقاء ذلك القرار سريا ، كما إتخذ الإتجاه الخداعى فى الخطة بالإشارة الى الأسكندرية بإعتبارها القاعدة المستقبلية للعمليات ، رغم أن الترتيبات قد إتخذت منذ البداية فيما يتعلق بمراحل النزول والحملة

والإمدادات الإدارية .. الخ ، على أساس أن الإسماعيلية هى المكان المقرر للنزول الى البر ، وبالتالى فإن اتجاه الجهود الرئيسية للعمليات سيكون على محور الإسماعيلية - القاهرة وإتجاه المجهود الثانوى والخداعى سيكون على محور الإسكندرية القاهرة .

هكذا تضمنت الخطط الأولى للحملة والتى وضعها السير جرانت ولسلى [١] وصدقت عليها الحكومة البريطانية ، تقدما صحراويا للخيالة صوب الإسماعيلية - القاهرة .

(١) السير جرانت ولسلى ، هو قائد الحملة على مصر .

المبحث الأول

الإستعداد لضرب الاسكندرية

١ - وصول الأسطولين الإنجليزى والفرنسى الى الأسكندرية :

وردت الأنباء فى غضون الخلاف بين الوزارة والخديوى عن إعتزام إنجلترا وفرنسا إرسال إسطوليهما الى الأسكندرية ، وقد تحقق ذلك بالفعل ، فقررت الدولتان على إثر ما بلغهما عن إشتداد الخلاف ودعوة مجلس النواب للإجتماع بدون أمر الخديوى إرسال اسطوليهما ، إذ اعتبرتا هذه الحالة ثورة تستدعى التدخل . وأفضى اللورد جرانفيل وزير خارجية إنجلترا بهذه الفكرة الى الحكومة الفرنسية فصادفت قبولا لديها ، وسوغت الدولتان لهذا العمل بأنه لحماية رعاياها من الأخطار التى يخشى تعرضهم لها ، ولم يكن ثمة خطر ولا خوف هناك ، وإنما هى حجة مصطنعة تستر الغرض الحقيقى وهو خلق الذرائع للتدخل المسلح فى شئون مصر .

إتفقت الدولتان على أن ترسل كل منهما ست بوارج إلى المياه المصرية ، وبدأت البوارج تصل مياه الأسكندرية يوم الجمعة ١٩ مايو ١٨٨٢ ، وكانت السفن الإنجليزية بقيادة الأميرال السير " بوشان " ، أما السفن الفرنسية فكانت بقيادة الأميرال " كونراد " ، وذكرت المصادر المعلنة البريطانية والفرنسية بأنها وصلت " بصفة ودية " .

لم يكد يصل الأسطولان ، حتى أخذت الدولتان تخاطبان مصر بلغة التهديد ، فبدأتا بتقديم مذكرة رسمية كما سبق أن ذكرت فى القسم الأول الى الوزارة المصرية تطلبان فيها (١) :

أ - أبعاد عرابى مؤقتا الى خارج مصر .

ب - إرسال كل من فهمى وعبد العال حلمى الى جهات لا يخرجون منها .

جـ - استقالة وزارة البارودى .

وقد جاء فى المذكرة المقدمة من حكومتى فرنسا وانجلترا أن الغاية من التدخل فى شئون مصر ليس سوى حفظ الحالة الحاضرة وإعادة السلطة الشرعية للخديوي .

---

(١) وزارة الحربية ، الحملات الإستعمارية على مصر فى القرن التاسع عشر القاهرة ، وزارة الحربية (كود١١/٥) ، ١٩٥٧، ص ٢٠٤

واجتمعت الوزارة المصرية وقررت رفض مطالب الدولتين ، ولكن الخديو وافق عليها ولم يكن هناك بدمن إستقالة وزارة البارودى وقبول الخديو ى لها ٠

لم يكن من الميسور فى هذه الظروف تأليف وزارة جديدة ، تخالف الوزارة المستقيلة فى سياستها وتنال ثقة النواب والضباط ٠ وقد حدثت سلسلة من الإجتماعات ، كان آخرها إجتماع فى دار محمد سلطان رئيس مجلس النواب حضره عرابى وزملاءه وطلبوا علنا بخلع الخديوى وهددوا بالعقاب لكل من يظهر له الولاء ، غير أن لفيفا من النواب عارضوا فى ذلك وذكروا أنهم سيقومون بالوساطه لدى الخديوى لاعادة عرابى وزيرا للحربية وكونوا لجنة قابلت الخديوى وتمكنت من إقناعه بذلك صيانة للأمن وحفظا للنظام ٠

والأمر العجيب أن انجلترا ظلت مشتركة مع فرنسا فى موقفها حيال مسألة مصر حتى وصول الأسطو لين غير أنها قررت بعد ذلك الإنفراد بالعمل تحقيقا لسياستها الإستعمارية ، فقامت بابلاغ فرنسا إنها لن تتقيد بسياسة التساهل التى وردت فى مذكرتهما ، وبدت نية الإنفراد بالعمل تظهر عمليا ، عندما بعث أميرال الأسطول البريطانى الى حكومته يطلب مزيدا من البوارج بحجة أن المصريين ينشئون مواقع جديدة للمدفعية الساحلية وأجابت الحكومة البريطانية هذا الطلب ٠ أما فرنسا فقد إعتقدت أنها تستطيع انقاذ الموقف بدعوة الدول الأوروبية الى عقد مؤتمر للنظر فى المسألة المصرية ولم تتردد انجلترا فى قبول هذه الفكرة ٠

٢ ـ **الإستعدادات البريطانية :**

فى ضوء الأحداث السابقة ، إدعى الإنجليز أن الجزع بدأ يساور الدول صاحبة الشأن لما يتهدد سلامة قناة السويس نتيجة للإضطرابات القائمة فى مصر ٠ وأن الأخبار والتقارير تواترت عن تعدد جموع القبائل العربية التى تتهدد القناة على طول شاطئها وأن الدلائل كلها قد دلت على أنه حتى ولو توفرت الثقة فى قدرة عرابى على بذل أقل جهوده للمحافظة على الأمن والنظام فى مصر فإن قوته تتوقف توقفا كليا على مسلك الجنود المصريين ، الذين كانت تتضاءل سيطرة قادتهم عليهم يوما بعد يوم ٠٠ ، ويضيف الإنجليز الى افتراءاتهم

هذه بقولهم إن الحوادث سرعان ما أثبتت أن مجرد إحتلال قناة السويس لن يكون أكثر من اجراء وقتى • وأن الخطر يكمن فى الإضطرابات القائمة فى مصر ، الأمر الذى لايمكن معالجتة الا فى القاهرة نفسها •

فكل المياة العذبة التى تصل المحافظات القائمة على قناة السويس يسيطر على سيرها أولئك الذين يقبضون بيدهم على مقاليد الحكم فى القاهرة وفى بقية البلاد •

ولقد اضطرت شركة القناة الى إنشاء ترعة الإسماعيلية التى تصل مياه النيل عند القاهرة الى منطقة القناة وتتفرع عند نفيشة ليمتد أحد زراعيها صوب السويس والآخر صوب الإسماعيلية التى منها تدفع المياه فى الأنابيب الى بورسعيد وعلى ذلك يتوقف إستمرار المياة فى منطقة قناة السويس على صداقة المهيمنين على مقاليد الأمور بالقاهرة •

ولم يكن هذا هو كل الأمر فهو كمسألة عسكرية يصعب المغالاه فى التباين بين السرعة والوقت اللذان يمكن بهما معالجة المسألة فى القاهرة ، وبين ما يستغرقة إحتلال طويل الأمد للقناة من أموال وما يواجة ذلك من أخطار وصعوبات وتعرض للضياع فإن أى قوة يعهد اليها بإحتلال القناة لابد وأن تتعرض القناة لهجمات من عدو يحتل الدلتا ، لأن الطريق الحديدى الممتد مباشرة من الزقازيق الى الإسماعيلية والصالحية والمتجة فى خط عمودى تقريبا على مجرى القناة يهيىء لمثل هذا العدو أكثر تسهيلات ممكنه لتحرك وتموين قواته • كما أن خطر هجوم القبائل اليدوية على الضفة الشرقية للقناة سيزداد بصفة مستمرة كلما إستبانت لهم الحقائق أكثر وأكثر عن عدم جرأة البريطانيين على إزعاج قوة عرابى المعادية فى مصر وعن تهديده الخطير للمواقع البريطانية بالقناة • وهكذا فإن القوات البريطانية المرابطة على طول الشريط الضيق لضفتى القناة والتى تتلقى كل تموينها بطول امتداد هذا الخط ، ستجد الصحراء التى يسير منها هذا الخط الملاحى المائى فى قبضة القبائل المعادية وأن أى هجوم ناجح على أية نقطة أو أية سفينة منعزلة بالقناة يمكن المصريين من سد مجرى القناة كله وتدمير ما بها من وسائل المواصلات والتموين ثم يقول الإنجليز إن مجرد احتلال القناة سيزيح الستارعن تصميمنا على إستخدام القوة فى مصر،

ولن يعدو أن يكون سوى إجراء سلبى يترتب عليه حرماننا من فرصة تحويلة الى أى شئ آخر ، لأن تنبه المصريين عندئذ سيمكنهم من انتفاعهم بالطرق الحديديه وقاعدة الإمداد فى الدلتا من توجيه ضربتهم الى القوات البريطانية المرابطة على طول القناة ومن اعداد الوسائل لتفويض تلك القوات على وجه السرعة . وعلى ذلك فلم تكن تدعو الضرورة الحربية الى مجرد إتخاذ العده للسير صوب القاهرة بل والمبادرة به بمجرد الإستيلاء على القناة والا توجه من البداية أى جهود لاحتلال القناة .

ومن الضرورى التفرقة الواضحة بين الصورة التى هيأها هذا الأمر كمسألة حربية بحته وبين ما يمكن لحكومة صاحبة الجلالة تحقيقة على ضوء الموقف السياسى كله .

وقد إنقضت مدة طويلة قبل أن يصل الإنجليز الى قرار لإرسال حملة عسكرية الى مصر ، غير أن السلطات العسكرية حرصت منذ دلت الدلائل على ما تنويه الحكومة من غزو لمصر على أن تستخلص للحكومة البريطانية طبيعة أى حملة حربية توجه الى مصر . وما أن أشرف شهر يونيو على نهايته حتى إتخذ الإنجليز قرارهم بالأعداد لحملة عسكرية لاحتلال مصر .

وكان إحتمال القيام بمثل هذه الحملة العسكرية موضع النظر والدراسة فى وزارة الحرب البريطانية أشهراً عدة فى الوقت الذى إعتقدت فيه الوزارة المصرية أن انجلترا لن تجرؤ على احتلال مصر .

وهكذا انتهت القيادة العسكرية البريطانية من وضع الخطة وظلوا يترقبون الحوادث والأحداث المواتية للتدخل المسلح ، وجاء يوم ٢٨ يونيو حيث إتخذت فيه الحكومة البريطانية خطوتها الأولى الرسمية استعدادا لهذه الحملة ، ولم ينقضى بعد يومان على إبرام ميثاق النزاهة فى مؤتمر الأستانه ، بل ولم يمر بعد يوم واحد على قرار مجلس الآستانه بأن يعهد لتركيا بمهمة التدخل فى مصر وإرسال قوة تركية كافية من الجند لاعادة الأمن والنظام بل ولم يمر بعد أسبوع واحد على تاليف وزارة اسماعيل راغب باشا فى مصر .

وهكذا سارت الإستعدادات الحربية البريطانية فى بريطانيا على قدم وساق ، لإعداد نحو قوة فيلق مكون من ٢٤٫٠٠٠ مقاتل لإرساله من بريطانيا إلى مصر ٠

وفى ٢٩ يونيو ١٨٨٢ ، قرر وزير الحربية بالتشاور مع القائد العام ، إتخاذ خطوات مبدئية أخرى كتقرير ما يجب إتخاذه إذا استدعى الأمر ذلك عند بدء الحملة الحربية بجميع التفصيلات وإتخاذ الترتيبات كتابة دون إثارة أحد أو انفاق أية مصروفات استثنائية ٠

وفى ٣٠ يونيو عرض القائد العام للحملة الخطوط العريضة لخطته ٠ ومن ناحية أخرى فقد أعد السير ج ٠ ولسلى (القائد العام للحملة) مذكرة بمطالبة لإعداد الحملة [1] ٠

وفى ٤ يوليو ١٨٨٢ صدرت تعليمات سرية الى الضباط قادة الآيات الفرسان وكتائب المشاه وبطاريات المدفعية التى تتكون منها القوة المقرر إرسالها الى مصر بالإستعداد للتحرك فى أقل وقت انذارى ٠ وتم إعداد قوة كبيرة لمناورات السلم وساعد هذا على إصدار الأمر الى الآيات الفرسان باعداد حملتها للمناورات بالشكل الذى تتطلبة الحملة المرتقبة ، وتم وضع التفصيلات اللازمة لحملة عبر الصحراء ونوع المعدات وحجم الذخائر والمؤن الأخرى مثل التعيينات والوقود ٠

وتقرر فى ٧ يوليو الغاء مناورات الخريف ، غير أن هذا القرار ظل سريــا بعض الوقت ٠ هذا ويعطى البيان التالى بعض الترتيبات الإدارية للحملة [2] " اتخذت الترتيبات لتجهيز قيام وشراء الوقود من قبرص لنحو ٢٠ ألف مقاتل لمدة ٦٠ يوما والإستعداد لشراء البغال ٠ كما تقرر تشكيل سرية مهندسين لإنشاء الخطوط الحديدية وتنظيم سلاح البوليس الحربى وروعيت مسألة إنشاء المستشفيات فى مالطة وقبرص والتموين بالمياه والعربات ٠٠كما تقرر وضع الترتيبات مع الحكومة الهندية لإرسال قوات من الهند للإشتراك فى الحملة " ٠

وفى ١٠ يوليه كان قد تم حسم كل هذه النقاط وانتهت الإدارات المختلفة من وضع تفصيلاتها ٠

---

(١) أنظر ملحق الوثائق الوثيقة " ب " ٠

(٢) وزارة الحربية : الحملـــة الإستعماريـــة البريطانية علـــى مصـــر ١٨٨١ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، كود ٦/١١ ، ١٩٥٦ ، ص ص ١٢ ، ١٧-١٨ ٠

كما تقرر عندما نوقشت خطة الحملة فى بادىء الأمر – وجوب إرسال طليعة من حاميات البحر اللمتوسط وأن تلتقى كلها معا فى قبرص وتتأهب للإستيلاد على قناة السويس بعد ٢٤ ساعة من إستلامها الأمر بالعمل . وفى ٦يولية أبحر السير أرشيبالد اليسون من انجلترا ليتولى قيادة هذه القوة حيث وصل الى قبرص على السفينة الحربية "سالاميس " يوم ١٤ يولية . كما وصلت الكتيبة الأولى " ساوث ستافورد " – والكتيبة الثالثة " كنجز رويال رايفلز " والسرية ١٧ من سلاح المهندسين الملكيين إلى قبرص فى نفس التاريخ بعد أن غادرت مالطة يوم ٨ يولية .

٣ – <u>أحداث الفتنه المدبرة فى الأسكندرية (١١ يونيو ١٨٨٢)</u> :

درس الإنجلتز بعناية خطوات تدخلهم المسلح ضد مصر ... بحثوا عن المبرر ولم تكن الديون وحدها كافية ، لان تحارب بلد آخر .. وأذن فليكن الباعث للتدخل هو اضطراب الأمن وتعريض الأجانب للخطر .

واستغل الإنجليز حساسية الموقف الوطنى وتأذى الشعب عامة من تدخل الأجانب فى حكم البلاد ، وسيطرتهم على الخديو فدبروا اشتباك بين مالطى ووطنى فى الإسكندرية ، تحولت المعركة الى اشتباك واسع النطاق على مرأى من الأساطيل الأجنبية ، وكانت التعليمات قد صدرت للبوليس عن طريق المحافظ – أن يغمض عينية بعض الوقت .. بل أن المسئول المباشر عن الأمن أخذ أجازه فى هذا اليوم وهو الحادى عشر من يونيو ١٨٨٢ ، حتى لا يوجد من يستطيع أن يعطى أوامره مباشرة لقوات الأمن .

وكانت الأسكندرية محملة بأعداد كبيرة من الأجانب .. فما أن وصل الأسطول فى شهر مايو ، حتى عرف النزلاء جميعا أن حربا توشك أن تقع فوفدوا من داخل البلاد ليكونوا فى حماية القوات الغازية .

عموما فقد استطاع مخططوا هذه الحرب أن يوجدوا الظروف التى تؤدى الى اشتعال الحريق بمجرد تطاير أى شرارة من أية جهة . إستمرت الأسكندرية خلال هذا اليوم نهبا للفوضى الى ما قبيل الغروب ، وعندما نزلت قوات الجيش المصرى لتقمع الفتنه من

الجانبين المصريين والأجانب ، هدأ كل شىء ، وأخلدت المدينة الى السكينة • وكان حصاد هذه الفتنة ٢٣٨ شخصا منهم ١٦٣ من المصريين ، ٧٥ من الأجانب (أما الحرائق وخسائرها ، فلم يعن أحد بها لأنها كانت فى منازل ومتاجر المصريين •

هذا وقد ذكر " بلنت "(١) فى تاريخ هذه الفترة أن عمر لطفى " محافظ السكندرية " اختفى من المدينة ، ولم يظهر إلا عند ضرب الأسكندرية واستيلاء الإنجليز عليها وعندها عينة الخديوى وزيرا للحربية ، وظل فى هذا المنصب لفترة سنة كاملة الى أن استقال من منصبة •

ولاحظ " بلنت " ، أنه بالرغم من معرفة عرابى لمدبرى هذا الإضطراب ، إلا أنه لم يكن الرجل القوى الذى يقبض على المجرمين ويحاكمهم على الفور ، وكان يجهل الطرق والأساليب الغربية •

وفى القاهرة طالب علماء الأزهر من درويش باشا مندوب السلطان عبدالحميد ، خلع الخديوى توفيق والمطالبة بعزله لاتهامه بأنه با ع البلاد للأجانب •

وقد أخطأ عرابى عندما لم ينتهز الفرصة ويقبض على الخديوى وهو فى القاهرة ، فى قبضة يده – خاصة أن فكرة عزل الخديو ، بلغت من القوة أقصاها فالذى حدث هو أن عرابى سمح للخديو توفيق بأن يسافر الى الأسكندرية ليكون بدوره تحت حماية الأساطيل • حقيقة كانت البلاد بغير وزارة منذ إستقال البارودى فى ٢٧ مايو – حتى ٢٠ يونيو ١٨٨٢ ، ولكن عرابى كان هو الحكومة ، ولا أحد غيره يملك أى سلطة فى البلاد •

٤ – **الموقف البريطانى وضرب مدينة الأسكندرية :**

احتاج الإنجليز بعد التمهيد بالحريق الى شهر كامل لعمل المناورات السياسية والعسكرية اللازمة وتجميع للجنود من قواعدهم فى قبرص ومالطة •

ومنذ أواخر مايو ١٨٨٢ ، بدأت إنجلترا تعلن عن نيتها الأنفراد بالتصرف فى شئون مصر ، فقد بدأت فى حشد القطع البحرية بناء على طلب قائد أسطولها ، بحجة أن المصريين

---

(١) محمد صبيح ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ •

ينشئون مواقع لبطاريات المدفعية الساحلية تجاه قطع البحرية " البوارج " البريطانية .

ومن ناحية أخرى فقد أثارت عملية الحشد هذه ، شكوك فرنسا ، ومن ثم دعا المسيودى فريسنيية " رئيس وزراء فرنسا " – الدول الأوروبية الكبرى الى عقد مؤتمر للنظر فى المسألة المصرية (١) ، فلبى هذه الدعوة كل من انجلترا والمانيا وروسيا وايطاليا والنمسا ، أما تركيا ومصر فقد رفضتا الإشتراك فيه ، وكان من المهازل السياسية أن يجتمع مؤتمر دولى فى الآستانه دون أن تشترك فيه حكومة الأستانه ذاتها ، ودون أن تشترك فيه مصر .

عموما فالحقيقة الصارمة هى أن الإنجليز الذين بيتوا نيتهم لإحتلال مصر ، لم يكن يصعب عليهم تدبير الذرائع للتمهيد لذلك الإحتلال ، فاسطولهم رابض فى المياه المصرية والمدينة الكبيرة ، تطل عليه من مسافة قريبة ، والفريسة سهلة الإلتهام ...، وما عليها الا أن تبتدع الأسباب للتحرش الممهد لذلك الإحتلال .

٥ – **الموقف التركى** :

ذكرنا أن تركيا رفضت حضور المؤتمر الذى ينظر فى المسألة المصرية ، فكانت المهذلة أن تدرس أمور مصر فى غيبة منها ومن تركيا .

وليس هذا المظهر وحده هو الذى يدل على إضطراب السياسة العثمانية فى المسألة المصرية ، بل أن مسلكها كله كان من المتناقضات ... فبينما كانت تتظاهر بتأييد سلطة الخديوى إذا بالسلطان عبد الحميد يعلن عطفه على عرابى ويمنحه نيشانا رفيعا ، ثم إذا جد الجد ونشبت الحرب بينه وبين الإنجليز يطعنه فى الصميم بالإعلان عن عصيانه ، فكان هذا الإعلان من أكبر أسباب هزيمته وخذلانه ، فهذا التناقض والإضطراب جعل السياسة التركية عامل فساد إستخدمته بريطانيا لتحقيق أطماعها فى مصر .

(١) جاد طه (د.) : مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

وفى ٢٥ يونيو ١٨٨٢ ، أبرم المؤتمر العهد المشهور " بميثاق النزاهة " وقد وضعه المسيودى فريسينيه وعرضه على اللورد جرانفيل فقبلة وهذا نصه " تتعهد الحكومات التى يوقع مندوبوها على هذا القرار بأنها فى كل اتفاق يحصل بشأن تسوية المسألة المصرية الا تبحث عن احتلال أي جزء من أراضى مصر ولا الحصول على امتياز خاص بها ولا على نيل إمتياز تجارى لرعاياها لا يخول مثله لرعايا الحكومات الأخرى ٠ وقد وقع عليه أعضاء المؤتمر جميعا "٠ (١) واستمر المؤتمر يعقد جلساته على غير طائل ، وانجلترا تعد المعدات للقتال ٠ ولم يكن أسهل عليها من أن تخترع الوسيلة لإثارة القتال ٠٠٠ فقد أرسل الأميرال سيمور فى ٦ يوليو سنة ١٨٨٢ بلاغه الأول الى طلبه عصمت قومندان موقع الأسكندرية بالكف عن أعمال التحصين الجارية فى الحصون ٠ فأجابه طلبه فى اليوم ذاته بأنه لم يوضع أى مدفع جديد فى الحصون ولم يجر فيها أى عمل جديد (٢) وقد ذاع بلاغ الأميرال سيمور فى المدينة وتناقله الناس فأيقن العارفون بحقائق الأمور أن نذير الشر وأن الحرب واقعة لا محالة ٠ وأوعز قنصلا انجلترا وفرنسا الى رعاياهما الباقيين فى المدينة بالمبادرة الى الرحيل عنها فتسابقوا الى الهجرة والنزول الى السفن الراسية بالميناء - وبلغ عدد المهاجرين الأوروبيين من الأسكندرية قبل ضربها نحو ٩٩٪ من عددهم الأصلى ، وهاجر كثير من أغنياء المدينة الى داخل البلاد على أن معظم السكان الوطنيين بقوابها (٣) وفى ٩ يوليو إستمرت التحصينات المصرية فى الطوابى ، وركبت مدافع جديدة فى طابية السلسلة ٠

٦ - **اعداد العدة لضرب الأسكندرية بالأسطول الإنجليزى :**

كانت انجلترا تستعد للحرب قبل مؤتمر الآستانه وخلال إجتماعه وقبل أن يقر قراره بدعوة تركيا إلى إرسال جيش لها إلى مصر - أخذت تدبر الأسباب والدوافع للتعجيل بضرب الأسكندرية لكى تضع المؤتمر أمام الأمر الواقع وفى اليوم الرابع من شهر يوليه سنة ١٨٨٢

(١) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم الثائر أحمد عرابى ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٦، ص ص ١٣١-١٣٢ ٠

(٢) محمد فؤاد شكرى (د٠) : مرجع سابق ، ص ٢، ٤ ٠

(٣) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم الثائر أحمد عرابى ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٥٦، ص ١٤٤ ٠

قابل اللورد لاينس سفير إنجلترا فى فرنسا ، المسيودى فريسينيه رئيس الوزارة الفرنسية ، وأنهى إليه تعليمات حكومته الى الأميرال سيمور ، وسأله عما إذا كان فى نية الحكومة الفرنسية إرسال مثل هذه التعليمات الى الأميرال كونراد أمير الأسطول الفرنسى الراسى فى مياه الأسكندرية وكان هذا الأميرال قد أرسل برقية الى حكومته ينبئها بموقف الأميرال سيمور ويبلغها أنه لم يشاهد أى ترميمات فى الحصون ولم تكن فرنسا قد رسمت لنفسها خطة حيال هذا الموقف الجديد ، وأخيرا قررت الحكومة الفرنسية عدم مشاركة إنجلترا فى خطتها ، وحجته فى ذلك أن هذه الخطة تجر فرنسا الى عمل عدائى هجومى ضد مصر ، وهذا يخالف تعهد الدول فى مؤتمر الآستانه .

وتدل الدلائل على أن الحكومة البريطانية كانت مبيته نيتها على ضرب الأسكندرية وإحتلال البلاد مهما كانت الأسباب والملابسات ، وذلك قبل إختلاق حكاية ترميم الحصون ونتلخص فيما يلى :

أ - فى يوم ٢٢ يونيه سنه ١٨٨٢ عرض سفير انجلترا فى باريس على الحكومة الفرنسية الإشتراك فى إتخاذ وسائل عاجلة بقصد حماية قناة السويس ، ورفضت فرنسا ذلك بإعتبار أن إحتلال القناه عمل لا مسوغ له .

ب - يقول المستر بلنت أن وزارتى الحربية والبحرية فى انجلترا عقدتا النية منذ أوائل سنة ١٨٨٢ على مهاجمة مصر من ناحية قناة السويس ، وشاهد بنفسه الإستعدادات الحربية فى انجلترا فى شهر يونيه سنة ١٨٨٢ ، وكان يعتقد أن الغرض منها تقوية مركز انجلترا فى مؤتمر الآستانه ولكن تبين له فيما بعد أن الغرض منها مهاجمة مصر .

جـ - موقف إنجلترا فى مؤتمر الآستانه وإصرار اللوارد دفرين على وجوب التدخل فى شئون مصر لقمع الثورة وإضافته كلمة (الحالة القهرية) الى قرار الإمتناع عن التدخل المنفرد ، كما تقدم بيانه ، كل ذلك يدل على ما كانت تضمره إنجلترا من التدخل بمفردها .

د - منذ جاء الأسطول البريطانى فى مايو ١٨٨٢ ، تعاقد مع تجار الأطعمه على توريد المؤونه اللازمة للأسطول لمدة ثلاثة أشهر ، وليس هذا عمل أسطول جاء لوقت محدد بقصد حماية أرواح الأجانب ، كما قال الإنجليز عند حضورهم .

هـ - أرسل المسيودى فورج " قنصل فرنسا العام " الى المسيودى فريستينيه " رئيس وزراء فرنسا برقية من الأسكندرية فى ٢٨ يونيو ١٨٨٢ ، يقول فيها ، إن هجرة الأوروبيين مستمرة والشعور العام هنا أن التدخل الإنجليزى أصبح وشيكا ، ولم يبق فى القنصلية الإنجليزية سوى كاتبان يسجلان أسماء الإنجليز الذين يرغبون البقاء فى مصر كما أرسل برقية مماثلة قال فيها " كل الدلائل تدل على أنه سيقع عمل حربى عاجل من الإنجليز سواء باشتراكنا أو بدونه .

تدبير مذبحة الأسكندرية التى أوضحت نية إنجلترا فى احتلال الأسكندرية .

و - وفى أول يولية سنة ١٨٨٢ ، نقلت القنصلية البريطانية بأرشيفها وما بقى من موظفيها الى إحدى البواخر فى الميناء ، كما تدفقت اليها الرعايا البريطانيون التى إضطرتهم أعمالهم الى البقاء فى مصر . وفى نفس اليوم أبرق الأميرال سيمور الى مجلس الأميراليه البريطانية بأن بالحصون والثكنات المصرية بالأسكندرية أكثر من ١٠ الآف جندى ، وأن عرابى يسعى الى إيقاع الأسطول البريطانى فى الشراك بغلق مدخل الميناء وأن المصريين يقومون ببعض الترتيبات فى الحصون ويركبون بطاريات جديدة تجاه بوارجه .

ز - وفى ٣ يوليو تلقى الأميرال سيمور التعليمات الآتية " منع أى محاولة لغلق مدخل الميناء ، واذا إستؤنف العمل فى الإستحكامات الأرضية أو ركبت مدافع جديدة ، فأخطر القائد العسكرى بأن لديك الأوامر لمنع هذه الأعمال ، واذا لم تتوقف هذه الأعمال على الفور فدمر الإستحكامات الأرضية وإسكت البطاريات اذا فتحت نيرانها " .

ح - وفى يوم ٤ يوليه كانت رشوة الخديوى قد نالت أكلها من درويش باشا الذى دعا عرابى " وزير الحربية " الى التوجه الى الآستانه ليقيم بها مع السلطان والأصدقاء ، فرفض

عرابى . وفى نفس اليوم أرسلت الأميراليه البريطانية برقية إلى الأميرال سيمور هذا نصها " أخطر الحاكم العسكرى أن أى محاولة لغلق بوغاز الميناء سيعد عملا عدائيا سيقابل بما يجب نسق مسألة إعلان الأجانب الأوروبيين مع القنصل العام اذا دعت الحاجة الى ذلك (أدعو الأميرال الفرنسى قبل إتخاذ أى خطوة عدائية لتقديم معاونته ، ولكن لا تؤجل تنفيذ تعليماتك بسبب إمتناع الأميرال الفرنسى عن مشاركتك .

وعلى الفور إتخذ الأميرال سيمور عدته لتعزيز أسطوله باستدعاء المدرعة سلطان من مالطة . كما أنبأته المخابرات البريطانية بصدور الأوامر بتحرك كتيبتين من مالطة الى قبرص على ظهر سفن أسطول القتال الإنجليزى . كما نجح بالتعاون مع القائم بأعمال القنصل العام فى ترحيل جميع الأجانب تقريبا خارج البلاد حتى بلغ عدد المهاجرين منذ حوادث يونيو الى ما قبل الضرب نحو ٩٩٪ من عددهم الأصلى الذى يقرب من ١٦٢ ألفا . ولم يتبق أمامه لتنفيذ خطته الإ تراجع فرنسا عن الإشتراك فى مؤازرته .

وتهيأت له فرصته بإجابة المسيو فريسينيه وزير خارجية فرنسا على طلب اللورد ليونز " بأن الحكومة الفرنسية قد قررت عدم إصدار تعليمات الى الأميرال كونراد بالإشتراك مع الأميرال البريطانى فى إستخدام القوة لوقف إنشاء البطاريات المصرية أو وضع مدافع فى الإسكندرية ، لأن فرنسا رأت أن اتخاذ مثل هذه الخطوة ليس الا عملا حربيا لايمكن الإقدام عليه دون موافقة السلطة التشريعية التى يغلب ألا تقره بحال من الأحوال

ط - فى يوم ٥ يولية أرسل الأميرال سيمور الى حكومته ينبئها بأن أعمال التحصين مازالت مستمرة فى القلاع ، وقد أجابه طلبة باشا [١] فى اليوم ذاته بعدم إجراء أى تحصين أو إضافة مدافع جديدة .

ى - وفى ٦ يولية أبلغ السفير الفرنسى اللورد جرانفيل أن الأسطول الفرنسى سيتوجه إلى بورسعيد اذا ضربت الأسكندرية ، وفى نفس اليوم تمادى الأميرال سيمور فى تحركه

---

(١) طلبه باشا عصمت هو قومندان موقع الإسكندرية .

فأرسل الـــى طلبه باشا عصمت ، مــرة أخرى - بلاغا يهدده فيـــــه هــذا نصه " البارجة أنفسيل فى ٦ يوليه ١٨٨٢ : صاحب السعادة أتشرف بأخباركم أنى علمت من طريق رسمى أنه قد تم أمس تركيب مدفعين جديدين أو أكثر فى خطوط الدفاع القائمة على البحر وأن بعض إستعدادات حربية قد عملت فى واجهة الأسكندرية الشمالية تحديا للأسطول الذى تحت قيادتى فيجب على والحالة هكذا أن انبهكم إلى ضرورة وقف هذه الأعمال فإن لم تقف وتجددت يكون واجبا عى تدمير المعدات الجارى العمل فيها " ، ورد عليه طلبة باشا قائلا " صديقى الأميرال البريطانى ، أتشرف بأن أنبئكم بوصول خطابكم المؤرخ فى ٦ يوليه الذى تبين فيه أنه نما اليكم تركيب مدفعين وأن أعمال أخرى لازالت جارية على ساحل البحر ، وإجابة على ذلك أؤكد لكم أن هذه الأخبار ليس لها أساس وأن هذه المعلومات هى كنفس البلاغات التى نمت اليكم عن سد بوغاز الميناء والتى تحققتم كذبها ، وأنى لأعتمد على عواطفكم المتشبعة بروح الإنسانية ... " (١) هذا ولم يقتنع الأميرال سيمور بجواب طلبه باشا ، وهيهات أن يقتنع لأنه إنما يبغى من جوابه أن يختلق سببا مكذوبا ليتذرع به للضرب .

ك - علم القناصل بأن ضرب الإسكندرية واقع لا محالة قريبا فاجتمعوا فى يوم ٧ يوليه للتشاور لمنع القتال بأية وسيلة ورفض نائب القنصل البريطانى حضور الإجتماع - وقرر الحاضرون إرسال خطاب إلى الأميرال سيمور ، يسألونه إذا كان قد اقتنع بجواب الحكومة المصرية أم لم يقتنع وأنهم فى استطاعتهم أن يطلبوا من الحكومة تعديل الجواب المذكور بحيث يرضيه ويقنعه ، ولكن سيمور رد عليهم بجواب جاف يدل على تصميمه على ضرب الإسكندرية .

ل - واستدعى الخديوى السير أوكلاندكولفن المراقب المالى البريطانى وذكر له أنه قد أقر عزمه فى حالة ضرب الأسكندرية على الإعتصام مع درويش باشا بقصره على ترعـــة

---

(١) عبــد الرحمــن الرافعـــى : الثورة العرابيـــة والإحتـــلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ص ٣٧١ - ٣٧٣ .

المحمودية وأضاف قوله أنه كلما تمت هذه العملية على وجه السرعة كلما قل الخطـــــر المحيق بشخصه .

م - وفى ٩ يوليه " أبرق الأميرال سيمور الى الأميرالية البريطانية عن عزمه على اتخاذ الخطوات الإيجابية وفقا للخطة الموضوعه وفى هذه البرقية يقول [١] " إيماء الى برقيتى المؤرخه فى ٤ يوليه سنة ١٨٨٢ أقول أنه ليس هناك أى شك فى الإستعدادات الحربية ، وقد ركبت مدافع جديدة فى طابية السلسلة وسأرسل فى صبيحة الغد أخطارا الى قناصل الدول الأجنبية وأبدأ فى ضرب الإسكندرية بعد أربع وعشرين ساعة مالم تسلم الى الحصون القائمة فى شبه جزيرة رأس التين ، والحصون المشرفة على مدخل الميناء " وقد إستند سيمور فى برقيته الكاذبه العدوانية هذه على تصريح كاذب للفتانت دورين يدعى فيه رؤيته بعض الإستعدادات فى طابية السلسلة . . .

ن - وفى ١٠ يوليه أبرقت الأميراليه الى الأميرال سيمور طالبة منه استبدال كلمة " تسلم " بكلمات " تسلم مؤقتا لنزع تسليحها . وفى نفس اليوم أرسل سيمور الى طلبه باشا انذارا نهائيا يطلب فيه تسليم البطاريات المنصوبة فى الحصون القائمة بشبه جزيرة رأس التين على ساحل ميناء الإسكندرية الجنوبى [٢] وهـــذا نصـــه :

" أتشرف بإخبار سعادتكم أنه نظرا لأن الإستعدادات العدائية الموجهة ضد الأسطول الذى أتولى قيادته آخذه فى الإزدياد طوال يوم أمس فى طوابى فاروس والسلسلة ، فقد عقدت العزم على أن أنفذ غدا (١١ يوليه) عند شروق الشمس العمل الذى أعربت لكم عنه فى خطابى المؤرخ يوم ٦ - إن لم تسلموا إلى حالا ومؤقتا قبل هذه الساعة البطاريات المنصوبة فى شبه جزيرة رأس التين والشاطىء الجنوبى لميناء الإسكندرية لتجريدها من السلاح " .

وكان سيمور يعلم أن الإستعدادات المصرية مهما بلغت قوتها لن تهدد أسطوله القوى بالخطر وإنما كان هذا التدبير سبيلا إلى إحتلال مصر وتدمير الجيش المصرى المحتشد فى تلك الآونة فى منطقة الإسكندرية . .

---

(١) وزارة الحربية ، الحملة الإستعمارية البريطانية على مصر سنة ١٨٨٢ ، القاهرة ، وزارة الحربية كود ٦/١١، ١٩٥٦، ص٢٧

(٢) هى معظم حصون المدينة وتضم طابيه الفنار ، رأس التين والإستباليه ، طابيه صالح وطابيه أم قبيه ، والقمرية والبرج والمكس والدخيلة والعجمى . وانظر أيضا ملحق الخرائط خريطة رقم (٢) ، (٣) .

وكانت بوارج أسطول القتال البريطانى بقيادة الأميرال دويل فى طريقها الى الأسكندرية لتشترك مع أسطول سيمور فى عمله الأجرامى .

وإجتمع مجلس اللوزراء المصرى عقب تلقيه إنذار الأميرال سيمور ورأس الخديوى هذا الإجتماع فى قصر رأس التين ، وتقرر إرسال وفد الى الأميرال البريطانى لابلاغه بأنه لم تركب أية مدافع جديدة فى الحصون ، ولابلاغه وديا بأن المصريين ليسوا اعداء للإنجليز وأنه لايمكن سد البوغاز بالأحجار كما قيل وأما إنزال المدافع فهذا أمر لايمكن قبوله وإنما يمكن إجابة لطلبه وإنهاء للنزاع ، إنزال ثلاثة مدافع من ثلاثة طوابى وهى طابيه المكس وطابيه صالح وطابيه السلسلة ، وأن له إذا أراد إرسال أحد ضباطه للتأكد من صحة هذا البيان ورجع الوفد بعد مقابلة الأميرال الذى أصر على تجريد جميع الحصون وأضاف الى ذلك طلبه من الحكومة المصرية أصدار أمرا صريحا بتسليم حصون المكس والعجمى وباب العرب وماورا طابيه المكس من الأراضى لاتخاذها معسكرا للجنود الإنجليزية وإنه أن لم يجب الى طلباته باشر القتال عند طلوع شمس الغد .

س - عاود مجلس الوزراء إجتماعه فى المساء وقرر أن طوابى السلسلة وفاروس (قايتباى) وما بهما من مدافع على الميناء الشرقية لا تهدد بحال قطع الأسطول الموجودة فى الميناء الغربى وإرسال الخطاب التالى بعد الى الأميرال الإنجليزى ومراعاة عدم تبادل النيران مع الأسطول البريطانى اذا بدء عدوانه الا بعد انطلاق القذيفة الخامسة منه - وهذا نصه " الأميرال ... ، لم تعمل مصر شيئا يقضى بإرسال هذه الأساطيل المتجمعة ولم تعمل السلطة المدنية ولا السلطة العسكرية أى عمل يسوغ مطالب الأميرال الا بعض اصلاحات اضطرارية فى بنية قديمة ، والطوابى الآ ن على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل ، ونحن هنا فى وطننا وبيتنا ، فمن حقنا بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عدو مباغت يقدم على قطع أسباب الصلات السلمية التى تقول الحكومة الإنجليزية أنها باقية بيننا . ومصر الحريصة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أية طابيه دون أن تكره على ذلك بحكم

السلاح ، فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم وتوقع مسئوليات جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التى تنجم أما عن هجوم الأساطيل أو من اطلاق المدافع على الأمة التى تقذف فى وسط السلام القنبلة الأولى على الإسكندرية المدينة الهادئة مخالفة بذلك لاحكام حقوق الإنسان ولقوانين الحرب " .

ع - لم يكن أحد يجسر من الحاضرين حتى الخديو توفيق نفسه - الذى ألقى بنفسه فى أحضان الإنجليز على أن يصرح علانية بأنه كان هناك جواب آخر ممكن خلاف الرفض لمطالب سيمور المستحيلة هذا وقد تلقى عرابى أوامر الخديوى ، باعداد الحصون للقتال وإجابة مدفعيتها على مدفعية الأسطول بمجرد بدئها فى فتح النيران ، كما أرسلت التعليمات الى وكيل وزارة الحربية فى القاهرة بأن يعلن فى جميع المديريات أن الحرب قد تقررت والمبادرة الى استدعاء الإحتياطى وإنشاء كتائب جديدة من المستجدين ، ولم يكن الخديوى أمينا فى سياسته الحربية التى انتهجها فى المجلس ، ولم يتخذ هو وسلطان باشا هذا المظهر الوطنى الأذرا للرماد وتغطية لنفسيهما أمام الشعب اذا صمدت الحصون أمام الأسطول . ولهذا كان هدف توفيق هو البقاء مع الجانب الأقوى وفى اليوم السابق للضرب . زار القائم بأعمال القنصل البريطانى الخديوى وحثه على الإنتقال الى سرايا الرمل الواقعه على مسافة ٨ أميال شرق الإسكندرية .. وفى نفس اليوم قابل السيد كولفن الخديوى مودعا وحاول إغراءه على الإلتجاء الى إحدى البوارج البريطانية وبالفعل انتقل الخديو بموكبه الى سراى الرمل ليكون فى مأمن عن ضرب الأسطول البريطانى وبقى بها حتى نهاية هذا الضرب . ولقد ذكر الخديوى اللورد شارلس برسفورد الذى قاد المدرعة كندور . والذى تولى ادارة البوليس فى مدينة الإسكندرية عقب احتلالها ، إنه لجأ الى قصر الرمل ليراقب سير القتال وليرى بعينه من المنتصر ، وأنه قد بقى نهب الذعر والشك طوال يوم الضرب " وعندما تبين له فى المساء أن الأسطول البريطانى ظل سليما وأن الحصون قد دمرت - قرر أن يضع نفسه تحت حماية سيمور .

ف - واستعدادا لتنفيذ المخطط البريطاني ، نصح الإنجليز جميع القناصل الأجانب بمغادرة المدينة هم ورعاياهم ، ولجأ القائم بأعمال القنصل العام والسير أوكلندكولفن إلى البارجة مونارك ، كما لجأ بقية الرعايا البريطانيين إلى السفن البريطانية الجاثمة أمام الإسكندرية · وغادرت الميناء جميع السفن التجارية · وما أن هبط الليل حتى كانت السفن الحربية البريطانية هى السفن الوحيدة الباقية فى الميناء ·

ص - وفى الساعة ٢١٢٥ (التاسعة وخمس وعشرون دقيقة) مساء إنطلق الأميرال بسفينته انفلكسيبل والسفينة مونارك خارج الميناء وإطفئت جميع الأنوار وشقت السفينتان طريقهما الى البحر فى سكون تام ··· وفى الساعة ٢٢١٠ مساء وصلت السفينتان الى مكان مواجه للمكس حيث كانت السفينة بنيلوب فى إنتظارهما من قبل · وفى نفس الوقت " تأهبت البوارج الأخرى الجاثمة فى عرض البحر ومنها البوارج سلطان وسوبرب وتمرير والكسندرا وانفلكسيبل لبدء القتال ·

ق - عموما يتضح من الأحداث السابقة أن الإنجليز كانوا مصممين على إحتلال الأسكندرية حتى ولو أن مصر قررت التسليم بمطالب الأميرال سيمور ، فما كان التسليم يحول بين الإنجليز واحتلالهم للمدينة ، وكل ما كان يؤدى اليه التسليم أن يقع الإحتلال دون مقاومة من جانب مصر ولم يكن هذا موقفا مشرفا ، تقول هنا · أن الخطأ الذى وقع من جانب مصر لم يكن فى رفض مطالب " سيمور " ، بل الخطأ فى الإنقسام الذى كان واقعا بين الخديو والعرابيين ، فقد كان عليهم أن يتلافوا ذلك الإنقسام الذى أضعف الجبهة المصرية فى ساعة الخطر ، ولكن كلا الفريقين لم يبذل سعيا جديا فى تلافيه ، وكلاهما مخطىء من هذه الناحية ·

٧ -المقارنة بين القوتين المتحاربتين (المصرى والبريطانى) :

أ - الحصون المصرية والدفاع عن الأسكندرية :

كان بالإسكندرية عدة حصون تسمى (طوابى) ، وهذه الحصون كانت تمتد على شاطىء البحر من ناحية العجمى غربا الى أبو قير شرقا . وكانت حصون الإسكندرية الموجودة فى ذلك الحين ، تهدف الى وقاية المدينة من أى هجوم بحرى وبرى من إتجاه

بحيرة مريوط وقد وضع تصميمها فى باريس وتم تنفيذ بنائها تحت إشراف مهندسين فرنسيين وقد كانت أصلا قلاعا حصينة ، غير أنها لم تكن فى تلك الفترة على شيء من القوة أو المنعة لقدمها وكانت مبنية من الحجر الجيرى الذى لايقاوم المدفعية الحديثة . كما كانت الدراوى من الرمل المغطى بطبقة من الأسمنت ، ولم يكن هناك بناء واحد يستطيع مقاومة القنابل ولم تكن هناك بطاريات .. ذات نطاق واحد ال طابيه فاروس (قايتباى)، ويمكن اجمال حصون أو طوابى الأسكندرية فيما يلى :

(١) غرب الأسكندرية :

طوابى مارابوط أو المرابط وطابية العجمى البحرية وطابية العجمى القبيلية ومرسى القناة ثم يليها شرقا طابية الدخيلة .

(٢) جنوب غرب الأسكندرية :

قلعة المكس وكانت من أمنع القلاع ومهمتها الدفاع عن مدخل الميناء وطابيه المكس القديمة وخطوط المكس .

(٣) جنوب الأسكندرية :

طابية القمرية وأم كبيبة وصالح أغا وبطارية صغيرة بين البطاريتين الأخيرتين .

(٤) شمال الأسكندرية :

طابية رأس التين وخطوط رأس التين (بما فيها بطارية الإسبتالية) وطابية الأطه وطابية قايتباى (فاروس) ، وطابية السلسلة . ولم تشترك طابية العجمى فى القتال . ومهمة هذه الطوابى هى حماية المدينة من الجهة الشمالية الشرقية وحماية الميناء الشرقى – ويلى طابية السلسلة قلاع أبو قير وهذه لم تشترك فى القتال – وبداخل المدينة طابية كوم الناضورة وطابية كوم الدكة .

والجدول التالى يوضح قوة وتسليح هذه الطوابى

م	الطابية والبطاريـة	مدافع مششخنة	مدافع ذات مواسير ملساء	هاونات	اجمالى
١	طابية السلسلة	٢	٣	١	٦
٢	طابية قايتباى (فاروس) .	٨	٣٧	٤	٤٩
٣	طابية الأطه .	٥	١٤	٥	٢٤
٤	خطوط رأس التين .	٩	٣٠	١٠	٤٩
٥	طابية الفنار أورأس التين .	٦	٢٨	٣	٣٧
٦	طابية صالح أغا .	–	١٢	–	١٢
٧	بطارية صالح أغا .	–	٤	–	٤
٨	طابية أم كبيبة (قبيبة)	١٢	١٦	٢	٢٠
٩	طابية القمرية	–	٥	١	٦
١٠	خطوط المكس .	–	٢٤	–	٢٤
١١	طابية المكس .	٥	٩	٥	١٩
١٢	طابية المرابط (العجمى البحرية)	٣	٨	–	١١
	المجموع	٤٠	١٩٠	٣١	٢٦١ (١)

من ذلك يتبين أن هذه الحصون التى إنشئت فى عهد محمد على عدا طابية كوم الناضورة وكوم الدكة اللتان إنشئتا فى عهد الحملة الفرنسية وقلعة قايتباى المنشأة فى القرن الخامس عشر ، ولم تكن فى حالة حربية تجعلها ندا للأسطول البريطانى ، وأن أعمال الترميم المختلفة التى أجريت بها لم تكن كافية لخلقها من جديد .

(١) وزارة الحربية ، الحملة البريطانية الإستعمارية على مصر سنة ١٨٨٢ ، القاهـــــرة ، وزارة الحربية ، كـــــــود ٦/١١ ، ١٩٥٦، ص ٣٢ .

وكانت حامية الحصون مؤلفة من الآى طوبجية سواحل قوامه ١٧٦٢ جنديا بقيادة الأمير الاى اسماعيل صبرى ولم يزد عددهم يوم الضرب عن سبعمائة .

والجدير بالذكر أن معظم المدافع القصيرة المرمى لم تتحرك من موضعها منذ نحو ثمانى وثلاثين سنة حين ركبها لأول مرة جاليس بك مفتش الإستحكامات فى عهد محمد على ، أما المائة مدفع وواحد من مدافع الأرمسترنج من عيار تسع الى عشر بوصات فكان منها ٦٤ فقط مركبة فى مواقعها والسبعة والثلاثون الأخرى كانت ملقاه خارج مواضعها - أما ذخائرها فلم تنقل من مخازنها بالترسانة وكانت بالمدينة حامية مكونة من أربعة الآيات إثنان منها فى المدينة نفسها وهما الآلايات الخامس مشاة بقيادة الأمير الاى مصطفى عبد الرحيم برأس التين والسادس بقيادة الأمير الاى سليمان بك سامى داوود ويتألف من هذين الآلايين اللواء الثالث بقيادة خورشيد باشا طاهر والجميع بقيادة الفريق اسماعيل باشا كامل وأضيف اليهما الآيان بعد مذبحة الأسكندرية وهما الآلاى الثانى بقيادة خليل بك كامل والرابع بقيادة عيد بك محمد ويتألف من هذين الآلايين اللواء الثانى بقيادة طلبة باشا عصمت الذى عينه عرابى قائدا لموقع الأسكندرية وحاميتها .

وكان كل الآى من المشاة يتكون من ٣ آلاف مقاتل وبذلك يكون مجموعة حامية الأسكندرية يوم الضرب ١٢ ألفا من المشاة ، ٧٠٠ من المدفعية [١] .

ب - **الأسطول البريطانى** :

(١) كان الأسطول البريطانى مكونا من :

(أ) ثمان مدرعات كبيرة هى (الكندرا - انفلكسيل - سلطان سوبـــــرب - تمرير - انفسيل - مونارك - بنلوب) .

(ب) سفينة الطوربيد : هيكلا .

(جـ) سفينة الإستطلاع : هليكون

(د) سفينة المدفعية : (كوندور - بيترن) .

(هـ) قوارب المدفعية : (بيكون - سيحنت - ديكوى) .

---

(١) عبدالرحمن الرافعى : الثورة العرابية ، الإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ ، ص ٣٨٩ .

(٢) حمولة وتسليح سفن المدرعات وهى أقوى سفن البحرية البريطانية .

م	السفينة	عدد وعيار المدافع (مششخنة)	الحمولة	القوى	الأفراد
			طـن	حصان	
١	الكسندرا	٢ مدفع ١١ + ١٠ مدفع ١٠ بإجمالى ١٢ مدفع .	٩٤٩٠ طن	٨٦١٠	٦٧٤
٢	انفلكسيل	٤ مدفع عيار ٦	١١٤٠٧	٨٠١٠	٤٤٠
٣	سوبرب	١٦ مدفع عيار ١٠	٩١٧٠	٦٥٨٠	٦٢٠
٤	سلطان	٨ مدفع ١٠ + ٤ مدفع ٩ بإجمالى ١٢ مدفع	٩٢٩٠	٧٧٢٠	٦٢٠
٥	تيميرير	٤ مدفع ١١ + ٤ مدفع ١٠ بإجمالى ٨ مدفع	٨٤٥٠	٧٥٢٠	٥٣٠
٦	انفسيل	١٠ مدفع ١٠ + ٤ مدفع ٦٤ ط بإجمالى ١٤ مدفع .	٦٠١٠	٤٨٣٠	٤٨٠
٧	مونارك	٤ مدفع ١٢ + ٢ مدفع ٩ + مدفع ٧ بإجمالى ٧ مدفع	٨٣٢٠	٧٨٤٠	٥٣٠
٨	بنيلوب	٨ مدفع ٨ + ٣ مدفع ٤٠ ط بإجمالى ١١ مدفع	٤٣٩٠	٤٧٠٠	٢٣٠
	اجمالـى	٨٤ مدفع أعيرة مختلفة		(١)	

ملحوظة : لايتضمن هذا الجدول المدافع الأخرى المسلحة بهـا كل بارجة والتى تتراوح بين ٦- ٨ مدفع ٢٠ رطل ، من ٨-١٢ مدفع ماكينة .

---

(١) وزارة الحربية ، الحملة البريطانية على مصر سنة ١٨٨٢ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، كود٦/١١، ١٩٥٦، ص ٣٤ .

(٣) **أما بقية سفن الأسطول الصغيرة فهى** :

(أ) الهلكا : حمولتها ٦٤٠٠ طن وقوتها ٧٦ر١ حصان وبها ٢٥١ بحار ، ٦ مدفع ٠

(ب) ليهيليكون : حمولتها ١٠٠٠ طن - بها مدفعان ٢٠ رطل ٠

(جـ) أكلوندور - وبيترب : حمولة كل منها ٨٠٥ طن وقوتها ١٠٠ بحار وبكل ٢ مدفع ٦٤ رطل + مدفع ٧ + ٢ مدفع ٤٠ رطل ٠

(د) سيحنيت وديكوى - حمولتها ٤٥٥ ، ٤٣٠ طن على التوالى وبكل ٦٠ بحار ،٢مدفع ٦٤ رطل ،٢مدفع ٢٠ رطل ٠

وكان بهذه السفن نحو ٨٨٠ جندى من مشاه البحرية مما وصل بقوة الأسطول إلى ٥٧٢٨ فرد ٠

والأسطول بهذا التسليح كان أقوى سلاحا من الحصون وكان يفوقها في سرعة المناورة ، على خلاف مدافع الطوابى الثابتة ، وهى هدف واضح يسهل تدميره ، وهذا يدل على أن كفة الأسطول البريطانى كانت أرجح بكثير من كفة الحصون المصرية التى تفتقد إلى التعاون فيما بينها علاوة على القدرة على المناورة والمدى ٠

المبحث الثانى
العدوان على الإسكندريـــة

١ - **خطة سيمور لضرب الأسكندرية :**

أ - **تضمنت خطة سيمور لضرب الأسكندرية من إتجاهين منفصلين :**

(١) الإتجاه الأول :

وتقوم به بوارج سلطان وسويرت والكسندرا وإنفلكسيل وتمرير - مـــن خارج حاجز الأمواج ٠

(٢) الإتجاه الثانى :

وتقوم به بوارج إنفسيل ومونارك وبنيلوب على قرب من الشاطىء ٠

٢ - **ضرب الإسكندرية (١١- ١٢ يوليه ١٨٨٢)** [١] : " **خريطة رقم (٢)** :

أ - فى الساعة السابعة صباح يوم ١١ يولية ، أصدر الأميرال أمره للبارجة الكسندرا بفتح نيرانها على دفاعات رأ س التين (بطارية الإستبالية) وإبتدأ ذلك بإشارة للأسطول نصها " هاجم بطاريات العدو " وبدأت المعركة الدموية المدبرة الوحشية ، ففى الجانب البحرى البريطانى أسطول قوى لديه القدرة على المناورة واطلاق الدانات من مسافات بعيدة وعلى الجانب المصرى القلاع الضعيفة المستميته فى الدفاع التى إنعكست عليها أشعة الشمس فزادتها ظهورا ، خاصة مع إطلاق نيرانها ذات المدايات المحدودة والقصيرة صوب الأسطول البحرى البريطانى ٠

هذا ولم يقتصر الأسطول البريطانى على توجيه نيرانه على حصون المدينة ، بل صوب كثيرا من قنابله على المدينة ذاتها فى شدة وقسوة ٠ ولقد إعترف الإنجليز بقوة مقاومة القلاع المصرية وما أبداه جنودها من بسالة رائعة ٠

وعندما إطمأن الإنجليز الى بعد سفنهم عن مدى المدفعية الساحلية المصرية ، وقفت

---

(١) محمد صبيح ، مرجع سابق ، صـ ١٤٠ ٠ وكذلك انظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٢) ٠

بوارج السلطان وسوبرت والكسندرا وبدأت تسلط البوارج الثلاث نيرانها على طابية الفنارة من مسافة ١٥٠٠ ياردة . وركزت البوارج الأربعة انفلكسيل وسلطان وسوبرت والكسندرا نيرانها على قلاع رأس التين وأسكتتها تقريبا فى الساعة ١٢٣٠ ظهرا ، وفى نفس الوقت قذفت البارجة انفلكسبل طوابى المكس بنيران مدافعها الثقيلة .

أما البارجة (التمرير) فقد كانت تعاون هجوم جزء من الأسطول الداخلى فى نفس الوقت ضد بطاريات المكس على مدى ٣٥٠٠ - ٤٠٠٠ ياردة .

وحتى الساعة الثانية عشرة والنصف كانت طابية الأطة وقايتباى تبادلان الأسطول اطلاق النيران ، ولكن تمكنت نيران الأسطول من تدمير قلعة الأطة وإضطرت بقية حاميتها الى اخلائها ، نتيجة لنسف مخازن الذخيرة بها .

وفى الساعة الواحدة والنصف ، أوشكت ذخيرة الأسطول البريطانى على النفاذ ، نتيجة الإسراف فى استهلاك الذخائر وإستمرار قصف البطاريات المصرية لعدة ساعات متواصلة وما أن حانت الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثون حتى سكتت جميع البطاريات المصرية وتهدمت حصون الفنار ورأس التين والإسبتالية .

وبادرت البارجة تمرير الى مساعدة البارجة انفلكسيل فى قصف طابية قايتباى ثم إنضمت اليها البارجة سوبرت .

وصدرت الأوامر فى الساعة الثانية الى البارجة إنفلكسبل بالتقدم صوب طابية السلسلة - وفى الساعة ٥٥ر٢ أصابت بطارية الطابية البارجة إنفلكسبل وألحقت بهـــا بعض الخسائر .. وظلت هذه البطاريات فى صراعها مع قطع البحرية البريطانية حتى إنتهت ذخيرتها تماما فى الساعة الخامسة مساء .

وفى الساعة ١٥ر٥ مساء صدرت الأوامر بوقف النيران ، وتبعتها الساعة ٥ر٦ مساء إشارة بالقاء المراسى فى نفس مكان الليلة الماضية .

ب - أما القسم الآخر من الأسطول فقد إستمر فى فتح نيرانه على الأسكندرية تحت القيادة المباشرة للأميرال . فقد إشتبكت البارجة إنفسيل وموناركر وبنيلوب تعاونها إنفلكسيل

وتمرير على مدخل البوغاز مع بطاريات ودفاعات المكس من مسافة ١٣٠٠ - ١٥٠٠ ياردة ومع طوابى مرسى القناة وأم كبيبة من مسافات مختلفة ٠ وأجاب المصريون عليهم بفتح نيران البنادق والمدافع ذات المواسير الملساء (القواذف) ٠ وفى الساعة ٤٥ر٨ تمكنت البارجة مونارك من تدمير مخزن ذخيرة طابية الدخيلة ٠

هذا وتمكنت البوارج البريطانية من إسكات الحصون المصرية فى الساعة التاسعة صباحا فيما عدا مدافع طابية المكس التى قاومت ببسالة قطع الأسطول البريطانى ٠ إلى أن توقفت النيران من الدفاعات المصرية فى ذلك القطاع فى الساعة الحادية عشرة والنصف ٠

وفى مواجهة نيران طابية المكس ، إضطرت القواعد البريطانية أن تصوب جميع نيران قوارب المدفعية ومن البوارج مونارك وبنيلوب الى أن اضطر الجنود الى إخلاء مواقعهم ٠ وعلى الفور أرسلت القيادة البريطانية ببعض الجنود الذين تم انزالهم تحت ستر نيران قوارب المدفعية ، وقامت بتدمير معظم مواقع طابية المكس ٠ وهكذا توقفت نيران كل من بطاريات المكس والقمرية فى الساعة ٣٠ر٥ مساء ، وتوقف جزء الأسطول الداخلى عن الضرب تبعا لذلك بعد أن استمر الضرب عشر ساعات متوالية ، لم يصب فيها الأسطول بأكثر من ٥ قتلى ، ٢٨ جريح ٠

هكذا دافعت الحاميات المصرية عن الحصون دفاع المستميت ، وقام رجالها بواجبهم قدر ما إستطاعوا ، ولكن قوة الأسطول ومدافعه كانت لها الغلبة ، فتهدمت معظم الحصون ومساكن الأهالى وشبت النيران فى أجزاء كثيرة من الأسكندرية ٠

والجدير بالذكر ، هو وقوف الشعب الى جانب الجيش حيث تطوع الكثير من الأهالى لمعاونتهم فى نقل الذخائر ٠

كمية النيران :

نشرت مراجع كثيرة أجنبية وعربية عن ضرب الأسكندرية ، ويشير بعضها الى بيان الذخائر التى استهلكها الأسطول البريطانى فى تدمير الأسكندرية وهى :

٢١٩٨	من قذائف المدافع الكبيرة
٧١٠٠	من قذائف مترليوز جاتلنج

١٦٢٣٣ من قذائف نورد فغلت

١٠١٦٠ من قذائف بنادق مارتيني هنرى

٣٧ من الصواريخ

١٣١٨٥٦ رطلا من البارود

٣ - **قتال يوم ١٢ يولية :**

فى صباح يوم ١٢ يولية إستأنفت البارجتان انفسبل وتمرير ضرب الأسكندرية فى الساعة العاشرة والدقيقة الأربعين موجهة قنابلها الى طابية قايتباى وطابية الإسبتالية .

وطلب الأميرال سيمور من الحكومة المصرية إنزال جنوده من البحر الى البر وإحتلال ثلاث قلاع هى " العجمى والدخيلة والمكسى " - ولكن الحكومة المصرية رفضت هذا الطلب وقالت فى ردها " لايحق لمصر أن ترخص لجنود أجنبية بالنزول الى البر " .

وعلى هذا إستأنف الإنجليز الضرب فى الساعة الرابعة مساء وتوقف بعد ذلك بساعتين حين لم يجد إجابة من الحصون المصرية .

إستيقن العرابيون ، أن الإنجليز لا بد يحتلون الأسكندرية بعد أن دكوا حصونها وآثر عرابى انسحاب قواته من الأسكندرية ، وأمر سليمان سامى داود قائد الآلاى السادس جنودة باضرام النار فى المدينة أملا أن يحول دون نزول الإنجليز بها ، وإتخاذها قاعدة حربية لزحفهم فشبت الحرائق الهائلة يوم الأربعاء ١٢ يولية وأخذت النيران تمتد وتتفاقم حتى أصبحت الأسكندرية شعلة من نار ، ولم يعق هذا الحريق العقيم نزول الإنجليز الذين نزلوا إلى البر صباح اليوم التالى وإشترك فى الحريق بعض الأوروبيين أملا فى المطالبة بتعويضات باهظة بعد انتهاء الحرب وإشتركوا فى أعمال النهب والسلب . ويقول بلنت أن هذا الحريق ساعد عرابى على سحب قواته الى منطقة كفر الدوار وإستعادة روحها وكفاءتها المعنوية ، ويقول أن جيشه كان معرضا لقطع خط الرجعة عليه فى الأسكندرية وأنه كانت فى خطة البريطانين ولاشك مسألة ايقاع القوات المصرية فى الشرك ما أمكن .

ويلاحظ أن هناك خطأين من جانب القيادة المصرية ، الخطأ الأول هو إشعال الحرائق فى

الإسكندرية ، فقد كان الدخان عامل مساعد لستر نزول القوات البريطانية - الخطـأ الثـانى ، هو لماذا لم يبق عرابى وجنوده للدفـاع عن سواحل الأسكندرية وعن المدنية والمعروف أن الدفاع الساحلى والدفاع ضد المدن دائما ما يحدث أكبر الخسائر فى القوات المهاجمة والتى لن يستطيع أن يتقبلها الجانب البريطانى ، خاصة وأن الأسطول الإنجليزى لم يكن قد تلقى المدد بعد من جنود البر وكانت قواته قاصرة الى ذلك الحين على جنوده من البحرية الذين لايزيد عددهم عن ٥٧٠٠ مقاتل عموما ففى يوم ١٢ يولية بدأ عرابى فى إخلاء الأسكندرية من القوات المصرية ٠ وغادر هو الى (كنج عثمان) بالقرب من كفر الدوار وإتخذها مقرا لقيادته ، حيث أمر بإقامة الإستحكامات ، فباشر محمود باشا فهمى ومحمد بك شكرى تخطيط هذه الإستحكامات التى اتخذها الجيش المصرى معسكرا له وعرفت بمعسكر كفر الدوار ولقد حارب المصريون عدوا يفوقهم فى عدد وقوة مدافعه ويتمتع بخفة الحركة وواجهوا النيران الهائلة فى شجاعة فائقة إعترف بها الإنجليز أنفسهم ٠ ويقول الإنجليز إن قوة المدافعين المصريين التى قادها طلبة باشا لم تكن تقل عن ٢٠٠ جندى مدفعى وكان الإنجليز على علم تام بأوضاع الدفاعات المصرية وعلى بينة بأماكنها التفصيلية وقوتها ، فقد كانوا يعرفون مثلا أن المكس كان يقودها صاغ وتحت قيادته بوزباشى وثلاثة ملازمون و١٥٠ جندى ٠ وقد أصيب فى تلك الحامية ضابط بجراح خطيرة وقتل خمسون وجرح ثمانية وأربعون ٠وتعرضت طابية أم كبيبه لنيران إنفلكسبل طيلة الصباح وكانت مكونة من ٧٥ مدفعى يعاونهم كثير من المتطوعين المدنيين وقد جرح ١٨ فى هذه الحامية ، وبلغ مجموع خسائر المصريين فى القسم الجنوبى الداخلى من طابية صالح أغا إلى المرابط ٦٥ قتيلا ونحو ١٥٠ -٢٠٠ جريحا وفى الخط الشمالى للدفاع فى رأس التين وفى قلعة اطة قتل مالا يقل عن ٥٠ وجرح أكثر من ١٥٠ ، ومن الأهالى قتل أكثر من ٢٠٠ مصريا

إجمالى الخسائر المصرية :

قدر جون بنية عدد القتلى المصريين بنحو ٨٦٠ - وقدر الجنرال ستون الذى كان يعمل كرئيس لأركان حرب الخديو - الخسائر المصرية ب ٧٠٠ قتيل ٠

خسائر الإنجليز :

١ - **الكسندرا :**

أصيبت بنحو ٢٤ طلقة ، اخترقت قذيفة السفينة فوق درعها وإصطدمت بالدرع عدة طلقات وقذائف ، وأصيبت المدفعية الأمامية بثلاث طلقات بلغ مجموع الإصابات نحو ٦٠ إصابة .

٢ - **سلطان :**

أصيب بسبعة وعشرين إصابة ، أصاب منها اثنتان الدرع ونفذت قذيفة فى المدخنة الخلفية.

٣ - **سوبرت :**

أصيبت بأربعة عشر أصابة سبعة منها فى جسم البارجة وسبعة فى جزئها العلوى .

٤ - **بنيلوب :**

أصيبت بثمانية إصابات ثلاث منها بالدرع ، وأصيب مدفع ٩ رطل وماسورة مدفع ٨ بوصة.

٥ - **انفسبل :**

أصيبت باحدى عشر إصابة اخترقت ستة منها جنبها .

٦ - **انفكلسبل :**

أصيبت بسته إصابات ، أصابت واحدة منها الجزء الغير مدرع من جسم البارجة ودمر بعضها أجزاء البارجة العلوية .

أما الخسائر فى الأفراد فقدرت بنحو ٥ قتلى + ٢٨ جريح .

الإصابات التي لحقت بالطواب المصرية :

م	الطابيــــة	التأثـــــــــير
١	المرابط	احتراق مخزن صغير .
٢	العجمي	لم تصب بشيء .
٣	مرسى القناة (الدخيلة)	انفجر مخزن بارود بها .
٤	طابية المكس	أصيبت بعدة إصابات .
٥	حصن المكس القديم	دمر جانبه الخلفي تماما - ودمرت مخازنه ، والثكنات كانت خسائر الأرواح كبيرة + تدمير مدفـــــع ١٠ أرمسترنج ، مدفع ٩ + مدفع ١٠ ذو ماسورة ملساء + ٣ مدفع أرسترنج ٨(ولم تصب المدافع من عيار ٣٦ رطل .
٦	خطوط المكس	لم يلحق بها خسائر(مسلحه بمدافـــع ذات مواسير ملساء) .
٧	طابية القمرية	لم تصب باصابـــات كبيرة واصيب مدفـــع ١٠ " ذو ماسورة ملساء "
٨	أم كبيبة	أصيب بخسائر فادحة نتيجة للقنابل ٦ ودمر مدفع عيار ٣٦ رطل .
٩	صالح أغسا	إصابة مدفع ١٠ + مدفع ٥ر٦ ماسورة ملساء ودمـــر مدفع ٥ر٦ .
١٠	البطاريـــة المجاورة لصالح أغسا	أصيبت باصابات بسيطة .
١١	حصن الفنار (أو طابية رأس التين) .	دمرت الثكنات شمال الطابية تماما ، ودمـــرت الدراوى القائمة على الجانب الغربي بشكل كبير ، وأصيب الفنار بعدة قذائف وتحولت المباني المحيطة بـــه الى ضرائب وأطلال + تدمير ٢ مدفع عيار ٩ .

م	الطابيــة	التأثــير
١٢	خطوط رأس التين	كانت الخسائر كبيرة جدا فى الأرواح وتحول الجانب الخلفى للبرج الى خرائب وأصيب الكثير من مدافعه.
١٣	بطارية الإستبالية	تم تدميرها تماما بما فيها المدافع .
١٤	طابية الأطة	أصيبت الثكنات والمخازن وخاصة فى الجانب الشرقى بخسائر كبيرة وحدث خسائر كبيرة بالأرواح وإصابة ٢ مدفع ١٠ .
١٥	طابية فاروس (قايتباى)	تدمير البرج الغربى والمواجهة + الأجناب الجنوبية والشرقية للطابية تدميرا كاملا + خسائر كبيرة فى الأرواح .
١٦	طابية السلسلة	أصيبت باضرار محسوسة .

رواية عرابى عن الضــرب (١)

كتب عرابى عن هذه العملية الوحشية ما يلى " لايجهل أحد نتيجة ما كان من أمد هذه المخابرات فإن المدافع صبت على القلاع والحصون والترسانه وسراى ورأس التين ، وبالجملة على جميع أرجاء المدينة صباح الثلاثاء ١١ يولية سنة ١٨٢ ، ولم تجاوبها مدافع القلاع الا من بعد إطلاق مدافع الأسطول نحو ٢٠ طلقة ، ثم إستمر القتال بين الأساطيل الإنجليزية وقلاع الأسكندرية بعد ذلك إلى منتصف النهار ، ثم أخذت نيران الإستحكامات فى التناقض حتى تم تدميرها قبل الغروب وقد باغتنا الإنجليز بالعدوان على غير إستعداد منا ، وكان ضرر شظايا الأحجار المتناثرة من تأثير مقذوفات العدو عظيما أكثر من تأثير المقذوفات نفسها ، ومن المعلوم أن للأسكندرية عدة حصون وقلاع ومتاريس وأبراج مستديرة ولكن أكثرها مسلح بالأسلحة القديمة التى لاتصلح لمقاومة الدوارع الإنجليزية ، غير أن فى بعضها مدافع أرمسترونج وهى

(١) عبد الرحمن الرافعى الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٣١٥ .

وحدها الأسلحة النارية التى تصلح لخرق دروع السفن الإنجليزية ... إن مقذوفات المدافع القديمة كانت لا تصل الى السفن الإنجليزية ... وإن مدافع أرمسترونج لم يتوفر لها المساطر التى تضبط المسافات وتحكم الإصابة ، ولو كانت مدافع أرسترونج ذات مساطر لأمكنها تعطيل كافة المدافع الإنجليزية بما تقذفه من المقذوفات الصائبة " .

تعليق :

كان يمكن لعرابى أن يحرز نصرا على الأسطول لو أخذ المبادأة وضرب قطع الأسطول قبل خروجها الى البحر وهى فى مدى مرمى المدفعية خاصة أنه تاكد للقيادة المصرية أن الأسطول الإنجليزى سيضرب الأسكندرية .

رواية الإنجليز على ضرب الأسكندرية (١) :

يقول الإنجليز " إن هذه العمليات لم تؤثر أى تاثير مادى على الخطة العامة للحملة التى تقررت من حيث المبدأ قبل أن تنطلق قذيفة واحدة من سفنهم بالأسكندرية ، وكان القصف البحرى كما أراده الإنجليز فى ذلك الوقت وكما يدعون إجراءه يهدف الى وقاية الأسطول من الخطر الوشيك الذى يتهدده ، كما يغطون إثمهم بقولهم : إن كل المناقشات التى إثيرت من أن هذا القصف البحرى كان بداية مدبرة للحملة المصرية لاتقوم على أساس من الصحة ، لا لشىء الا لأنها لا تتفق مع الواقع فى شىء . فقد أبلغت السلطان البحرية أن الأسطول كان معرضا لأخطار جسيمة لا تترك مجالا لأى تأخير أو لأى إجراء آخر . ولم يكن إحتلال الأسكندرية أمرا يتفق وصالح العمليات الحربية على الإطلاق . وقد دفع الإضطراب الذى ساد المدينة الإنجليز دفعا الى احتلالها ... عندما حددت الأبعاد المخصصة للحملة فى الأصل كانت النية قد إنعقدت على تحرك الفيلق كله بفرقتيه الكاملتين إلى الإسماعيلية . ولم يكن تقرر مجال ما ، كما حدث فيما بعد ترك لواء كامل عاطل فى الأسكندرية أثناء سير الحملة فى الصحراء الشرقية " .

وكان لضرب الأسكندرية أثر سىء فى البلاد ، وإنتهزت الغوغاء فى بعض مدن الوجه البحرى فرصة إعتداء الإنجليز على الأسكندرية لينتقموا من الأوروبيين القاطنين فى تلك البلاد.

(١) وزارة الحربية : الحملة الإستعمارية البريطانية على مصر ١٨٨٢ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، كود ١١/٦/٠٦/١٩٥٦، ص ٤٨ .

تاثير ضرب الأسكندرية على مدن أوروبا :

إنسحبت فرنسا من الميدان وأمرت اسطولها بمغادرة الأسكندرية قبل الضرب ومعنى ذلك أن الحكومة الفرنسية تركت إنجلترا تفعل ما تشاء وتعتدى ذلك الإعتداء الغاشم على مدينة الأسكندرية .

وقوبل نبأ الضرب فى مؤتمر الأستانه بالفتور والجمود ، ولم يكن المؤتمر قد إنفض بعد ، ولو كانت الدول الأوروبية حريصة على الدفاع عن حقوق مصر بل عن الحقوق عامة ، لكان لضرب الأسكندرية صدى عاجل فى المؤتمر يحفزه إلى وضع حد لهذا الإعتداء ، ولكنه على العكس قابلة بالصمت والبرود ، ولم يبد أى اعتراض على انجلترا فى نقضها عهودها .

والأمر العجيب هو قبول تركيا الإشتراك فى المؤتمر المنعقد بالأستانة وقبولها أيضا إرسال قوات الى مصر وكانت هذه الأقوال مهزلة أخرى ، اذ لم تكن تركيا قد أعدت جيشا ما ، وأبطأت فى تنفيذ عزمها حتى إنتهت الحرب بهزيمة العرابيين ودخول الإنجليز القاهرة قبل أن يتحرك الجيش العثمانى الى مصر .

لماذا تدمير الأسكندرية ؟ :

هناك سؤال نطرحة وهو : هل كان هدم الأسكندرية ضرورة حربية ؟

الواقع ، فقد ثبت لنا أن الإنجليز خططوا أن يتم غزوهم لمصر وزحفهم الى القاهرة عن طريق قنال السويس ، أى من شرق الدلتا لا من غربها .. وقد أيد ذلك تقارير مخابراتهم التى نشرت فيما بعد ، وأيد هذا حضور ولسلى قائد الحملة جلسة لمجلس الوزراء البريطانى ، وشرحت خطة الغزو التى قد أعدت من شهور ، ويزيد فى بيان هذه الخطة أن " ولسلى " طلب من بين معدات الحملة ، قطارات سكة حديد وقضبانا يمدها فى المناطق الصحراوية بين قاعدة الغزو - الإسماعيلية - ووسط الدلتا حتى تيسر له إجتياح هذا القطاع ، كما يؤكد عزم الإنجليز على إتخاذ الطريق الشرقى لزحفهم هو إسراعهم منذ وصول الأسطول الى الأسكندرية ، فى إرسال بعثة الى البدو والأعراب على جانبى قنال السويس لرشوتهم وشراء تأييدهم .

اذن فالأسكندرية لم تكن طريق غزو .. وقد وجدوا عرابى أعد تحصينات ضخمة فى خط كفر الدوار ، وهو خط دفاعه الأول .. أى أنه كان مع رجاله يعلمون سلفا أن الأسكندرية لايمكن الدفاع عنها ، لوقوعها تحت مرمى قنابل الأسطول .

والواقع أن تدمير الأسكندرية جاء نتيجة دوافع تاريخية كانت تسيطر على الإنجليز ، وهم يقررون إرتكاب هذه الجريمة .. فمنذ خمسة وسبعين سنة ، وبقيادة فريزر إحتل الإنجليز الأسكندرية ، وحاول الإنجليز إحتلال رشيد والوصول الى القاهرة ، ولكن الشعب المصرى أوقع بهم هزيمة ضخمة تجلت فيها البسالة لأبناء مصر وإضطر الإنجليز الى الإنسحاب من الأسكندرية .. ومن ثم لم ينسى الإنجليز درس رشيد ، وما لم يتم تنفيذه عام ١٨٠٧ ، خططوا لتنفيذه عام ١٨٨٢ ، وهو تدمير الأسكندرية . اذا فتدمير الأسكندرية عملية انتقامية وليست عملية حربية .

الأعمال الحربية بعد قصف الأسكندرية (١) :

فى صباح يوم ١٣ يولية ، أوفد الخديو زهران بك الى الأميرال سيمور معلنا إتصاله به وإستعداده لمؤازرته . ثم إنتقل الى سراى رأس التين ليستقبله بها الأميرال سيمور بساحتها ومعه بعض الضباط الإنجليز وفرقة من جنوده .. وكان هذا بداية إنقسام الأمه على أمرها وظهور معسكرين متنافرين ، معسكر ضئيل يؤازر الخديوى ومعسكر الثورة الذى يضم اليه غالبية الشعب وحمل هذا الإنقسام فى اعقابه عناصر التفكك والرشوى وضعف بعض النفوس وفى نفس اليوم وصلت برقية الى سيمور تخوله .. نزول بحارته ومشاه بحريته الى المدينة لإعادة النظام بها " وبعد الظهيرة وفى المساء نزلت الى البر المشاه البحارة من المدرعات سويرب وإنفلكسبل وتمرير وإشيل وسلطان وتولى الكابتن فيشر من المدرعة انفلكسبل قيادة القوة كلها فى المدينة . وتركت المدرعات إنفلكسبل وتمرير وإشيلز فى مكان من البحر يواجة الرمل للسيطرة على طرق الإقتراب الأرضية المؤدية الى الأسكندرية من الجنوب والغرب .

وفى ١٤ يوليه ، أبحرت المدرعة بنيلوب وعليها الأميرال هوسكتس الى بورسعيد ، هذا وتم

(١) Manrice, J.F: Military History of the campaign of 1882 in Egpt . London, Ministry of War, 1987,P.14

توزيع القوات البريطانية فى مدينة الأسكندرية بالأماكن التالية :

فى محطـــة الرمــــــل :	مشاه بحارة المدرعة مونارك .
عند بوابة رشيـــــــد :	بحارة المدرعة تمـــرير .
عند بوابة محرم بــــك :	بحارة من المدرعة الكسندرا .
عند بوابة حصن كوم الدكـة :	بحارة من المدرعة سلطان .
عند بوابة عمود بومبـــى :	بحارة مــــن سوبرت .
عند بوابة القبـــــارى :	بحارة مــــن اشيلز .
فى محطة سكة حديد القبارى :	بحارة مــــن الكسندرا .
عند الضبطية والترســـان :	بحارة مــــن انفسبل .

وفى ١٥ يولية وصلت المدرعة مينوتور وعليها الأميرال دويل قائد أسطول المانش ونزل منها لواء من مشاه البحرية الى المدينة ، واحتل بعض جنود مدفعية الأسطول حصن نابليون ، كما احتل مشاه البحرية قلعة كوم الدكة . وقامت جماعة من المدرعة الكسندرا بنسف طابية السلسلة وبدأت عملية واسعة لنسف جميع المدافع القائمة على الساحل . ونزلت قوات من السفن الألمانية والأمريكية واليونانية الموجودة بالميناء الى المدينة للمعاونة فى إعادة النظام ، وعين اللورد شارلس برسفورد مديرا للبوليس ، وأصدر الأميرال سيمور أوامره فى اليوم التالى للبحارة الألمانيين والأمريكيين واليونانيين بالعودة الى سفنهم بحجة عدم الحاجة اليهم .

ومن ناحية أخرى فقد سرت اشاعة بين الإنجليز مفادها أن عرابى قد قرر الهجوم على المدينة وبادر الإنجليز الى انزال اعدادا كبيرة من جنود البحرية الى المدينة ومعهم المدافع الجاتلنج .

ومن الغريب أن تسرى هذه الإشاعة فى الوقت الذى كان يحاول فيه عرابى تعزيز مواقعه فى كفر الدوار بالفعل بادر الأميرال البريطانى فبعث برقية الى الأميراليه قال فيها " افادت التقارير أن عرابى متقدم نحو الأسكندرية ، لقد أبرقت الى بورسعيد لتحويل السفن القادمة من قبرص وتوجيهها الى هنا عند عودتها " .

وأدت هذه البرقية الى إبحار السير اليسون قائد المقدمة وقواته من بورسعيد الى الأسكندرية ووصولها يوم ١٧ يوليه .

وفى ١٦ يوليه أرسل الأميرال سيمور بناء على اقتراح من الخديوى توفيق سفينتين الى أبى قير للسيطرة على منطقتها إذا حاول عرابى هدم سدها وغمرها بمياه البحر .

توافد القوات البريطانية على الأسكندرية :

فى ١٧ يوليو أذاع الأميرال سيمور منشورا يدعوا إلى المحافظة على الأمن العام ، أعلن فيه أن الإنجليز مكلفون من الخديوى بالمحافظة على النظام وإنضم راغب باشا رئيس الوزراء الى جانب الإحتلال وفى نفس اليوم وصلت إمدادات الى الأسكندرية فقد وصلت القطعة البحرية " تامار " وعلى ظهرها ١٠٠٠ جندى من قبرص ، كما وصلت المدرعتان اجنكورت ونور ثمبرلاند من بورسعيد وعليها الآى ساوث سنتافورد شابر وقوته ٨٦٠ جنديا ، وكتيبة من الريفلز ٦٠ والسرية ١٧ مهندسين كما وصلت السفينة سلاميس وعليها السير أرشبالد اليسون وأركان حربه وتولى الجنرال قيادة القوات البرية التى بلغ عددها عندئذ ٣٧٥٥ جنديا يعززها ٧ مدافع ٩ رطل ، ٢ مدفع ٧ رطل ، ٦ مدفع جاتلنجر وأربعة أنانبيب صواريخ وفى نفس اليوم تقدمت قوات الكوماندور من قوة السفينة تمرير " إلى خارج الأسكندرية حتى وصل الى مسافة ٣٠٠ ياردة من موقع عرابى بكفر الدوار .

وكان فى إستطاعة السيرسيمور تعزيز قوة الأسكندرية بنحو ١٢٠٠ مقاتل إذا تعرضت لأى نوع من الهجوم وكان يمكن أن يحشد عند الضرورة ما يقرب من ٥٠٠٠ جندى .

ويقول الإنجليز أن الموقف فى الأسكندرية كان شاذا من عدة نواح فإن الضرورة التى أملت عليهم إحتلال الأسكندرية هى إستحالة تركها طعمة للحرائق فى ذلك الوقت لقد كان أمرا خارجا تماما عن نطاق العمليات الحربية المقترحة .. أمرا حدث فى فترة لم تقطع فيها المفاوضات مع القوى الأجنبية وخاصة تركيا - شوطا يبرر قيامهم بمثل هذه الحملة ولكن جيش عرابى الذى أثارته الحوادث الجديدة والذى لم يقهر بعد كان يرابط على بعد ١٤ ميل من الأسكندرية ولذلك كان من الواجب أن تكون القوة البريطانية الموجودة بالبر والتى لم تكن تقوم حتى هذه اللحظة الا بواجبات البوليس - فى حالة تمكنها من مواجهة أية محاولة يقوم بها عرابى ضد المدينة ولقد بادر الشعب الى التطوع فى صفوف الجيش المصرى وبدأت تزداد قوته وأصبح الموقع المصرى فى كفر الدوار منيعا ومجهزا لصد أى هجمات انجليزية .

موقف الخديوى بعد إحتلال انجلترا لمدينة الأسكندرية :

أراد الخديوى بايعاز من الإنجليز ، إيقاع عرابى فى الشرك ، فأرسل اليه فى ١٧ يولية تلغرافيا يلقى فيه مسئولية العدوان البريطانى على إستمرار الأعمال الجارية فى الطوابى وتركيب المدافع ويعلن فيه أن الأميرال سيمور لا يضمر عداء لمصر وأن الحكومة البريطانية ليست بينها وبين الحكومة الخديوية خصومة أو حرب وأن سيمور مستعد لتسليم مدينة الأسكندرية الى جيش مصرى منظم ومؤتمن ولذلك إذا حضرت عساكر شاهانية فالحكومة الإنجليزية تحترمهم وتسلم اليهم المدينة ، فليست بينها وبين مصر حالة حرب ، ويأمره فيها بصرف النظر عن جميع الجنود وعن كافة الإستعدادات الحربية والحضور على الفور الى سراى رأس التين لإعطاء التنبيهات المقتضبة الشفاهية على حسب أمر الخديوى ، هذا ما إستقر عليه رأى مجلس النظار [1] ومن البديهى أن الخديوى أراد إيقاع عرابى فى الشرك بهذه البرقية وإستدراجه الى الأسكندرية تمكينا للإنجليز من القبض عليه وأسره .

وتنبه عرابى الى المؤامرة وأرسل الى الخديو برسالة تلغرافية [2] شرح فيها وجهة نظره أوضح فيها أن الأسباب التى توجب إستمرار الدفاع لازالت قائمة وأن قرار المجلس على رفض مطالب سيمور ولو أدى ذلك الى الحرب وزيادة خمسة وعشرين ألف جندى صدرت الأوامر الى المديريات بطلبهم وأن هذه القرارات إنما إتخذت لتمسك الخديوى ودرويش باشا بها وأن حالة الحرب تعد قائمة تستوجب إستمرار الإستعداد وأنه لا يمكن العودة الى الأسكندرية والقوات البريطانية تحتلها ويستحسن حضور الوزراء أو رئيس الوزراء الى مركز الجيش للمداولة حتى يمكن على ضوء الحقيقة نفسها صرف الجنود والكف عن الإستعدادات الحربية والحضور الى الأسكندرية .

وبادر عرابى فاتهم الخديوى بموالاه الإنجليز وحذر جميع المديريات والمحافظات من الوقوع فى حبائله وطلب من يعقوب سامى باشا وكيل وزارة الحربية عقد جمعية عمومية من الذوات

---

(١) نص الرسالة ، الوقائع المصرية ، عدد ١٨ يولية سنة ١٨٨٢ .

(٢) نص الرد ، الوقائع المصرية ، عدد ١٨ يولية ١٨٨٢ .

والأعيان والعلماء لاصدار ما تراه من قرارات فى هذا الشأن هكذا إتهم عرابى الخديو بالخيانه صراحة .. وطلب عقد جمعية عمومية للنظر فى أمر خلعه وانتقلت السلطات العامة الى هذه الجمعية التى عرفت باسم " المجلس العرفى " والتى إجتمعت يوم الإثنين ١٧ يولية وعددهم ٤٠٠ عضو فقررت الإستمرار فى الإستعدادات الحربية طالما بقى انجليزى واحد فى أرض أو مياه مصر [١] وأخذ المجلس العرفى يعقد إجتماعاته يوميا بوزارة الحربية برئاسة يعقوب سامى باشا ليتخذ ما يراه لازما من القرارات وصارت فى يده سلطة الحكم فى البلاد حيث تولى إدارة شئون الحكومة والمحافظة على الأمن والنظام وإتخاذ التدابير العسكرية للدفاع عن البلاد

الخديوى يعزل عرابى

أجاب الخديو على رد عرابى وعلى قرار الجمعية العمومية بالمبادررة باصدار أمر فى ٢٠ يولية بعزل عرابى من وزارة الحربية والبحرية وتعيين عمر باشا لطفى محافظ الأسكندرية بدلا منه وبنى أمر العزل على مخالفة عرابى لأوامره ومداومة الإستعدادات الحربية [٢] وأذاع هذا الأمر على شعب الأسكندرية وأهالى القطر المصرى وناشد الشعب بالإنضمام تحت لوائه لمناصرة الجيش الإنجليزى والإمتناع عن معاونة العرابيين فلم يؤثر ذلك على مشاعر الأمة التى إنضمت كلها إلى جانب عرابى وأيدت حكومة الثورية الشرعية .

كما جاء قرار الجمعية العمومية يوم ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ بعدم قبول قرار الخديوى بعزل عرابى وأصدرت أوامرها بوقف أوامر الخديو ونظاره وعدم تنفيذها [٣] .

استمرار التعزيزات البريطانية فى الأسكندرية :

فى الوقت الذى استمرت فيه التعزيزات البريطانية بالأسكندرية بدأت المخابرات البريطانية فى تجميع المعلومات عن الدفاعات المصرية بكفر الدوار وقدرت حجم القوات بنحو ٦٠٠٠ مقاتل مدعمة بست بطارية مدفعية (مدفعية مششخنة) وبطارية جاتلنج وعدد ٣٠٠ مدفعى بحرى . دفاعات كفر الدوار [٤] .

---

(١) نص القرار ، الوقائع المصرية ، عدد ٢٠ يولية ١٨٨٢ .

(٢) الوقائع المصرية عدد ٢١ سبتمبر ١٨٨٢ .

(٣) نص القرار ، الوقائع المصرية ، عدد ٣١ يولية ١٨٨٢ .

(٤) إنظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٣) .

وفى ١٨ يوليه وصلت سفينة نقل الجنود أورونت من مالطة ولكنها وصلت دون جنود وفى نفس اليوم تولى الجيش البريطانى مهمة الدفاع عن الأسكندرية تساندة مشاه بحرية فى بوابة رشيد وبعض جنود البحرية المسلحين بمدافع جاتلنج وبادر الإنجليز الى تعزيز الدفعات عن المدينة المحتلة ٠

وتمت هذه العملية فى ١٩ يولية وأصبحت دفعات الأسكندرية مهيأة لمواجهة أى هجوم يقوم به المصريون ٠ وفى ٢٢ يولية قامت قوة إنجليزية بنسف الخط الحديدى أمام مواصلة الملاحة من ناحية القوات المصرية إلى الشرق تسترها قوة مكونة من بعض سرايا البنادق وأربعة مدافع بحرية ٠

ويتضح من الخريطة رقم (٣) أنه طالما بقيت كل من بحيرة مريوط بحيرة أبو قير عائقا يحول دون التقدم فمن التعزر الإقتراب من الإسكندرية إلا من جهات ثلاثة ضيقة ٠

١ - المنطقة الضيقة الممتدة بمحاذاة ساحل البحر من مدينة أبو قير ٠

٢ - العمق الواقع بين البحيرتين من الدلتا مباشرة ٠

٣ - طريق المكس المتجة من الصحراء الغربية ٠

وكان الطريق الأوسط وهو أهم هذه الطرق الثلاثة لإتصاله المباشر بالمواقع المصرية - ممرا ضيقا يتكون أساسا من جسر الخط الحديدى وشاطىء ترعة المحمودية فقد كانت بحيرة مريوط حينذاك على جانبى جسر الخط الحديدى وحتى ضفتى الترعة ولم يكـــن قاع بحيرة أبو قير مغطى بالمياه وكان من المتعذر سير المدفعية فى أى جزء من أجزائها لكنه لم يكن عائقا لتقدم المشاه والفرسان ٠

المبحث الثالث

معارك الميدان الغربى

(محور الاسكندرية - كفر الدوار)

عام

١ - تمركزت القوات المصرية فى كفر الدوار وتم إقامة الإستحكامات ، وأخذت طلائع العرابيين تناوش الإنجليز فى ضواحى الإسكندرية ، ولم يكن الجيش الإنجليزى قد أمن مركزه فى الثغر بل كان يتوقع أن يهاجمه العرابيون بعد أن يلموا شملهم عقب الهزيمة الأولى ، فأخذ الإنجليز يحصنون إستحكامات المدينة ووضعوا الحرس على مداخلها وكانت طلائع المصريين ترابط فى الرمل وتستعد لمناوشة الأعداء وإستمر الإنجليز يلزمون خطة الدفاع فى الإسكندرية وينتظرون وصول الإمداد وفى ١٧ يوليه جاءهم عدد من ٢٧٠٠ مقاتل ، وجاء إلى الإسكندرية الجنرال ألتسون (ALTSON) فتولى قيادة الجيش البريطانى فى المدينة حتى يحضر القائد العام الجنرال ولسلى ، وكان عدد الجيش البريطانى فى الإسكندرية حينئذ ٣٦٨٦ مقاتلا (عدا جنود الأسطول) ، ثم جاءهم عدد آخر قوامه ١١٠٨ مقاتل من مالطة وجبل طارق - فاحتل الإنجليز الرمل فى ٢٣ يولية . ثم أخذ المدد الأكبر يتحرك من ميناء ولوتش بإنجلترا فى أواخر يولية قاصدا مصر وأصدرت الملكة فيكتوريا أمرا فى ٢١ يوليه بتعيين الجنرال السير جارنت ولسلى قائدا عاما لجيش الحملة عل مصر .

٢ - كان تقدير موقف زعماء الثورة ألا يتخذ الإنجليز قناة السويس ميدانا للزحف أو للحركات الحربية ، إحتراما لحيدة القناة ولكن العارفين بالحقائق كانوا على يقين أنهم لايراعون للقناة حرمة ، كما لم يرعوا حرمة المعاهدات فى ضربهم الإسكندرية فكانت خطتهم أن يهاجموا من ناحية الإسماعيلية متجهين من طريق الزقازيق إلى القاهرة ، قال الكولونيل سبتان /Septans فى هذا الصدد إن وزارة الحربية الإنجليزية رأت منذ ٢٨ يونيه (أى قبل ضرب الإسكندرية) ضرورة إحتلال قناة السويس وترعة الإسماعيلية وأخذت تدرس الوسائل لتحقيق هذا المشروع ، وأن الزحف على القاهرة من طريق الإسماعيلية إنما كان خطة مرسومة قبل بداية القتال ،

وكان هذا رأى الجنرال ولسلى في الإجتماع الذى عقدته الوزارة الإنجليزية يوم ٣٠ يونيه سنة ١٨٨٢ وعرض فيه ولسلى خطة الحرب فارتأى وجوب إتخاذ الإسماعيلية قاعدة للزحف على القاهرة وطلب لذلك إمداد الحملة بالقطارات والعربات والقضبان الحديدية والمهندسين والعمال الفنيين لإستعمال الخطوط الحديدية من الإسماعيلية إلى القاهرة وقد إستقر رأى وزارة الحربية البريطانية على إتباع هذه الخطة للأسباب التالية :

أ - أن الإسماعيلية هى منتصف الطريق بين بورسعيد والسويس ، وهى المكان المعد لنزول الجنود الآتية من البحر المتوسط ومن الهند .

ب - إن الخط بين الإسماعيلية والقاهرة لايزيد عن ١٥٠ كيلومتر فى حين أن الخط بين الإسكندرية والقاهرة يبلغ ٢٠٨ كيلومتر .

جـ - إن فيضان النيل يغمر الدلتا فى شهور أغسطس وسبتمبر وأكتوبر فيعوق التحركات الحربية فيها .

د - إن الصحراء بين الإسماعيلية والعاصمة أنسب من الدلتا للزحف لأن هذه فيها من الترع والجسور ما يمكن إتخاذه معاقل وحواجز طبيعية تصد الزحف ، يضاف إلى ذلك أنه إذا إنتصر الجيش البريطانى مرة واحدة فى الصحراء فحينئذ يسهل على فرقة الفرسان أن تصبح بعد قليل على أبواب العاصمة .

هـ - إن الزحف من الإسماعيلية يحمى قناة السويس حيث الميدان فسيح للنقل البحرى ويقول الكولونيل سبتان ، إن إختيار هذا الطريق فى الزحف ظل أمرا مكتوما ، وبذلت هيئة الأركان حرب الجيش البريطانى جهودها لكتمانه مموهة بأنها ستتخذ الإسكندرية قاعدة للزحف لكن تشغل العرابيين عن تحسين مواقعهم بالميدان الشرقى (١).

---

(١) عبد الرحمن الرافعي : الثورة العربية والاحتلال الانجليزي ، القاهرة الدارة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ص ٤٤٥ ، ٤٤٩

الخطة المصرية للقتال:

عين عرابى بعد القصف البحرى للإسكندرية محمود فهمى باشا رئيسا لأركان حرب الجيش وهو من خيرة المهندسين الحربيين المصريين وكانت خطته كالأتى :

١ – **تنظيم الدفاع عن مصر عموما :**

الأول : فى كفر الدوار .

الثانى : فى رشيد .

الثالث : بين رشيد وبحيرة البرلس .

الرابع : فى دمياط

الخامس : فى الصالحية والتل الكبير للدفاع عن القناة .

كما إقترح رئيس الأركان :

أ – القيام بسد ترعة الإسماعيلية لمنع وصول المياه العذبة إلى مدن القناه « بورسعيد والإسماعيلية والسويس » .

ب – سد قناة السويس ذاتها لمنع الإنجليز من إتخاذها قاعدة عسكرية ولمنع أى إتصال بين القوات البريطانية الآتية من البحر المتوسط والقوات الآتية من الهند – وإستحالة الوصول إلى الإسماعيلية عن طريق القناة . وعندئذ يضطر الجنرال ولسلى إلى المغامرة بزحفه صوب القاهرة فى صحراء لاماء فيها ولا كلأ ، أو يهاجم من طريق الدلتا فتعوق الترع والجسور زحفه وخاصة أيام الفيضان .

لكن عرابى لعدم خبرته الكافية بأسلوب إدارة الحرب ، وإستنادا على وعد من ديليسبس بحياد القناة ، لم يوافق على المقترحات السابقة وكانت النتيجة المعروفة فيما بعد .

٢ - تنظيم الدفاع فى الميدان الغربى:

بعد إنسحاب القوات المصرية من الإسكندرية ، تم تعزيز المواقع فى الإتجاه الغربى بإنشاء عددا من المواقع القوية فى منطقة كفر الدوار وعددا آخر من المواقع بينها وبين منطقة الرمل خاصة فى الرقعة المستطيلة الواقعة بين بحيرة أبو قير وبحيرة مريوط : (١)

وإمتازت هذه الدفاعات لبعدها عن مدى مدفعية الأسطول البريطانى كما تم تنظيم الدفاع بحذاء جسر الخط الحديدى ، وفى العمق منطقة الدلتا لمواردها الإدارية والبشرية ومواصلاتها الجيدة مع القاهرة .

ونظمت المواقع فى ثلاث خطوط دفاعية متتالية يفصل كل منها عن الآخر ٤ - ٥ كيلومتر ويسترها خندق عمقه خمسة عشر قدما وأقيمت النقط القوية على جميع المرتفعات والتباب ، وجهزت الدشم بنحو خمسين مدفعا .

وكذلك تم تنظيم الدفاع للقيام بالهجمات المحلية المضادة وبذلك تتيسر الحيوية والنشاط لهذه الدفاعات .

عموما فقد إمتدت سلسلة الدفاعات فى منطقة كفر الدوار إبتداء من عزبة خورشيد حتى كفر الدوار نفسها ، وأنشىء الخط الدفاعى الخلفى فى كفر الدوار فى المنطقة الممتدة من ترعة المحمودية إلى الملاحة ، كما إمتد الخط الدفاعى الأمامى عند عزبة خورشيد فى المنطقة الممتدة بين ترعة المحمودية وسد أبو قير ، كما تم إقامة سد أعلى ترعة المحمودية عند (كنج عثمان) وأدى هذا إلى نتيجتين خطيرتين أولهما قطع المياه العذبة عن الإسكندرية ، وثانيهما إحداث فيضان صناعى غمر جبهة الموقع الدفاعى كله تقريبا ، كما أدى حلول فصل الصيف إلى جفاف قاع بحيرة مريوط تدريجيا .

وبهذا إرتكزت المواقع الدفاعية المصرية على بحيرتى أبو قير ومريوط وأدى ذلك إلى منعتها وقوتها (٢).

---

(١) انظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٣)

(٢) ساهم أكثر من ٥٠٠٠ رجل من أهالى مديريات البحيرة والغربية والمنوفية ، فى بناء هذه الدفاعات التى وقفت فى وجه الإنجليز حتى نهاية الحملة .

الخطـة البريطانيـة:

١ – **في ٢١ يوليـة** ، أرسل السيـد أرشبـالد أليسون الآيين من المشـاه وكتيبة من الفرسـان خـارج منطقـة الرمل في إتجـاه المواقع الدفـاعية وتقـدمت تلك القـوة حتى تل وابور المياه ، وهو مـوقع مشـرف على المنطقـة ، ويمكن منه رؤية الخطوط المصرية في كفـر الدوار . وبهذا تمت سـيطرة الإنجليـز على المنطقـة الوحـيدة التي يمكن منهـا لعرابي الزحف مـباشـرة من خطوطه على الإسكندرية لمناعة الدفاعات المقامة به ، و غمر جسري ترعة المحمودية والسكة الحديد بالنيران (المسافة من الرمل إلى بوابة رشيد من ٣,٥ – ٤ أميال) – وأمـا طريق الاقتراب المتجة من منطقة أبوقير فقد سيطرت عليه نيران الأسطول سيطرة تامة وسدت دفاعات القباري طريق التقدم من ناحية المكس ، وعلى ذلك فإن إحتلال البريطانيين لتل الرمل قد أتم سلسلة الدفاعات عن الإسكندرية .

٢ – **وفي صبـاح ٢٢ يوليـة** ، دفـعت القيـادة البريطانيـة بقـوة من ٢٥٠ جنديا من المشـاه المسلحـة بالبنادق إلى وراء – مـواصلة الملاحـة على طريق سكة حـديد القـاهرة ، فـتصـدت لهـا قـوات الفرسان المصرية وبادلتها النيران ، وإستطاعت القوة البريطانية نسف الخط والإنسحاب إلى مواقعها . كما قام الإنجليز بدفع دورية قوية إلى الرمل .

ونظرا لإنتشـار المنشآت والمساكن في تلك المنطقـة ، فـقـد قـرر السيـر أ. أليسون دفـع خطه الدفاعي للأمام حتى الموقع الذي تقرر إحتلاله .

٣ – **وفي يوم ٢٣ يوليـة** تم وصول قوات بريطانية جديدة على سفينة نقل الجنود مالابار من جبل طارق ومالطا بقوة ، الكتيبة الثانية المشاه الخفيفة من مشاه الدوق أوف كرنول .

ونصف كتيبة من آلاي سكس وبطارية مدفعية بإجمالي ما مجموعه ١١٠٨ مقاتل وفي ٢٤ يوليو . ثم دعم الخط الدفاعي عند الرمل بقوة الكتيبة الأولى ساوث ستافورد والكتيبة الثالثـة كنجـز

رويال ريفلز والمشاه الراكبة + ٢ مدفع بحرى ٩ رطل + ٢ مدفع بحرى ٧ رطل .

كما إستولى الإنجليز على فنطاس وابور المياه القائم فوق التل ، وإحتلوا التل الممتد من السراى إلى ترعة المحمودية وأقاموا خط نقط خارجية على كوبرى السكك الحديد وأمام منحنى ترعة المحمودية .

وبمجرد إستيلاء القوات البريطانية على هذا الموقع ، تقدمت قوة صغيرة من الفرسان المصرية ومعها قوة من المشاه نحو كوبرى السكة الحديد عبر الترعة حتى مسافة ٤٠٠ ياردة من الموقع الإنجليزى ، وبعد تبادل إطلاق النيران بين الجانبين تراجعت القوة المصرية على ترعة المحمودية ثم عاود المصريون تقدمهم بقوة كبيرة من الفرسان يدعمها مدفعان وإشتبكت مع البريطانيين وإستمر القتال لنحو ساعة حتى توقفت .

هكذا تمكن الإنجليز من إحكام قبضتهم على الرمل وبدأو فى تعزيز مواقعهم وإتخذوا من نقطتيى وابور المياه والفنطاس القائم خلفه على التل المرتفع - مركزا للدفاع عن الإسكندرية كخط أول للدفاع - ثم أنشأوا الخط الثانى خلفه بنحو ٤ - ٥ كيلو متر ووضعوا فيه قيادتهم وحفروا الخنادق ، كما تم تدعيم هذه المواقع بعدد ٥ مدفع ٤٠ رطل + ٢ مدفع ١٢ رطل ووضع فى العمق ٢ مدفع ٩ رطل بحرية ، كما تم إنشاء ، الخنادق إلى الشرق والغرب من المواقع وإستندت أجنابها على بعض النقط الدفاعية ، كما تم تجهيز الدفاع فى منطقة قصر أنطونياس ANTONIAS للسيطرة على طريق الإقتراب من ناحية جسر السكة الحديد . وإنشئت كبارى مؤقتة على ترعة المحمودية .

والجدير بالذكر أن القيادة البريطانية إستطاعت أن تجهز قطارا مصفحا كان له أثره وقيمته فى المعركة ، جهز القطار بألواح جيدة وأكياس الرمل ووضعت المدافع بالعربات (مدفع نيو ردفلت + ٢ مدفع جاتلنج + مدفع ٩ رطل) - وجهز القطار بعدد ٢٠٠ جندى مسلحين بالبنادق خلف أكياس الرمل والألواح الحديدية .

٤ - **في يوم ٢٩ يولية** قامت القوات البريطانية بإصلاح الخط الحديدى من مواصلة الملاحة والذى سبق تدميره بواسطة القوات المصرية . وتقدمت قوة بريطانية مشكلة من سرية من المشاه الراكبة و٢ سرية من مشاه البحرية وسرية مشاه يعاونها القطار المصفح تجاه النقط الخارجية المصرية والتى شكلت من كتيبة مشاه وكتيبتين من الفرسان سرعان ماتم تعزيزها بقوة أخرى قوامها كتيبتين من المشاه . عموما إستطاعت القوات البريطانية إصلاح الخط الحديدى ، وبهذا أمكن تسيير القطارات دائريا على الخط الرئيسى بين محرم بك على خط القاهرة الإسكندرية الحديدى والموقع الأمامى بالرمل .

وبهذا إتصل موقع الرمل بمدينة الإسكندرية بخط سكة حديد ، وبدأ السير المنظم للقطارات بين الرمل والإسكندرية .

٥ - **وفي ليلة ٣١ يولية** قام بعض الأعراب بمهاجمة المواقع الأمامية البريطانية بالرمل وكذلك موقع أخر للمشاه على ترعة المحمودية وأجبروا هذا الموقع على التراجع نحو محطات الطلمبات نحو ميل فى الخلف ولكن الإنجليز تمكنوا من إستعادة الموقع مرة ثانية .

إجمالى حجم قوات الجانبين :

١ - إجمالى حجم القوات البريطانية :

٢ فرقة من المشاه + ٤ آلاى حرس + فرقة من الفرسان + فرقة مهندسين عسكريين + دعم من المدفعية - إجمالى القوة ٠٠, ٦٠٠ ,٥٠ مقاتل .

وتولى قيادة القوات البريطانية السير جارنت ولسلى وتولى رئاسة الأركان السير جوان إيداى .

٢ - **إجمالي حجم القوات المصرية :**

لم يزد حجم القوات المصرية عن ١٩,٠٠٠ مقاتل موزعين كالآتى :

عدد ٨٠٠٠ مقاتل فى كفر الدوار .

عدد ٣٥٠٠ مقاتل فى أبى قير .

عدد ٢٥٠٠ مقاتل فى رشيد .

عدد ٥٠٠٠ مقاتل فى دمياط .

شكلت فى ٨ الآى من المشاة + ٣ الآى من الفرسان + ٢ الآى من الطوبجية البرية + ٣ الآى من الطوبجية الساحلية + فرقة من رجال المهندسين العسكريين .

٣ - ومن مقارنة القوة البريطانية بالقوة المصرية نجد أن قوة الإنجليز تتفوق على القوة المصرية بنسبة ٢,٦ : ١ .

٤ - ومن ناحية أخرى فقد أصدر عرابى منشورا بتجنيد ٢٥ ألفا من الخفراء ولكن بطبيعة الحال لم يتسع الوقت لتجنيد هذا العدد ، وكذلك تم تطوع الأهالى لإمداد الجيش بالمؤنة والعتاد (١) .

العمليات على الميدان الغربى :

إتخذ الإنجليز كافة الإجراءات السابقة فى الإسكندرية تأمينا للدفاع عنها ضد هجمات القوات المصرية ، كل ذلك فى نفس الوقت الذى تتابعت فيه الأحداث التى هيأها الإنجليز لتدبير عملياتهم الحربية ضد مصر . وفى ٢١ يوليه قرر وزير الحربية البريطانية بعد إستشارة القائد العام ، إستدعاء القوات الإحتياطية التى تم تسريحها فى السنتين الماضيين ، وأرسلت برقية فى نفس اليوم إلى السير أ . أليسون ، أعلن فيها عن إرسال فرقتين من إنجلترا إلى قبرص ومالطا وأرسلت الأوامر الإنذارية فى ٢٤ يوليه إلي كل من السير ب . سيمور والسير أ . أليسون للإستعداد للإستيلاء على بورسعيد والإسماعيلية ونفيشة وتمشيا مع سرية الخطة البريطانية وقد أحيطت بستار من الكتمان حتى لايتسرب شيء عن إتجاه الهجوم الرئيسى

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ص ٤٩٠ ، ٣٧٠ .

الذى تقرر من القيادة البريطانية ، وفى ٢٧ يوليه وافق مجلس العموم البريطانى على إعتماد مبلغ ٢,٣٠٠,٠٠٠ جنيه للحملة العسكرية ضد مصر .

ولاشك أن رفع الجانب الفرنسى يده عن المسألة المصرية أخلى الجو تماما للأطماع الإستعمارية البريطانية وتهيأ لها العمل وحدها فى مصر ، وتقرر على الفور البدء بتنفيذ الحملة ضد مصر والتى وضعت على ضوئها جميع الإستعدادات ، وتم تخطيط خداعى ناجح لإتجاه عمل القوات البريطانية على أساس جهودها الرئيسية ستكون فى إتجاه الإسكندرية ، وبالفعل تم نجاح القيادة البريطانية فى جذب إنتباه عرابى ودفعه إلى الإعتقاد بأن كل القوة البريطانية الموفدة إلى مصر ، قد أعدت لتعزيز القوات البريطانية فى الإسكندرية وأن إتجاه الحملة هو الهجوم على مواقعه فى كفر الدوار وصدرت الأوامر إلى السير إرشيبالد بمداومة إزعاج قوات عرابى ، بمايؤدى إلى إعتقاد عرابى بأن القوات البريطانية فى الإسكندرية تعمل على تمهيد الطريق تأهبا لهجوم رئيسى على كفر الدوار ، وأثار الإنجليز الإشاعات عن مثل هذا الهجوم عن طريق مراسلى الصحف الأجنبية .

هذا وقد ساهم المسيو ديلسيبس فى تلك الناحية مساهمة كان لها شأنها الكبير إذ بمجرد علمه بميل المصريين إلى قناة السويس ، بادر إلى معسكر عرابى وأكد أنه إذا لم يمس القناة فلن تشترك فرنسا ولاإيطاليا فى الحرب كما أكد له أن القوات البريطانية لن تجرؤ على غزو المنطقة . (١) ، وقد كان لهذا التأكيد أثره فى الإستراتيجية الدفاعية المصرية حينذاك ، فقد أهملت القيادة المصرية الميدان الشرقى ، ولم تبادر إلى تعزيز قواتها فى ميدان القنال (السويس - الإسماعيلية - بورسعيد) وكل ماحدث هو أن اللجنة العسكرية المقيمة بالقاهرة أقرت فقط إنشاء خطوط دفاعية جديدة فى منطقة القناه ، وتم حشد قوات مصرية تتمركز بالقاهرة لهذا الغرض تحت قيادة محمود باشا سامى ، وصرفت القيادة المصرية نظرها عن سد القناه من أقصى الشمال حتى لاتمر بها السفن البريطانية إلى الإسماعيلية وأخطأ عرابى خطأه الثانى الكبير بإغفاله هذه الإستراتيجية الخطيرة .

---

(١) وزارة الحربية : الحملة الاستعمارية البريطانية على مصر سنة ١٨٨٢ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، ١٩٥٦ ، كود ١١/٦ ، ص ص ٦٤- ٦٥

معارك الميدان الغربى:

في ٢ أغسطس فاجأت الفرسان المصرية النقط الخارجية البريطانية بعد تقدم ليلى وأضطرتها إلى التراجع من مواقعها ، وقد أوقد هذا الإنتصار جذوة الحماس فى مصر ، غير أنها مع الأسف ركزت الإهتمام فى الميدان الغربى .

١ - معركة الرمل (١) :

فى يوم السبت ٥ أغسطس ١٨٨٢ ، تحرك السير أرشيبالد بقوة كبيرة نحو المواقع المصرية ، ويقول التاريخ الرسمى البريطانى لتغطية مامنيت به هذه العملية من فشل بأن السير أرشيبالد لم يقم بهذه العملية إلا ليتحقق بنفسه من صحة تقارير الأهلية له عن عزم عرابى الإنسحاب من منطقة كفر الدوار ، وليلقى فى روع المصريين أن الهجوم البريطانى الحقيقى سيوجه إليهم من الإسكندرية ، ويقول الإنجليز إنهم قد وضعوا خطتهم للتقدم بعد منتصف النهار حتى يتيسر أرشيبالد التراجع تحت ستر الظلام لأن قواته كانت دون القوات المصرية عددا ... وأصدر أرشيبالد أوامره تبعا لذلك بتأهب القوات المعدة للهجوم فى مواقعها إعتبارا من الساعة ١٦٣٠ وتقدمت القوة فى قولين (رتلين) :

أ - **الرتل الأيسر** : بقيادة اللفتنانت كولونيل تاكويل (بقوة ١٠٠٠ مقاتل) وكان مكونا من

الكتيبة الأولى عدا سرية من الآى ساوث ستافورد .

والكتيبة الثانية عدا سرية دوق أوف كورنوول مشاه خفيفة .

الكتيبة الثالثة : كنجز رويال ديفلز . مدعمة بعدد ٢ مدفع بحرى ٩ رطل .

ب - **الرتل الأيمن** : بقيادة السير أ. أليسون بقوة نحو ١٠٠٠ مقاتل ويتكون من مدفعية مشاه البحرية الملكية .

المشاه الخفيفة لمشاة البحرية .

القطار المصنع بتسليحه + مدفع بحرى ٩ رطل .

---

(١) انظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٣)

وحددت مهمته فى التقدم بالقطار إلى مواصلة الملاحة ، يسبقه القطار المصفح وكان على القطار الوقوف فى مواصلة الملاحة حيث ينزل منه مشاه البحرية ويتقدمون بمحاذاة السكة الحديد يعززهم المدفعيات ٩ رطل ويغطى تقدمهم مدفع ٤٠ رطل بالقطار - كانت الأرض الواقعة وراء مواصلة الملاحة بين ترعة المحمودية وخط السكة الحديد كثيرة المبانى والحدائق يكتنفها عدد من القنوات والحفر ، وبها أقام المصريون خط نقطهم الخارجية التى يريد الإنجليز مهاجمته . وكان الموقع قويا يزيد من منعته أن ترعة المحمودية تضطر المهاجم إلى تقسيم هجومه إلى قسمين لا يمكن إتصال أحدهما بالآخر إلا عبر الترعة وفى صعوبة .

وكان فى إستطاعة المصريين دحر الرتل الأيسر قبل أن يستطيع الرتل الأيمن مساعدته . وتقدم الرتل الأيسر فى الساعة ١٦٤٥ بمحاذاه جانبى ترعة المحمودية ، وتقدم الرتل الأيمن بمحاذاه الطريق الحديدى وقد سعى كل رتل بدوره أثناء تقدمه إلى تهديد أجناب النقط الأمامية المصرية ورغم الدور الكبير الذى قام به القطار المصفح أثناء القتال فلم يؤثر ذلك فى شىء على مقاومة كثير من المواقع المصرية .

بدأ الرتل الأيسر تقدمه فى النقط الأمامية بالرمل فى الساعة ١٦٤٥ ، متقدما علي كلا جانبى ترعة المحمودية وسرعان ما إتصل به المصريون الذين إتخذوا مواقعهم فى أحراش نخيل على الضفة الشرقية للترعة وفى أحد المنازل المحصنة والحدائق على الجانب الغربى من الترعة ولم تكن نيران المواقع المصرية جيدة التصويب ، حيث إستطا ع البريطانيون الإستيلاء على هذين الموقعين الأماميين .

وإحتل المصريون موقعا آخر على مسافة نصف ميل خلف الموقع الأول وعلى الشاطىء الشرقى للقناة بين المزروعات والمنازل . وبعد قتال دام بعض الوقت تراجع المصريون من هذا الموقع وتقول الرواية البريطانية أن الجنرال أليسون ، رافق الرتل الأيمن وأن هذا الرتل تقدم مستترا بجسر السكة الحديد إلى الغرب ، وتحرك فى سرعة ليقطع خط الرجعة على القوات

المصرية المشتبكة مع الرتل الأيسر ، وسرعان ما إكتشف المصريون تقدم هذا الرتل وصبوا عليه نيرانا حامية من المدفعية . وهرع أليسون إلى النقطة التى يقترب فيها الطريق الحديدى من الترعة وفتح الإنجليز نيرانهم على جسر السكة الحديد على القوات المصرية المدافعة على جسرى الترعة وإشتبك المدفعان ٩ رطل مع المدفعية المصرية ، كما وجهت نيران المدفع ٤٠ رطل على المواقع المصرية . وبعد أن ثبت الجنرال أليسون جانبه الأيمن على كلا جانبى الجسر ، دفع بسريتين لإقتحام مبنى على مقربة من الترعة ، وأعقب ذلك بدفع أربع سرايا على اليسار على كلا جانبى الترعة ، ويقول الإنجليز ، أن الرتل الأيسر الذى صدرت له الأوامر لإحتلال المبنى إلتبس عليه الأمر وأخطأ قائده الكولونيل تاكويل فى تنفيذ هذا الأمر ظنا منه أن المبنى الذى وصلته قواته هو المقصود وأدى ذلك إلى تعرض يسار مشاه البحرية وباءت العملية بالفشل وأرسلت الإشارات للجناح الأيسر ليواصل تقدمه ، غير أن دخان المعركة حال دون فهم المقصود منها ، وحاول القائد البريطانى مستميتا التشبث بالمكان الذى وصلت إليه قواته حتى هبط المساء ...وقد إلتحم المصريون بقواته بالسلاح الأبيض وكبدوها خسائر فى الأرواح والعتاد .

وهكذا تراجع الإنجليز بعد قتال دام ثلاث ساعات ونصف أمام عنف المقاومة المصرية ، وقد إنطلقت قوات من والفرسان المصرية بقيادة خورشيد باشا طاهر من منطقة أبو قير الدفاعية لتهديد الجناح الأيسر للهجوم البريطانى . وبادر الرتل الأيمن فى سرعة إلى ركوب القطار عند مواصلة الملاحة موليا الأدبار إلى الأسكندرية ، وتقهقر الرتل الأيسر فى نفس الوقت على جانبى ترعة المحمودية صوب الرمل .

وبادر المصريون فى اليوم التالى إلى إنشاء مواقع دفاعية فى المندرة بين الرمل وأبو قير ،غيرأن نيران الأسطول إضطرتهم إلى ترك هذه المواقع .

وتروى المصادر الانجليزية «أن السير أرشيبالد قد حقق غرضه وإستغل هبوط الظلام للإنسحاب من أرض المعركة دون التأثير على معنويات جنوده لتراجعهم أمام المصريين فى أول إشتباك لهم . ولم يعرف الإنجليز فى ذلك الحين مدى الأثر الذى خلفته عملياتهم فى تلك المنطقة فى نفس عرابى وما هى معلوماته الحقيقية عن قواتهم التى هاجمته فى معركة الرمل . غير أنهم عرفوا من تقرير رسمى بعثة عرابى إلى القاهرة ثم أرسل بدوره إلى الآستانة من أن الجناح الأيسر البريطانى كان مكونا من ثلاث كتائب من المشاه وثلاث كتائب تدعمهم أربعة مدافع ، وأن الجناح الأيمن كان مكونا من ثلاث كتائب من المشاه وبطارية مدفعية وبينما قلب هجومهم مكونا من الآى من الفرسان . ويقول التعليق الإنجليزى الرسمى عن تلك المعركة « لقد مست تعليقات الصحف الأوروبية عن المعركة عاطفة الشعب البريطانى ، تلك الصحف التى كانت فى جهل تام بالخطة البريطانية المقدرة للحملة وطبيعة أرض الحملة التى أدت إلى إختيار طريق الإسماعيلية » . فإن هذه الصحف كانت تتوهم دائما أن هناك ترتيبات تتخذ للقيام بزحف مباشر من الإسكندرية إلى القاهرة ... وأن هذه المناوشات التى لا هدف لها ، وقد أظهرت أن القادة الإنجليز لم يكونوا على معرفة بما يدور حولهم ولم تكن لهم خطة محددة ثم يقولون " ربما كان عزاؤنا أن هذه التعليقات ذاتها بوصولها إلى المعسكر المصرى خلال عدد من المصادر ، كانت أثمن ما يمكن أن تساهم به هذه الصحف فى معاونتنا فقد ساعدوا على خلق ستار رائع تطورت ونفذت من ورائه الخطة التى بقيت دائما موضع النظر منذ ٣ يولية .

٢ - موقعة عزبة خورشيد :

فى المصادر المصرية تفصيل عن موقعة دارت فى عزبة خورشيد يوم ٧ أغسطس لم تؤيدها ولم تذكرها التقارير الرسمية التاريخية البريطانية لهذه الحملة . وتقول المصادر المصرية أن الإنجليز عاودوا هجومهم على مقدمة الجيش المصرى فى كفر الدوار فى ثلاثة أرتال تقدم الأيسر منها فى الرمل على جسر ترعة المحمودية ، وتقدم الأيمن منها بطريق السكة الحديد من القبارى وتقدم القلب من طريق كوبرى المحمودية . وإرتطموا بالمواقع المصرية التى صمدت لهجومهم .

وبرز فى تلك المعركة البكباشى محروس بقيادة كتيبة مشاه ، وهاجم ميسرة الإنجليز ووقف فى وجه القلب والجناح الإنجليزى الأيمن البكباشى محمد فودة ومعه كتيبة أخرى من المشاة ، وحين إشتد القتال فى تلك المنطقة جاءت الإمدادات بقيادة القائمقام أحمد عفت قائد المقدمة ثم وصلت إمدادات أخرى مؤلفة فى كتيبة يقودها البكباشى سليمان تعيلب والبكباشى زرق الله حجازى .

وتولى طلبه باشا قيادة الجيش وإستمر القتال أربع ساعات إنتهت بتراجع القوات البريطانية واقتفى المصريون أثرهم حتى حجبهم الظلام .

وإستشهد فى تلك المعركة من المصريين تسعة جنود وضابط صف وضابط وجرح إثناعشر جنديا وضابطان أما الخسائر الإنجليزية فقد قاربت الخسائر المصرية عددا ولم تنشرها الوقائع البريطانية .

منشور يؤيد به الخديوى الإنجليز :

على أثر هاتين الموقعتين أصدر الخديوى منشورا بتاريخ ٧ أغسطس سنة ١٨٨٢ ، حذر فيه المصريين من الإنضمام إلى صفوف الجيش العرابى ، متهما عرابى بالعصيان ملقيا عليه تبعة الأحداث التى وقعت فى الإسكندرية وغيرها وتوعد من يؤازره باقصى الجزاء ، وبادر فأرسل كتابا إلى القائد الإنجليزى يهنئه فيه بإنتصاره الموهوم على الجيش المصرى فى الموقعتين السابقتين .

٣ - معركة ١٩ أغسطس ١٨٨٢ :

فى يوم السبت الموافق ١٩ أغسطس ١٨٨٢ ، تحركت قوة كبيرة من الإنجليز ، جاء جانب منهم بالقطار المسلح من جهة القبارى وجانب آخر من جهة الرمل ومحطة السيوف وحجر النواتية ، فلما وصلت القطارات إلى مقدمة الجيش المصرى ، قامت القوات المصرية علـى الفـور بضرب

القطارات ودارت معركة شديدة بينهم وبين المصريين صدتهم القوات المصرية ومنعتهم من التقدم بعد أن كبدتهم خسائر كبيرة .

دام القتال ثلاث ساعات حتى غروب الشمس إنتهت بإرتداد الإنجليز إلى الإسكندرية . (١)

وفى أيام ٢٠ ، ٢١ ،٢٢ أغسطس هاجم الإنجليز مواقع الجيش المصرى فى كفر الدوار ، إنتهت بفشل الهجوم وإرتداد الجيش الإنجليزى .

عموما تعتبر معارك الميدان الغربى فى جملتها فوزا للعرابيين لأن الإنجليز لم يحققوا أي نجاح ، وفشلوا دائما وإرتدوا إلى الإسكندرية بعد كل فشل .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي القاهرة ، الدار العربية للطباعة والنشر ١٩٦١ ، ص ص ٤٥٧ ٢٧٠ - ٢٧١

القسم الثالث

القتال والمعارك فى الميدان الشرقى وهزيمة الجيش المصرى

القسم الثالث

القتال والمعارك فى الميدان الشرقى و هزيمة الجيش المصرى

(أغسطس - سبتمبر ١٨٨٢)

أهمل عرابى الدفاع عن البلاد من ناحية الشرق ، فلما جاء الجنرال ولسلى إلى الإسكندرية كان أول عمل حربى له هو تدبير الزحف على العاصمة من ناحية قناة السويس .

ولو أن عرابى بادر عندما نشبت الحرب إلى سد قناة السويس ، لعجز الجنرال ولسلى عن الوصول بجيشه إلى الإسماعيلية وإتخذها قاعدة للزحف ، ولكنه لم يفعل ، فى الوقت الذى إجتمع فيه المجلس الأعلى العسكرى فى أوائل يوليو للنظر فى أمر القناة فقد أجمع رأى المجلس الأعلى على وجوب تعطيلها بحيث لايستطيع الجيش الإنجليزى إجتيازها والوصول إلى الإسماعيلية ، وكان الحزم والحكمة يقتضيان بأن يبادر عرابى إلى سد القناة وعدم الإستماع إلى نصيحة المسيو فردينان ديليسبس [١] ، وذلك قبل أن تبدأ حركات الإنجليز العدائية من ناحية الشرق ، لأن الإنجليز الذين خرقوا حرمة المعاهدات الدولية ونقضوا عهودهم فى مؤتمر الأستانة منذ بدء القتال بضربهم الإسكندرية ثم إحتلالهم إياها ، لم يكن من المنتظر أن يحترموا حياد القناه ، ومن هنا كان خطأ عرابى فى مسألة القناة العامل الأكبر لإنتصار الإنجليز فى معارك الميدان الشرقى وإحتلالهم للقاهرة . لقد مهد عرابى بعمله هذا وإحجامه عن سد قناة السويس إلى حصول الجنرال ولسلى على نصر من أسهل ماعرف فى تاريخ المعارك العسكرية فى هذا الوقت . [٢] هذا ولم يكتف الإنجليز بإحتلال القناة وإتخاذ الإسماعيلية قاعدة لزحفهم ، بل إستعانوا بسلطان باشا على رشوة البدو القاطنين غربى القناة بين الإسماعيلية والصالحية وماحولها لمساعدتهم فى هذا الزحف .

كان سلطان باشا يرافق الجيش الإنجليزى نائبا عن الخديو ليقدم له كل المساعدات تمكينا له من الزحف ، وبالفعل إتخذ الإنجليز مرشدين وأدلاء من البدو والزحف والتحرك فى تلك المناطق الصحراوية ، فنجحوا فى تحقيق المفاجئة ، لسرعة المناورة فى تلك الأراضى ، التى كانت لها أثر كبير فى هزيمة القوات المصرية .

---

(١) أرسل ديليسبس تلغراف إلى عرابى يقول فيه « لم يدخل البريطانيون إلى القناة بحال ، فلا تحاول أن تنتهك حرمة قناتى فانا هناك ولن يجرؤ أى جندى بريطانى واحد على النزول إلى البر مالم يكن مصحوبا بجندى فرنسى » - يرجع إلى محمد فاضل ، قصة الإحتلال البريطانى ، القاهرة ، مطابع الأندلس ، بدون تاريخ ، ص ٩٧ .

(٢) كان جون بينيه صديقا لعرابى ولازمه فى بداية القتال .

القسم الثالث

المبحث الأول

إحتلال القوات البريطانية لمنطقة القناة

بدء الإحتلال البريطاني للقناة:

في ٢٧ يوليه وهو اليوم الذى أعتمد فيه مجلس العموم البريطانى المبالغ اللازمة للحملة مرقت السفينة "أوريود" البريطانيةداخل قناة السويس متجهة صوب الأسماعلية مؤيدة التخويل الصريح الذى أصدرة الخديوى بأحتلال أنجلترا للقناة ، وأعلن مسيو دلسبس عن أحتجاجه على هذا التصرف وفى ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٢ وصل الأميرال هويت الى السويس يقود أسطولا حربيا مكونا من أربع سفن خفيفة ودعاه محافظ المدينة إلى إعلان ولائه للخديوى فأذعن له ، وفى نفس الوقت رسى الأميرال هو ستكس بثلاث سفن حربية فى منطقة بور سعيد وفى ٢ أغسطس إحتلت قوة من مشاة البحرية البريطانية مدينة السويس وإحتلوا ثكناتها التى أخلاها العرابيون دون قتال وتم هذا الإحتلال بإسم الخديوى ، وهكذا تهيأت للإنجليز كل الوسائل التى تمكنهم من الإستيلاء على جمع النقاط الهامة فى القتال فى وقت واحد .

وفى ٣١ يولية إنسحبت جميع القطع الحربية الفرنسية التى كانت باقية حتى ذلك التاريخ فى الإسكندرية .

وفى ٩ أغسطس ١٨٨٢ أبحرت سبع ناقلات إنجليزية تحمل فرقة هندية من بومباى إلى منطقة السويس للإشتراك فى العمليات ضد القوات العرابية .

١ - الخطة التفصيلية للحملة :

حانت اللحظة التى يبدأ فيها الإنجليز فى وضع الجزء الأول من برنامج حملتهم موضع التنفيذ ،

ولقد وضعوا مخططهم وفقاً للترتيب التالي للزحف إلى القاهرة :

أ - الإستيلاء على قناة السويس تأمينا لسلامة مرور سفن الحملة .

ب - تحرك قوة الحملة إلى الإسماعيلية فى نظام مسلسل مرتب بقدر ماتسمح به الظروف .

جـ - إتباع كل مايمكن من وسائل الخداع لإيهام المصريين بأن الهجوم البريطاني سيوجه نحوهم من نقط أخرى غير الإسماعيلية إلى أن تحتشد بها أعداد كافية لتأمين سلامة إمتلاكها .

د - الإستيلاء على الخط الحديدى وترعة الإسماعيلية وتأمينها حتى مسافة ضاربة من الموقع الذي عرف أن المصريين يتخذون عدتهم لوضع قوتهم الرئيسية به دفاعا عن شرق الدلتا .

هـ - البدء بمجرد الإستيلاء على خطوط المواصلات السابقة فى إصلاح الأجزاء التى دمرها المصريون وأعاقوا عملها فى الخط الحديدى أو القناه وسير كل مايمكن من القطارات والقوارب لتموين الجيش فى الميدان .

و - العمل على تكديس المخازن والذخيرة فى موقع متقدم وتحت حراسة كافية وبكميات وافرة لإستقلال الجيش فى تموينه بعد زحفه غير أنه للإسراع فى هذا التكديس ولمواجهة الطوارئ المفاجئة يجب إعداد حملة حيوانية إحتياطية حسب ما يسمح به الوقت بالإضافة إلى الخط الحديدى وترعة الإسماعيلية لإستخدانها فى الأغراض العامة .

ز - عدم الإشتباك مع الجيش المصرى فى معركة حاسمة ليس قبل أن يسمح موقف تكديس الأدوات أو نقلها على طول خط حشد القوات ، لتوجيه ضربة فعالة ونهائية إن أمكن .

ح - الإنطلاق عقب نجاح هذه العملية بسرعة تطوير الهجوم :

(١) لتأمين الإستيلاء على القاهرة لأسباب سياسية وعسكرية .

(٢) الإستيلاء على منطقة حشد يمكن أن يتم فيها تجميع قواتهم المتعددة والموزعة على مواجهة المسرح وذلك بعد تحقيق نصر حاسم على المصريين فى التل الكبير وذلك بهدف حشد قوة كبيرة تحقق الهدف النهائي من العملية ويكون لها التأثير العسكرى والنفسى .

إستيلاء الأميرال هوسكنس والأميرال هيويت على قناة السويس :

في يوم ١٦ أغسطس ١٨٨٢ ، أقلع الأميرال هوسكنس من الإسكندرية إلى بورسعيد على ظهر السفينة « إيريس » ليبعث بخطة العمليات « للميدان الشرقي » إلى الأميرال هيويث » الذى تولى القيادة في السويس وليتخذ معه الترتيبات للعملية الإبتدائية للإستيلاء على خط القناة وتطهيرها في التوقيت المحدد وهو ٢٠ أغسطس ١٨٨٢ .

هذا ولم يكن مجرى القناة بالإتساع الذى يسمح بمرور السفن الكبيرة في إتجاهين مضادين في وقت واحد ، ولذلك أنشئت محطات في نقط محددة يتسع بها مجرى القناة بوقوف السفن خارج طريق الملاحة بالقناة أثناء سير السفن الأخرى ، ولايسمح بسير أية سفينة بين محطة وأخرى إلى أن يصدر إليها تصريح بعد خلو القناة من السفن المتحركة في الإتجاه المضاد .

وأمام هذه الظروف بادر الإنجليز إلى إتخاذ العدة مقدما لمنع تحرك أية سفن في إتجاه الشمال أثناء مرور الحملة إلى الجنوب عموما فقد وصل الأميرال هوسكنس إلى بورسعيد صباح يوم ١٧ أغسطس ، في الوقت الذى تواجد في الإسماعيلية الكابتن فيتزروي منذ ٢٧ يولية ومع السفن « أوريون » و « كارسفورت » و « كوكيت » لتأمين سلامة القناة .

المخطط البريطاني بالجبهة الشرقية :

١- خطة الجانب البريطاني للإستيلاء على بورسعيد والإسماعيلية :

في صبح يوم ١٨ أغسطس أصدر الأميرال هوسكنس تعليماته إلى الكابتن فيتزروي بالإستيلاء على الإسماعيلية قبل فجر يوم ٢٠ أغسطس كما أصدر الأوامر إلى الكابتن فايرتكس قائد السفينة الحربية « مونارك » بإحتلال بور سعيد في نفس التوقيت وتحضيرا لهذا التحرك . قام الكوماندر (إدواردز) قائد السفينة الحربية « إيدى » مساء يوم ١٥ أغسطس من بور سعيد

٢ - مصاعب قناة السويس وأسلوب مواجهتها :

أ - قيود الملاحة فى القناة :(١)

هناك إعتبارات معينة تحدد سرعة سير السفن فى قناة السويس ولقد كان ضيق مجرى القناة وطبيعة أجنابها من أبرز المسائل التى تحول دون مرور السفن بها فى سرعة كبيرة فإن أى سفينة تجارية كبيرة تحاول السير فى سرعة تثير أمواجا ترتطم بالشاطئين - ينشأ عنها إندفاع خلفى للماء لايقتصر أثره على إلحاق التلف بالقناه بل يعيق فى نفس الآونة محركات السفن المارة بالقناه .

وعلى هذا فحتى أذا صرف الإنجليز النظر عما يلحق ذلك من أضرار بأملاك شركة القناة فقد كانت هناك قيود أخرى تدعوهم إلى التحديد من سرعة سير الحملة فى القناة إلى مادون المعدل المادى للمرور بها .

وكثيرا من الناقلات المستخدمة فى الحملة لم يسبق لها المرور فى القناة من قبل ، والسفن العادية التى تعبر القناة تتوفر لها الأجهزة والأفراد لقيادتها عبر القناة ، على عكس السفن الحربية التى لم تكن لضباط هذه السفن أى خبرة بالسير فى القناة . بل إن أى خطأ فى الإتجاه يترتب عنه جنوح السفن والذى يؤدى إلى توقف سير القافلة البحرية كلها

ب - مواجهة الصعوبات الخاصة بالملاحة :

لقد أمكن للسلطات البحرية البريطانية تذليل هذه المصاعب بتعيين ضابط بحرى على كل ناقلة تركز فى يد السلطة ، ويوضح تنظيم تلك العملية فى يد الكابتن فيشة تحت الإدارة العليا للأميرال هو سكنس وإستخدام قوارب الطوربيد والثور نيكروفت التى لاتثير كثيرا من الأمواج والتى يمكنها السير فى المياه الضحلة قرب الشاطئين فى سرعة كبيرة ، والعمل كأداة لإستمرار المواصلات خلال المجرى كله بحيث تصل النجدة على التو عند جنوح أية سفينة ، وأما أن تمكنها من متابعة السير أو تنقلها جانبا أذا كان عطبها

(١) انظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٤) - الميدان الشرقى للعمليات .

شديدا لينفسح الطريق لمرور غيرها فى القناة . كانت تلك بعض المشاكل التى واجهت الحملة العسكرية ، ووجد الإنجليز أنه لافائدة تجنى من تقدم الحملة كلها معا حتى مدخل القناة فى بورسعيد ، فرغم حاجتها إلى نقل فرقة كاملة فإن الأمر الواقع كان يحتم بقاء كثير من السفن خارج القناة لأكثر من يوم إنتظارا لدورها ، كما أن حشد السفن فى بحيرة التمساح وهى القاعدة المقررة للحملة لم يكن ليتم دون مرور وقت طويل ، ولم يكن فى الإسماعيلية فى تلك الحين غير رصيف بحرى واحد ، ولم يكن أمام السفن إلا أن ترسو على نحو نصف ميل من الشاطىء (١) .

وأستدعى الأمر نقل كل جندى من القوة وكل حصان وكل مدفع والذخائر والمعدات الأخرى من السفن إلى العوامات والقوارب الصغيرة المسيرة بالمجاديف والحبال إلى الشاطىء ثم نزولها على الرصيف الصغير . ثم تقدمها بعد ذلك إلى الطريق الضيق المؤدى إلى الكوبرى الوحيد الصغير القائم على قناة المياه العذبة الذى يتحتم المرور عليه .هذا وقد أعدت إنجلترا وقبل إبحار الحملة جميع المواد اللازمة لهذه العمليات بما فى ذلك إنشاء مرافق النزول التى صنعت خصيصا للإسماعيلية (٢) . لقد حددت هذه الإعتبارات ، النظام الذى يجب أن تتخذه السفن للمرور فى القناة بما يسهل لها نقل قوة كبيرة من الجنود بجميع معداتها للإستيلاء على خطوط المواصلات ، وكذلك لأسلوب نقل معدات المهندسين اللازمة لعملية إنزال باقى القوات إلى الإسماعيلية بعد تأمين رأس شاطىء لها بقوات المقدمة .

ولسرعة الإستيلاء على المواصلات المختلفة للإسماعيلية وغربها وكذلك قناة المياه العذبة بإرسال قوة كافية (٣) إلى الإسماعيلية تندفع غربا بمجرد نزولها إلى البر لإحتلال الخط الحديدى وقناة المياه العذبة ، والإحتفاظ فى المنطقة الأمامية وداخل العمق حتى التل الكبير بقوة كافية لإعداد هذه المهمة .

---

(١) انظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٤) – القطاع الشرقى للعمليات .

(٢) " " " " (٢) – " " " .

(٣) حددت القيادة البريطانية حجم هذه القوة بحيث لايكون كبيرا بالشكل الذى تكون فيه القوات عبئا كبيرا على القيادة فى مطالبها الإجارية ومطالب إنزالها برا وحشدها ، وبالتالى فقد حدد حجم القوة بحيث بفى بأغراض العمليات المطلوبة وبحيث يسهل حشده

الخديوى توفيق وأوامره بالإستيلاء على القناة:

فى ١٤ أغسطس ١٨٨٢ . أصدر الخديوى توفيق أمراً يرخص فيه للإنجليز بإحتلال القناة هذا نصه :

« ليكن معلوما عند السلطات الملكية والعسكرية فى منطقة قناة السويس ، أن أميرال الأسطول الإنجليزى وقائد الجيوش البريطانية العام إنما أتيا إلى مصر لإعادة الأمن والنظام إليها ، ومن ثم قد سمحنا لهما بإحتلال جميع الأمكنة ، التى يريان فى إحتلالها مايساعد على قمع العصيان وعلى هذه السلطات أن يبلغوا هذا الأمر إلى كافة سكان منطقة قناة السويس وبخاصة إلى موظفى وعمال القناة البحرية ومن يخالف أمرنا هذا يعد خارجا على إرادتنا وينزل به أشد العقاب » . (١)

وكان الخديوى قد أرسل فى وقت سابق تفويض إلى الكونتر أرميرال للإستيلاء على قناة السويس لتأمين حرية الملاحة بها هذا نصه :

سيدى الكونتر أرميرال

الأسكندرية فى أول أغسطس ١٨٨٢

« لكم السلطة التى تخولكم إحتلال ماتجدونه مفيدا من نقط فى منطقة قناة السويس لتأمين حرية الملاحة فى القناة وحماية المدن والآهلين على طول مجرى القناة وطرد كل قوة لاتعترف بسلطتى ، ولكم أيضا ياسيدى الكونتر أميرال - سلطة إتخاذ الإجراءات اللازمة لإنتزاع الخط الحديدى بين السويس والإسماعيلية »

(إمضاء)

محمد توفيق .

---

(١) الوقائع المصرية عدد ١٥ أغسطس ١٨٨٢ .

إلى الإسماعيلية وإعادة خط المواصلات التلغرافية بينهما وقطع خط المواصلات التلغرافية بين عرابى وسوريا ، وإستدعاء جميع السفن الموجودة فى القناة بين بور سعيد والإسماعيلية والمتجهة إلى بور سعيد وتجميعها فى المحطات حيث تبقى بها .

وفى ١٧ أغسطس أرسلت قوارب المدفعية « ريدى » و« دى » وبصحبتها ثلاث سرايا من مشاة البحرية لتعزيز الأسطول الصغير الموجود بها وفى جنوب الإسماعيلية حتى السويس قام الأميرال هيويث بعدم السماح بدخول السفن القادمة من الجنوب إلى السويس ، وفى نفس الوقت أصدر التعليمات بطرد القوات المصرية المتمركزة بالشلوفة على إن يتم ذلك يوم ٢٠ أغسطس ، كما تبادر القوات بالإستيلاء على سيربيوم بهدف إحتلال وتأمين المجرى الملاحى للقناة بالكامل ، وطرد أى قوات مصرية متمركزة بالقرب من بورسعيد شمالا حتى السويس جنوبا ، حتى يكون معدا فى فجر ٢٠ أغسطس لمرور الحملة القادمة من الإسكندرية ، والتى صدرت إليها الأوامر بالتحرك من الإسكندرية إلى بورسعيد يوم ١٩ أغسطس لتصلها فجر يوم ٢٠ أغسطس ، ومن ناحية أخرى فقد حرصت القيادة البريطانية على أن يتم ركوب القوات للسفن بطريقة لايفطن معها المصريون إلى حقيقة إتجاه الهجوم المقدر أى « تجاه القناة » .

ولتحقيق تلك الغاية لم تقتصر جهود القيادة البريطانية على ترويج الإشاعات عن النية فى تحرك الأسطول إلى وجهة تخالف الوجهة المقدرة ، بل وإرفاق تلك الإشاعات بما يؤكد بأن هذا التحرك لن يتم فى اللحظة الراهنة وعملوا على نشر الإشاعات بأنهم لا ينون التحرك إلى القناة كذلك أشاعوا عن نيتهم غزو حصون أبى قير لجذب تفكير قيادة عرابى إلى هذا الإتجاه بعيدا عن التفكير فى إتجاه القناة . وبالفعل صدرت الأوامر إلى الأسطول بالإستعداد للتحرك وضرب أبو قير تنفيذا لما تقرر من قبل ، وإتخذت الترتيبات لمعاونة هذه العملية بتحرك مشترك تقوم به القوات الباقية فى الإسكندرية بقيادة السير إدوارد هاملى والذى تولى قيادة الفرقة الثانية حيث تقوم القوات البرية بالضغط على دفاعات عرابى فى كفر الدوار لإستكمال حلقة الخداع عن إتجاه الهجوم (١) .

---

(١) انظر ملحق الوثائق رقم (جـ) والتى توضح نص الرسالة من السيد ولسلى إلى السيد هاملى .

ا - تحرك الحملة من الإسكندرية ومرحلة حشد القوات إستعدادا للهجوم :

فى ١٨ أغسطس ١٨٨٢ ، تم تحميل قوات لواء الجاردز إلى السفن علاوة على وحدات الفرسان والمدفعية ، وفى مساء نفس اليوم ألقى الأسطول كله مراسية خارج الميناء الخارجية للإسكندرية ، ويتكون الأسطول من ثمان مدرعات + ١٧ سفينة ناقلة جنود + سفينتى الإتصال « سالاميس » و « هيلكون » .

وفى ١٩ أغسطس أصدر السيد بوشومب سيمور الأوامر ببدء التحرك وسار الأسطول إلى أبى قير حيث ألقى مراسية فى خليج أبو قير عند الظهيرة ، ومع سدول الليل بدأت بعض القوارب الصغيرة فى التحرك نحو الشواطئ وأطلقت نيرانها صوب الموقع المصرى ، بينما إنطلق الأسطول فى البحر صوب بور سعيد التى وصلها عقب شروق الشمس مباشرة .

وبذلك إعتقد العرابيون حين ألقى الأسطول مراسية فى أبى قير أن الخطة البريطانية هى مهاجمة أبى قير وأخذوا يتأهبون للدفاع عنها .

وبوصول الأسطول إلى بور سعيد ، تعذر دخوله إلى القناة بسبب وجود سفينة فرنسية وسفينتان تجاريتان بريطانيتان داخل القناة .

وإستغلت هذه الفترة فى إعداد الإمدادات الإحتياطية للقوات الخفيفة التى نزلت إلى الإسماعيلية .

وبمجرد خروج السفن التجارية الثلاث ، بدأ الأسطول فى إقتحام قناة السويس طبقا للترتيب التالى :

م	إسم السفينة	القوات المحمولة
١	بنيلوب	٥٠٠ جندى من مشساة البحرية .
٢	هليكون	قائد عام البحرية .
٣	ثاليا	ستة صنادل وجماعات شغل .
٤	سالاميس	القائد العام للقوات .
٥	روزينا	٥٧٠ جندى من مشاة البحرية .
٦	نيريسا	٣٨٠ جندى من مشاة البحرية + مهندسين + معدات سكة حديد .
٧	يوفريتس	الكتيبة الثانية المشاة الخفيفة والكتيبة الثالثة كنجز رويال رايفل
٨	كاتالونيا	الكتيبة الأولى رويال وست كنت + قيادة اللواء الثانى .
٩	نيفادا	الكتيبة الثانية يورك ولانكستر .
١٠	أورينت	سكوتش جاردز + رئاسة الفرقة الأولى + رئاسة اللواء الأول + بطارية هاوتزر ١٩ .
١١	إيبريا	كولد ستريم جاردز .
١٢	باتافيا	جرينادير جاردز + تروب من بطارية مدفعية الحامية .
١٣	كابيلا	أفراد الرئاسة .
١٤	أوسبراى	المساة الراكبة (٧٠ جندى مشاة راكب الخيول) + إدارة التموين .
١٥	ماراثون	٢ فصيلة حاملات نقالات + ٢ مستشفى ميدانى .
١٦	كالابريا	فرسان هوسهولد + المشاة الراكبة .
١٧	هالاند	
١٨	إيتالى	باقى فرسان هوسهولد .
١٩	إيجيبشان مونارك	الدراجون جاردز السابع .
٢٠	تنورهيل	بطارية مدفعية راكبة .
٢١	بالميرا	بطارية مدفعية ملكية
٢٢	شاميون تج	أربعة صنادل وأدوات سكة حديد
٢٣	سفن قاطرة	أربعة صنادل وأدوات سكة حديد

وفى ٢٠ أغسطس وصلت مجموعة السفن المتقدمة أمام السفينة كاتالوينا إلى القنطرة بسبب جنوح السفينة كاتالونيا وتوقف باقى السفن خلفها لحين تعويمها ، وتقدمت السفن حتى وصلت إلى الإسماعيلية يوم ٢١ أغسطس .

وفى نفس الوقت « فى مساء ٢٠ أغسطس » بدأ وصول القوة الهندية إلى السويس . ولم يجد الإنجليز أية صعوبة فى الإستيلاء على الكراكات المختلفة . وغيرها من القوارب الأخرى وبإعداد قوة لكل منها مكونة من ضابط و١٥ جندى .

ب - **إحتلال بور سعيد والقنطرة :**

إستطاع الكابتن « فيرفاكس » الإستيلاء على بور سعيد ، ولتحويل إنتباه المصريين عن الهجوم بها ، أرسلت السفينة « الفايكونت » عقب غروب شمس ١٩ أغسطس لتلقى مراسيها بعيدا عن الشاطئ فى منتصف المسافة بين بور سعيد ومنطقة الجميلى ، أما السفينة نورثير لاند فقد ألقت مراسيها أثناء الليل بعيدا عن « الجميل » .

وقبل أن تغادر قوات الهجوم سفنها إستقل اللفتنانت كولونيل « تولوش » قاربا مكشوفا ومعه ٦ من مشاة البحرية إلى البر وفاجأ الحراس المصريين وإستطاع جنود السفينة « مونارك » النزول من السفينة إلى البر على جبهة واسعة بإستخدام كوبرى عائم كما نزلت إلى البر جماعة السفينة « إيريس » فى القناة وإلتقت بسريتين من بحارة السفينة « مونارك » وأنشأوا معا رأس شاطئ فى المنطقة بين عنق اليابسة عند المنزلة والبحر ، لتأمين تحرك الأسطول وكذلك بهدف قطع طريق الإنسحاب من المدينة ، وتقدمت سرية من مشاة البحوية من السفينة « إيريس » وسرية أخرى من السفينة « مونارك » حيث تمكننا من الإستيلاء على ثكنات القوات المصرية ورافق المحافظ « الذى كان مواليا للخديوى » للقوات البريطانية عند نزولها إلى بورسعيد - وتولى سلطته المحلية بإسم الخديوى وفى نفس الوقت إستطاعت القوات البريطانية من إحتلال القنطرة دون مقاومة .

جـ - الإستيلاء على الإسماعيلية:

فى الإسماعيلية تمكنت القوات البريطانية والتى تبلغ قوامها نحو ٥٦٥ مقاتلا (من الباخرة أوريون ٤٠ مشاه بحرى ومدفع ٩ رطل بطاقمه ومدفع جاتلنج وجماعة مهندسين طوربيد + ١٢ مشاه بنادق) ومن (الباخرة نورثميرلاند وكوكيت : مدفع جاتلنج + سرية مشاه + مدفع ٧ رطل و ٢١ مدفعى بحرى + سرية مشاه بحرية) ومن (سفينة نقل الجنود نيانزا : عدد ١٠٠ بحار) .

تمكنت هذه القوات من مفاجأة حرس الهويس ، وتبادل الحرس المصرى معها النيران ولكنه أضطر للتسليم أمام الحجم الكبير للقوات البريطانية .

كما إضطرت القوات المصرية إلى إخلاء قرى (« العرب » أمام نيران البحارة ومشاة البحرية الذين تقدموا تحت ستر نيران السفن وتم إحتلال المنطقة كلها .

وبإستيلاء القوات الإنجليزية على مكتب تلغراف الإسماعيلية ، تمكنوا من الحصول على المعلومات عن إن الجيش المصرى الذى كان يرابط فى منطقة نفيشة والمكون من نحو ٢٠٠٠ جندى ، كان يتأهب لتعزيز هذه القوات بالطريق الحديدى تأهبا لمهاجمة الإسماعيلية والسفن المرابطة بها وعندئذ صدرت الأوامر من السفينة الحربية « أوريون » والسفينة « كاريزفوت » بفتح نيرانه على محطة سكة حديد نفيشة والتى إستطاعت إصابة المعسكر المصرى بأضرار وكذلك إصابة أحد القطارات ، مما أدى إلى إنسحاب الحامية المصرية منه وبذلك تمكنت القوات الإنجليزية بالإستيلاء على الإسماعيلية بسهولة تامة ، بل أرسلت برقية عن طريق مكتب تلغراف الإسماعيلية إلى القيادة المصرية بالقاهرة تخطره عن نزول ٥٠٠٠ جندى بريطانى إلى البر وعن فوات فرصة أى محاولة لإنقاذ الإسماعيلية .

د - الإستيلاء على الشلوفة:

وتمت فى نفس الوقت عملية أخرى فى الشلوفة قامت بها قوة بعث بها الأميرال هيويث من السويس ، تتكون من قوة من سيفورت هايلاندرز وبحارة ومشاه بحرية السفينة الحربية « سيجال » و « موسكيتو » .

وقد لمس الإنجليز أهمية الإستيلاء على الشلوفة لأن إحتلالها لايعنى إحتلال جزء القناة الممتد بين السويس والبحيرات المرة فحسب .

بل لأن بها هو يسا أقيم على قناة المياه العذبة وبه يمكن ، تفريغ الماء فى قناة السويس . وقد فتح المصريون أقفال أبواب الهويس وبدأ الماء يتدفق إلى القناة الأمر الذى يهدد منطقة السويس المحتلة بحرمانها من الماء العذب .

وإحتلت منطقة الهويس على الفور سرية من السيورت هايلاندرز وأقفلت بوابات الهويس ، وفتحت القوات المصرية نيرانها على القوات الإنجليزية ولكن الإنجليز تمكنوا من عبور القناة تحت ستر من نيران المدفعية من السفن (سيجل و موسكيتو) وبذلك تمكنوا من الإستيلاء على منطقة الشلوفة . وإستطاع الإنجليز أسر عدد من المصريين والإستيلاء على كمية كبيرة من المهمات والذخيرة .وبهذا مهد الطريق لمرور الحملة البريطانية فى القناة والنزول فى الإسماعيلية وتأمين المواصلات بالقناة للقوة الهندية عند وصلها إلى السويس .

هـ - إستمرار تدفق القوات الإنجليزية على منطقة القناة:

وصل السير ولسلى إلى الإسماعيلية صباح يوم ١٢١ أغسطس ، وعلى الفور بعث بقوة قوامها كتيبة مشاه عدا سرية إلى نفيشة من الوست كنت ومدفع جاتلنج وكذلك إصدار أوامره بتعزيز القوات بالإسماعيلية بكتيبة من مشاه البحرية بمجرد نزولهاومع إنتهاء عملية الشلوفة يوم ٢٠ أغسطس . تم إحتلال سرابيوم يوم ٢١ وبادرت بإغلاق الهويس المقام عند إلتقاء قناة الماء

العذبة بقناة السويس ، ولم تكن القوات المصرية على علم بإحتلال الإنجليز لسرابيوم ، فقد حاولت الوصول إلى الهويس ، ولكن تمكنت القوات الإنجليزية من ردهم وتم أسر عدد منهم ، حيث علمت القيادة الإنجليزية منهم على أن القوات المصرية المرابطة بين نفيشة والسويس بدأت تتقهقر صوب الشمال عبر الصحراء .

وما أن جاء يوم ٢٢ أغسطس حتى كان الحط الحديدى وترعة المياه العذبة بين السويس والإسماعيلية فى قبضة يد القوات البريطانية وتم الإتصال الإرضى مع القوة الهندية فى السويس . ومع ذلك فقد كان الخط الحديدى إلى الخلف من وفيشة مصابا بالعطب فى عدة أماكن ولم يكن من الممكن إصلاحه حتى وصول مهمات المهندسين كما أصيب الخط الحديدى إلى الخلق من نفيشة ببعض العطب أيضا وبدأت القوات الإنجليزية نزولها إلى البر فى الإسماعيلية كالآتى :

(١) حتى مساء يوم ٢٢ أغسطس : تم نزول قسم من بطارية المدفعية الراكبة (٢ مدفع) علاوة على مقدمة الهوسهولد من الفرسان .

(٢) وفى مساء يوم ٢٣ أغسطس (أى بعد أربعة أيام من إقلاع الحملة من الإسكندرية) تم نزول نحو ٩٠٠٠ جندى إلى البر وهم تقريبا جميع الأفراد الذين كانت تقلهماالسفن ويتكون منهم الجزء الأول من الحملة .

وفى نفس الوقت وصل الآى الدراجون جاردز السابع ، ولكنه لم يكن قد أتم نزوله من السفن حتى ذلك الوقت ، كما وصل أيضا الدراجون جاردز الرابع على ظهر السفينة « جريس » و « سيتى أوف نيويورك » ولكنه لم يكن نزل أيضا إلى البر ، وكذلك وصلت الجزء الأكبر من المدفعية ولكنها لم تنزل أيضا ووصل إلى الميناء السفينة « سيتى أوف باريس » وعليها الرويال أيريش والسفينة « اراب » وعليها الرويال ايريش فو سيلوز ، وكميات صغيرة من أدوات المهندسين وبدأت فى العمل فى ربط محطة السكة الحديد برصيف الميناء ، وتطلب وضع القاطرات على الخط الحديدى إرسال القطارات التى تم وصولها من الإسكندرية إلى السويس لإصلاحها بها وإصلاح الخط الحديدى المتصل بالسويس قبل عودتها إلى الإسماعيلية ، ووجدت القوات البريطانية فى نفيشة بعض القطارات ولكنها لم تكن صالحة .

الجبهة الشرقية :

١ - **حجم الجيش المصرى :**

أ - تقدير الإنجليز لقوة الجيش المصرى :

تروى المصادر الإنجليزية أن الجيش المصرى كان مكونا يوم قصف الإسكندرية من نحو ٩ الآلف مقاتل ، ٤٨ بطارية بكل منها ٦ مدافع (٢٨٨ مدفع ميدان) ، ولكنه لم يزد فى عدد خيوله عن ٧٥٠ حصان . وإنه كان بالإسكندرية ٥٠٠٠ مقاتل من هذه القوات ، أما بقية الجيش فكانت موزعة فى مختلف أنحاء القطر .

ويقدر الإنجليز حجم الجيش المصرى بعد إستدعاء الإحتياط (مايقرب من ٥٠ ألف) إرتفع إلى نحو ٦٠ ألف مقاتل وإنه كان موزعا فى أنحاء مصر كالآتى عند إحتلال الإنجليز للإسماعيلية :

١٥ ألف فى كفر الدوار .

١٥ ألف فى أبى كبير ورشيد والبرلس .

٧ الآلف فى دمياط .

١٢ ألف فى التل الكبير وعلى الجانب الشرقى للدلتا .

١١ ألف فى القاهرة .

ويقدر الإنجليز عدد الأعراب الذين إنضموا إلى الجيش المصرى بنحو ٣ آلاف بكفر الدوار ومثلهم فى التل الكبير .

ب - حجم الجيش المصرى (طبقا لما جاء بمذكرات عرابى)

ذكر عرابى فى مذكراته أن الجيش المصرى كان مؤلفا عند بداية القتال من :

٨ الآيات من المشاه .

٣ الآيات من الفرسان .

٢ الآي من المدفعية البرية

٣ الآيات من مدفعية السواحل

وذلك بإجمالى يقدر بتنحو ٣٦ ألف مقاتل ، ويبدو أن هذا العدد كان مبالغا فيه .

جـ - حجم الجيش المصرى :

(١) لم يزد الجيش المصرى النظامى عند بدء القتال عن ١٩ ألف مقاتل موزعين كالأتى :

٨ آلاف فى كفر الدوار

٣٥٠٠ فى أبى كبير

٢٥٠٠ فى رشيد

٥٠٠٠ فى طنطا

(٢) أما المتطوعون والأعراب الذين تطوعوا للقتال ، فلم يتسع الوقت لتظيمهم وتدريبهم وكان ضررهم أشد خطرا من نفعهم

(٣) ويقول بلنت :

إن الجيش المصرى باكمله لم يكن يزيد عن ١٣ ألف جندى نظامى كان منهم ٨ الآلف فى كفر الدوار ، ولم يكن الجنود الجدد على خبرة كافية بعد بأمور القتال - كما يحدد عدد الجيش بنحو ١١,٣٠٠ جندى .

(٤) وبمقارنة التقديرات السابقة ، يمكن القول :

إن الجيش المصرى لم يكن يزيد عدده عند بدء العمليات الحربية عن ١٣ ألف جندى ، وعندما إعتزم عرابى زيادة عدد الجيش أصدر منشورا فى ١٢ أغسطس ١٨٨٢ ، بتجنيد ٢٥ ألفا من الخفراء غير أن الوقت لم يتسع لتجنيد هذا العدد .

وفى ذلك يقول بنيه :

« إنه كان يمكن لعرابى بعد ثمانية - عشرة أشهر حشد ٥٠ - ٦٠ ألف مقاتل .

٢- تقدير الموقف الخاطىء للقيادة المصرية وأثره فى الهزيمة :

تروى المصادر الإنجليزية أن مجلس الوزراء المصرى إقتنع إقتناعا تاما بتاكيدات المسيو ديلسبس بأن القناة لايمكن أن يحتلها الإنجليز . وأن إحتلال السويس آثار جزع المجلس الذى رأى أنه من الفطنة وضع قوة عسكرية كبيرة فى التل الكبير رغم عدم توقع تحرك أى قوات من الإسكندرية إلى القناة . وأن التقارير توالت على القاهرة يوم ١٩ أغسطس وهو اليوم الذى أبحر فيه الأسطول من الإسكندرية إلى القناة . ولم تفد إلى المجلس أية أنباء عن إبحار الأسطول حين غادر الإسكندرية .

ولم يصله شىء عن تحرك الأسطول إلا من أبى قير حين ظهور الأسطول بمياهها ، وسرى الإعتقاد فى المجلس بأن الإنجليز يزمعون القيام بتقدم عام من كل من أبى قير والإسكندرية . ثم جاءت التقارير التالية من أبى قير معلنة أن بعض السفن قد ألقت مراسيها فى مياهها وأن بعضها وإلى تقدمه صوب دمياط على وجه الإحتمال وهناك قدرات القيادة المصرية عل أن الإنجليز ينوون إحتلال دمياط وأن هجوما سيبدأ منها فى وقت واحد مع هجوم من كفر الدوار . هذا ولم تصل أنباء إحتلال الحملة البريطانية لبورسعيد والإسماعيلية إلى القاهرة إلا عن طريق البرقيات البريطانية بعد الإستيلاء على هاتين المدينتين ، ولو أن المعلومات كانت فى صيغة أثارت حيرة المصريين ودفعتهم إلى عدم الإقدام على محاربة القوات البريطانية فى منطقة القناة الشىء الغريب أن عرابى لم يعرف شيئا عن تحرك القوات البريطانية من الإسكندرية إلى الإسماعيلية وبقى أمرها مجهولا بالنسبة له إلى أن سمع عنها فى دهشة بالغة فى سيلان بعد عام ، وأن كل ماوصل إلى مجلس الوزراء فى ذلك الوقت هوأن القوات البريطانية ظهرت فى عدة نقط على القنال ، وأن مجلس الوزراء بمجرد علمه بإستيلاء القوات البريطانية على الإسماعيلية قرر زيادة الجيش وتجنيد أعداد كبيرة ممن لاخبرة لهم ولم يسبق تدريبهم .

حتى بلغ عدد الجيش نحو ١٠٠ ألف جندى غالبيتهم غير مدربين ، وتم توفير البنادق والمهمات والدواب لهؤلاء الجنود . (١)

أضف إلى ذلك فقد تم إعداد البدو وإمدادهم بالبنادق القديمة والمهمات ، حيث تم تطوع إعداد عدد كبير منهم إلى جانب صفوف الجيش ، وتنافست جموع الشعب على التطوع بمالهم وغذائهم وخيولهم ومواشيهم كذلم تطوع عدد كبير من العمال المدربين على أعمال إنشاء الجسور لحجز المياه فى مجرى الترع وكان لهؤلاء دورا بارزا فى هذه الحروب حيث أقاموا سلسلة من السدود على ترعة الإسماعيلية لمنع الماء عن القوات البريطانية ونزعوا الخطوط الحديدية ليحولوا دون إستخدام الإنجليز لها كوسيلة من وسائل النقل كما قام المتطوعون بحفر المواقع الدفاعية المصرية وإعدادها إعدادا جيدا ولكن مع كل هذه الروح من شعب مصر وتضحياته بكل مايملك من قدرات إلا أن مصر إفتقرت للقيادة التى تستطيع مواجهة المخطط البريطانى للعمل فى التوقيت المناسب لإحباط هذا المخطط ويرجع ذلك للآتى :

أ - إفتقار القيادة المصرية للمعلومات الصحيحة عن حجم وتحركات القوات البريطانية .

ب - تقدير الموقف الخاطىء للقيادة المصرية من بداية العمليات حتى نهايتها حيث تم وضع تقديرهم بناء على مقترح من ديليسبس ، ولم يأخذ عرابى بنصائح بعض القادة العسكريين

جـ - عدم الإعداد الجيد للقوات المصرية سواء من حيث الحجم أو التسلح أو التدريب ماكان له أثر كبير فى إستعداد القوات .

د - تسليم المبادأة من بداية العمليات إلى نهايتها للقيادة البريطانية .

هـ - إنضمام الخديو ى توفيق منذ البداية إلى صفوف القوات البريطانية ، مع إصداره العديد من المنشورات بحسن نواياهم ، ولعصيان عرابى له ، مما أدى إلى تفتيت الإتجاهات السياسية فى مصر .

---

(١) كان بالمخازن نحو ١٥٠ ألف بندقية ، وتم إعداد المهمات اللازمة وكذلك ١١ ألف من دواب العمل ساهم بها أصحابها من الشعب ، ولكن هذه الدواب لم تكن مدربة على القتال وحمل المدافع الميدانية .

٣ - القوات البريطانية:

أ - بيان حجم القوات التى أبحرت من المملكة المتحدة إلى الإسكندرية خلال شهرى يولية وأغسطس :

ضباط	٧٨١
ضباط صف وجنود	١٠٦٣٥
خيول	٥٤٨٧

ب - الوحدات التى أبحرت من مالطة وجبل طارق وقبرص وعدن وبومبى إلى مصر :

(كتائب آلايات مشاه وفرسان)

م	البيـــان	جهة التحميل	عدد الضباط	عدد الرتب الأخرى
١	الفرست ساوث ستافورد	من مالطة	٢٥	٨٩٥
٢	كنج رويال ريفلز الثالثة	« «	٢٥	٩٨٧
٣	الديوك أوف مودنوول الثانية	من جبل طارق	٢٩	٨١٦
٤	فرست يركشاير	من مالطة	٢٨	٨٧٢
٥	فرست جوردن هايلاندرز	« «	٢٥	٨٢٧
٦	فرست كامرون هايلاندرز	من جبل طارق	٢٦	٨١٤
٧	ساكند مانشستر	من مالطة	٢٢	٧٣٢
٨	ساكند ديربى شاير	من جبل طارق	٢٧	٧٤٠
٩	فرست ساسكس	من قبرص	١٢	٣٣٠
١٠	فرست سفورث هايلاندرز	من مالطة وعدن	٢٤	٦٠٣
١١	الآى فرست مانشستر	من بومبى	٢٤	٦٥٠
	إجمالى		٢٦٧	٨٢٦٦

جـ – القوات البريطانية على الجبهة الشرقية (قيلق) بقيادة الليفتنانت جنرال السير جارنت ولسلي :

(١) الفرقة الأولى المشاه بقيادة اللفتنانت جنرال ج . هـ . ويليس وتتكون من :

(أ) اللواء الأول بقيادة ميجر جنرال الدوق أوف كنوت (الكتيبة الأولى سكوتش جاردز + الكتيبة الثانية الجرينالد جاردز + الكتيبة الثانية كولد ستريم جاردز + اللواء البحرى)

(ب) اللواء الثانى : بقيادة الميجر جنرال ج . جرهام

(الكتيبة الأولى وست كنت + الكتيبة الأولى رويال إيريش فوزيليرز + الكتيبة الثانية يورك ولانكستر + مشاه البحرية الخفيفة) .

(جـ)وحدات تابعة لقيادة الفرقة

الكتيبة الثانية المشاه الخفيفة + ٢ أورطة هاوتزر ١٩ + المدفعية الملكية أ – ١ + المدفعية الملكية د – ١ + السرية ٢٤ مهندسين + السرية ١٢ تموين ونقل + نصف سرية الحمالات الأولى + مستشفى الميدان الثالث) .

(٢) الفرقة الثانية المشاه : بقيادة اللفتنانت جنرال السير إدوارد هاملى :

تواجد منها اللواء الثالث فقط ويتكون من أربعة كتائب

الكتيبة الأولى رويال هايلاندرز

الكتيبة الأولى جورد ون هايلاندرز

الكتيبة الأولى كاميرون هايلاندرز

الكتيبة الثانية هايلاندرز المشاه الخفيفة

علاوة على السرية ٢٦ مهندسين + السرية ١١ تموين + نصف السرية الثانية حمالات + مستشفى الميدان الثانى .

(٣) القوة الهندية : بقيادة الميجر جنرال السيد هـ . ت .ماكفرسون

الكتيبة الأولى مانشتر

الكتيبة الأولى سيفورت هايلاندرز

كتيبة البنغال السابعة

كتيبة البنغال العشرون

الكتيبة ٢٩ البلوشيز

البطارية الجبلية ٧ - ١

وأقسام إدارية من الإدارة الطبية - النقل - التحركات - التموين - المهمات ، بالإضافة إلى قسم مهندسين .

(٤) فرقة الفرسان : بقيادة الميجر جنرال دروری لو وتتكون من

(أ)اللواء الأول فرسان : بقيادة الميجر جنرال السير إرشيبالد اليسون

فرسان هوسهولد (٣ أورط)

الدراجون جاردز الرابع

الدراجون جاردز السابع

السرية ١٧ تموين ونقل

نصف السرية الأولى حمالات

(ب) اللواء الثانى فرسان : بقيادة الميجر جنرال السير الفين وود

فرسان البنغال الثانية

فرسان البنغال السادسة

البنغال لانسرز ١٣

(جـ)وحدات تابعة لقيادة الفرقة :

المدفعية الراكبة ن - أ

المشاه الراكبة

مـسـتـشـفـى الميـدان الســادس + الســرية ١٧ تموين ونقل +قـسم مـهندسين .

(٣) وحدات تابعة لقيادة الفيلق :

مدفـعية الفـيلق - قطار الحصـار - إدارة المهمـات - مـهندسـو الفيلق (عـوامـات - سـرايا مـهندسين - سـرايا الغـام - أفـراد السكك الحـديد) - سـرايا تمـوين ونقل - مستشفيات ميدانى - نصف السرية الثانية حمالات .

٤ - خطة الدفاع المصرية :

كـانت خطة الدفـا ع المصرية التى وضـعتـهـا القيـادة المصـرية بمجـرد علمـهـا بـأن البريطانيين سيزحفون من الإسماعيلية صوب القاهرة تقوم على شكل

* سلسلة من الخنادق المستمرة (٣ خنادق) فى أعماق

* تحصينات تل المسخوطة والمحسمة والقصاصين .

وتبدأ من الصـالحية إلى التل الكبير بعمق يزيد عن ٢٠ مـيل ثم تستمر صـوب الجنوب إلى الدار البيضاء بمسافة حتى ٣٠ ميل فى أرض صحراء (١)

وتقع الدار البيضـاء (٢) على مـقربة من الطريق البـرى المتـد من القـاهـرة إلى السـويس وكـان الإمتـداد الدفـاعى إلى هذه المنطقة يحقق الدفـا ع على مـحـورى الإسمـاعـيلية والسـويس ويمنع القوات البريطانية من التقدم غربا على أى منها فى إتجاه القاهرة وتم تركيز الدفا ع على محور المحسمة - القصاصين - التل الكبير . (٣)

(١) من هذه المواجهة التى تصل إلى أكثر من ٥ ميل يمكن تقدير حجم الأعمال الهندسية التى قام بها جموع العمال المصريين لإعداد هذه المواقع .

(٢) أنظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٣) - طبيعة الارض بمنطقة الاسماعيلية - اللوحات ١ - ٣ .

(٣) وزارة الحربية : الحملة الإستعمارية البريطانية على مصر ١٨٨٢ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، كود ١٩٥٦/٦/١١ ، ص ص ٨٧ - ٩١ ، ٩٤ - ٩٥ ، ١٠٥ ، ٢٣٤ - ٢٣٨ .

المبحث الثانى

أعمال قتال الجانبين فى منطقة القصاصين

تقدم القوات البريطانية صوب القصاصين

١ - عملية المجفر:

أ - تخطيط العملية وحجم القوات:(١)

المجفر وتقع غرب نفيشة وفى الشرق من المحسمة . وقد قرر الإنجليز الزحف تجاهها يوم ٢٣ أغسطس وفى ذلك صدرت الأوامر التالية فى نفس اليوم :

« ستجرى التحركات التالية : تتقدم كتائب الفرسان الهوسهولد الثلاث ومعها ٢ مدفع من البطارية (ن) وقسم من الهاوتزر ١٩ ووحدة من المشاه الراكبة فى الساعة ٤٠٠ من صباح غد إلى نفيشة حيث توضع تحت قيادة الميجر جنرال جراهام ...

ويمجرد إنضمام هذه القوات عليه ، يتم التقدم إلى المجفر وإتخاذ موقع دفاعى بها ، كما تتقدم مشاه الدوق أوف كورنولز الخفيفة فى نفس التوقيت إلى نفيشة وتظل بها لتأمين المحطة والكوبرى والقناة ... سترحل مهمات المعسكر للقوات المتحركة من الإسماعيلية - بالقطار وكذلك مهمات القوة المتحركة من نفيشة إلى المجفر » .

ويقول الإنجليز أن الأعياد الذى إستولى على الجنود والضباط أثر العمل المتواصل فى عملية النزول كان بالغا إلى حد تعذر معه تجهيز قسم المدفعية بالخيول فى ظلام فجر يوم ٢٤ أغسطس والتحرك فى التوقيت المحدد .

ب - طبيعة الأرض فى منطقة العمليات:

ومع أن الصحراء الشرقية صحراء صلبة السطح بوجه عام ، وصالحة للسير إلا أن الجزء الواقع مباشرة بين الإسماعيلية والمجفر يعد فى مجموعه أرضا رملية ناعمة تحد من تحركات القوات ، إذ تتخللها عدة كثبان رملية يجب إجتيازها ، ولهذا كان هذا الجزء من

---

(١) أنظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٣) - ميدان العمليات الشرقى .

الصحراء أشق جزء تواجهه القوات أثناء تقدمها أما أنسب طريق لسير المدفعية فكان طريق نفيشة الممتد بمحازاة جسر خط السكك الحديدية ، كما أن طبيعة الأرض كانت تصعب من سير العربات ذات العجل عليها ، مما دعا إلى قيام البغال والخيول بجر العربات .

جـ - سير العملية:

تحركت الفرسان بقيادة السير « درورى لو » فى الصحراء الممتدة على يمين الخط الحديدى فتتقدم خلفها المشاه والمدفعية على جسر الخط الحديدى .

والتقت الفرسان البريطانية بالنقط الخارجية المصرية شرق المجفر ، حيث تراجعت النقط الخارجية المصرية إلى الغرب وتابعت الفرسان تقدمها نحو نقطة تقع فى منتصف الطريق تقريبا بين تل المسخوطة والمجفر ، حيث برزت المشاه المصرية فى قوة وبدأت تهدد وحدات الفرسان البريطانية بهجوم قوى ووقع بعض الجنود المصريين بالأسر - حيث إستفادت القيادة الإنجليزية من المعلومات التى حصلت عليها منهم والتى تفيد بأن القوات المصرية أقامت موقعا دفاعيا عند تل المسخوطة وإنها تحتل بواسطة المشاه المصرية .

٢ - معركة تل المسخوطة:

أ - حجم وطبيعة الدفاعات المصرية :

يقع تل المسخوطة إلى الشمال من خط السكة الحديدية وترعة القنال (ترعة الإسماعيلية) ويتحكم فى خط سير أى قوات تتقدم من الشرق إلى الغرب - وتتكون الدفاعات المصرية من سلسلة من التلال التى تستطيع أن تتحكم فى الأراضى والوديان المنخفضة حولها - والأرض أمام تل المسخوطة أرضا رملية ناعمة تتخللها بعض المستنقعات الجانبية والتى تؤثر على إنفجار القنابل المصرية - إما خط التلال التى تحتلها القوات المصرية فتعتبر أرضا صلبة .

إتخذت القوات المصرية أوضاعها شمال وجنوب ترعة القنال - كما إستندت هذه

الدفاعات على موقع مدفعية قوى فى المنطقة شمال تل المسخوطة ، وتتكون القوات المصرية من عدد ٢ كتيبة مشاه ومعها كتيبة فرسان (تعمل كإحتياطى خفيف) وبطارية مدفعية (٦مدفع)

ب – تخطيط الهجوم للقوات البريطانية :

(١) كان الهدف الذى نشده الإنجليز هو إحتلال خطى السكة الحديد وترعة الإسماعيلية حتى القصاصين ، وذلك لمنع المصريين من تدمير خطوط المواصلات وإزالة أية عوائق فى طريق التقدم وتسيير القاطرات على الخطوط الحديدية وبدء تكديس المؤن – وكذلك لمنع المصريين من غلق ترعة القنال لحرمان الإنجليز من مياه الشرب ، فقد كان يدرك الإنجليز مدى أهمية كل من الهدفين لخطتهم المقبلة .

(٢) بعد إستطلاع المواقع المصرية بواسطة السير جارنيت ولسلى ، وبعد وصول قوات الجنرال جراهام إلى المجفر ، صدرت الأوامر إلى المشاة بالتقدم الساعة ٧,٣٠ صباح يوم ٢٤ أغسطس .

(٣) حجم القوات البريطانية :

لواء الجاردز + الكتيبة الثانية المشاه الخفيفة (ديوك أوف كورنوول) + كتيبة من الآى يورك لانكستر + مشاه البحرية + جزء من اللواء الأول فرسان + وحدات دعم من المدفعية .

(٤) التخطيط البريطانى

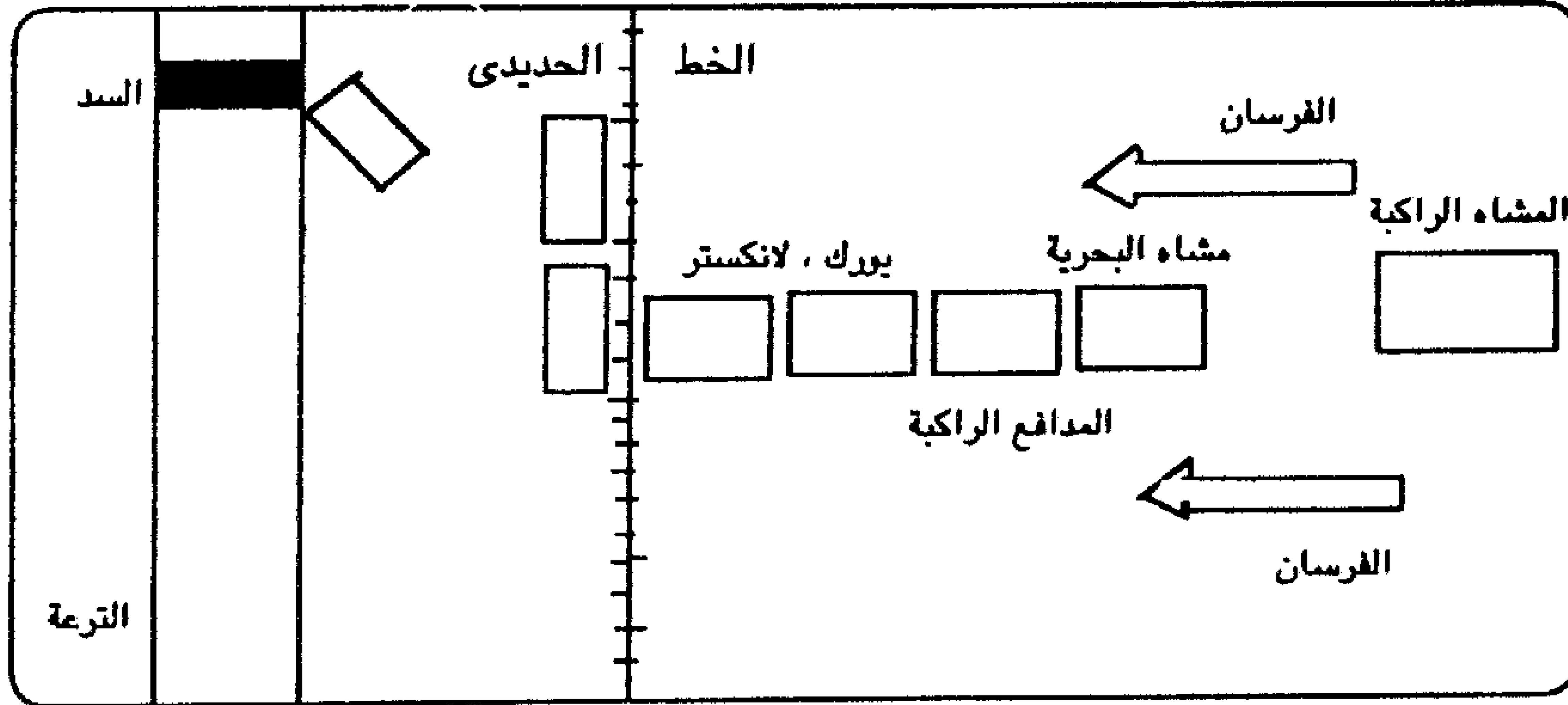
تقدم قوات المشاه البريطانية تحت ستر نيران المدفعية صوب مرتفعات تل المسخوطة ثم تطويق هذه الدفاعات بواسطة الفرسان لإقتحامها ومنعها من الإرتداد غربا كمهمة مباشرة ، ثم الإسراع بالإنطلاق غربا إلى المحسمة كمهمة تالية .

(٥) سير العملية

صدرت الأوامر بتوالى الجنرال ويليس لقيادة جميع القوات ، وإتخذت المشاه البريطانية أوضاعها بين الترعة والسكة الحديد ويسارها ووضع خلفها مدفعين خلف

تل رملى على مسافة ٦٠٠ ياردة من الترعة ، وكانت المواقع البريطانية على مسافة ٣٢٠٠ ياردة من الموقع المصرى على تل المسخوطة . ووضع فى العمق على خط واحد مع المدفعين نصف كتيبة يورك ولانكستر وفى اليمين تتمركز مشاة البحرية . وتم إنبطاح جميع القوات وراء السواتر التى تهيؤها أكوام الحشائش وأكوام الرمال ، وتمركزت الفرسان والمشاهالراكبة على نحو ميل من الترعة (أنظر الكروكى)

(كروكى يوضح أوضاع القوات البريطانية)



وإتخذت أوضاعها للتدخل فى أى محاولة من القوات المصرية لتطويق القوات البريطانية ، وكان للموقع الذى إحتلته مشاه ومدفعية القوات البريطانية ميزة كبيرة فى الوقوع بين الكثبان الرملية التى وفرت لهم الوقاية من نيران المصريين ، وجعلت مهمتهم فى تحديد قوة البريطانيين أمرا ليس باليسير .

إستمرت القوات المصرية فى الإنتشار إلى مابعد الترعة ، حيث تقدمت فى الساعة التاسعة صباحا قوات مصرية من الفرسان والمشاه والمدفعية نحو جبهة الموقع البريطانى مباشرة ولمسافة أقل من ٢٠٠٠ ياردة من تل المدفعية ، وأدى تقدمها هذا إلى الإقتراب كثيرا من الموقع البريطانى المحتل بواسطة الكتيبة اليور واللانكستر وأمام النيران الكثيفة للمشاه البريطانية ، توقف التقدم المصرى فى ذلك الجانب ، أما على الجانب الآخر فقد إستمرت القوات المصرية فى التقدم ، حيث نشبت

المعركة على هذا الجانب وبلغ عنفها أوجه وبقى الفرسان الإنجليز والمشاه الراكبة الإنجليزية نحو ساعة وهم يحاولون تثبيت الجناح الأيسر المصرى ، حيث توقف الهجوم على ذلك الجانب ، وفى الساعة ٩٤٠ . صباحا فتحت أربع مدافع مصرية نيرانها على موقع التل الذى تحتله القوات البريطانية وأحدثت بعض الخسائر الطفيفة بها ، ثم أضاف المصريون مدفعين آخرين للمدافع الأربع ، حيث فتحت الست مدافع نيرانها بدقة وإحكام ، مما أدى إلى تراجع القوات البريطانية ، وقد قلل من أثر المدفعية المصرية غوص الدانات المجهزة بالطابات الطرقية فى الرمال الناعمة أو المسطحات المائية مما قلل كثيرا من الخسائر البريطانية ومن ناحية أخرى فقد تمسكت القوات البريطانيـة بمواقعها حتى وصول الإمدادات الجديدة إليها من الإسماعيلية . وإعتبارا من الساعة العاشرة والنصف ثم تبادل نيران المدفعية البريطانية والمصرية ، أثبتت فيها المدفعية المصرية كفاءة عالية ، فقد إستطاعت إسكات المدفعية البريطانية لبعض الوقت ودمرت الكثير من عربات الذخيرة وأحدثت الخسائر ببعض الجنود والخيول ... وإستطاع المصريون أن يسيطروا على الموقف ، ولكن على الرغم من تفوق القوات المصرية وبالرغم من ملائمة الظروف لهم ، فلم يحاولوا القيام بهجوم مركز على القوات البريطانية التى خارت قواها ، فضاعت منهم أحسن فرصة سنحت لهم فى قتالهم مع الإنجليز ، خاصة مع ظروف حر الصيف الذى أثر على الجنود البريطانيين .

وعمد الإنجليز إلى كسب الوقت حتى يتم إستكمال حشد جميع قواتهم المتقدمة من الإسماعيلية ونفيشة فبعد عدة ساعات تغيرت الموازين حيث وصل إلى أرض المعركة الوحدات تلو الأخرى ، ومن ناحية أخرى فقد لقى لواء الجاردز عناءً لايقل عن العناء الذى لقيه الجنود فى المعركة ، فقد نالت منهم أشعة الشمس المحرقة وهم فى طريقهم إلى أرض المعركة ووصل إلى أرض المعركة فى الساعة ١٨,٢٠ مساء هذا اليوم ووصلت مع لواء الجاردز عدد ٤ مدافع (باقى البطارية الراكبة ن /أ) .

وصل أيضا إلى أرض المعركة وحدات من فرسان الدراجون جاردز الرابع والسابع علاوة على أعداد أخرى من الفرسان ، وتيقن المصريين من وصول هذه الإمدادات الجديدة للقوات البريطانية . وبعد منتصف الليل أنضمت على القوة البطارية أ / ١(١٦ رطل) ، وأصبح للإنجليز بعد وصول هذا الحشد من القوات إلى نحو فرقة كاملة .

وفى الساعة ٥,٣٠ صباح يوم ٢٥ أغسطس تحرك لواء الجنرال جراهام على طول الترعة فى تشكيل الهجوم وتقدمت الفوت جاردز على مسافة بعيدة يمين اللواء الجنرال جراهام ، كما تقدمت الفرسان والمشاه الراكبة يوافقها بطارية مدفعية راكبة على الطرف الأيمن من الجبهة . فوق الأرض التى كان قد إحتلها الجناح الأيسر للقوات المصرية وتم الإحتفاظ بقوات الكنج رويال ديفلز والمشاه الخفيفة لمشاة البحرية فى الخط الثانى (الإحتياطى) .

وبمجرد أن وصلت طلائع القوات البريطانية إلى الموقع المصرى تبين لها أن المصريين قد أخلوا هذا الموقع وتقدمت المشاه البريطانية صوب تل المسخوطة بينما واصلت وحدات الفرسان والمدفعية الراكبة تقدمها فى إتجاه المحسمة ، للعمل على يسار القوات المصرية وقطع خط المراجعة عليهم لمنعهم من الإنسحاب وتدميرهم .

٣ – إستيلاء القوات البريطانية على المحسمة (٢٥ أغسطس ١٨٨٢)

لم تستطع القوات البريطانية الإتصال بالفرسان المصرية التى كانت تجيد إستخدام الأرض والتنقل من مكان إلى آخر فى سهولة ، ووالت الفرسان البريطانية تقدمها طبقا لتعليمات السير « جارنت » دون أن تلتقى بقوات مصرية حتى وصلت إلى مرتفعات المحسمة (٢٢ كيلو متر من نفيشة) – وفجاءة وجد السير « درورى لو » نفسه وهو يواجه قوة مصرية كبيرة من المشاه المدعمة ببعض قطع المدفعية ونحو ثمانية أو عشرة كتائب من الفرسان ، ولم تكن الخطة المصرية ترمى إلى التشبث بموقع المحسمة وإنما كانت تهدف إلى تعطيل القوات البريطانية

أطول مدة ممكنة ، ولكن القوات المصرية تسرعت فى تراجعها عند إشتباك القوات البريطانية معها ، وبذلك تمكنت القوات البريطانية الراكبة من دخول معسكر المحسمة بعد إقتحام المشاه الراكبة ، وتم إستيلاء القوات البريطانية على سبعة مدافع كروب وعدد كبيرا من البنادق الرمنتجون وكمية كبيرة من الذخيرة ، وكميات كبيرة من المهمات والتعيينات علاوة على الإستيلاء على قطار محمل بالذخيرة مكون من ٧٥ عربة سكة حديد ، فكانت ضربة كبيرة للقوات المصرية .

وفى المساء تم دعم القوات البريطانية فى المحسمة بكتيبة مشاه بحرية ومدفعية البحرية لمعاونة الفرسان ، وفى نفس الوقت تم تجميع الفوسان فى المحسمة إستعدادا لأعمال القتال الجديدة .

٤ – **تقدم القوات البريطانية إلى القصاصين:**

أصدرت الرئاسة البريطانية أوامرها فى الساعة الثامنة صباح يوم ٢٥ أغسطس إلى الجنرال ويليس ، بإحتلال هويس القصاصين بقوة لواء الجنرال جراهام وإنشاء مواقع دفاعية بمنطقته ، وفى فجر يوم ٢٦ أغسطس ، تقدم الجنرال جراهام بالآى يورك ولانكستر والمشاه الخفيفة للدوق كورنوول ومشاه البحرية متحركا إلى معسكر الفرسان فى المحسمة وفى ظهر هذا اليوم تقدم قسم من الدراجون جاردز إلى هويس القصاصين الذي كان خاليا من المصريين ، ثم تقدم باقى لواء الجنرال جراهام بعد الظهر إلى منطقة الهويس بالقصاصين ، وهكذا تمكن الإنجليز من الإستيلاء على خطى ترعة الإسماعيلية والطريق الحديدى حتى القصاصين . وممايؤسف له هو وقوع رئيس أركان حرب الجيش المصرى فى الأسر ، يوم ٢٥ أغسطس على يد الإنجليز .

هذا وقد عزا عرابى فيما بعد عدم بذله جهود أكبر فى دفع القوات البريطانية الصغيرة من القصاصين إلى عدم إستطاعته بسبب القبض على محمود فهمى باشا ، التحقيق من عدد قوات البريطانيين وكان محمود فهمى باشا يحاول بوجه خاص التحقيق من ذلك فى اللحظة التى وقع فيها بالأسر ، وكان أسره ضربة كبيرة للقيادة المصرية ، والحقيقة الثانية هى أن إستيلاء

البريطانيين على المحمسة كان حدثا له خطره فى سير تلك الحملة ، فقد كانت الخطوة الأولى لزحفهم إلى التل الكبير . وبإحتلال الإنجليز للقصاصين يوم ٢٦ أغسطس دون أى مقاومة مصرية تذكر ... أصبحوا على مسافة ١٥ كيلومتر من التل الكبير .

٥ – **إنتقال عرابى إلى الميدان الشرقى :**

لم يعد هناك غموض يحوط الخطة الإستراتيجية البريطانية وأدرك عرابى أن الهجوم الأساسى البريطانى الذى يتهدد القاهرة متجه من منطقة الإسماعيلية ، وهرع عرابى وهيئة أركان حربه إلى معسكر التل الكبير ، وأصدر أوامده بإستدعاء على باشا فهمى والآى الأول المشاه الذى يقوده فى القاهرة ، وإجتمع عرابى بهيئة أركان الحرب ووضعوا خطة جديدة للقتال ، فقرروا بدء الهجوم على المواقع الإنجليزية بالقصاصين وتم نقل إمدادات من الأفراد والعتاد من كفر الدوار إلى معسكر التل الكبير ووصل إلى منطقة التل الكبير الآى من المشاه + ٢ الآى من الفرسان ، كما وصل من دمياط إورطتان من الجنود السودانيين حيث بدأ دور جديد فى الحرب بين الإنجليز والمصريين .

٦ – **الخديوى يعين مندوبا له لمرافقة القوات البريطانية :**

فى منتصف أغسطس ١٨٨٢ ، أصدر الخديوى توفيق أوامره بتعيين محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب نائبا عنه لمرافقة الجنرال ولسلى فى زحفه على العاصمة . وكذلك تم تعيين عدد من الضباط الأجانب الموظفين بالجيش المصرى لهذا الغرض أيضا ونشط سلطان باشا ، حيث قام برشوة البدو القاطنين غربى القناة ، الذين تعاونوا معه لمساعدة الغُزاة عند زحفهم إلى القاهرة .

٧ – **الإستعدادات البريطانية الفترة من ٢٥ أغسطس إلى ٩ سبتمبر لإستئناف الهجوم :**[1]

تقديم :

لقد حقق الإنجليز بتقدمهم حتى القصاصين المرحلة الهامة من مشروع الحملة وتهيأت لهم الفرصة لبدء العمل فى المرحلة التالية وهى إزالة الموانع من ترعة الإسماعيلية والخط الحديدى وإصلاح الخط الحديدى وتكديس الأدوات . وواتتهم الفرصة الجيدة للفوز بتلك النتيجة بقوات

(١) أنظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٣) ميدان العمليات الشرقى .

لاتزيد عن فرقة من المشاه ، وتم ذلك في الوقت الذى لم يتم فيه بعد نزول جميع القوات البريطانية في الإسماعيلية حيث أن جميع سفن نقل الجنود التى بارحت الإسكندرية في ١٩ أغسطس لم تكن قد أفرغت حمولتها تماما حتى يوم ٢٦ أغسطس وكانت فرقة الجنرال هاملى لاتزال بالإسكندرية . والقسم الأكبر من القوة الهندية هو الآخر بالسويس وفى ٢٥ أغسطس تحرك البريجادير جنرال ولكنس قائد الفرسان الهندية ومعه تروب من الآى البنغال السادس - والآى البنغال لانسرز ١٣ ، حيث تقدم من السويس إلى الشلوفة ووصل يوم ٢٦ أغسطس إلى هويس قائم على القناة العذبة على مسافة ٦ أميال شمال جنيفة ، أما بقية الفرسان الهندية فقد تقدمت عبر قناة السويس حتى الإسماعيلية فوصلتها يومى ٢٧ ، ٢٨ أغسطس ، وكذلك تم إصلاح خط سكة حديد السويس الإسماعيلية ، وتم تسيير القطارات التى جيء بها من الإسكندرية بعد إنزالها بالسويس - للعمل على هذا الخط . هذا وقد تم في نفس الوقت تكديس جميع المؤن اللازمة للمرحلة التالية وبكميات كافية - عند القصاصين - كما أنشئت المواصلات التلغرافية حتى تل المسخوطة وفى صباح يوم ٢٤ أغسطس بدأت القوات البريطانية تقدمها من الإسماعيلية ستعدادا لحشدها لبدء المرحلة التالية من الهجوم .

هذا وقد صدرت الأوامر إلى الإسكندرية لتحرك فرقة الجنرال هاملى منها إلى الإسماعيلية ، وتركت في الإسكندرية حامية بقوة لواء (٣ كتائيب ونصف) والدربى شاير والمانشستر وعدد ٢ بطارية من سلاح المدفعية الملكية - ووضعت هذه القوات تحت رئاسة الجنرال هارمان وكلفت هذه القوات بمهمة الدفاع عن الإسكندرية .

تشكيل فرقة فرسان بريطانية:

بوصول لواء الفرسان الهندى إلى الإسماعيلية يوم ٢٨ أغسطس إنشاء الإنجليز تنظيما جديدا للفرسان حيث تم تشكيل فرقة تضم كل فرسان الحملة وتتكون من اللواء الأول الذى يضم جميع الآلايات الإنجليزية بقيادة السير بيكر راسل + لواء الفرسان الهندى + اللواء الثانى بقيادة الجنرال ولكنسون ، وتولى قيادة الفرقة جنرال « درورى لو » .

معركة القصاصين الأولى:

١ - **طبيعة الأرض** [١]

موقع هويس القصاصين ، لم يكن ملائما للدفاع نظرا لإنخفاض الأرض فى هذه المنطقة ، ولكن كان لابد من الإحتفاظ بهذا الهويس بالدفاع عنه بقوة صغيرة من أجل تزويد القوات بالمياه .

- ثم يلى ذلك ، أن تبدأ الأرض فى الإرتفاع من الترعة صوب الشمال والغرب فى إتجاه التل الكبير على مسافة تتراوح من ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ ياردة ، وهى سلسلة من التلال يبلغ ارتفاعها من ١٠٠ - ١٦٠ قدما .

٢ - **توزيع القوات البريطانية يوم ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ :**

أ - في القصاصين : (٤٠ ضابط وجندى + ٢ مدفع ، من البطارية ن / أ + الدراجون جاردز الرابع (١٥ ضابط وجندى) + الدراجون جاردز السابع (٤٢ ضابط وجندى) + مشاه الدوق أوف كورنوول الخفيفة (٦١١ ضابط وجندى + يورك ولانكستمر (٦٩٠ ضابط وجندى) + المشاه الراكبة (٧٠ ضابط وجندى) + مشاه البحرية (٤٢٧ ضابط وجندى) .

ب - في المحسمة : لواء الفرسان الاول + فرسان الهوسهولد (٣ كتائب) + الدراجون جاردز السابع + المشاه الخفيفة لمشاه البحرية + ٤ مدفع من البطارية ن / أ + ٢ مدفع من البطارية ج / ب .

جـ - فى تل المسخوطة : الدراجون جاردز الرابع + لواء الجاردز - الكتيبة الثالثة كنجز رويال ريفلز + الكتيبة الاولى / الآى الوست كنت + الهاوتزر ١٩ + ٤ مدفع / الطارية د / ى + بطارية المدفعية ى / ٢ ، ن / ٢ .

٣ - **سير العملية**

فى الساعة ٣٠ر٩ صباح يوم ٢٨ أغسطس ، ظهر الفرسان المصريون فى التلال الشمالية المواجهة للجانب الايسر للموقع ، فبادر الجنرال جراهام باستدعاء الفرسان المتمركزة

بالمحسمة ، فانطلق لواء الفرسان صوب القصاصين وبادرت القوات المصرية بفتح نيران المدفعية من مرامى بعيدة وغير مؤثرة .

وفى الساعة ١٥٠٠ ظهر نفس اليوم ، بدأت الفرسان المصرية بالانسحاب من المواقع التى ظهرت بها من قبل ، وعلى الجانب البريطانى – تم سحب قوة القصاصين لشدة وطأة حرارة الشمس .

وفى الساعة ١٦٣٠ مساء ، عاودت القوات المصرية هجومها ، تحت ستر نيران كثيفة من المدفعية وعلى الفور ، اتخذت القوات البريطانية الاوضاع المناسبة لصد هذا الهجوم ، وقد ادرك الانجليز عدم وجود قوات مصرية على الجانب الجنوبى لترعة الاسماعلية ، فبادروا بارسال قوة صغيرة لاتخاذ أوضاعها على الساتر جنوب الترعة ، وهذا الموقع يمكن أن يؤدى الى منع القوات المصرية من الاقتراب صوب الجنب الايسر بمحاذاة الترعة كذلك تم اتخاذ المدفعية لأوضاعها المناسبة جنوب الترعة لتأمين ومواقع القوات البريطانية بغلالات من النيران فى شمال وغرب الموقع ، كما تم تمركز المشاه الخفيفة للدوق كور نوول على مسافة ٨٠٠ ياردة من موقع المدفعية متعامدة مع أوضاع مدفعية مشاه البحرية – كما تم تمركز الآى يورك ولانكستر فى الخلف وعلى الجانب الايمن للمشاه الخفيفة وأتخذت ثلاث سرايا من المشاه الخفيفة وسريتان ونصف من الآلآى اليورك ولانكستر مواقع ممتدة للمناوشة فقط . كما هيأ جسر الخط الحديدى ساترا مناسبا للقوات الاحتياطية المعاونة للمشاه الخفيفة – واتخذت القوات مواجهتها الى الاتجاه الغربى تقريبا وهكذا توفرت الوقاية للجانب الايسر للموقع البريطانى ، اما الجانب الايمن فقد تم الاعتماد على تأمينه بواسطة تقدم الفسان الريطانية تجاهه .

ومع سرعة تقدم القوات المصرية صوب الموقع البريطانى ، فقد طلب دعم آخر من قواتهم المتمركزة بتل المسخوطة خاصة قوات الفرسان لتغطية الجانب الايمن للقوات البريطانية ، وبهذا يمكن التدخل ضد القوات المصرية المتقدمة على هذا الجانب وصدرت الاوامر للفرسان

البريطانية فى حوالى الساعة ١٧٢٠ مساء للتقدم على الجانب الأيمن للقوات البريطانية المدافعة لمهاجمة جانب القوات المصرية المهاجمة .

كذلك تم دعم القوات البريطانية فى تمام الساعة ١٩١٥ بنحو كتيبة بحرية وبطارية مدفعية من ٦ مدافع ١٦ رطل (البطارية أ / ١) .

وفى نفس الوقت وبعدأن أطمأن الجنرال جراهام الى سلامة دفاعاته على مؤخرته وجنبة بوصول هذه الامدادات .

وتقدم الجنرال لو فى نفس الوقت بفرسان الهوسهولد والدراجون جاردز السابع + ٤ مدافع من البطارية ن / أ الى مسافة أربعة أميال من القصاصين فى اتجاه شمالى غربى .

ويقول الانجليز انهم كانوا يترقبون فى امل ان يتهور المصريون فيقدمون على الهجوم ، حتى يتم تطويقهم ، ولكن الذي حدث هو انه بمجرد سكوت أول مجموعة من نيران المدفعية المصرية على احد المواقع البريطانية أصيب بعض الجنود بزعر عارم ونشر الزعر والهلع فى صفوف القوات البريطانية حتى منطقة تل المسخوط ، ويبرر الانجليز بذلك بقولهم ان الجنود الانجليز لم يسبق لهم الوقوع تحت هذه النيران المؤثرة ، وأن هذا لا يعبر بشكل من الاحوال عن طبيعة ونتائج المعركة المقبلة وواقع الامر ، هو أن الهجوم المصرى نجح فى بدايته ، وأن القوات اللمصرية تمكنت من الاستيلاء على المواقع الامامية الانجليزية ، وأن دخول الفرسان الانجليز فجأة فى المعركة هو الذى أجلى القوات المصرية عن هذه المواقع ، حيث قامت الفرسان البريطانية بحركة التفاف واسعة لتطويق الجانب الايسر للقوات المصرية وبالفعل وصل لواء الفرسان مستترا بالضباب الى مقربة من أحد أجزاء الموقع المصرى على الارض المرتفعة بالقصاصين وعلى مسافة نحو ٣٠٠٠ ياردة من هويس القصاصين ، وقد توقع المصريون هذا الهجوم المضادة ، فاتخذو العدة لمواجهته .

هذا وقد تم الهجوم المضاد البريطانى كالآتى :

تقدمت الدراجون جاردز السابع فى الطليعة تليها وحدات المدفعية ثم فرسان الهوسهولد فى الخط الثانى ،، ووقعت تلك القوة تحت نيران المدفعية والمشاه المصريين ، وحتى تتمكن المدفعية البريطانية من فتح نيرانها فقد تم سحب الدراجون جاردز السابع فى الخلف لاخلاء المواجهة بحيث تتمركز خلف فرسان الهوسهولد ووحدات المدفعية وبالفعل فتحت المدفعية البريطانية نيرانها ، وأصدر الجنرال « درورى لو » أوامره الى فرسان الهوسهولد بالبدء فى الإقتحام ، وبالفعل إقتحمت الكتائب الثلاث بقيادة الكولونيل أيورت المواقع المصرية الأمامية واضطرت المدفعية المصرية التى كانت خلف المشاه مباشرة إلى التراجع لمقابلة الهجوم والتحمت الفرسان المصرية بالفرسان البريطانية ، ووقعت بعض الخسائر بالمشاه نتيجة لإقتحام الفرسان البريطانية لمواقعها ، ووقعت بعض الخسائر أيضا بالقوات البريطانية حيث قتل نحو ٨ جندى وجرح نحو ٦١ ضابط وجندى (١) .

وبعد انتهاء الاقتحام اعادت الفرسان الهوسهولد تشكيل قواتها على الارض المكتسبة بعد استعادة هذه الارض من القوات المصرية ومع نزول الليل اضطرت القوات المصرية الى الانسحاب وضاعت فرصة انتصارهم وذلك بسبب تأخر هجومهم الذى لم يبدأ الا فى الساعة ١٦٣٠ مساء هذا اليوم حيث لم يبقى من النهار الا فترة قصيرة لا تمكن القوات المصرية من الوصول الى اهدافها .

وحتى سعت ٢٠٤٥ مساء هذا اليوم صدرت الأوامر بتجميع القوات الانجليزية فى المعسكر وفى اليوم التالى تم دفع لواء الجاردز صوب القصاصين ليكون فى المعاونة إذا دعت الحالة الى إستخدامه .

هكذا ، لازم الانجليز حسن الطالع وأدى سوء اختيار المصريين لساعة هجومهم الى عجزهم عن إستعادة القصاصين ، رغم الرعب والهلع الذى ساد القوات البريطانية أثر سقوط دانات المدفعية على مواقعهم .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ،١٩٦٦ ، ص ص ٣٨١ - ٣٨٣ ، ٣٥٨ .

ومنذ هذه الواقعة ولمدة اثنى عشر يوما ، لم تشهد تلك الفترة ما يستحق التسجيل فقد كانت منطقة الاسماعيلية كخلية النحل بسبب حشد القوات البريطانية فيها . وفى أول سبتمبر ١٨٨٢ ، وصل الى الاسماعيلية الجنرال أ . هاملى ولواء السير أ . الليون . وتم إعداد خطة السكة الحديد من رصيف الميناء ، وأخيرا بدأت فترة الاستعداد البريطانى تقترب من نهايتها بعد أن أوشكت المواصلات الحديدية على السير بانتظام وبعد تمام حشد القوات وتكديس المؤن اللازمة لها .

معركة القصاصين الثانية : (١)

نشطت عمليات الاستطلاع البريطانية ، بعد معركة القصاصين الاولى يوم ٢٨ أغسطس واستمرت حتى يوم ٧ سبتمبر ، حصلوا من خلالها على معلومات وافية عن طبيعة الدفاعات المصرية ، وفى ٨ أغسطس صدرت الاوامر باستكمال حشد القوات البريطانية بالقصاصين على أن تكون مستعدة فى أوضاعها قبل يوم ١٢ سبتمبر ، كما تم انتقال رئاسات القوات البريطانية من الاسماعيلية الى القصاصين يوم ٩ سبتمبر .

١ - **الخطة المصرية للهجوم :**

فى يوم ٨ سبتمبر ، عقد عرابى اجتماعا فى مركز رئاسة حضره كبار القادة المصريين ومنهم راشد باشا حسنى وعلى باشا فهمى ومحمود سامى باشا البارودى لدراسة الموقف واتخاذ خطة لمواجهة القوات البريطانية الزاحفة صوب القاهرة ، وتم وضع الخطة للقيام بهجوم ثان على القصاصين يوم ٩ سبتمبر وانتزاعها من يد القوات البريطانية والتى كما قدرها عرابى نحو ٣٠ ألف جندى .

أ - **تفاصيل الخطة :**

تتقدم القوات المصرية فى الساعة الثانية بعد منتصف ليل ٩ سبتمبر بقيادة الفريق راشد حسنى كما يلى :

(١) يتقدم محمد الزحلاوى أفندى جنوب ترعة الاسماعيلية بأورطته وتحت قيادتة أورطة من الفرسان ومدفعان ومجموعة من العربات .

---

(١) أنظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٥) معركة القصاصين .

(٢) يتقدم أحمد بك فرج شمال ترعة الاسماعيلية وتحت قيادتة الالاى الاول المشاه وخلفه ستة مدافع .

(٣) يقود عيد بك محمد قلب الهجوم ويتحرك بالآية ومعه بطاريتان من ١٢ مدفع كروب ويتبعه بطارية من ستة مدافع .

ويتولى قيادة القوات السابقة اللواء على باشا فهمى ، ويتولى قيادة المدفعية حسن بك رأفت .

(٤)يتكون الجناح الايسر للهجوم من الآى الاميرالاى على بك يوسف خنفس وأورطيتين سودانيتين بقيادة خضربك خضر وبطارية من ستة مدافع وست كتائب من الفرسان بقيادة الاميرالاى أحمد بك عبد الغفار يتولى قيادة هذا الجيش الفريق راشد باشا حسنى .

وتتم الخطة من خلال تحرك ليلى يقوم به محمود باشا سامى بجيشه من الصالحية وقوته ٢٠٠٠ مقاتل لتطويق الجانب الايمن البريطانى عند مطلع الفجر .

ومما يدعو للأسف ، أن الاميرالاى على بك يوسف خنفس ، أطلع القيادة الانجليزية على تفصيلات هذه الخطة قبل تنفيذها ، وسلم الجنرال ولسلى صورة من الخطة التى وضعها عرابى لتلك المعركة .

ب - **رواية الانجليز عن العملية :**

وتروى المصادر الانجليزية انه فى الساعة الثامنة من صباح يوم ٩ سبتمبر وصل الى الاسماعيلية تقرير تلغرافى عن محاولة لهجوم مصرى جديد على القصاصين .

وفى الساعة ٩١٥ صباح نفس اليوم - بادر السيد جارنت وهيئة أركان حربه بالتحرك بالقطار إلى الجبهة ووصل القصاصين فى الساعة ١١٠٠ ، حيث تقدم بحصانه إلى القوات الأمامية التى تمكنت من دفع القوات المصرية إلى الوراء إلى مسافة ٥٠٠٠ ياردة من التل الكبير ، وتروى المصادر الإنجليزية مانصه :

« إن بعض الأعراب الذين يرعون مواشيهم وأغنامهم على مقربة من معسكر القصاصين نقلوا إلى عرابى صورة خاطئة عن أوضاع القوات البريطانية بالقصاصين ليست إلا قوة ضعيفة جدا ، وأن هؤلاء الأعراب قد قطعوا كل إتصال بين القصاصين والإسماعيلية ، وأن عرابى رأي على ضوء ذلك القيام صباح ٩ سبتمبر بهجوم مشترك من التل الكبير ، والصالحية للإستيلاء على معسكر القصاصين الذى أعتبره مجرد فريسة سهلة ، على أنه كان به فى الواقع نحو ٨٠٠٠ مقاتل من كل الأسلحة بخلاف لواء الجاردز وبقية القوات فى تل المسخوطة (الدراجون جاردز الرابع وبطارية مدفعية راكبة) وكان لواء الفرسان الهندى يقوم بواجبات النقط الخارجية أثناء ليلية ٨ /٩ سبتمبر وقد دفع آلاى البنغال لانسرز ١٣ - بعض دورياته فى الساعة الرابعة صباحا لمراقبة تحركات ونشاط القوات المصرية فى التل الكبير ، ورأت قوات مصرية تتقدم فى أعداد كبيرة ، وأرسلت التقارير بذلك إلى الجنرال جراهام فوصله نحو الساعة ٦١٥ صباحا فبعث إلى الجنرال « دروری لو » طالبا منه إرسال آلاى من الفرسان إلى الجبهه .

فمضت فترة وصل على أثرها تقرير عن التقدم العام المصرى إلى اللفتنانت جنرال ويليس فأرسل أوامره على الفور إلى الميجور جنرال جراهام بتقدم لواء المشاه ، وفى نفس الوقت الذى وصلت فيه هذه الأوامر إلى الميجر جنرال جراهام (٦٤٥ صباحا) جاءته تقارير من الفرسان عن تقدم المصريين فى قوة كبيرة .

وتاكيدا للتعليمات السابقة للخطة البريطانية ، فقد أرسل جراهام تعليماته لتأييد هذه الخطة إلى جميع القادة فى الجبهة ، حيث تم إتخاذ أوضاع القوات البريطانية على النحو التالى :

(١)على الضفة الجنوبية لترعة الإسماعيلية - مدفعية مشاة البحرية وخمس سرايا من الآى ألوست كنت ومعهم مدفعان ٢٥ رطل .

(٢)على الصفة الشمالية لترعة الإسماعيلية ، كان يستند الجانب الأيسر رويال ريفل كور على ترعة الإسماعيلية ، رحلت مشاه البحرية مكانهم على الخط وإتخذت اليورك

ولانكستر مواقعها على يمين مشاة البحرية مع إنحراف ميمنتها إلى الوراء قليلا ، وإتخذت البطارية أ ، د/ اللواء الأول المدفعية (١٦ رطل) أوضاعها السابق إعدادها شمال المعسكر لمواجهة تقدم المصريين من الغرب .

مع تعديل الجانب الأيمن لمواجهة تقدم أى قوات من الصالحية ، وتم تعزيزهم مع بدء القتال بمشاة الدوق أوف كور نوول الخفيفة .

فى الساعة ٦٤٥ صباح يو ٩ سبتمبر أصدر الجنرال دروري أمره إلى لواء الفرسان الهندى بالتقدم غربا لتعطيل تقدم الجيش وتم تدعيم هذا اللواء بعدد ٢ بطارية من مدفعية (ج / ب) ، (ن / أ) .

كذلك صدرت التعليمات بتحرك اللواء الأول فرسان للعمل كإحتياطى تحت قيادة بيكر راسل هذا وقد أصبح واضحا للقيادة البريطانية أن المصريين يتقدمون من إتجاهين مختلفين الأول من التل الكبير صوب الشرق والثانى من الصالحية صوب الجنوب» (١)

٢ - سير أعمال القتال:

يتضح من تفاصيل الخطة البريطانية ، أن الإنجليز كانوا على علم تام بتفاصيل الخطة المصرية التى نقلها إليهم الأميرال على يوسف خنفس .

وعلى هذا قام لواء الفرسان البريطانى بمناورة لفصل هاتين القوتين والحيلولة دون تعاونهما معا ، كما عهد إلى اللواء االفرسان الهندى بمهمة تهديد الجانب الأيسر للقوات المصرية المتقدمة من التل الكبير ، كما عهد إلى اللواء الأول فرسان بتهديد الجانب الأيمن للقوة المصرية المتقدمة من الصالحية .

كذلك إندفعت المشاه الراكبة فى الساعة ٦٤٥ لمعاونة لواء الفرسان الهندى الذى تمكن من إيقاف تقدم المدفعية المصرية .

وحتى يتمكن الإنجليز من إيقاع الهزيمة بقوة الصالحية إذا حاولت التقدم بين المحسمة والقصاصين ، فقد صدرت التعليمات إلى الفوت جاردز المتمركز فى تل المسخوطة للتقدم غربا للهجوم على الجانب الأيسر لقوات الصالحية وذلك بالتحرك على ميول الأرض المرتفعة بين

(1) Maur ice, J . F : Opc,t ,PP 67-70

المسخوطة والقصاصين ، تم التحول شمالا عند الوصول إلى المحسمة الجانب الأيسر للقوات المصرية .

بدأ البريطانيون بفتح نيرانهم فى الساعة ٧١٥ صباحا ، وفى نفس الوقت قامت المدفعية المصرية بفتح نيرانها على المعسكر البريطانى وتبادل النيران مع المدفعية البريطانية .

وفى الساعة ٧٤٥ صدرت الأوامر إلى القوات البريطانية للقيام بهجوم مضاد عام ، وحاول المصريون فى بداية المعركة تطويق الجانب الأيمن للقوات البريطانية ، غير أن نيران المدفعية من البطارية ج /ب بالإضافة إلى وحدات المدفعية الأخرى تمكنت من دفع المصريين إلى الوراء قبل أن تلتحم بهم المشاه المتقدمة ، وفى نفس الوقت إستمر الآى اليورك ولانكستر فى مكانه بالخلف لمواجهة أى محاولات تطويق من القوات المصرية ، وإستمر التقدم العام حتى الساعة ١٠٣٠ صباحا إستطاعت مشاة البحرية قطع خط الرجعة على بعض الوحدات المصرية والإستيلاء على عدد من المدافع (حتى ٤ مدفع) .

٣ - **القوات الإنجليزية ومطاردة المصريين إلى التل الكبير بعد فشل الهجوم المصرى :**

إنسحبت القوات المصرية بعد فشل معركة القصاصين الثانية جنوب التل الكبير وذلك فى تمام الساعة ١٠٣٠ . وذلك بسبب معرفة القوات البريطانية للخطة مسبقا وحصولهم على المبادأة من بداية العملية . ووصلت القوات البريطانية إلى مسافة نحو ٥٠٠٠ ياردة من التحصينات المصرية ، ويقول الإنجليز أنه كان من المحتمل أن تؤدى مطاردتهم للقوات المصرية المنسحبة إلى إحتلال التل الكبير فى نفس اليوم .

ولكن الترتيبات الإدارية لم تكن قد أُتخذت بعد لمقابلة هذا التقدم ، وكان من المحتمل أن تسقط تحصينات التل الكبير ، وأن تهزم القوات المتمركزة بها ولكن اللفتنانت جنرال ويليس أصدر أوامره بوقف القوات البريطانية وعادت القوات فى الساعة ١٣٣٠ إلى المعسكر .

وفى نفس الوقت تراجعت قوة الصالحية المصرية بعيدا عن متناول نيران المدفعية وحركات الإلتفاف التى حاول لواء الفرسان الأول إجراءها وواقع الأمر أن معرفة الإنجليز لتفاصيل

الخطة كان له أكبر الأثر فى فشل تنفيذها علاوة على تأخير قوات البارودى القادمة من الصالحية عن الموعد المحدد لها وبذلك لم تشترك فى المعركة كذلك لم يظهر فى الميدان جميع قوة الجيش التى كان يجب إستخدامها ، بل أن عرابى نفسه ظل فى التل الكبير بعيدا عن قواته وعن موقف القتال .

عموما فقد حاربت القوات المصرية ببسالة وحماس وقاتلوا قتال الأبطال [١] وجرح كل من راشد حسنى وعلى باشا فهمى فى هذه المعركة .

وكان ذلك عنوانا كبيرا للبسالة والتضحية وخسر الجيش المصرى بإصابة هذين القائدين خسارة جسيمة بفقد عناصر هامة من قيادته .

لقد كانت هزيمة الجيش المصرى فى واقعة القصاصين الثانية ، ضربة شديدة كشفت الموقف الحربى المصرى ، دلت على ضعف الجبهة المصرية أمام الهجوم الإنجليزى وظهر الإضطراب على القيادة المصرية وبدأ اليأس يتسرب إلى نفوسهم . وكانت خسائر القوات البريطانية :

قتيل ٣ ضابط صف وجندى

جريح ٢ ضابط + ٧٥ صف وجندى

خيول ٥ قتلى + ١٠ جريح . [٢]

---

(١) أحمد عرابى : مرجع سابق ص ٣٩٧

(٢) وزارة الحربية : الحملة الإستعمارية البريطانية على مصر سنة ١٨٨٢ ، القاهرة وزارة الحربية : كود ١١ ٦/ ، ١٩٥٦ ص ٢٤١ .

المبحث الثالث

معركة التل الكبير - ١٣ سبتمبر ١٨٨٢

أولا : الجانب المصرى

١ ـ الموقف العسكرى المصرى قبل معركة التل الكبير :

كان للفشل الذى منى به الجيش المصرى فى هجومه على القصاصين يوم ٩ سبتمبر١٨٨٢ أعمق الأثر فى الدوائر العسكرية المصرية . فلقد حشد عرابى لذلك الهجوم كل قوته ووضع له خطة هجومية تفصيلية ذات أهداف محددة ، ففشلت الخطة وتسربت تفصيلها إلى الجانب البريطانى - أعداء مصر - وأصبح وهذه الأحداث ماثلة فى خاطره لاتغيب عنه لحظة ، أصبح خائرا . مضطربا ، فقواته المتمركزة فى التل الكبير والتى تمثل كل الإمكانيات المصرية فى هذا التوقيت ، لاتقارن مع القوات البريطانية عددا وعدة وإستعدادا ، أضف إلى ذلك معظم القوات المصرية مبعثرة بين الصالحة ودمياط وكفر الدوار والقاهرة ، وبذلك تشتتت مجهود القوى المصرية فى مواجهة المعركة الرئيسية الفاصلة .

لقد أحجم عرابى عن سد القناة من الشمال والجنوب ، وقد خدعته وعود ديليسبس وأدى ذلك إلى فتح الباب على مصرعيه أمام الغزاة الإستعماريين ، الذين حشدوا كل قواتهم من أجل هذه المعركة والتى إنتظروها من مدة طويلة ، كما يساندهم حاكم ضعيف يسعى إلى تثبيت قواعم عرشه المتهاوى بأية وسيلة ، حتى لوكانت ممزوجة بالخيانة . من أجل بقائه على حكم شعب لايريده .

لمكن أمام عرابى وسيلة إلا تعزيز مواقعه التل فى التل الكبير ، وعين على الروبى باشا « قائد موقع مريوط » قائدا على القوات المصرية بالتل الكبير ، والذى لم تتح له الفرصة الكاملة للألمام بالموقف .حيث وصل إلى معسكر التل الكبير عصر يوم الثلاثاء ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ ، أخذ يتفقد فور وصوله مواقع القوات المصرية المرابطة فى منطقة التل الكبير ويعد نفسه لمواجهة جوم البريطانى المرتقب .

٢ - **الخطة الدفاعية المصرية عن التل الكبير :**

إمتدت المواقع الدفاعية المصرية فى التل الكبير من الخط الحديدى صوب الشمال مسافة تقرب من ستة كيلومترات ، وكان أمام مواقع الجند خنادق يتراوح عرضها بين ٢ - ٣ متر ويبلغ عمقها نحو ١ - ٢ متر . وفى العمق تم يط عدد من الخطوط الدفاعية الأخرى التى تمتد إلى معسكر التل الكبير الواقع على السكة الحديد . تلك المواقع لم تكن كاملة التجهيز حيث أقيمت على عجل كذلك عدم توفر الحجم الكافى من القوات للدفاع عنها أمام الحشد الكبير للقوات البريطانية والذى يحقق نسبة تفوق عاليه فى الأفراد والمعدات .

ويقول أحمد عرابى عن الدفاعات المصرية قوله « كلفت على باشا الروبى قومندان مريوط ليتولى قيادة جيش رأس الوادى ، فحضر عصر يوم الثلاثاء الموافق ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ ، وتوجه إلى المقدمة فأمر بنقل الآى على بك خنفس والآى عبد القادر بك عبد الصمد من الجناح الأيسر الذى كان مائلا على شكل زاوية منفرجة ليحمى المعسكر من هجوم العدو ، ووضعها على إستقامة الخط المستحكم الممتد من الترعة الحلوة إلى جهة الشرقية ، وأمرهما بإعداد دورة من التراب فى أثناء الليل ، فعمل عبد القادر بك عبد الصمد خط إستحكام خفيف بعساكره ، حيث كان فى الجناح الأيسر ، وأمام على بك خنفس فقد جمع عساكر الآيه فى هيئة قول ولم يجر عمل شيئ يقيهم مقذوفات العدو إذا هجم الجيش ، وتقدم أحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسنى بعساكره السوارى إلى الأمام على بعد ألفى متر ليمنعوا تقدم العدو إذا شاء الهجوم على معسكر نا » .

٣ - **حجم القوات المصرية فى معركة التل الكبير :**

قدر الجنرال ولسلى قوة الجيش المصرى المدافع بالتل الكبير بنحو ٢٤ طابور من المشاه (حوالى ٦ آلاف جندى) وثلاثة الآيات من القرسان وستة آلاف من البدو ونحو ٦٠ - ٧٠ مدفع [١] ويقول بلنت أن جيش عرابى بالتل الكبير لم يكن يزيد عن عشرة آلاف جندى ، أما

(١) يذكر المستر بلنت : أن الجيش بالتل الكبير لم يكن يزيد عن عشر آلاف .

بقية القوات فكانت من المجندين الجدد الذين لم يسبق لهم إطلاق طلقة واحدة ، كما أن خبرة الجنود كانت فى كفر الدوار بقيادة طلبة باشا عصمت وفى دمياط بقيادة عبد العال باشا حلمى ، وهؤلاء لم يشتركوا قط فى المعركة ، وكان من الفطنة أن يستدعى عرابى على الأقل - الآلاى المتمركز فى دمياط حيث يتضمن خبرة الجنود المدربين ولكنه لم يعمل ، ولم يأت من هذه الآلاى سوى أورطتان .

ثانيا: الجانب البريطانى

١ - تقدير الموقف من وجهة النظر البريطانية:

فى أعقاب عمليات يوم ٩ سبتمبر ، بدأ الجانب الإنجليزى فى إتمام حشد قواته بالجهة ، وتدفقت على القصاصين وغربها وحدات وتشكيلات الفيلق البريطانى (١) ، وكانت الروبيال أيريش فود ديلميرز أخر كتيبة وصلت إلى القصاصين ، حيث وصلت لإتخاذ أوضاعها ظهر يوم ١٢ سبتمبر وفى نفس الوقت وحتى يمكن صد أى هجوم مفاجئ من جانب القوات المصرية فقد أنشأ البريطانيون خط نقط خارجية قوية من المدفعية والمشاة على الأرض المرتفعة المشرفة على القصاصين .

أ - **توقيت الهجوم:**

ومن ناحية أخرى فقد وضع الجانب البريطانى عدة حيثيات لتوقيت الهجوم على القوات المصرية ، فكانت أنسب توقيت من وجهة نظره هى ليلا وذلك للأسباب التالية :

(١) أن خروج النقط الخارجية المصرية والحراس المصريين من المواقع الدفاعية لايتم إلا فجرا فقط (فى الساعة ٥٠٤٥ صباحا) .

(٢) أن الهجوم الليلى يمكن قواته من عبور المنطقة المغمورة بنيران المواقع الدفاعية بأقل خسائر ممكنة .

(٣) ضعف درجة الإستعداد للقوات المصرية ليلا ، وبالتالى يمكن تحقيق مبدأى المفاجأة والمبادأة بنجاح تام .

(٤) تمكين القوات البريطانية من السير فى أرض لايمكنهم عبورها نهارا إلا تحت ساتر كثيف من نيران الأسلحة المختلفة .

(٥) إمكانية الهجوم بنجاح ليلا دون تعوض القوات للساعات الشمس المحرقة نهارا حيث تهيئ ساعات الليل ستارا من الظلام وجوا باردا محببا للجنود .

كما أظهرت عمليات الإستطلاع أن الخط الحديدى وترعة الإسماعيلية ليست بهما أضرارا جسيمة قرب القصاصين ، وأدركت القيادة البريطانية أن وجود خطى المواصلات هذين

---

(١) أنظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٥) معركة القصاصين .

يسهل كثيرا من إتخاذ التدابير الخاصةبسير ليلى صحراوى . فمن أهم الضرورات اللازمة لعملية كهذه . هى تحرك القوات بأقل مايمكن لهم من المهمات وأن يتوفر لديهم التعيينات اللازمة بمجرد نجاحهم فى المعركة .

ب - <u>دراسة الأرض :</u>

كان من أهم مستلزمات . تنفيذ هجوم ليلى ناجح . هو دراسة تفصيلية للأرض حتى المواقع المصرية ، وقد تم ذلك فى صورة أكمل مما يحدث غالبا فى عمليات مماثلة فتم الإستطلاع التفصيلى لمحاور التقدم للقوات والطرق التى تمكن من الألتفاف وتطويق القوات المصرية المدفعية ، وكذلك تم دراسة نقاط الضعف بالدفاعات وكذلك مسافات التحرك للقوات ليلا الذى تم قياسه بطرق دقيقة والتى وصلت من نقطة بدء الهجوم إلى الدفاعات المصرية بنحو ٦٦٠٠ ياردة ، وكذلك إضافة كل الإحتمالات لمختلف التعطيلات التى يتعرض السير الليلى ، حيث سرعة تقدم القوات عبر الصحراء لاتزيد عن ميل فى الساعة وعلى ذلك تحددت ساعة بدء تحرك القوات بالساعة ١٣٠٠ صباحا لتصل مام الدفاعات المصرية وإقتحامها عند إنبثاق الفجر ، وبذلك يمكن تنفيذ هجوم مباغت وناجح ، يحقق المفاجأة .

وكذلك من دراسة الأرض نجد أن التل الكبير كان منفذا للزقازيق والقاهرة ولبضعه أماكن أخرى تعد نقط حشد الجيش العرابى المنتشر فى مصر ومنفذ القاهرة التى هى مركز السلطة وعاصمة مصر ، بذلك يمكن تحقيق نجاح سريع يصل بالقوات إلى المهمة النهائية للهجوم وهى الوصول للقاهرة .

جـ - <u>نجاح القوات فى الإستيلاء على التل الكبير يحقق النصر ويحقق الهدف من العملية .</u>

على ذلك فلكى تصبح التل الكبير طريقا نهائيا للنصر فقد كان على الجانب البريطانى تحقيق الآتى :

(١) أن لا يقتصر الأمر على إغراء القوات المصرية المرابطة بالموقع على تركه بل يجب أن يتم تدمير تلك القوات وهزيمتها بالقتال الفعلى .

(٢) أن يتم ذلك فى ساعات الصباح الأولى لتهيئة أطول فترة ممكنة من ضوء النهار لتتقدم فيها الفرسان صوب القاهرة ولتتمكن والمشاه من الإستيلاء على الزقازيق . وكان التقدم صوب القاهرة يحتل فى كل الأوقات المكان الثانى فى ذهن السير جارنت بعد تدمير القوات العرابية فى الميدان ، وكان يولى هذا الأمر عنايته فى كل إجراء يتخذه .

(٣) أن أى محاولة لتطويق موقع التل الكبير أما بطريق الوادى جنوبا أوبطريق الصحراء إلى الشمال لن يترتب عنها - أن نجحت - إلا دفع الجيش العرابى فى إضطراب والتراجع إلى القاهرة ، ولن يسهل عندئذ الدخول معه فى معركة فاصلة فى المنطقة أو الأرض المنزرعة التى لابد وأن يجرى بها إنسحابه ، كما أنه من المحتمل أن ينضم إليه أثناء تراجعه جميع القوات المقاتلة الأخرى فى مصر .

(٤) لقد كانت المزايا التى يمكن تحقيقها بإستخدام هذا الأسلوب للهجوم - عظيمة جدا ويبقى بعد ذلك تنفيذ الهدف بأسلوب يقلل من المصاعب اللازمة لمثل هذا الأسلوب . وعلى هذا فقد كان من الضرورى أن تتوفر المفاجأة التامة ما أمكن ، وفى نفس الوقت الإسراع بالهجوم وتنفيذ هذه الضربة فور حشد القوات وقبل وصول أى تفاصيل للمصريين عن إتمام حشدها ، وعلى ذلك فقد تحدد الليلة التالية لليوم الذى تصل فيه أخر القوات إلى منطقة العمليات على ألا تعطى أى إشارة لبدء تقدم القوات إلا بعد هبوط الظلام .

د - <u>إعلان المهمة قبل الهجوم بعدة ساعات لتحقيق المفاجأة :</u>

لم يحدد السير جارنت ولسلى المهمة إلى قادة الفرق واللواءات إلا صباح ١٢ سبتمبر ، وتم إصدار هذه المهمة على الأرض مباشرة من الأرض العالية التى يمكن أن تشاهد منها أغلب المدافع مصرية وطرق الإقتراب إليها وشرح لهم مهمة السير الليلى والمزايا التى يمكن تحقيقها فى مفاجئة الجنود المصريين أثناء نومهم ، دون توفر الوقت للإستعداد

للدفاع وبذلك يمكن تحقيق المفاجأة وسرعة تحقيق نصر حاسم ضد القوات المصرية ومنعها من القيام بأى هجوم مضاد .

ولتأكيد إنجاح المهمة فقد قرر قائد الحملة وضع خطة الهجوم بحيث يكلف كل من قائدى فرقته بعمليات مستقلة تمام الإستقلال عن الآخر ، وبذلك يمكن فى حالة فشل إحداها فى تحقيق المفاجأة وتوجيه ضربتها ، قد تكون الفرقة الأخرى قادرة على تحقيق النجاح وبذلك تتوفر الفرصة الكاملة لتطوير الهجوم فى إتجاه النجاح

هـ - **إستخدام المدفعية:**

نظرا لأن العمليات ستتم وبطريقة سرية ، نجد أن الواجب العادى للمدفعية فى بداية أى قتال وهو التمهيد بنيران بعيدة المدى لتأمين إقتراب المشاه - لا مكان له فى الهجوم الليلى تقترب المشاه فى صمت ، على أن تكون المدفعية مستعدة لتنفيذ أى مهام طارئة وحشد الإنجليز لهذا الغرض نحو ٤٢ مدفع ميدان تتخذ مواقعها فى منطقة قريبة من الدفاعات المصرية بعد تحرك ليلى لها حتى تكون مستعدة لمعاونة أى هجوم إذا تطلب الموقف ذلك .

٢ - **الخطة البريطانية وأسلوب تحقيقها - (اللوحة رقم ٢)**

أ - صدرت الأوامر لمختلف وحدات المشاه ، بالتقدم حتى الدفاعات المصرية دون إطلاق رصاصة واحدة ، ومن التلال المرتفعة فى منطقة القصاصين برز فى المواقع الدفاعية فى منطقة التل الكبير جزء له أهميته ، فإن ملاحظة الهيئات المرتفعة بتلك المنطقة دل على أنها لابد وأن تكون جزءا من الدفاعات المصرية فى النقط (ن ، و) بالخريطة « ظ » إذ تقع هذه الهيئات فوق أرض ترتفع عدة أقدام عما حولها ، وتمثل الجزء الجنوبى للإستحكامات المصرية عند قمة التل المرتفع بالقرب من الترعة ، وقد دل تاكيد أعمال الإستطلاع أن جزء من الدفاعات الممتدة من النقطة (ح) إلى الموقع (ك) كان أهم هدف يوجه نحوه السير .

وعلى هذا الإتجاه تقرر أن يوجه هجوم الفرقة الثانية بقيادة السير أ . هاملى ويتم الوصول إلى هدفه الرئيسى تجاه الدفاعات المصرية بالسير بمحاذاة الجانب الشمالى لحافة الأرض المرتفعة وفى إتجاه غربى تقريبا ، خاصة بعد تحديد موقع المدفعية المصرى (٨ مدفع) الواقع على مسافة نحو ١٢٠٠ ياردة على الجانب الأيمن للموقع المصرى ويقول الإنجليز أنهم لم يستطيعوا تحديد تفصيلات الدفاعات المصرية قبل بدء الهجوم ويقولون أن كل المعلومات التى وصلت إليهم عن طبيعة الدفاعات المصرية إنما كانت عن طريق أعمال الإستطلاع .

ولتغطية الجانب الأيسر للقوات ووقايتهم من أية محاولة هجوم مضاد من الجانب المصريين ، صدرت الأوامر إلى الهوزار ١٩ (كتيبتان) بالسير بمحاذاة الهضبة والإستعداد لمواجهة أى قوات مصرية فى المنطقة القريبة من الترعة إلى الجنوب .

ب ـ الفرقة الأولى بقيادة الجنرال ويليس حدد له هدف الهجوم إلى موقع على اليمين يؤدى بها فى سيرها إلى نقطة فى المواقع المصرية ، تعتبر هى أضعف النقط الدفاعية .

جـ ـ ولعدم تداخل الفرقتين الأولى والثانية فقد تم تحديد خطوط الإتجاه التى تؤدى بالفرقتين فى إتجاه غربى إلى النقطتين المطلوبتين فى خط الدفا ع المصرى ، بلوحات إرشاد على أن يقوم المهندسين العسكريين بوضعها بعد الغروب .

د ـ كذلك ترك لقائد كل فرقة حرية اللامركزية فى التخطيط بإعتبار إنفصال مهمة كل منهما عن الأخر ى ، تتم المرحلة الأولى منها بتحرك ليلى فى تشكيل السير ثم يتحول بالقرب من المواقع المصرية إلى تشكيل الهجوم ، يخصص لكل كتيبة هدف منفصل ويترك مسافة كافية بين أهداف الكتائب ، تجنبا لإختلاط أى منهما بالآخر .

(١) تشكيل اللواء الهايلا ندرز (شكل فى ٤ كتائب) كالآتى :

كتيبة البلاك ووش	كتيبة الجوردون	كتيبة الكامرون	كتيبة المشاه الخفيفة
	هايلانـــدرز	هايلانـــدرز	الهايلانـــدرز
نصف الكتيبة اليسار	النصف اليسار	النصف اليسار	النصف اليسار
. . . .	× × × ×	+ + + +	** **
.... مسافة فتح	.... مسافة فتح	.... مسافة فتح	... مسافة فتح
. . . .	× × × ×	+ + + +	****
نصف الكتيبة اليمين	النصف اليمين	النصف اليمين	النصف اليمين

يتهيأ لكل كتيبة مواجعة كافية يتقدم فيها نصفها فى طابور واحد صوب الدراوى الأمامية مباشرة دون إطلاق النار ويتقدم نصفها الآخر لمعاونته ، وعلى هذا الشكل يتخذ كل لواء تشكيل قتاله فى نسق واحد شكل فى خطين .

ويتقدم اللواء الثالث خلف لواءات النسق الأول - فى الخط الثانى للفرقة للعمل كإحتياطى لها .

(٢) أما الفرقة الأولى ، فكانت ستقطع منذ البداية مسافة أطول حتى الوصول إلى كوبرى التل الكبير والدفاعات المصرية ، إذا فهى تختلف عن الفرقة الثانية :

* فى طول مسافة المسير من نقط البداية حتى الدفاعات المصرية
* وفى مهاجمة دفاعات أقل تجهيزا وأضعف من الدفاعات الأخرى .

(٣) أما الفرسان والمدفعية الراكبة ، فقد دفع بها إلى أقصى يمين القوات ، وتحددت مهمتها فى الإلتفاف حول مؤخرة الموقع المصرى بمجرد إشتباك قواته تماما مع قوات النسق الأول للقوات البريطانية ، كما حددت لها مهمة خلخلة الدفاعات المصرية بتطويقها من الخلف ومهاجمة وحدات المدفعية والإستعداد لمطاردة القوات المصرية

وتدميرها لتحقيق الهدف النهائى من العملية .

(٤) تقدم لواء الهايلاند بحذاء خط الأعمدة ، فى نفس التشكيل الذى سيهجم به ، وتقدمت كل كتيبة فى خطين – الخط الأول ويشكل من سريتين والخط الثانى من سريتين فى الإحتياط وقد إتخذ هذا التشكيل حتى يكون التغيير فى التشكيل من التحرك الليلى إلى تشكيل الهجوم فى أقل حدود ممكنة .

(٥) تقدمت الفرقة الأولى بقيادة الجنرال ويليس باللواءين فى تشكيل « قولات أنصاف كتائب بمسافات جانبية للفتح » إلى أن تقدمت الفرقة مسافة كبيرة أصبح بعدها اللواء القائد معرضا لنيران الموقع الدفاعى فى أية لحظة ، وعندئذ يتحول اللواء إلى تشكيل الخط ثم إلى تشكيل الهجوم .

(٦) وتحدد للواء الفرسان الهندى ، مهمة التحرك على الجانب الجنوبى القتال ، بعد ساعة من بدء سير قوات الجيش حتى لايثير عن سيره فى الوادى إنتباه سكتن القرى إلى الهجوم ، قبل أن تستعد القوات الرئيسية لتوجيه ضربتها ، ويكون اللواء مستعدا لقطع خط السير على القوات المصرية المرتدة ثم الإتجاه إلى الزقازيق مباشرة للسيطرة على منطقتها .

(٧) اللواء البحرى ومعه مدفع ٤٠ رطل . يتحرك بمحاذاة خط السكة الحديد وفى إتجاه مواز للواء الهندى لمعاونته أثناء المعركة (تقدم الحملة البريطانية – أنظر اللوحة رقم (٣)

هـ -كذلك أصدرت تعليمات عمليات لإعادة توزيع القوات هذا نصها :

(١) ينفصل اللواء البحرى عن اللواء الأول ، وتحدد له مهمة منفصلة ويدعم بمدفع ٤٠ رطل

(٢) يقوم الآى الفرست رويال وست كنت بحراسة المعسكر ، عدا ٥٠ رجلا ، يقومون على حراسة قول الذخيرة .

(٣)توضع مشاه الدوق أوف كورنوول الخفيفة والكنج رويال ريفل كور الثالث تحت قيادة الكولونيل سبر نهام ومنهما يتكون اللواء الرابع الذى يعمل كإحتياطى للفرقة الثانية ويتحرك خلفها .

(٤)يتكون لواء مدفعية بقيادة الجنرال قائد المدفعية من الوحدات التالية :

* البطارية ن / اللواء الثانى
* البطارية هـ / اللواء الأول
* البطارية ت / اللواء الثالث
* البطارية و / اللواء الثالث

(٥)يلحق بفرقة الفرسان كل من البطارية جـ / اللواء ب والبطارية ن / اللواء أ (مدفعية ملكية) .

(٦)تؤخذ المسافات من اللواء الرابع وتكون نقطة التوجيه هى يسار مشاة الدوق أوف كوروتوول الخفيفة – وتنسحب النقط الخارجية عدا الموجودة بالتل التاسع[1]

و – **تشكيل الهجوم على التل الكبير :**

(تفصيلا أنظر اللوحة رقم ٤)

٣ – **القوات البريطانية التى أعدت للهجوم :**

كانت القوات البريطانية التى قامت بالهجوم على المواقع المصريسة بالتل الكبير مكونة من فيلق بقوة ٦٣٤ ضابط ، ٦٧٦٧ صف وجندى + ٦١ مدفع + ٦ جاتلينج يمكنها أن تحقق نسبة تفوق على القوات المصرية التى لاتزيد عن ٨٠٠٠ جندى مقاتل نحو ٢,١ : ١ لصالح القوات البريطانية وتكونت هذه القوات من فرقتين من المشاة وفرقة من الفرسان كالأتى :

أ – **الفرقة الأولى (بقيادة الجنرال ويليس)**

(١) لواء الجاردز (الدوق أوف كونوت) بقوة ٣ كتائب .

(٢) اللواء الثنى (الميجر جنرال جراهام) بقوة ٤ كتائب

---

(١) أنظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٥) معركة القصاصين .

ب - **الفرقة الثانية بقيادة السير أ • هاملى**

(١) اللواء الثالث (اليهايلاند) من ٤ كتائب

(٢) اللواء الرابع من ٢ كتيبة

(٣) اللواء البحرى

(٤) المدفعية الملكية بقيادة البريجادير جنرال جودنوف وتتكون من :

البطارية أ / اللواء الأول + البطارية د / اللواء الأول + البطارية هـ / اللواء الأول + البطارية ى / اللواء الثانى + البطارية ن / اللواء الثانى + البطارية ت / اللواء الثالث + البطارية و / اللواء الثالث + البطارية ن / اللواء أ + الطارية جـ / اللواء ب + المدفعية الراكبة الملكية .

(٥) مدفعية مشاه البحرية (الرويال مارين)

جـ - **قوة الفرسان بقيادة الميجر جنرال درورى لو:**

(١) ثلاث كتائب من الهوسهولد

(٢) الدراجون جاردز الرابع والخامس والسابع

(٣) الهوزار ١٩ - (كتيبة)

(٤) فرسان البنغال الثانية

(٥) فرسان البتغال السادسة

(٦) فرسان البنغال الثالثة من المشاه الراكبة + البطارية ف / اللواء الأول .

(٧) سرية من الآى الوست كنت .

د - **الفرقة الهندية**

(١) الكتيبة الأولى سيفورت هايلاندرز .

(٢) مشاة البنغال السابعة .

(٣) مشاة البنجاب العشرين .

(٤) مشاة البلوشيز ال ٢٩ .

(٥) البطارية ٧ / اللواء الأول

(٦) بطارية مدفعية جبلية .

هـ - إجمالي القوة :

	ضابط	صف ضابط
الفرسان	١٢٥	٢٦٦٠
المشاه	٤٢٢	١١٧٠٢
المدفعية	٨٧	٢٤٠٥
إجمالى	٦٣٤	١٦٧٦٧

ثالثا : سير العملية : (اللوحة رقم ٢)

بمجرد هبوط الليل بدأت المرحلة الأولى من التحرك الليلى ، أى من منطقة المعسكر بالقصاصين إلى منطقة التجمع حول التل التاسع ، ولقيت القوات صعوبات كبيرة فى العثور على أعمدة التوجيه (الإرشاد) التى وضعها المهندسين لإرشاد القوات فى الجزء الأول من المسير ، وكان الليل مظلما للغاية ، وإنقضت فترة قبل الإنتهاء من إعادة تمركز القوات البريطانية إلى المواقع المخصصة لها وما أن جاءت الساعة ٢٣٠٠ مساء حتى كانت القوات فى أوضاعها (طبقا للوحة رقم ٤) وفى الساعة ٠١٣٠ صباحا أصدر القادة أوامرهم بالتقدم غربا وفقا للخطة ، وأنشئت سلسلة من نقاط الإتصال بين اللواءات القائدة لكل فرقة وبين القوات المتقدمة خلفها حتى لاتفقد القوات إتصالها معا فى الظلام وتقدمت القوات فى صمت كامل حتى لاتشعر القوات المصرية بتقدم القوات البريطانية .

١ - **أسلوب التحرك (مرحلة التحرك)**

أ - تقدم اللواء الثالث الهايلاندرز فى تشكيل قولات أنصاف كتائب بالسرايا المزدوجة ، فى الجانب الأيمن البلاك ووتش تليها الكتيبة الأولى كامرون هايلاندرز ومعها الكتبة الثانية من مشاه الهايلاند الخفيفة ، ووضعت السرية اليمنى للكامرون هايلاند رز كسرية إتجاه - لتحديد الإتجاه للقوات ، وتم الإسترشاد ببعض النجوم التى ظهرت من السحب التى أحجبت معظمها فى توجيه الإتجاه ليلا .

ب - تحركت المدفعية بين لواء الجاردز بالفرقة الأولى ، ولواء الكولونيل إشبرنهام بالفرقة الثانية على جبهة واسعة إحتلتها بعدد ٤٢ مدفع وعلى هذا فقد تحركت المدفعية طبقا للترتيب التالى :

البطارية أ / ١ (١٦ رطل) - البطارية د / ١ (١٦ رطل - البطارية ى / ٢ (١٦ رطل)

- البطارية ن /٢ (١٦ رطل - البطارية ث /٣ (١٣ رطل) - البطارية و / ٣ (١٣ رطل)

- البطارية هـ / ١ (٩ رطل) .

جـ - وتميز سير الفرقة الأولى بالبطء عن سير الفرقة الثانية ، وكان المفروض العكس ، حيث تصل إلى خنادق المواقع المصرية قبل الفرقة الثانية لميل الخط الدفاعي المصرى صوب الشرق قليلا .

ويعدد الجنرال ويليس أسباب تأخر وصول الفرقة الأولى إلى الموقع الدفاعي إلى أن الإتجاه الذى إتخذته المدفعية للتحرك غربا ، أدى إلى حد ما للدفع بيمين القوات إلى الوراء ، مما أدى إلى إبتعاد الفرقة الأولى ، التى سارت متمشية مع إتجاه المدفعية - كثيرا عن الخنادق ولأن الإتجاه الذى إتخذته كان يتجه نوعا صوب الشمال الغربى ، وأدى هذا بدوره إلى الدفع بالجانب الأيمن إلى الوراء .

د - تحرك اللواء الأول - القائد للفرقة الأولى فى البداية فى قول أنصاف كتائب ، وبعد تقدم إستمر ساعة ونصف وقف اللواء لمدة عشرين دقيقة ، وفى الساعة الثالثة صباحا ، إتخذ اللواء تشكيل الطابور ، وتقدم إلى الإتجاه المحدد له حيث إعترضته فيه بعض الصعوبات والأعطال .

والشئ العجيب أن القوات المصرية كانوا على جهل تام بأمر هذا التحرك ومن الهجوم الزاحف صوب مواقعهم ، فقوات الجيش المصرى التى كانت مخصصة للدفاع عن الدراوى ومدافع بطاريات المدفعية كانت تقضى الليل كله مضطجعون فى خنادقهم وإلى جانبهم أسلحتهم وذخائرهم ، وأنه على مايبدو كان هناك بعض الفرسان فى المنطقة بين الموقع الأمامى المنعزل يمين الموقع المصرى وخط الدفاع الرئيسى ، غير أن أحدا من هؤلاء لم يبرح المنطقة المجاورة للخنادق نفسها، ويبعث بتقرير واحد إلى الموقع الرئيسى.

هـ - تحرك الفرسان:

لم تترك فرقة الفرسان المعسكر مع بقية الفيلق ، وقد إتخذ هذا الإجراء حتى لايختل تحرك المشاه ، وعندما تحركت الفرسان إلى مواقعها فى الطرف الأيمن من الخط إتبعت نفس الأسلوب ، فقد صدرت إليها الأوامر بالا تتبع خط السير الذى سلكته المشاه ، وكلف قائد الفرسان الهندى لقيادة المسير .

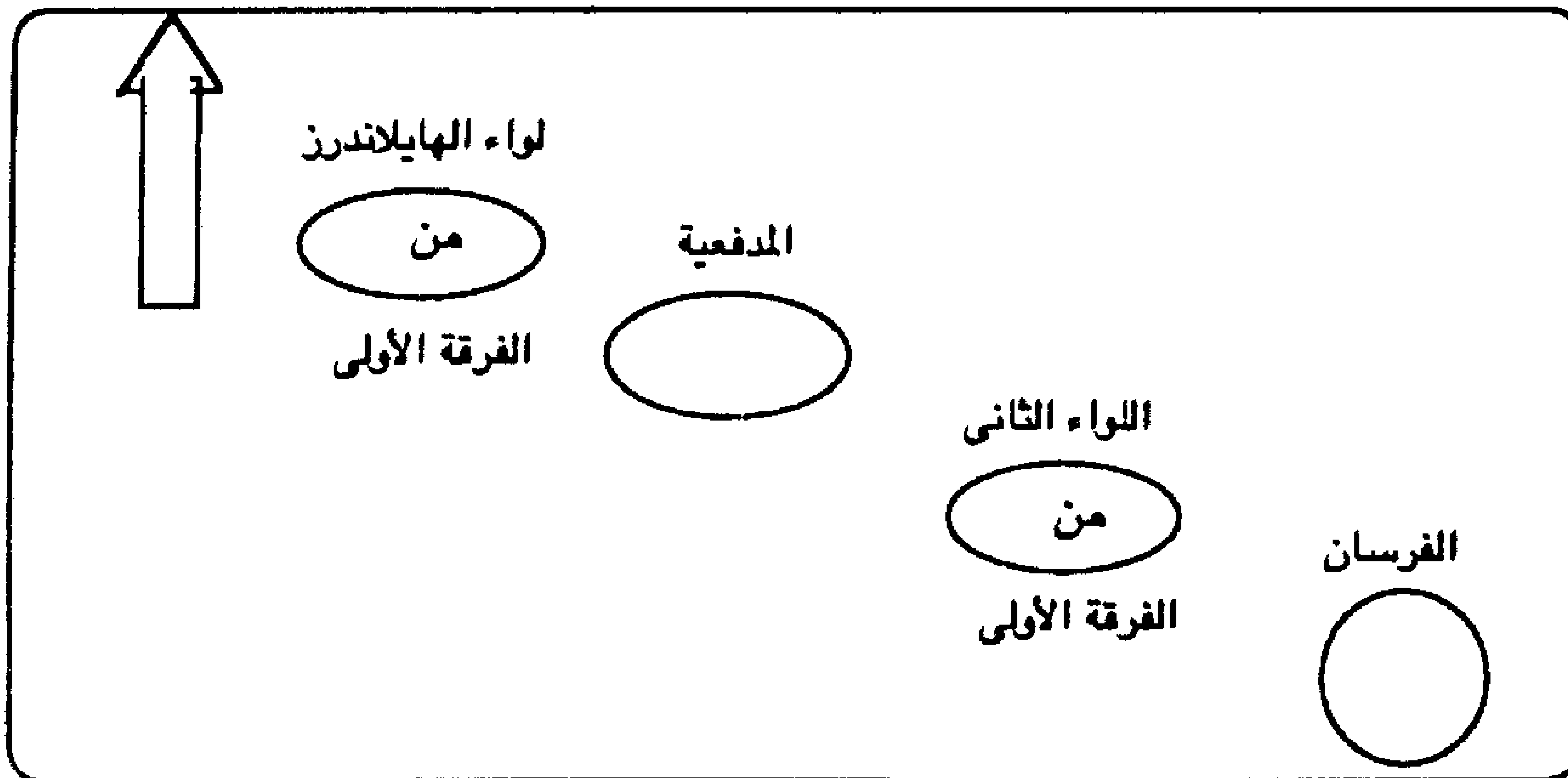
وتقدمت الفرقة بالنظام الآتى :

البنغال لانسرز ١٣ فى المقدمة - يتبعها على الترتيب فرسان البنغال ٢ وفرسان البنغال ٦ ، بطاريات المدفعية ن / أ ، جـ / ب الراكبة وفى الخلف تحرك اللواء الثقيل والمشاة الراكبة .

وعند وصول القوات إلى النقطة المحددة لها توقفت قليلا وإتخذت تشكيل التقدم ثم إستأنفت المسير فى الساعة ٠٢١٥ صوب الشمال الغربى فى تشكيل قول تروبات .

وفى الساعة ٠٣١٠ وقف الفرسان ثم ولوا وجههم صوب الغرب إنتظارا لسماع طلقات المعركة كإشارة لبدء تقدمهم ، وكان الغرض من بقائهم فى الخلف هو الحيلولة دون إكتشاف القوات المصرية للهجوم .

وفى الساعة ٠٤٣٠ وحين وضح للسير جارنب ولسلى أن القوات البريطانية قد أصبحت على مسافة قريبة من الدراوى المصرية ، أرسل أوامره إلى قائد اللواء الإحتياطى المعاون فى الفرقة الثانية بالتقدم بقواته والإنضمام إلى اللواء الأمامى ، وعندما أوشك الهجوم أن يبدأ لم يستطع أحد من اللواء الهايلاندر أو لواء الجنرال جراهام (١) ، معرفة الموقع الصحيح للآخر ، ومع أن فرقة الفرسان لم تعرف موقع باقى القوات ، فقد كانت جبهة الجيش كله إلى الشمال من الترعة فى شكل تدريجى غير منظم كالأتى :



(١) أنظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٥)

٢ - مرحلة الهجوم (من وجهة النظر البريطانية)

أ - ومع إقتراب الهايلاندرز من المواقع ، وبعد دقائق قليلة أطلقت عدة طلقات فورية ثم إندلعت من الخط كله قذائف متوالية من النيران ، ومع أن اللواء الهايلاندرز كان على مسافة الإقتحام الفردى ، فإن اللواء الثانى واللواء الأول / الفرقة الأولى كانت لاتزال على مسافة ٨٠٠ - ٩٠٠ ياردة من الدورة الأمامية للمواقع ، وأصبح من الضرورى بعد أن تنبه المصريون إلى الهجوم البريطانى أن يقطع اللواء الثانى مسافة أطول مغمورة بالنيران من تلك المسافة التى يقطعها لواء الهايلاند ، وعلى هذا إتخذ الجنرال ويليس قائد الفرقة الأولى قرارا بالإقتحام بالطريقة بالطريقة العادية للهجوم النهارى ، أى فى تشكيل الهجوم ، وزاد هذا من تعطل تقدم وحدات الفرقة صوب الدرارى ولذلك إنفرد لواء الهايلاندرز / الفرقة الثانية بقتال القوات المصرية فى الدقائق الأولى للهجوم (نحوه١٥ دقيقة)

ومع إطلاق النيران فى تمام الساعة الخامسة إلا خمس دقائق ، دوت الأبواق المصرية معلنة الإنذار ببدء هجوم القوات البريطانية ثم بدأت المدفعية المصرية فى فتح نيرانها ضد القوات البريطانية .

وأصدرت القيادات الإنجليزية أوامرها (بإشارة متفق عليها) بالإقتحام ، ثم دوى النفير معلنا بدأ الإقتحام ، وإنطلقت موسيقى القرب الإسكتلندية وإندفع الجنود الهايلاندز فى موجتين طويلتين نحو الإستحكامات المواجهة لهم ، وكانت القولات المزدوجة لأنصاف الكتائب قد إنضمت معا تدريجيا أثناء السير حتى أصبح اللواء مكونا تقريبا فى خطين مستمرين .

وإنهمرت نيران القوات المصرية الكثيفة على القوات البريطانية المهاجمة ، وإستمر الجنود الإنجليز فى مواصلة التقدم حتى وصلت إلى قمة الدورة والتحموا مع القوات المصرية فى الخنادق .

ويقلل الإنجليز من شأن المقاومة المصرية التى إلتقت بها قوات الهايلاندرز وأنه أمكن التغلب عليها بسهولة ، ولم يكن هذا هو الواقع بحال مما ، فقد كانت النيران المصرية مكثفة لفترة طويلة وتثبت المدافعون بمواقعهم ، فلم تستطع قوات الخط الثانى من التقدم بل عادت إلى الوراء وأصيب جواد قائد اللواء ، وحتى أولئك الجنود الإنجليز التى تمكنوا من التشبث بالأرض على الجانب الأخر من الدورة تعرض منهم الكثير للنيران المصرية ، غير أنهم عاودوا الهجوم ثانية ، عندما صاح بهم السير أ . هاملى يأمرهم بالعودة إلى الهجوم ، وإضطر هاملى إلى الدفع بالقوة الإحتياطى التى فى يده تجاه حرب النجاح ، ليستطيع تطوير الهجوم بنجاح ودون توقف ، بل قام بقيادة هذا الهجوم بنفسه .

وإن دل هذا على شئ ، فعلى أن القوات البريطانية كادت تتداعى صفوفها أمام عنف المقاومة المصرية ، وكاد يؤدى نكوص الكثيرين منهم على أعقابهم إلى فشل هجوم لواء بريطانى كامل ، كان أول من إلتحم من القوات البريطانية بالمواقع المصرية ولولا إندفاع قائد اللواء هايلاندرز ومبادرته إلى السيطرة على قواته لإنقلبت الموازين فى معركة التل الكبير ولمنى الجيش الإنجليزى بالهزيمة .

وتقدم القتال فى بطء وسرعان ماتم تجميع مجموعات مختلفة من مختلف جنود الكامرون والجردون والتى إستطاعت أن تتقدم صوب النقط الدفاعية المصرية وهاجمتها واحدة بعد الأخرى حتى تم الإستيلاء على الخط الأمامى بين البطاريتين عند النقطتين (ح + ك)(١) وعلى يسار لواء الهايلاندرز حاولت المشاه الخفيفة الهايلاندرز عبور الجزء المواجه لها من خط الدفاعات المصرية ، والذى إمتاز بمنعته علاوة على إحتلاله بالآيات من الجنود النوبيين الذين حاربوا فى جرأة عظيمة وبسالة رائعة الذين خرجوا من خنادقهم وقاموا بمهاجمة القوات الإنجليزية واقتحموا صفوفهم وردوهم على أعقابهم خارج المواقع .

وعلى الجانب الأيمن واجهت قوات بلاك ووتشق أيضا دفاعات قوية من الموقع المصرى فى النقطة (ك) ولم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم ، وبذلك عجز جناحى لواء الهايلاندرز عن

(١) انظر الخريطة رقم (٥) .

التقدم أمام منعه الدفاعات ، وإندفع الوسط خلف الخطوط الداخلية للإستحكامات ، وحالت شدة نيران القوات البريطانية وقتا طويلا عبر الأرض المفتوحة فى المسافة الواقعة بين خطى الإستحكامات .

وفى الساعة ٠٥٢٠ كان لواء الهايلاندرز قد بدأ مواصلة تقدمه بعد إستيلائه على الخط الخارجى للموقع وفى نفس الوقت وعلى اليمين بدأ هجوم اللواء الثانى من الفرقة الأولى .

ب - هجوم الفرقة الأولى :

بدأ هجوم اللواء الثانى / الفرقة الأولى متأخرا نحو ١٠ - ١٥ دقيقة عن لواء الهايلاندرز وفى الوقت الذى كان فيه الهايلاندرز يبدأون إندفاعهم نحو الخنادق الداخلية ، إندفع ذلك اللواء نحو خط الإستحكامات للدفاعات المواجهة له ، وإضطر المصريون تحت وطأة نيران الهجوم إلى التراجع قليلا عن الدورة وهم يقاومون فى إصرار وتقدمت كتيبة الرويال إيريش على الجانب الأيمن متخذة مواقع متتالية لتغطية تقدمها وكان الموقع المواجه لتلك الكتيبة رقيقا جدا ، غير أن ذلك لم يقلل من تأثير النيران المصوبة منه ضد القوات البريطانية .

ومن ناحية أخرى إندفع الآى اليورك ولانكستر نحو الموقع (م) والدروة القائمة إلى يمينه ، وعلى يسار اليورك ايريش فوزيليرز .

وتقدمت مشاه البحرية (الرويال مارينز) حتى مسافة ١٠٠ ياردة من الدروة دون إطلاق نيرانها ، وتمكنوا من الإستيلاء على الدروة ، غير أن القوات المصرية إستطاعت أن تتثبت بالموقع الدفاعى على مسافة ٥٠ ياردة منها .

جـ - الفرسان:

فى أقصى اليمين تقدمت الفرسان نحو الساعة ٠٤٤٠ ببطء شديد ، ولكنهم أسرعوا فى التقدم فور سماع الطلقات الزولى من الهجوم ، وكانوا قد أصبحوا فى الساعة الخامسة إلا خمس دقائق على نحو مسافة ٢٠٠ ياردة من الدروة ، حيث وقعوا تحت تأثير نيران الموقع (س) ، وتقدمت المدفعية الراكبة وإشتبكت مع ذلك الموقع وتمكنت من إسكاتـه ،

وإسكات بطارية المدفعية فى الأرض المفتوحة خلف الدروة .

إستمرت الفرسان فى تقدمها باللواء الهندى فى المقدمة فى تشكيل طابور أورط وفى الوقت الذى تمكن فيه لواء الهايلاندرز من دفع المصريين إلى الوراء من الدورة الأمامية - إبتدأ الفرسان تقدمهم داخل الموقع ، وعبرت الفرسان خط الخنادق وبدأت فى الإلتفاف حول مؤخرة يسار الموقع المصرى .

وبمجرد أن مرت قوات البلاك ووتش بالموقع (ك) - عبرت إحدى بطاريات المدفعية الدروة، من جانبها الجنوبى ، حيث بدأت فى فتح نيرانها ضد المواقع المصرية ثم إندفعت باقى وحدات المدفعية بالتتالى والتى فتحت نيرانها على القوات المصرية فى المواقع التى لم تسقط بعد وضد بطاريات المدفعية المصرية .

وإستطاعت قوات الريفلز ووتش من التقدم تحت ستر نيران المدفعية والإشتباك مع القوات المصرية التى لاتزال تثبت بمواقعها شمال النقطة (ك) وجنوب النقطة (ل) .

كانت أوضاع القوات البريطانية حتى الساعة ٠٥٣٠ صباحا كما يلى :

(١) إنتهت الهيلاندرز من عبور الخندق الأمامى وبدأوا يتقدمون صوب الخط الداخلى عند النقطة (ت) .

(٢) إنتهت مقاومة الآى القوات النوبية فى الشمال .

(٣) توقف كل المقاومة المصرية فى الموقع الممتد من النقطة (ك) إلى الشمال .

(٤) إندفع لواء الجنرال جراهام أمام الدروة نحو جموع القوات المصرية التى إتخذت مواقعها على بعد من ذلك المكان ، ووجد المصريون أنفسهم بعد قتالهم العنيف محاصرين من وجميع الجهات ، ووصلت الفرسان إلى مؤخرتهم ، وبدأوا يعزفوا عن القتال ، وبدأت تهيم على وجهها فى أرض المعركة ، وإنطلق الفرسان البريطانيون وسط هذه الجماعات صوب كوبرى التل الكبير .

هـ - وعلى الجانب الأيمن وخلال الفترة من ساعة ٠٥٣٠ إلى ساعة ٦٠٠

(١) في الفرقة الأولى : أعاد لواء الجنرال جرهام تنظيمه ثم تقدم فى تشكيل منظم فوق الأرض العالية متجها صوب الكوبرى . أما لواء الجاردز الذى تعرض لنيران أقل من سابقه لوجوده في الإحتياط فقد تقدم عبر الدروة ثم إلتف إلى اليسار متقدما خلف لواء الجنرال جراهام . وإندفعت الفرسان نحو الجنوب متجهة نحو الخطوط الدفاعية المصرية الواقعة أمام الكوبرى .

(٢) وفي الفرقة الثانية : وعلى أقصى يسار الهجوم ، عاودت المشاه الخفيفة الهايلاندرز المعززة بجزء من لواء الجنرال أشبر نهام - هجومها على الموقع (ح) فى نحو الساعة ٠٥٤٠ ، ثم إندفعت جنوبا صوب الترعة مكتسحة بقية الخنادق فى هذا الجانب .

أما الآلايين الموجودين فى القلب ومعهما جزء من البلاك ووتش فكانا لايزالان يتقدمان فى الدفاعات التى إستوليا عليها فى (ك) صوب خط الخنادق من النقطة (ت) إلى النقطة (خ) وبمحازاته ونحو منتصف الخط بين دروتى الداخلى ويبدأ إنسحاب القوات المصرية جنوبا نحو الترعة ، بادرت القوات البريطانية بحشد جزء من قوات الهايلاندرز للضغط على القوات المصرية ، وفى نحو الساعة السادسة صباحا أو بعدها بقليل كانت المعركة قد حسمت بشكل نهائى لصالح القوات البريطانية فكانت المعركة الفاصلة لبدء الإحتلال البريطانى لمصر بالتقدم بعد ذلك صوب القاهرة والقضاء على الثورة العرابية . (١)

٢ - **خسائر الجانبيين :**

أ - **الجانب المصرى :**

١٥٠٠ - ٢٠٠٠ قتيل - والإستيلاء على المدافع ومعظم أسلحة الجيش والذخائر .

---

(١) وزارة الحربية : الحملة الإستعمارية البريطانية على مصر ١٨٨٢ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، كود ٦/١١ ، ١٩٥٦ ، ص ص ١٥٦ ، ١٦٩ - ١٧٠ ، ١٨٠ - ١٩٠

ب - **الجانب البريطاني :**

(١) قتلـــى : ٨ ضابط + ٤٨ صف وجندى .

(٢) جرحى : ٢٧ ضابط + ٥٥٣ صف وجنى . [١]

(٣) مفقــود : ٢٦ صف وجندى .

٤ - **معركة التل الكبير من وجهة النظر المصرية :**

أ - **حجم القوات المصرية :**

يبالغ عرابى فى مذكراته عند ذكر حجم القوات المصرية ، ولعل هذا كان لدوافع تتعلق بمحاكمته - فإن المستر بلنت صديق عرابى ، ويذكر إلى جانبهم أعداد أخرى من الجنود الجدد ويذكر عرابى أوضاع القوات المصرية على النحو التالى :

(١) كتيبة مشاه + ٤ مدافع جنوب الترعة من القطة (غ) الواقعة بين التل الكبير والقصاصين وعلى نحو ٢٣٠٠ ياردة شرق دفاعات التل الكبير [٢] .

(٢) كتيبتا مشاه + ٢٠٠٠ من العربان + ٣٠٠ من الفرسان + ٢ مدفع .

إلى الجنوب عند أبو نشابة وهى تلال رملية عند النقطة (ث) على التل الواقع طرف الصحراء والوادى وعلى نحو ٤,٥ ميل من القصاصين .

(٣) ثلاث كتائب مشاه + ٦ مدافع عند السد وإلى الخلف مباشرة كتيبة مشاه و٤ مدافع فى الموقع الأمامى أمام الدفاعات .

(٤) ثلاث كتائب مشاه + ٥ مدافع + بقية الفرسان + ١٧٠٠ جندى (فى الإحتياط)

إذا فهناك ١٠ كتائب مشاه + ٤ مدفع تحتل الدفاعات وموزعة كالآتى :

٦ كتائب على طول خط الجبهة جنوب النقطة (ك)

٣ كتائب على يسارها أى إلى الشمال + كتيبة تحتل فى أقصى الشمال .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٤٩١ .

(٢) أنظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٥)

ب - وخلال سير العمليات يقول : أنه وصل الإنذار الأول للهجوم نتيجة إطلاق النار من النقط الخارجية ثم إنسحابهم إلى داخل المواقع ، وكان هذا الإنذار عديم الجدوى عمليا لقرب النقط الخارجية من خط الدفاع الرئيسي . وقد فوجيء الجنود الموجودين فى الخنادق مفاجأة تامة ، ولم يسمع عرابى شيئا عن الهجوم كما يقول - إلا عند إستماعه إلى صوت النيران أى بعد البدء الفعلى للمعركة ويؤكد عرابى أن الهجوم على يسار الموقع المصرى قد حدث قبل هجوم الهايلاندرز على منتصف الخط الدفاعى المصرى .

جـ -ويذكر عبد الرحمن الرافعى فى كتابه « الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى » عن المعركة فيقول « أن المصريين حين بدأ هجوم القوات البريطانية عليهم كانوا نائمين بعد أن سهروا فى سماع ذكر أرباب الطرق ،فاستيقظوا على البنادق ، ويقول أن الإنجليز خسروا فى بدء هجومهم على الدفاعات الأمامية نحو مائتى قتيل » ويذكر عبد الرحمن الرافعى عن الوحدات المميزة فى القتال فيقول « أن الآلايين السودانيين بقيادة الأميرالاى محمد بك عبيد قاوما حتى النهاية واستشهد البطل محمد عبيد ، وكذلك الآى من المشاه بقيادة أحمد بك فرج والآى آخر بقيادة عبد القادر بك عبد الصمد - كذلك أبلى اليوزباشى حسن رضوان قائد المدفعية بلاءا رائعا فى المعركة حيث أصلى الجنود البريطانيين نيرانا حامية وكبدهم خسائر جسيمة رغم إصابته فى المعركة ، وترك الجنرال « ولسلى » سيفه له إحتراما لبسالته ويستطرد عبد الرحمن الرافعى روايته فيقول « لم يشترك فى المعركة أكثر من ثلاثة الألف مقاتل وأن بقية الجنود تولاهم الذعر فألقوا بأسلحتهم ولاذوا بالفرار ولم تدم المعركة أكثر من عشرين دقيقة » وعن خسائر الإنجليز يقول أنها بلغت نحو ٧٥ قتيلا منهم ٩ ضابط + ٤٨ صف وجندى ، ٤٠٢ جريحا منهم ٧٢ ضابط » وهذه الأرقام عن الجرحى تعتبر صحيحة حيث دلت الإحصائيات على أن عدد جرحى الجنود البريطانيين وصل إلى نحو ٥٥٢ جندى جريحا + ٢٧ ضابط جريح ، علاوة على ماسبق نحو ٣٠ مفقود .

ويذكر أعداد خسائر المصريين فيقول أنها تراوحت بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ قتيل - علاوة

على أن الإنجليز غنموا جميعا الأسلحة والمعدات والذخائر والمهمات .

د - ويذكر عرابى فى مذكراته عن المعركة قوله « أن سبب الهزيمة كان تخلى القوات فى اليسار عن مواقعهم ، وأن الجزء الذى هاجمته قوات الهايلاندرز قد تسرب إليه الإضطراب نتيجة لإنضمام الشاردين من اليسار إليه . وأن سبب إنسحاب الإحتياطى السليم والمحاولة العامة للهرب إلى محطة السكة الحديد تلك المحاولة التى بدأت من غير شك قبل وصول الهايلاندرز ، قد عاد إلى تقدم الفرسان والمدفعية الراكبة وإلى التهديد الناشئ عن ظهور الفرقة الأولى على الساحة وليس لمجرد تقدم الجماعات الصغيرة للهايلاندرز ذلك التقدم الذى بدأ نحو الساعة ٠٦٠٠ بالإندفاع وراد النقطة (خ) .

وفى تمام الساعة ٠٥٥٢ بدأ الإنجليز فى تصويب نيرانهم صوب القطارات التى كانت تحاول الإنسحاب من محطة التل الكبير وبها جماعات من الشاردين ، وتمكن القطاران الأولان من الإفلات دون أن ينالهما ضرر ، ولكن إنفجرت فى القطار الثالث بعض الذخائر ولم يتمكن من الإفلات . ووصل بسرعة إلى هذا الموقع لواء الفرسان الهندى الذى تمكن من السيطرة على الموقف .

وفى الساعة ٦٠٠ صباحا وصلت مقدمات قوات لواء الهايلاندرز وعددهم نحو ٢٠٠ جندى من الآلايات الثلاثة إلى الموقع الذى يطل على معسكر التل الكبير والتى تجمعت حوله القوات الإحتياطية والشاردين الذين يحاولون الفرار .

وبدأت على الفور مطاردة الجنود الفارين بالتقدم نحو المعسكر ، حيث أتمت القوات الإنجليزية فى سرعة تامة الإستيلاء على المعسكر بما فيه من معدات وأدوات وعلى الكوبرى ومحطة السكة الحديد حيث إستولوا على نحو مائة عربة .

هـ - **وتذكر بعض المراجع عن أعمال قتال القوات المصرية فتقول:**

أنه قبيل الساعة الخامسة صباحا مباشرة وبمجرد أن قام الهايلاندرز بهجومهم ، أطلق الموقع المصرى نيران مدفعيته على السهل إلى الشمال من الدفاعات ، وكذلك وجهتها

وإلى مقر رئاسة السير جارنت الذى إنسحب بعيدا عن مدى المدفعية المصرية ، حيث أحدثت المدفعية المصرية بعض الخسائر في مركز رئاسته . وبعد فترة وجيزة أنطلقت القوات المصرية التى ظلت باقية بين الموقع الأمامى والدروة بالموقع الرئيسى وغادرت تلك المنطقة فى بطء حيث إختفوا وراء الإستحكامات .

وفى الساعة ٠٥٢٥ ، بدأ الهايلاندرز تقدمهم مباشرة إلى داخل الدفاعات وصوبت نيران المدفعية البريطانية نحو المواقع المصرية فى الخط الأول التى كانت لاتزال تقاوم الهجوم البريطانى ، وتمكنت فى النهاية من إسكات هذه المواقع ، حيث أخلت القوات المصرية هذه المواقع وبادرت بالسير نحو ترعة الإسماعيلية .

موقف اللوائين الهندى والبحرى / القوات البريطانية :

(١) وتتكون من القوات الأتية :

* سيفورت هايلاندرز بقوة ٣٠ ضابط + ٦٥٠ صف وجندى
* البطارية ٧ / أ بقوة ٥ ضابط + ١٠٥ صف وجندى
* جماعات من المهندسين بقوة ٧ ضابط + ٢٤٨ جندى
* المشاه الهندية رقم ٢٠ بقوة ٥ ضابط + ٢٦٨ جندى
* المشاه الهندية رقم ٢٩ بقوة ٦ ضابط + ١٢٨ جندى
* المشاه الهندية رقم ٧ بقوة ٦ ضابط + ١٨٢ جندى
* الأورطة الأولى / خيال البنغال السادسة بقوة ٣ ضابط + ١٠٢ جندى
* إجمالى القوة ٦٢ ضابط + ١٨٢٦ صف وجندى - هذا علاوة على قوة اللواء البحرى الذى يتكون من ٢٦٠ بحارا + ٦ مدفع جاتلنج .

(٢) **سير أعمال قتال هذه القوات :**

سار اللواء البحرى على الجانب الشمالى للترعة بينماتقدمت القوة الرئيسية بمحاذاة الشاطئ الجنوبى وتم الإتصال بينهما ببعض العوامات التى أعدها المهندسين والذين تحركوا داخل الترعة - وإستمرت القوة فى التقدم على طول هذا الممر العائم

وعند إكتشاف هذا القول بواسطة المدفعية المصرية ، قامت بالتعامل معه وعندئذ دفعت القيادة الإنجليزية بقوة (السيفورت هايلاندرز) إلى الأرض المفتوحة للتعامل مع المدفعية المصرية التى كانت تحميها بعض الحفر وتغطيها الخنادق المدافع عنها بالمشاه . وتقدمت المشاه الهندية رقم ٢٠ وإلتفت حول البطارية المصرية وهاجمتها من الجنب ، وقامت المشاه الهندية رقم ٢٩ بمعاونة القوة رقم ٢٠ وعندما إقتربت هذه القوة من موقع المدفعية المصرية ، قامت بإقتحامه بالسلاح الأبيض .

وفى الساعة ٠٦٠٠ تم الإستيلاء على المواقع المصرية جنوب الترعة وفى نفس الوقت تقدمت المشاه البنغال العشرون عبر الحقول المزروعة جنوب قرية تحتلها القوات المصرية ، حيث قامت بإقتحامها .

وبهذا تمكنت هذه القوة من دفع المصريين إلى الوراء ، وإنطلقت أورطة الفرسان البنغال السادسة لمطاردة المصريين ولقطع خط الرجعة على الشاردين الذين كانوا يتجهون إلى قرية التل الكبير . وتمكنت القوات البريطانية من الإستيلاء على نحو٨٥ مدفع منهم ٨ مدفع كروب + ٤ مدفع ٧ رطل . (١)

٥ - **معركة التل الكبير:**

هكذا إنتهت معركة التل الكبير ، التى كانت سلسلة من الخيانات والفضائح - إنتهت بهزيمة الجيش المصرى ، فهزيمة التل الكبير لم تكن هزيمة لعرابى وحده أو هزيمة لجيشه ، بل هى هزيمة لمصر بأسرها ، إذ كانت نتيجتها الإحتلال البريطانى لمصر ، ولم ينل الذل والهوان سوى الشعب المصرى الذى إستمر تحت رحمة الإستعمار منذ عام ١٨٨٢ حتى عام ١٩٥٦ .

(١) وزارة الحربية : الحملة الإستعمارية البريطانية على مصر ١٨٨٢ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، كود ٦/١١ ، ١٩٥٦ ، ص ص ١٩٠ - ١٩٨ .

المبحث الرابع

إنتهاء الحملة البريطانية على مصر

عرابى فى القاهرة .

رأى عرابى أن معسكره إكتسح ، والعدو فوق رأسه ، فركب حصانه متجها إلى القاهرة تاركا خيمته ، ويقول عرابى فى مذكراته نظرت فوجدت الميدان مزدحما بالخيل والجمال والعساكر مشتتين ومولين ظهورهم للعدو فذهبت إلى القنطرة التى على الترعة هناك ، لمنع العساكر من الفرار وصرت أناديهم وأحرضهم على الرجوع والثبات والصبر على قتال العدو وأذكرهم بالشرف الإسلامى والعرض والوطن فما كان من سميع ولا بصير فالقوا بأنفسهم فى الترعة وسبحوا إلى البر الغربى فذهبت إلى بلبيس لجمع المنهزمين هناك وإتخاذ مركز آخر لمنع العدو من الوصول إلى القاهرة وكان أخى السيد صالح عرابى وخادى محمد إبراهيم وجاويش بروجى يدعى عطية معى فقط وكانت مقذوفات الطوبجية السوارى تتساقط علينا من كل جهة حتى تركنا حدود التل الكبير فلما وصلت إلى بلبيس وجدت على باشا الروبى سبقنى إليها فسألته عما دهاهم فلم يزد على قوله أنه خذلان وكان فى أثرنا فرقة من خيالة العدو فهجموا علينا فأرخينا للخيل أعنتها حتى وصلنا محطة إنشاص .

فوجدنا هناك قطارا فركبناه وذهبنا إلى القاهرة لإتخاذ الوسائل اللازمة لحفظها من الأعداء قبل وصولهم إليها (١) .

كانت المعركة فى صباح ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ وكانت أخبارهم تنقل تلغرافيا إلى يعقوب باشا سامى رئيس مجلس الخمسمائة - وظل الرجل يحمل مرارة هذه الأنباء فى نفسه حتى دخل عرابى عند الظهر ومعه على الروبى وحلسا لا يتكلمان مدة عشرين دقيقة هى نفس الفترة التى إستغرقتها معركة التل الكبير نفسها فقد أدركوا أن الكارثة وقعت وأن أبعادها من العمق والإتساع بحيث لم يجد أحد ما يقوله حتى تكلم عرابى .

فلما بدأ عرابى يتحدث عن وجوب الدفاع عن القاهرة أيده لدهشة التاريخ - إبن عم الخديوى وكان منضما للعرابيين وهو الأمير إبراهيم باشا أحمد فقد ذكر أن مخازن السلاح والذخيرة مكدسة بما فيها ووسائل الدفاع متوفرة وكالفريق الذى يمسك بقشه سابحة أيد الحاضرون ضرورة الدفاع عن القاهرة .

ونهض عرابى ومعه المرعشى باشا وإثنان من الضباط وإتفقوا على أن يكون خط الدفاع عن القاهرة أمام المطرية شرقى عين شمس ثم يمتد إلى الجبل ومنه إلى ترعة الإسماعيلية ويتصل بالنيل من مدخل ترعة الإسماعيلية فى شمال شبرا .

ولما ذهبوا إلى مركز الطويجية لم يجدوا هناك إلا قلة من الخفراء يبلغون ألفا وأربعين جنديا وعندها قرر عرابى الا فائدة من المقاومة و وافقوا على اقتراح بكتابة التماس للخديوى بالعفو عنهم ووقع عليه عرابى وسافر به وفد على الروبى ويعقوب سامى إلى الإسكندرية فقبض عليهم الخديوى وفى اليوم التالى أرسلوا عريضة أخرى مع الشيخ عبد الله النديم وعند كفر الدوار علم بما حدث لوفد الأمس ، فنزل من القطار ، وإختفى عن الأنظار ، وفى حسابه ألا يسلم نفسه ، مهما كانت الظروف والأسباب .

الزحف على العاصمة (القاهرة) وإحتلالها :

لم تكد تنتهى معركة التل الكبير بما إنتهت إليه ، حتى أمر الجنرال ولسلى - فرقة الفرسان بقيادة الجنرال دوروى لو " Drury Low " - أن تبادر بالزحف إلى القاهرة لإحتلالها - فسار الفرسان نحو بلبيس وإحتلوها ظهر يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ - وكذلك مدينة " الزقازيق " وعلى القطارات المحلمة بالذخائر والمؤن - وإستمر الزحف يوم الخميس ١٤ سبتمبر نحو العاصمة ، وكان وصولهم فى نحو الساعة الرابعة مساء ودخلوا العباسية وإحتلوا ثكنات الفرسان ، ووجدوا كل شىء هادىء .

وأرسل دوروى إلى محمد رضا باشا قائد الجند بالعباسية يطلب إليه تجريد الجنود المصريين من أسلحتهم وفى نفس الوقت - وفى نفس اليوم إستولت القوات الإنجليزية على القلعة وعلى قصر النيل وقشلاق عابدين وسلم الجند الذين كانوا بها أسلحتهم (١) .

---

(١) محمد صبيح : مرجع سابق ص ١٦٦ ، ١٦٩ .

أما عرابى باشا وطلبة باشا فقد ذهب كل منهما إلى بيته فلبس بدلة التشريفة وحمل سيفه وإتجها إلى معسكر العباسية فسلما نفسيهما . وهناك أودعا غرفة السجن بعد تجريدهما أما سامى البارودى باشا فقد ظل فى بيته حتى ذهبت قوة ، فقبضت عليه فى بيته وحاولت عناصر وطنية من أهالى منطقة الحسينية وباب الشعرية أن تقاوم ولكن سلطات الأمن المصرية أقنعت الشعب بالأجدوى من المقاومة ما دام العسكريون سلموا سلاحهم وفى صباح اليوم التالى كانت القاهرة قد إمتلأت بالمنشورات قام بتوزيعها نائب المنوفية " أحمد الفقى " بإسم الخديوى تدعو الناس إلى السكينة وتهاجم العرابيين الخونة ووصل الجنرال ولسلى فى صباح هذا اليوم ومعه سلطان باشا مندوبا عن الخديوى وقد تولى بنفسه الإرشاد عن الوطنيين مدنيين وعسكريين فى القاهرة والأقاليم حتى بلغ عدد المقبوض عليهم أكثر من ثلاثين ألف مصرى من أصحاب المكانة فى البلاد .

وكان طبيعيا أن تستقيل وزارة راغب وكان عجيبا أن يقبل شريف باشا تأليف الوزارة فى ظل الإحتلال وأن يكون وزير حربيته عمر لطفى الذى كان محافظا للإسكندرية وبطل حريقها وكتب الخديو توفيق لشريف باشا يريد أن يؤكد سلطته قائلا فى الرد على تأليف مجلس نيابى " نرى أنه لا بد من الإنتظار حتى نتأكد من إنتشار سلطتنا على الشعب وإدارة الأعمال إنتشارا أكثر قوة ووضوحافإننا نستدعى عند الإقتضاء التئام مجلس النظار برئاستنا للبحث فى المسائل المهمة خارجية كانت أم داخلية وبما أن لنا السيطرة العليا على القوات البرية والبحرية فتنفيذ أوامرنا يجب أن يتم بدون أن تمس إختصاصات ناظر جهاديتنا " ولم يرد بطبيعة الحال فى كتاب تأليف الوزارة - إحتلال الإنجليز لمصر والمعروف أنه لم يكن هناك جيش ولا بحرية فقد سرحه الإنجليز وإستولوا على تموين الجيش الذى كان يكفى الجيش المصرى لفترة أربعة شهور كاملة كما إستولوا على جميع الأسلحة والذخائر .

إحتلال المواقع الدفاعية الأخرى فى (كفر الدوار - رشيد - أبو قير - دمياط)

لما علم ضباط الجيش فى المواقع الدفاعية الأخرى سقوط التل الكبير وإستسلام مثله وتمكنت القوات الإنجليزية من إحتلال المواقع المصرية المحصنة فى كفر الدوار وإستولوا على المدينة وما فيها من مدافع وبنادق وذخائر . وفى نفس الوقت إستسلمت القوات المتمركزة فى حصون رشيد وأبى قير ودمياط وسلمت حصونها لهم فى ٢١ سبتمبر ١٨٨٢ .

الموقف السياسى الداخلى بعد إنهيار الجيش المصرى

كان سقوط التل الكبير إيذانا بإنتهاء دولة عرابى وزوال نفوذه وسلطاته وإبتهج الخديوى لهذه الهزيمة ومن ثم عاد من الإسكندرية إلى القاهرة فى حماية الجيش الإنجليزى فى ٢٦ سبتمبر ١٨٨٢ [1] وركب معه من محطة القاهرة إبن ملكة إنجلترا الدوق أوف كنوت وأمامهما فى العربة الجنرال ولسلى والسير إدوار ماليت ، وإصطف على جانبى الطريق خمسة آلاف جندى بريطانى .

وفى ٣٠ سبتمبر ١٨٨٢ ، إستعرض الخديوى والوزراء تحت العلم البريطانى قوات الغزو ، وكما تقوله الوقائع المصرية ..... وأبدى الخديو سروره من حسن نظام الجند ومهارة قواده وضباطه .

وفى شهر أكتوبر ١٨٨٢ بدأت عودة الجنود الإنجليز إلى بلادهم ويقدر عددهم مع رجال البحرية مع القوات المساعدة بحوالى ستين ألف جندى منهم جيش المشاة وحدة من ثلاثين ألفا وتركوا فى مصر حامية من ١٢ ألف جندى كانت كافية لإقرار الإحتلال فيها بعد تجريد البلاد من قوتها العسكرية .

تصفية الثورة الوطنية .

جاءت تصفية الثورة الوطنية فى أعقاب هزيمة الجيش المصرى وترسيخ الإحتلال البريطانى فى مصر . وتصفية الثورة لا تعنى فقط القبض على ثلاثين ألفا مصرى هم القيادة العسكرية والفكرية والإقتصادية فى البلاد ولكنها تعنى أيضا إقتلاع جذور الثورة من التربة المصرية وترويض الطبيعة المصرية على الخضوع والإستسلام وإتبع فى ذلك أسلوب الإرهاب والتغريب من جانب والمزح والعطاء من جانب آخر .

وبدأت العملية بالمحاكمات أمام محاكم عسكرية وكان رؤوف باشا رئيس المحكمة التى تمثل أمامها عرابى ولم تستغرق محاكمة زعيم الثورة أكثر من يوم واحد " يوم ٣ ديسمبر ١٨٨٢ " ولم يحط أحد علما بالمحاكمة بإستثناء الصحفيين الأجانب ومثل الإدعاء قائد الحامية البريطانية ولما سئل عرابى عن تهمة العصيان ضد الجانب الخديوى " قال أن محامييه [2] سيتوليان الإجابة فتلا المحامى ورقة يعترف فيها عرابى بعصيان الخديوى وفى الساعة الثالثة تلى الحكم الذى كان يعرفه عرابى مقدما

(١) الوقائع المصرية ، عدد ٢٧ سبتمبر ١٩٨٢ .

(٢) وهم من المحامين الإنجليز ، الذى وافق عرابى على حضورهم .

وهو الإعدام ثم التخفيف بالنفى [١] .

هذا وقد تمت محاكمة قواد الثورة العسكريين بنفس الإسلوب وهم محمود سامى البارودى – طلبه عصمت باشا – عبد العال حلمى – أبو حشيش باشا على فهمى الديب باشا – المهندس محمود فهمى باشا – يعقوب سامى باشا . وصدر الحكم ضدهم بالنفى المؤبد فى ٧ / ديسمبر ١٨٨٢ . أما على الروبى باشا فقد رفض الإقرار بالعصيان ورفض توكيل المحامين الإنجليز فحكم عليه بالنفى عشرين سنة فى مصوع .

هذا وقد أصدر الخديوى أمرا بمصادرة أملاكهم وأموالهم وتجريدهم من رتبهم وألقا بهم ومما يلفت النظر أن الإنجليز حرصوا على أن يعرف الرأى العام أنهم تدخلوا جدية كى لا يعدم أحد من رجال الثورة بإستثناء القائمقام سليمان باشا سامى داود الذى حاصر سراى الخديوى فى الإسكندرية لخلعه والقبض عليه فقد حكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم وقد صحب الزعماء المنفيون فى سيلان أسرهم معهم حيث تم تجريدهم من رتبهم وألقا بهم يوم ٢٥ ديسمبر وتم إبحارهم على الباخرة مديوتس إلى مدينة كولومبو وهى ميناء سيلان فى ٢٨ ديسمبر ١٨٨٢ حيث وصلوها فى ٩ يناير ١٨٨٣ .

كما صدرت أحكام كثيرة أخرى سواء ضد العسكريين أو المدنيين بالنفى أو بالسجن أو الإعدام وبذلك إنتهت صفحة هامة من تاريخ مصر والمعروف أن عرابى وعلى فهمى عادا إلى مصر عام ١٩٠١ أما محمود سامى البارودى فقد عاد إلى مصر بعد أن كف بصره وصدر عفوا عنه وتوفى بها عام ١٩٠٤ .

وحسبنا ونحن نطوى صفحة عرابى وأن نذكر إحساس أحد الإنجليز وهو " غوردون " بما حدث فى مصر هذه الفترة .

وذلك من ضمن رسالة كتبها لصاحبه الأيرلندى بلنت قال : " كتبت مسودة كتاب عن الحوادث التى جرت بين بعثة كيف وبين إرتقاء شريف منصب الوزارة ما أبلغ الدمار والخراب اللذين جرهما ماليت

---

(١) الوقائع المصرية ، عدد ٤ ديسمبر ١٨٨٢ .

(القنصل) وكولفن الرقيب المالى بل ما أوخم سياسة التكتم التى جرى عليها هذان الشخصان لقد ضلل جلاد دستون البرلمان عندما رفض الإجابة على الأسئلة بدعوى الحرص على المصالح البريطانية . وهل كان يمكن أن تكون خاتمة الأمور أسوأ مما هى الآن لو أنه صرح بكل ما عنده ؟ .. كلا ستكون النتيجة زوال الموظفين الذين يتناولون فى العام ٣٧٣ ألف جنية وزوال نفوذ القناصل وزوال توفيق وزوال الربا ، خراب الإسكندرية وفوق ذلك أوجدنا أمة تكهرنا ... سيذهب كولفن إلى الهند وماليت إلى الصين ولن نسمع عنها شيئا .. وكل ذلك لأن السيدين رفضا أن يناقش برلمان مصر ميزانية الحكومة فى عهد شريف أما عن عرابى فمهما حدث لشخصه فإنه سيعيش فى قلب الأمة المصرية إلى الأبد ولن تكون هذه الأمة خادمتكم المطيعة مرة أخرى . (١)

إخفاق الثورة العرابية ومهمة تصنيفها :

لا ريب أن هناك عوامل عديدة تفسر السرعة التى صفيت بها الثورة العرابية ولكنها لا تفسر فى الواقع أسباب فشلها وإخفاقها لأن هذه المسألة مرهونة بالموقف الدولى الذى لم يوفر إمكانية النجاح للحركات التحريرية فى العالم ويعزى إليه الفشل الذى منيت به الثورة العرابية وغيرها من الحركات الوطنية فى أماكن أخرى من العالم كالهند وإيران فقد كان الموقف الدولى وقتئذ يمثل مرحلة التسابق الإستعمارى على أفريقية – وآسيا ذلك التسابق الذى لم يوفر للحركات الوطنية والتحريرية فرص النجاح مهما كانت هذه الحركات منظمة وقوية على أنه من الممكن تفسير سرعة تصفية الثورة العرابية بعدة عوامل لعل أهمها :

١ – كانت الجبهة الداخلية مهلهلة وغير متماسكة وأدى ذلك إلى حدوث (تصدع) داخلى وهو الصدع الذى إستبشر به الإستعماريون الإنجليز خيرا ووضعوه موضوع الإعتبار عندما قرروا تصفية الحركات العرابية عن طريق التدخل المسلح وكان السبب المباشر لحدوث هذا التصدع الداخلى هو تراجع القوى السياسية والمدنية نتيجة للخلافات التى نشبت بين العرابيين العسكريين وبين أعضاء مجلس النواب من المدنيين وكان الخلاف قد ثار أساسا بين الفريقين حول موضوع عزل الخديوى توفيق (٢) ولا شك أنه كان من الكياسة وحسن السياسة من جانب العرابيين عدم

(١) محمد صبيح : مرجع سابق .

(٢) د . محمد أنيس ، محمد رجب حراز : مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

معاداة المدنيين وفقدأن تأييدهم وذلك بتأجْيل طرح موضوع عزل توفيق وإعلان الجمهورية على بساط البحث فى هذا الوقت العصيب فقد كان من نتيجة هذا الخلاف أن الثورة العرابية التى بدأت بتفاهم المدنيين والعسكريين وتآزرهم فى العمل الثورى ضد تغلغل النفوذ الأجنبى فى البلاد بدت فى مراحلها الأخيرة – لسبب إنشقاق النواب وخروجهم عليها أقرب إلى " التمرد " العسكرى منها إلى الثورة الشعبية والوطنية وقد أعطى ذلك الفرصة لبعض كبار زعماء المدنيين لطعن الثورة من الخلف مثلما فعل محمد سلطان باشا الذى وزع النقود بإسم الخديو والسلطان على الأهالى لبث روح التخازل فى نفوسهم ، والذى عينه توفيق باشا نائبا عنه لمرافقة الجيش الإنجليزى فى زحف على العاصمة .

٢ -الكفاءة الحربية :

حرمت الثورة من الكفاءة الحربية مما بدا أثره فى المعارك التى نشبت بين الإنجليز والمصريين ولو كان على رأس الثورة قائد كفء لتغير مصير المعارك الحربية ولكنها لم توفق فى إختيار قواد أكفاء فمعظهم لم يتلقوا الفنون الحربية والتعليم العسكرى بل تخرجوا من صفوف الجند ، فكان من الصعب أن يوكل إليهم بالتخطيط والإستخدام للقوات وقد تجلى عدم الكفاءة الحربية فى أحجام عرابى وصحبه عن سد قناة السويس عند بدء القتال .

وكان التسليم والخضوع من قادة الثورة أكبر العوامل فى إخفاقها وإنحلالها لأن الأمم تتأثر حتما بنفسية زعمائهم ومواقفهم .

٣ -إهمال عرابى تعبئة القوى وتسليحها وخلق قوة شعبية ضاربة فى مواجهة قوى الإحتلال الباغيـــة فمما لا شك فيه أن روح الشعب المعنوية ظلت قوية فى الوقت الذى كانت تجرى فيه عملية الغزو ويستدل على ذلك من الإعانات المالية والعينية التى أمد بها الشعب الجيش ومن تطوع الفلاحين والبدو برضاهم وإختيارهم لمقاتلة الإنجليز ولقد ذكر عرابى بهذا الصدد أن الأمة المصرية جادت " على إختلاف مذاهبها بالمال والغلال والخيل والجمال والأبقار والجواميـــس والأغنـــام والفاكهـــة والخضروات حتى حطب الحريق ومن الأهالى من تبرع بنصف ما يمتلك مـــن الغـــلال والمواشـــى ومنهم من خرج عن جميع مقتنياته ومنهم من عرض أولاده للدفـاع عن الوطن لعدم قدرته على

الدفاع بنفسه وبالجملة أن الأمة المصرية عن بكرة أبيها قدمت من التبرعات وأظهرت من النخوة والغيرة مل لم يسبق له عهد من قبل فى القرون الحالية " .

ومن ثم فإن الشيء الذى يؤخذ على عرابى أنه لم يحاول تعبئة هذه القوة الشعبية الهائلة بروحها المعنوية القوية لتدخل المعركة مع قواته جنبا إلى جنب والغريب حقا أن أحمد عرابى وهو المشهور بالوطنية والإخلاص والتضحية فى سبيل الوطن - لم يفعل ما فعله عمر مكرم فى القاهرة وقت حملة فريزر (١٨٠٧) عندما إستنفز الأهالى للتطوع والقتال وأشرف بنفسه على عمليات إقامة الإستحكامات وحفر الخنادق لصد هجوم الإنجليز وعرقلة زحفهم .

٤ - عدم قدرة عرابى على تطهير الجيش من عناصر الخيانة والضعف فقد نجح الإنجليز والخديو فى شراء ذمم بعض الضباط المصريين عن طريق الرشوة وكان من أشهر هؤلاء الضباط على يوسف الشهير بخنفس قائد قلب الجيش المصرى وعبد الرحمن حسن قائد فرقة الإستطلاع السوارى وراغب ناشد أحد ضباط مقدمة الجيش وغيرهم [1] كذلك كانت هناك طائفة أخرى لا تقل حظورة وهى من الأعيان والبدو الذين ساعدوا الإنجليز للتغلب على الجيش المصرى فى معركة القصاصين والتل الكبير .

٥ - سياسة الخديوى :

سياسة الخديوى توفيق والذى لم يكن مؤمنا بحكم الشورى ولا موقنا بحق الأمة فى الدستور ، وعلى ما كان عليه من الضعف والتردد فإنه كان يميل إلى الحكومة المطلقة يستأثر منها بالسلطة وكان يحرص على كسب ود وثقة ممثلى الدول الأجنبية ومن هنا كان خضوعه لرغبات إنجلترا وفرنسا فموقف الخديوى كان عاملا هاما فى إخفاق الثورة .

٦ - تقدير العرابيين الخاطىء لقوة بريطانيا العسكرية البرية :

فقد كان العرابيين يعتقدون أن الإنجليز كالسمك إذ خرجوا من بلادهم فشلوا .

٧ - عدم إتقان العرابيين فن الثورة إتقان كافيا ومن مستلزمات الفن الثورى فهم كل القوى الخارجية والداخلية المحيطة بالموقف والتحرك عند إختيار الوقت المناسب ولا شك أن العرابيين قد أخطاوا فهم الموقف الدولى على حقيقته عندما إعتقدوا أن فرنسا لن تسمح لإنجلترا بالتدخل المسلح وحدها وعندما خدعوا فى موقف الدولة العثمانية والباب العالى .

---

(١) د . محمد أنيس ، د محمد رجب حراز : مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

٨ - عوامل خارجية وتتمثل فى :

ا - المطامع الإستعمارية الأوروبية وبخاصة الإنجليزية والتى كانت تطمع فى توسيع نفوذها فى مصر ومن هنا جاء سخطها على الثورة وكراهيتها قيام حكومة دستورية فى البلاد .

ب - جمود أوروبا حيال الإعتداء البريطانى وسوء نية تركيا نحو مصر منذ أيام الثورة وسعيها الأخرق فى إسترداد الإستقلال الذى نالته مصر وما ظهر منها من التذبذب والنفاق .

الدروس المستفادة من الحملة :

أن المعارك التى دارت فى الميدان المصرى سواء الغربى أو الشرقى على السواء تبرز فى جلاء حقيقة الأوضاع الشاذة التى كانت غارقة فيها البلاد فى ذلك الحين تلك الأوضاع التى مهدت للإستعمار - طريق عدوانه الوحشى على الإسكندرية وطريق غزوه للأرض المصرية التى نكبت بالتبعية العثمانية وبلون من الحكم الدكتاتورى ، لقد ثار عرابى على الخديوى توفيق وهبت الأمة تساندة ضد هذا الحكم الإستبدادى وإستغلت إنجلترا هذا لموقف المواتى لها لتحشد قواتها من أجل إحتلال مصر والتى كانت تخطط له منذ فترة طويلة .

وقف الجيش المصرى فى بعض المعارك خاصة فى الميدان الغربى التى أعد لها العدة لمواجهة الغزو ولكن لم يصادفه الحظ على الإتجاه الشرقى فى ضوء عدم تقدير موقف سليم من قبل قيادته العسكرية التى تأخرت كثيرا فى إعداد هذا المسرح وبالتالى فقدت المبادأة من بداية المعركة إلى نهايتها لقد كان من المحتمل أن يتمكن الجيش المصرى من دحر الإنجليز سنة ١٨٨٢ كان هذا ممكنا لو أن الشعب إستطاع وقتئذ التحرر من الخديوى توفيق الذى بارك العدوان البريطانى ليثبت قوائم سلطانه على البلاد وليتخذا من أسنة الرماح البريطانية شعارا لقوته وسبيلا لإذلال شعب مصر .

الأخطاء التى وقعت فيها القيادة العرابية والتى أدت إلى هذه النتائج :

١ - كان من واجب عرابى أن يعمل فورا على تطهير الجيش المصرى من العناصر الممالئة للخديوى حتى لا يقوم بين صفوف الجيش فريق يعمل على تقويض المقاومة المصرية والإتصال بالقوات البريطانية سرا وتمهيد سبيلها إلى دحر الجيش المصرى بالوقوف عونا لها ونقل أسرار الخطط المصرية إليها الأمر الذى ظهر بوضوح فى معركة القصاصين الثانية (٩ سبتمبر ١٨٨٢) وفى

معركة التل الكبير (١٣ سبتمبر ١٨٨٢) .

٢ - عقد عرابى مجلسا عسكريا فى أواخر يوليه لبحث أمر القناة وإستقر رأى المجلس كله على وجوب تعطيلها وسد مداخلها حتى لا يتمكن الجيش البريطانى من الوصول إلى الإسماعيلية وإتخاذها قاعدة للزحف نحو قلب البلاد وكان من واجب عرابى أن يبادر بتنفيذ هذا القرار على الفور تأمينا لسلامة قواته وبلده ولكن عرابى إنخدع ببرقية ديليسبس الكاذبة التى قال فيها " أن الإنجليز يستحيل أن يدخلوا القناة "

وحتى عندما فات الأوان وشرع عرابى فى سد القناة بأن عليه التردد . أن الحقائق المريرة تؤكد أن هزيمة الجيش المصرى قد عادت كلها إلى هذا الخطأ الكبير ويقول " جون بنيه " [١] أن عرابى أظهر منذ إبتداء القتال غفلة بالغة إذ إستمع إلى النصائح الكاذبة من خدعة فردينان ديليسبس فإمتنع عن سد القناة فى الوقت المناسب .

٣ - أن للجيش المصرى من ماضيه ما يملاء صفحات تاريخية بدور من المجد والعظمة فقد هزم الإنجليز عام ١٨٠٧ وهو الجيش الذى رفع لواء كرامته عاليا فى معارك المورة وفتح عكا وهزم الجيش العثمانى ... ولم يكن الجيش فى سنة ١٨٨٢ غير صورة تنعكس عليها كل هذه الصفحات المشرقة والأمجاد الخالدة ولكن إفتقاره إلى القيادة الحربية الحقيقية وإلى وجود عقلية عسكرية بارعة حينذاك هى التى خلفته حائرا يضرب على غير هدى ويستبسل ويضحى دون وصوله إلى غايته .

٤ - لقد وقف عرابى نفسه من موقعة التل الكبير موقفا نأى به عن الإشراف الوثيق على ما دار فى هذه المعركة ونأى به عن إتخاذ العدة الكاملة للوقوف فى وجه الهجوم البريطانى أيا كان زمانه أو مكانه ولم يحاول أن يتدخل بصفة إيجابية فعالة فى تيسير دفة الأمور .

٥ - أن عدم تقدير الموقف الحربى تقديرا دقيقا دفع عرابى إلى الإعتقاد بأن الهجوم البريطانى الأساسى على القاهرة سيوجه على الأرجح من الإسكندرية لا من منطقة القناة الأمر الذى أدى إلى تعزيز الدفاعات فى الإتجاه الغربى وأهمل إعداد الميدان الشرقى حتى اللحظات الأخيرة من

---

(١) جون بيه كان عميد الجالية البلجيكية فى مصر وصديق عرابى .

القتال والغريب أن عرابى رغم إحتلال الجيش البريطانى لمنطقة القناة كلها فإنه لم يتبين مبلغ الخطر البريطانى إلا بعد أن إحتل الجيش البريطانى المحسمة يوم ٢٥ أغسطس ثم القصاصين يوم ٢٦ أغسطس حيث بان له أن التهديد الرئيسى من جهة الشرق وجاء هذا الفهم بعد أن مضى شهرين من القتال وعندئذ فقط نقل مركز قيادته إلى معسكر التل الكبير وجاء ذلك بعد فوات الأوان .

٦ - كانت هناك أخطاء كثيرة تكتيكية فى معركة التل الكبير ويمكن تلخيصها فى الآتى :-

أ - عدم إرسال الدوريات الليلية أمام المواقع المصرية تلك النقطة التى إستغلتها القيادة البريطانية فى تحقيق المفاجأة التامة ضد الدفاعات المصرية .

ب - أن إستخدام الفرسان المصرية لم يكن صائبا فى كثير من النواحى حيث لم تعمل على تعطيل تقدم القوات البريطانية فجر يوم المعركة بل إنسحبت مباشرة إلى الدفاع الرئيسى دون أن تحاول التدخل فى المعركة كما أن القيادة المصرية لم تحاول دفع الفرسان إلى الجناح الأيسر لتغطية الجنوب المهدد والذى لم يكن قد إستكمل إعداده بعد وبذلك سهل على القوات البريطانية سرعة تطويقه والتى وجدت الطريق خاليا من أى قوات خفيفة تعترض طريقها .

جـ- لم تكن هناك خطة معدة لإنسحاب القوات المصرية فى مواقع التل الكبير (إذا تعذر صمودها أمام الهجوم البريطانى) إلى موقع دفاعى آخر فى العمق وبذلك سار الإضطراب فى صفوف القوات المصرية وإنهارت بسرعة لعدم وجود من يقوردها أو يوجهها وبذا أصبح الطريق مفتوحا للقوات البريطانية للتقدم صوب القاهرة والتى لم يكن هناك أى مخطط للدفاع عنها فى مواجهة الغزو .

د - إهمال شئون المخابرات فى الميدان فقد كانت معلومات عرابى عن الإنجليز مستمدة باستمرارا . وعن طريق بعض الأعراب .

هـ- إهمال الناحية الإدارية وإهمال نقل وعلاج الجرحى وسرعة دفن الموتى ولا سيما فى المراحل الأخيرة عندما إشتدت الخسائر مما كان له أثر واضح فى الروح المعنوية للجنود أما عن الإعاشة فلم تكن منظمة إطلاقا .

٧ ـ أخطاء أخرى عامة يمكن الإشارة إليها وهى :

ا ـ معاداة عرابى لجميع الجاليات الأجنبية وعدم القيام بأعمال الدعاية اللازمة خارج البلاد .

ب ـ قصر النظر فى معالجة خدع الإنجليز وحيالهم ، عندما وجهوا أسطولهم إلى أبى قير فتظاهروا فى الهجورم عليهم أخذ العرابيون عدتهم للدفاع عنها فى الوقت الذى أستئنف فيه الإنجليز سيرهم وعبروا قناة السويس .

جـ ـ عدم إتخاذ العدة الكافية للقيام بأعمال مضادة لنشاط الخديو وعملاء الإنجليز فى داخل البلاد .

د ـ الإعتماد على التبرعات الأهلية الشاملة وهذه ولا شك موارد تحجم عن مواجهة جنود نظاميين لهم إمدادات متوالية .

هـ ـ عدم العناية بالتدريب وإستعدادات الجنود الجدد وبالتالى كانوا عبئا خلال مراحل القتال .

و ـ عدم الضرب بالشدة على أعمال الجاسوسية والخيانة الوطنية وقد إستعان الإنجليز بالبدو القاطنين غربى القناة ، كذلك خيانة بعض الضباط مثل علي يوسف خنفس .

ز ـ عدم إتخاذ عرابى القيادة الفعلية فى الميدان وتحمل مسؤلية جميع الخطط ، ولا سيما فى المرحلة الأخيرة ، حيث عين على الروبى قائدا لمعركة التل الكبير قبل المعركة بيوم واحد ، وبالتالى لم يتيسر له الإلمام بالموقف وبطبيعة الدفاعات .

عموما لقد كانت أسباب الفرقة بين عناصر الأمة سائدة منذ أن ظهرت بوادر الثورة العرابية ، كما كانت الجبهة الداخلية مزعزعة الأركان نتيجة للحوادث المختلفة والمنازعات العديدة التى نشأت بين الحكومة والخديو ، ولقد تأثرت القوات النظامية للدولة من هذه الحال أبلغ الأثر ، فلم تكن هناك إستعدادات ولم تتخذ إحتياطيات حربية لمواجهة الأحداث السياسية المرتبكة التى كانت تنذر بالسر المستطير ، ولم يكن هناك بعد نظر سياسى أو عسكرى ، ولقد قال عرابى فى مذكراته " لقد باغتنا الإنجليز بالعدوان على غير إستعداد منا " .

لقد كان مظهر القتال بين قوات عرابى والإنجليز هو الحرب بين قوات غير نظامية تعتمد على موارد أهلية وقوات نظامية مدربة تمدها حكومتها بموارد وإمدادات منظمة ، ومع ذلك فقد علمتنا هذه الحرب ، مع كا ما أحاطها من ظروف وملابسات وأخطاء ، كيف يقف الوطنيون فى وجه

أعداء البلاد ، وكيف يتمسك أبناء الوطن بحقوق بلادهم . لقد علمتنا الثورة العرابية رغم كثرة أخطائها - كيف يمكن أن تتكتل قوى الشعب الكامنة للوقوف فى وجه المعتدى مهما كانت العقبات .

القسم الرابع

احداث الثورة المهديه فى عصر توفيق ودور الجيش المصرى

(١٨٨١-١٨٩٢)

عـــــام :-

١ - منذ حكم اسماعيل مصر نجد انه وجد إهتماما حقيقيا للسودان ، و يرجع ذلك الاهتمام إلى الالتفات للقارة الافريقيه و لعل ذالك يرجع الى عاملين :

أ - تدخل الدول الاوروبيه فى جانب الدوله العثمانيه فى عام ١٨٤٠ و ما بعدها - جعل أنظار الحكام فى مصر تتجه الى القاره الافريقيه .

ب - وضوح أهميه البحر الاحـمر و حوض النيل و السواحل الافريقيه ، جعل الدول الاوروبيه الاستعماريه لم تعد تكتفى بثغور لها على السواحل الافريقيه بل بدات تتوغل فى الداخل .

هذا و قد حفلت هذه الفتره من تاريخ السودان و التى إمتدت أكثر من خمس عشر عاما باحداث كثيره و هامه ، و قد تولى شؤن السودان فى هذه الفتره عددا من الحكمداريين نذكر منهم ، جعفر باشا الذى تولى من عام ١٨٦٦ الى عام ١٨٧١ ، وله جهود كبيره فى نشر التعليم بالسودان ، و كان رجل علم و معرفه .

٢ - و من الذين تولوا حكمداريه السودان فى ذالك الوقت أيضا اسماعيل ايوب باشا وتم فى عهده تشكيل مديريه بحر الغزال و تم فتح دار فور ، و إمتدت سلطات الحكومه الى اقاليم خط الاستواء و ضمت زيلع و بربره ، وفتحت هور و بذا وصلت حدود السودان الموحد تحت إداره واحده الى حدوده الطبيعيه و كان آخر من تولى الحكمداريه فى فتره حكم اسماعيل - غوردون باشا - "١٨٧٧-١٨٧٩" هذا و قد حرصت الاداره المصريه فى السودان على إشتراك السودانيين فى الحكم و الاداره فعهد لشيوخ القبائل مثلا بحفظ الامن و فى النهوض بمختلف نواحى النشاط فى مناطقهم لتشجيعهم ليتعاونوا مع رجال الاداره ، وقد أظهر كثيرون منهم كفاءه نادره و عاونوا معاونه صادقه فى نشر السلام خاصه فى طرق القوافل و فى تحصيل الاموال الاميريه و كان من الوطنيين مديرين و نظار أقسام و أعضاء فى المجالس المحليه. و الجدير بالذكر أن إسماعيل باشا اتخذ العديد من الاجراءات للحد من تجاره الرقيق و

العاج منها على سبيل المثال .

ا - إصداره أوامر مشدده لحكمدار السودان لتنفيذ أوامر الحكومه بمنع تجاره الرقيق .

ب - تشديد الرقابه على السفن فى البحر الاحمر لمنعها من نقل الرقيق .

ج - فرض رقابه مشدده على دخول الاسلحه الناريه السودان .

٣- و من ناحيه اخرى فقد تميزت هذه الفتره بإمتداد حدود السودان شرقا و غربا و جنوبا الى الحدود الطبيعيه فأصبحت كل هذه الاقاليم لاول مره خاضعه لإدارة واحده ، و لهذا فان هذا يعتبر بلا شك بدايه وجود الدوله الموحده المترابطه داخل هذا النطاق فضمت أقاليم بحر الغزال و دارفور و الأقاليم المطله على البحر الاحمر حتى وصلت الى هرر كما تمكنت من الوصول الى منابع النيل و ما عرف بالمديريه الاستوائيه ، و مما يلفت النظر إستعانه اسماعيل بالأجانب و إسناد الوظائف الخطيره اليهم بتلك المناطق بدون تدبر للنتائج التي قد تترتب على ذلك

٤- إمتدت ثوره مصر الى السودان فى شخص المهدى و دراويشه و قد تاثرت الثوره السودانيه بمدرسه جمال الدين ، وتحركت ضد الظلم الذى تعرضت له مصر نفسها ، فى شخص الخديويين و أسيادهم من الشراكسه .

و قد حاول الانجليز على مر السنين ، أن يزرعوا فى الأذهان أن السودان ثار على الحكم المصرى فى السودان ، و هذا مخالف للحقيقه ، فمصر لم تحكم السودان ، فالمهدى كان يعلم من ظروف مصر ، و حركتها الثوريه ما يعرفه كل إنسان فى القاهره فلما إنتكست الثوره بمحاربه الانجليز لها ، كان للمهدى هدف واضح و هو أن يتعاون مع المصريين على خروج شعب مصر من هذة النكسة . هذا وقد رسم الانجليز مخططهم علي إيجاد فرقة واضحة بين مصر والسودان ، ومصر وشعبها لم يحملا

اصرا علي المهدي ، فالجنود المصريين الذين أرسلوا للسودان كانوا تحت قيادة بريطانية ولم يكن لهم رأى فقد اجبروا على ذلك ٠

ظهور المهدى واحداث الثورة:

فى يوليو ١٨٨١- اعلن محمد بن الله أنه المهدي المنتظر (١) ولم يلبث أن اتجة بدعوتة الي المسائل السياسية والاقتصادية وطالب بطرد المصريين (الترك) من السودان الذين رأي فيهم السبب فى كل إنحراف عن الدين وأن هذة الوسيلة الوحيدة لتقريير العدالة والسلام واعلن وجوب الامتناع عن دفع اى ضريبة غير العشور والذكاة التي نص عليها القرآن الكريم ، كما طالب بالأ يسرى في السودان غير حكم الشرع وحدة ولاقت هذة الدعوة صدى فى نفوس الكثيرين وخاصة تجار الرقيق وكان البقارة الذين إستهوتهم دعوة المهدى هم الدعامة التى إعتمدت عليها الحركة لاسيما حين انضم اليها التعايشى وأخذ فيها مكانه المرموق وإنضوت تحت لواء الثورة كل العناصر التى أضر بها الحكم المصرى ٠

وأخطأت حكومة الخرطوم في تقدير قوة المهدى الحقيقية واكتفى رؤف باشا حكمدار السودان حين ذاك بالنصيحة للمهدي في أول الأمر بأن يقلع عن إدعاءاتة ، وبعد جدال فشل حكمدار السودان فى اقناع المهدي بالتخلي عن دعوتة وبات واضحا أن القوة وحدها سوف تكون الوسيله الوحيده التى يمكن بها إخماد هذه الحركه أما المهدى فقد أدرك أن الحكومه سوف تواجه دعوته بالقوه خاصه بعد تحديه لها . فقام يثير الحميه

---

(١) ولد محمد أحمد المهدى بجزيرة أبا التى تبعد نحو ١٥ كيلومتر جنوب دنقلة فى ١٨٤٤/٨/١٢ ، و أظهر الطفل منذ حداثتة ميلا لتعلم علوم الدين فدرسها فى بربر و الخرطوم ، و لما كبر أشتهر بالورع و انشاء سنة ١٨٦٣ مدرسة الخرطوم ، و لم يلبث أن حوصر فيها ثم أنتقل الى جزيرة أبا فى النيل الابيض التى بدأ منها فى نشر دعوتة كمصلح دينى يريد تنقية العقيدة الاسلامية مما لحقتها من شوائب .

فى نفوس أتباعه و سارع الى حشد كل ما أمكنه حشده من أنصار ، وتمكن بهم من هزيمه قوات الحكومه التى جاءت للقبض عليه فى معركه أبا فى اغسطس ١٨٨١ .
هذه البدايه والتى كانت فى صالح المهديه -كان لها أثر بالغ على إنتشار دعوتها فى السودان و عدها البسطاء معجزه من السماء خص الله بها المهدى ، بينما اعلن المهدى الذى قدر أن الحكومه لن تتغاضى عنه بعد أن كسب الجوله الاولى منها و ان النبى "صلى الله عليه و سلم " قد أمره بالهجره الى جبل قدير فى كردفان (١).
و منذ أن وصل محمد المهدى الى جبل قدير ، توالت إنتصاراته على قوات الحكومه و كانت النتيجه أن ذاع صيته و صارت الألوف تاتى اليه للإنضواء ، تحت قيادته . ففى ديسمبر ١٨٨١ تمكن من هزيمه قوه للحكومه كان قد زحف بها راشد بك مدير فاشوده الى جبل قدير ، و فى ٢٩ مايو ١٨٨٢ - أوقع هزيمه بالغه بالحمله التى سيرتها الحكومه بقياده يوسف الشلالى لمطاردته فى جبل قدير حيث تصدى لها المهديون عند جبل الجراده فى واقعه الشلالى (٢).
و مما ساعد على تدهور الموقف أن القاهره لم تستطع ارسال أية نجدات عسكريه الى السودان لان الثوره العرابيه كانت قد دخلت الى حيز التنفيذ و أصبحت محتاجه لكل القوات المصريه لمواجهه التدخل الانجليزى المحتمل ، و إكتفت بعزل حكمدار السودان رؤوف باشا فى فبراير ١٨٨٢ ، لعجزه عن إخماد الثوره و القضاء على عصيان المهديين - و عينت مكانه اقدر رجالها وقتئذ وهو عبد القادر حلمى باشا . و استطاع الحكمدار الجديد الذى وصل الخرطوم فى اوائل مايو ١٨٨٢ أن يوقع بالمهديين بعض

---

(١) على بركات (د.) : السياسة البريطانية و استرداد السودان ١٨٨٩-١٨٩٩، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ص١٣-١٤.

(٢) مكى شبيكة ، السودان فى قرن ١٨١٩-١٩١٩، القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف للترجمة و النشر ، ١٩٧٤ ، ص ص١٤٤-١٤٥.

الهزائم كما أستطاع أن يرسل بعض الامددات الى الجهات التى تعرضت لهجوم الدراويش .ذلك أن المهدى بعد إنتصاره فى واقعه الشلالى عمل على الاستيلاء على كردفان ، و قد تمكن محمد سعيد باشا من حصر هجوم الدراويش على (بارة) فى ١٧ يونيو ١٨٨٢ وكانت خطة عبد القادر حلمى ترمى إلى حصر الثورة فى مناطق معينة [١]. وطلب عبد القادر حلمي النجدات من القاهرة ولكن البلاد كانت قد تعرضت للعدوان الذي أنتهى بالأحتلال في ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ومنذ هذا التاريخ أصبحت حكومة الخديوى فى القاهرة تأخذ أوامرها من لندن [٢]. وكانت السلطات البريطانية قد عملت على إلغاء الجيش المصرى في ١٩ سبتمبر وجاء هذا القرار فى صورة أمر عالى أصدره الخديوي ويتكون من مادة واحدة [٣] .حيث صدر بالجريدة المصرية الرسمية بالحكومة المصرية . وكان لهذا الأجراء أثر بالغ على تطوير الحوادث فى السودان ، أذا أرسل عبد القادر حلمي في أكتوبر ١٨٨٢ تقريرا عن السودان يطالب فية بأرسال نجدة سريعة من عشرة الاف مقاتل موضحا أنة بغير هذة القوة لايمكن الدفاع عن الخرطوم نفسها ذلك لأن المهديين كانوا قد ضربوا الحصار على مدن كردفان و بات واضحا أن المديريه سوف تسلم للثوار ما لم تصلها مؤن و جنود من الحكومه في القاهره .

كان من اثر تقرير عبد القادر حلمى عن الحاله العسكريه فى السودان أن أخذت الحكومه فى القاهرة ، تعد الجيش اللازم عن طريق تجنيد الصالحين من الجيش المنحل .و امكن ارسال نجده سريعه وصلت الخرطوم فى أواخر عام ١٨٨٢ أما باقى

---

(١) على بركات (د.) ، مرجع سابق ص١٥.

(2) Langer , W.,The Diplomacy of imperialism ,1890-1902,New York ,1951,P.103.

(٣) الجريدة الرسمية "للحكومة المصرية ، العدد ١٩ ديسمبر ١٨٨٢ – جاء هذا القرار فى صورة مقتضبة و نصه " بالنظر إلى الثورة العسكرية قد انحل الجيش المصرى".

القوات فقد وصلت الى السودان فى فتره لاحقه ، و هى القوه التى زحف بها هكس على كردفان .

فشل الحكومه المصريه فى القضاء على الثورة :

يئس عبد القادر حلمى من استجابه الحكومه لطلبه فطلب اعفاءه من منصبه فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ و لكن الخديوى رفض هذه الاستقاله ، غير انه ما لبث أن إستدعى عبد القادر حلمى و عين بدلا منه علاء الدين باشا فى ٢٤ ديسمبر . و كان على الحكمدار الجديد ان يمارس السلطه المدنيه على أن يعين سليمان نيازى قائدا عاما للجيش هناك فى الوقت الذى عين فيه هكس باشا رئيسا لهيئه اركان الحرب (١)

وصل هكس الى الخرطوم فى ٧ مارس ١٨٨٢ على راس قوه تبلغ عشره آلاف مقاتل كلهم من جيش عرابى السابق – و على الرغم من ان سليمان نيازى كان هو القائد العام ، غير أنه كان عليه أن يعمل برأى هكس فى المسائل الفنيه ، و بهذا وقع على كاهل الاخير مسئوليه علاج الموقف العسكرى فى السودان على الرغم من أن كل الأدله كانت تشير الى أنه ليس هو رجل الموقف ، اذ يصفه الفريد لايال بانه القائد اليائس الذى تحيط به الاعداء و تتخلى عنه الحكومه التى يعمل فى خدمتها (٢) .

و يبدو أن عبد القادر حلمى كان وحده الذى يقدر على علاج الموقف فى السودان و لكن استدعاءه كان دسيسه للذين ارادوا للثوره أن تستفحل حتى يضيع السودان من مصر . أما موقف بريطانيا فكان موقف متناقض من المساله السودانيه منذ بدايتها

---

(١) د. على بركات ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(2) Lyall , A., The Life of The Marquis Of Dufferin and Ava., LOndon: 1905.vii, p.55.

فعلى الرغم من وضوح الرؤيا فى هذه المسألة أعلنت بريطانيا أنها لا تنوى التورط فى الحوادث الجاريه فى السودان ولا تتحمل أية مسئولية عن أية تدابير قد تتخذها حكومه القاهره بشأن إرسال تعزيزات للسودان أو تغيير فى المناصب الحكوميه ، و يتضح ذلك من رأى فالنتين بيكر الذى أبلغه ماليت الى جراتفيل فى ٤ نوفمبر ١٨٨٢ (١) هذا فى الوقت الذى أوعزت فيه انجلترا للخديوى بعزل عبد القادر حلمى من حكمداريه السودان فى ظروف كانت دقيقه و حاسمه و لم تكتفى الحكومه البريطانيه بهذا – تحت شعار عدم التدخل – بل نجدها ترسل الكولونيل ستيوارت فى ديسمبر ١٨٨٢ لعمل تقرير عن الحاله فى السودان . كذلك فان سياسة عدم التدخل هذه التى أعلنتها الحكومه البريطانيه لم تمنعها من الموافقه و لو عن طريق غير مباشر على إرسال حمله كردفان . أما لماذا عين هكس لقياده العمليات ضد الثوره فى السودان ؟ و لماذا إستدعى عبد القادر حلمى ؟ و الإجابه أن إنجلترا سيده الدلتا كانت تؤثر ان تدع الثوره تمتد و تقوى فى ربوع السودان .. حتى تتمكن قوات المهدى المغيره من تهديد مصر و ارغامها على اخلاء السودان بعد إستنفاذ قوتها السياسيه و الاقتصاديه التى انهكتها الحرب و الإحتلال و تحويل الإحتلال المؤقت إلى إحتلال دائم . و هذا الراى اكده كرومر فيما بعد بقوله " إن حوادث السودان قضت ببقاء الاحتلال الانجليزى بقاء لا يرد . و من هذا يتضح أن انجلترا كانت تميل الى ما يمكن ان نسميه بسياسه التوريط فى السودان حتى توهم العالم بوجود خطر يهدد

(١) محمد فؤاد شكرى (د.) : ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨.

أمن مصر فى الجنوب و يتطلب بقاء قوات الاحتلال ، و من هنا تستطيع أن تفسر التناقض فى سياسه بريطانيا فى هذا الدور من ادوار المشكله السودانيه .
وهكذا أخذت الحكومه البريطانيه تتورط فى سياسه متناقضه ، فبينما تتنصل من مسئوليه الأعمال الحربيه فى السودان نراها تتدخل لتعيين هكس و لا تعارض فى تغيير المهمه التى أوكلت إليه . إذ أن هكس ذهب للسودان مع قواته للعمل اولا على اخماد الثوره فى سنار ثم إتخاذ التدابير اللازمه لحمايه الخرطوم . و قد إشتبك هكس مع جيش المهدبين و استطاع ان ينزل بهم الهزيمه فى واقعه المرابيع فى ٩٢ ابريل ٣٨٨١ و قتل قائدهم احمد الكاشفى و تفرق شمل الثوار و أنقذت سنار ، وبذالك حقق الغرض الاول من حملته .
من ناحيه اخرى فان انجلترا كانت تهدف من وراء حمله كردفان الى التخلص من بقايا القوات التى حاربت فى صفوف الثوره العرابيه لتضع حدا لروح الثوره فى مصر - لانها تعلم مقدما أن هذا الجيش غير مزود بالاسلحه الكافيه لهذه الحمله .
هكذا كانت كل الظروف المحيطه بحمله كردفان تشير الى عجزها و التنبؤ بفشلها مقدما و قد تحققت هذه النبوءه عندما أنزل المهديون هزيمه ساحقه بجيش هكس فى غابه شيكان فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣ ، وترتب على ذلك أن صار المهدى يتمتع بالسيطره التامه على كل كردفان ، و قصد اليه الآف السودانيين الذين ترددوا قبل هذا النصر فى قبول دعوته كم أرسل المهدى دعاته يحملون أنباء انتصاراته الى مختلف الجهات فانتشرت الثوره و إمتدت الى كل مكان فى السودان ، فلم تمضى أيام حتى دانت لـه دارفور اذا اضطر سلاطين بك النمساوى الى تسليم "داره" فى ٣٢ ديسمبر ١٨٨٣ ، كما سلمت الفاشر فى ٢٤ يناير ١٨٨٤ و فى إبريل سلم لبتون بك مدير بحر الغزال لجيش المهديين بقياده كرم الله الشيخ - الذى عينه المهدى اميرا على بحر الغزال [١].

---

(١) على بركات (د.) ، مرجع سابق ، صص ١٧ . ١٩ .

هكذا قضى على الجيش الوحيد الذى تملكه مصر فى مغامره طائشة إلى أقصى حد و صار واضحا أن الحكومه المصرية فى حاجه ملحه الى مساعدة خارجيه للاحتفاظ بالأقاليم التى تحت سيطرتها ، لما كانت طبيعه الحركه المهديه دينيه فقد رأت الحكومه المصريه الاستعانه بقوات تركيه و لكن انجلترا عرقلت ذلك المسعى حين حتمت ان تقوم الحكومه التركيه بدفع نفقات هذه القوات و ألا تجتاز هذه القوه الأراضى المصريه فى طريقها الى السودان و على هذا فقد أصبح من الضرورى تحديد هدف العمليات فى السودان و قصرها على إنقاذ الحاميات المتفرقه و الدفاع عن موانى البحر الاحمر . ذلك أنه بعد هزيمه شيكان تمكن المهديون بقياده عثمان دقنه [١] من تشديد الحصار على سواكن و طوكر و سنكات [٢] .كما طلب من قبائل الهدندوه و الجعليين النازله فى هذه الأماكن مبايعه المهدى ، و من ثم إنتشرت الثوره فى شرق السودان . و ارسلت القاهره حمله جديده لفك الحصار و فتح الطريق بين سواكن و بربر على النيل [٣] و عهدت الى السيد فالنتين بيكر بقيادة هذه الحمله التى وصلت سواكن فى أواخر ديسمبر ١٨٨٣ ، غير أن أنصار المهدى أوقعوا الهزيمه بالجيش فى واقعه التيب الثانيه فى ٢٤ فبراير ١٨٨٤ . و عاد بيكرمع بقايا جيشه الى سواكن و مالبث أن سلمت حامية سنكات فى ٢٤ فبراير الى المهديين .

بادرت الحكومه الانجليزيه بإعداد حمله جديدة بقياده الجنرال جراهام لإنقاذ طوكر و وصلت الى سواكن فى أواخر فبراير ١٨٨٤ و لكن بعد أن كانت حاميه طوكر قد اضطرت الى التسليم للمهديين فى ٢٤ من الشهر نفسه بعد أن يئست من وصول النجده اليها (٤) أما جراهام فقد إلتحم مع المهديين و إنتصر عليهم فى موقعه التيب

---

(١) كان عثمان دقنة قد بايع المهدى سنة ١٨٨٣، حيث عينة اميرا على سواكن و طوكر و كسلا و كان دقنة من كبار تجار الرقيق

(2) Wingate F.R. , Mahdism and The Egyptian Sudan , 1891 , pp94-95.

(3) Shibeika , m. British Policy in The Sudan , 1882 - 1902 , London 1952 , PP188-189

(٤) على بركات (د.) مرجع سابق . ص ص ٢٠-٢١.

الثالثة فى ٢٩ فبراير ، و فى اليوم التالى تقدم الى طوكر – و كان المهديون قد تركوها – و ساعد المصريين و الحاميه على الانسحاب منها .

وفى ١٢ مارس زحف جراهام مره اخرى الى تساى و هزم قوات عثمان دقنه فى واقعه تساى (١) ، و لكن وزارة الخارجية البريطانية لم تسمح لجراهام بالتقدم نحو بربر إذ إنحصر إهتمام الانجليز فى سواكن ، فاستدعى جراهام و جيشه الى مصر فى أبريل ، وعين الكولونيل تشمر سيد فى ١٠ مايو من نفس العام حاكما على سواكن ، و تركت له بعض القوات تكفى للدفاع عنها . و نتيجه لإنسحاب جراهام شدد المهديون الحصار على الحاميات المصريه فى شرق السودان حتى حدود أثيوبيا و كان ان بعثت الحكومه البريطانيه فى مايو ١٨٨٤ ، وفدا برئاسة الاميرال وليام ناثان عن الحكومه الانجليزيه و مازون بك (امريكى) محافظ مصوع ممثلا للخديوى توفيق الى أثيوبيا للاتفاق مع يوحنا الرابع امبراطور اثيوبيا على تسهيل إنسحاب هذه الحاميات و تأمين سلامتها عند مرورها من الاراضى الاثيوبيه فى طريقها الى ميناء مصوع و أبرمت معاهده عدوه فى ٣ يونيو ١٨٨٣ لتنظيم ذلك . و قد إسترجع الامبراطور منطقه باغوص ثم المراكز التى سوف تنسحب منها الحاميات المصريه فى كسلا و عمديب و سنهيت (٢).

كان هذا أثر هزيمه شيكان بالنسبه لشرق السودان ، أما اثرها بالنسبه للاحتلال فى مصر فقد توافرت لدى الحكومه البريطانيه الأسباب للعدول عن الجلاء إذا كانت حكومه جلادتسون لا تنفك تصرح بأن إحتلالها لمصر مؤقت حتى يستقر النظام بها و لقد كان إستمرار سيطرة أنصار المهدى على السودان و تهديدهم لحدود مصر من الأسباب التى إتخذت ذريعه لبقاء الاحتلال الانجليزى فى مصر لصد هذه الاخطار ، و يبدو أن هذا ما كانت تسعى اليه بريطانيا .

---

(1) Jackson,H.C., Osman Digna , London 1926 , pp76-77.

(٢) محمد فؤاد شكرى (د.) ، مرجع سابق ، ص ص ٤٠٩-٤١٠.

اخلاء السودان:

بعد هزيمه شيكان وضحت سياسة التدخل البريطاني في المسالة السودانيه و إتخذت صوره إسداء النصح للحكومه المصريه بوجوب التخلي عن السودان . لكن شريف باشا إعترض على هذا الرأي معتمداً على فرمان ٧ أغسطس ١٨٧٩ ، الذي يمنع الخديوي من التنازل عن أي أقليم من أقاليم الدوله العليه عهد اليه بادارته ، هذا الى جانب إعتبارات أخرى منها مصالح مصر في السودان ، وذكر شريف باشا بأن الحكومه لازالت تحتفظ فعلا بالسودان بإستثناء مديريه كردفان و الجهات المجاوره لسواكن (١).

و لقد كان رد الحكومه البريطانيه الذي أبلغه جرانفيل الى بارنج في ٤ يناير ١٨٨٤ على هذا الأعتراض هو البرقيه التالية "ذكر تم في برقيتكم المؤرخه في ٢٢ من الشهر الماضي أنه في حاله إصرار حكومه صاحبه الجلاله على طلب اخلاء السودان ، لا تقبل حكومه الخديوي حسب رأيكم تنفيذ هذه السياسه و لا أرى حاجة الى أن أوضح لكم أنه من الواجب ما دام الاحتلال البريطاني المؤقت قائما في مصر ، أن تتاكد حكومه صاحبه الجلاله الملكه من ضروره إتباع النصائح التي ترى إسدائها للخديوي في المسائل الهامه التي تستهدف فيها أداره مصر و سلامتها للخطر ، و يجب على الوزراء و المديرين المصريين أن يكونوا على بينه من أن المسؤليه الملقاه الأن على عاتق الحكومه البريطانيه تضطرها الى أن تصر على إتباع السياسه التي تراها و من الضروري أن يتخلى عن منصبة كل وزير أو مدير لا يسير وفقا لهذه السياسة ، و أن حكومة جلالة الملكة لواثقة من أنه إذا اقتضت الحال إستبدال أحد الوزراء فهناك من المصريين سواء من شغلوا منصب الوزارة أو شغلوا مناصب أقل درجة ، من هم على

---

(١) جلال يحي (د.) ، الثورة المهدية و أصول السياسة البريطانية في السودان ، القاهرة ١٩٥٩، ص٥٤٣.

استعداد لتنفيذ الاوامر التى يصدرها اليهم الخديوى بناء على نصائح حكومه جلاله الملكة [1].

لذالك لم يكن أمام شريف باشا غير الاستقاله من منصبه فى ٧ يناير ١٨٨٤ بعد رفض التخلى عن السودان ، رفض رياض باشا تاليف الوزاره على أساس تنفيذ سياسه الاخلاء ، و أضاف انه كان يود أن يكون وزيرا فى وزاره شريف ليشاركه موقفه المشرف ، و بذلك تخلت انجلترا صراحة عن سياسه عدم التدخل فى المساله السودانيه [2] ، لتفرض على مصر أخلاء السودان .

بعد إستقاله شريف تالفت وزاره جديدة برئاسة نوبار – على أساس تنفيذ سياسه الاخلاء التى طلبتها بريطانيا . و ما أن تم تاليف الوزاره حتى أسرع نوبار بإرسال تعليماته الى نائب الحاكم العام فى السودان لإتخاذ التدابير اللازمه نحو ترحيل النساء و الاطفال الذين يرغبون فى ترك الخرطوم و إرسالهم إلى بربر – كما طلب منه إرسال الاوامر الى قائد حاميه سنار بالإنسحاب الى الخرطوم مع كل الموظفين و الأهالى الذين يرغبون فى ترك المديريه و كان على نائب الحكمدار أيضا أبلاغ نفس هذه الأوامر لسلطات بحر الغزال وخط الاستواء ، وكان علي حكومة نوبار ان تبحث عن الرجل الذي يصلح لتنفيذ سياسة الأخلاء التي قبلت وزارتة السلطة علي اساسها، ومن الطبيعي ولتنفيذ ذلك كان لابد من تعيين ضابط بريطاني لهذة المهمة – وقبل (كرومر) تعيين غوردون لهذة المهمة وبذلك أصبح غوردون هو المسئول عن تنفيذ خطة الحكومة الانجليزية فى إنهاء الوجود المصرى فى السودان .

وصل غوردون الي القاهرة في مساء يوم ٢٤ يناير ١٨٨٤ ، وهو فى الطريق الى

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصر و السودان فى اوئل عهد الاحتلال (تاريخ مصر القومى من ١٨٨٢ – ١٨٩٢) ، مصر ١٩٤٢، ص٩٢.

(٢) على بركات (د.) : مرجع سابق ص ٢٢.

الخرطوم واجتمع بالسيربارنج (كرومر) لإستكمال تعليماتة - وفي ٢٦يناير صدر مرسوم خديوى بتعيينة حاكما عاما علي السودان [١] .

وفي نفس اليوم غادر القاهرة الي طريقة الي مقر منصبة - ولكنة وقع منذ البداية في عدة أخطاء كانت من العوامل الحاسمة في فشل مهمتة بل وفي القضاءعلي حياته ويبدو أن غوردون لم يكن يفهم طبيعةالثورة المهدية ، وكان يعتقد أن مجرد ظهورة فى السودان سوف يعيدالطمأنينةالي النفوس وأن أوامره وتعليماته سوف تقابل بالترحاب ولذا إعتمد علي نفوذه الشخصي واخطأ فى تقديرخطورةالحالة ، ومن ثم لم يصحب معة قوات لتعزيزالحامية في الخرطوم والإستعانة بها في تنفيذ الاخلاء . وكانت هذة مفاجأة لمن بقى على ولائة لمصر ، إذا كانوا يتوقعون أن ، يكون غوردون قد قدم ومعه قوات كبيرة لإنقاذ الموقف . كما أعلن غوردون وهو في بربر فى الطريق الى الخرطوم عزم الحكومة المصرية علي إخلاء السودان وإنسحاب الجنود والموظفين المصريين ومن يرغب من السكان وإرجاعهم الي مصر ، و قد زاد هذا من الصعوبات التى واجهها غوردون بعد ذلك إذا أن رجال القبائل الذين ظلوا متمردين حتى ذلك الوقت أعلنوا ولاءهم للمهدي وكان هذا سببا غير مباشر فى سقوط بربر فى إيدى الثوار.

كذلك فقد أصدر غوردون منشورا بتعيين المهدي سلطانا علي كردفان فأصبح ذلك بمثابة إعتراف بالأمرالواقع زاد من نفوذ المهدي وجعل الكثيرين ينضمون إلية . يضاف الي ذلك أن غوردون أعلن إلغاء الاوامرالصادرة بمنع الرقيق وقد أثار هذا عاصفة من السخط والاحتجاج علية في انجلترا . وفى النهاية كانت افكار غوردون متناقضة ، فأضاع كثيرا من الوقت وقد سار المهديون على مسافة قريبة جدا من الخرطوم ، وبدا كانة يهتم قبل أى شيء آخر بتأسيس الحكومة القوية في السودان

---

(١) محمد فؤاد شكرى (د.) : مرجع سابق ، ص ٢٣٨.

وبذلك يكون قد تجاوز المهمه التى أرسل من أجلها - اذا كانت حكومه جلاد ستون ترى ضرورة إعادة الحريه لأهل السودان كما إعتبرت الثوار مناضلين من أجل هذه الحريه [١] بعث غوردون إلى بارنج يطلب و يلح فى أن يرسل الزبير باشا الى الخرطوم ليوليه حكم السودان و كان قد أبدى هذه الفكره قبل سفره الى السودان و رفضت ، و إنضم السير بارنج الى غوردون بعد تحرج موقف الأخير و الحاجة الى ضروره إرسال الزبير ، غير أن الحكومه البريطانيه رفضت قبول هذا الرأى متعلله بأن الراى العام البريطانى يعارض إرساله لما عرف عنه من نشاط سابق فى تجاره الرقيق [٢] .

سقوط الخرطوم:

تأزم الموقف فى الخرطوم منذ أواخر فبراير ١٨٨٤ ، و صار غوردون يلقى تبعه موقفه على حكومته التى رفضت إجابه طلبه بإرسال الزبير باشا ، و كان رأيه أيضا أنه من الضرورى فتح الطريق بين سواكن و بربر و إرسال قوات من الهنود و البريطانيين حتى تستطيع القوه التى بالعاصمه الخروج منها . و عندما وضح عدم إستجابه الحكومه البريطانية لاى من الطلبين أرسل غوردون الى بارنج يعرض إستقالته (٩ مارس ١٨٨٤) و أعتزامه الذهاب لمديريه خط الاستواء و بحر الغزال و تسليمها الى الملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا بعد ترك السودان فى أيدى حكومات محلية تكون نوعا من الاتحاد الفيدرالى . غير أن الحكومه البريطانية رفضت ذلك لأنها كانت واثقة من انة لن يستقبل ؛ وأمرته بالاستمرار في الخرطوم اذا رأي ذلك ضروريا لأنشاء الحكومة الوطنية ؛ ولكن علية الإنسحاب الي بربر إذا تعذر علية تحقيق ما يريد كما

---

(١) على بركات (د.) : مرجع سابق ، صص ٢٤-٢٥.

(٢) الشاطر بو صيلى : معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص١٨١.

رفضت ارسال قوات هندية او بريطانية الي السودان وفي خلال شهر ابريل ١٨٨٤- اقترح غوردون على حكومة ارسال قوة تركية الي السودان ، ولكن هذا الإقتراح رفض أيضا اذ أن الحكومة البريطانية رأت أن استخدام جنود من الأتراك فى السودان معارض للآراء التى قدمها غوردون في ظروف سابقة كما أن الاتجاة الجديد سيتسبب في تعديل تام للسياسة الأصلية التى تهدف إلى الانسحاب من السودان.

هكذا أعلنت الحكومة البريطانية رفضها إرسال آية معونة حربية الي غوردون رغبة منها في عدم اطالة بقائة فى السودان وتنفيذ سياسة الاخلاء التي ذهب أصلا لانجازها . وفي إبريل ١٨٨٤ بدأ الدرويش فى حصار الخرطوم ومن ثم بدأت الأحداث تتحرك بسرعة وتقضى على كل أمل فى إخلاء المدينة ، فقد إستولى المهديون علي بحر الغزال في ٢٩ ابريل - كما سقطت بربر في أيديهم في ٢٠ مايو- وصار واضحا أن غوردون قد تخلي تماما عن الأوامر التي صدرت الية [1] تردد كثيرا بينما الموقف يزداد تحرجاويتطلب الإسراع في البت في مسألة الحملة . وقد جاءت موافقة الحكومة الانجليزية تحت ضغط الرآي العام ،البريطاني - علي إرسال قوة عسكرية لإنقاذ غوردون في شهر أغسطس ١٨٨٣ بعد مضي خمسة أشهر من وقت طلبها .

وصلت الحملة القاهرة ٩ سبتمبر ثم غادرتها لتصل وادي حلفا في أكتوبر وأرسل للورد ولسلي والذي عهد إلية بقيادة الحملة بقوة من جيشة الي السير هربرت ستيوارت للزحف الي الخرطوم بطريق النيل - وصلت طلائع هذة القوة الي مشارف الخرطوم ٢٨ يناير ١٨٨٥- كانت المدينة قد سقطت في ايدي الثوار وقد قتل غوردون في ٢٦ يناير ، فاضطر السير تشارلس ولسون الذى تولى قيادة القوة بعد مقتل ستيوارت - االى الألتحام مع المهديين قرب المتمة ، وأصدر أوامرة بالعودة .

وهكذا كان وصول حملة الانقاذ بعد فوات الاوان حتى أطلق عليها « حملة

(١) على بركات (د.) : مرجع سابق ص ص ٢٥-٢٦.

بعد فوات الآوان »[١] ولعل الرأى العام المصري الكاره للإحتلال قد أرتاح للنتيجة التي انتهت إليها هذة الحملة . الذى أصبح يرى فى المهدى بطلا وطنيا حيث – قيل في ذلك الوقت – أن المهدى غضب لمقتل غوردون لأنة كان يريد الأبقاء علية حيا ليفتدى به الزعيم أحمد عرابى .

(١) محمد صبرى (د.) ، الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ، ص٢٢.

الحكومة المهدية وسياستها في السودان بعد سقوط الخرطوم:

إنتهى النفوذ المصري من السودان بعد مقتل غوردون في ٢٦يناير ٨٥ وسقوط الخرطوم ، وأصبح من المتوقع أن تسود الفوضى في البلاد وأن ينصرف خليفة المهدى (التعايشى) الى تدبير الشئون الداخلية فى السودان. بدا كما لو كانت العوامل التى ربطت بين الإحتلال فى مصر والأحداث فى السودان فى طريقها إلى الزوال وأن تعيد بريطانيا النظر فى سياستها نحو مصر من جديد وايجاد حل للمسألة المصرية بالتعاون مع تركيا .ولقد ساعد على هذا الاتجاة سقوط وزارة جلادستون في يونيو ١٨٨٥ ، التى تم فى عهدها الاحتلال والثورة المهدية وجاءت وزارة المحافظين برئاسة سالسبورى وكان هؤلاء من جانبهم يؤيدون سياسة تحسين العلاقات مع تركيا، اذ خشيت انجلترا أن تتحد أوروبا كلها لمعارضة النظام القائم فى مصر و تعمل على فرض نظام لا يتفق مع مصالح بريطانيا فحاولت بريطانيا إسترضاء فرنسا و روسيا اللتين كانتا تعارضا الإحتلال وذلك بايجاد حل للمسألة المصرية وكانت حكومة المحافظين تعلم مدى المضاعفات التى نجمت عن الإحتلال العسكرى لمصر هذا بالأضافة الى أن الكوارث التى وقعت فى السودان كانت لاتزال ماثلة فى الأذهان التى أصابت سمعة بريطانيا بضرر بالغ بسبب سقوط الخرطوم وعجز الأنجليز عن إنقاذ غوردون ثم الإنسحاب من دنقلة وتصفية الحامية المصرية الباقية فى السودان على ان وادى النيل كله كان فى حالة من الثورة فى أحد شطرية و فى حالة من الاضطراب والقلق السياسى فى الشطر الآخر . (١)

كانت حكومة سالسبورى تميل الى إشراك السلطان في مسئولية الحوادث فى مصر والسودان، وعلى هذا فقد عهد الى السيد هنرى روموند وولف بوصفه مندوبا فوق العادة

---

(١) محمد فؤاد شكرى (د.) : مرجع سابق ، ص٤٧٨.

و وزيرا مفوضاً [1] بمهمة الإتفاق مع الباب العالى والأستعانة بة لإيجاد حل للمشكلات التى نشأت عن الموقف في مصر والسودان ، وكان الغرض من هذه المهمة هو الحصول على تأييد تركيا العسكرى في السودان ، بأن يساهم نفوذ السلطان السياسى والدينى على المسلمين فى تهدئة الثورة فى السودان .

كانت إنجلترا ترى أن تعاون السلطان ضروري للمحافظة علي النظام في السودان ؛ وأن الحكومة البريطانية ترى واجبا عليها هوالعمل علي تهدئة الحالة وإستتاب النظام هناك وأن هذا التعاون ضروري للحصول علي نتائج طيبة في هذه المسألة ، وكان رئيس الوزراء الإنجليزى يعتقد فى إمكان قيام السلطات بالمساهمه الماديه من أجل إستقرار الأمور و قيام حكومه صالحه فى السودان .

لقد كان واضحا تمسك الحكومه البريطانيه بسياسه إخلاء السودان و أن الذى يعنيها هو تأمين حدود مصر الجنوبيه سواء باشترك السلطان العثمانى أو عن طريق اقامه حكومه وطنيه مساله من غير المهديين . و فى ٢٤ اكتوبر ١٩٨٥ تم توثيق إتفاق بين المندوب البريطانى مع وزير الخارجيه العثمانيه - تقرر بمقتضاه أن ترسل كل من الحكومتين مندوبا ساميا الى مصر على أن يقوم المندوبان بالأتفاق مع الخديوى بإعاده تنظيم الجيش المصرى و النظر فى جميع مصالح الأداره و إدخال الأصلاحات التى يرونها ضروره فى حدود الفرمانات السلطانيه - و نصت كذلك على أن يقوم المندوب العثمانى بالتشاور مع الخديوى فى أفضل الوسائل لأعادة الهدوء والسكينه الى السودان .

و لكن سرعان ما وضح الخلاف بين وجهتى نظر المندوب الانجليزى وولف و المندوب العثمانى "مختار باشا - فالمندوب العثمانى يرى أن الحدود يجب أن تمتد جنوبا حتى

---

(١) كان وولف بمجلس العموم البريطانى ، و لكن فقد دائرتة فى انتخبات عام ١٨٨٥ .

دنقله ، التى تصبح خط الدفاع الأول - و كان الإنجليز يرون إستمرار الموقف عند الحدود على ماهو عليه عند وادى حلفا .

لقد كان إستمرار الأضطراب فى السودان و خاصته على الحدود الشرقيه و كذلك على الحدود الشماليه " حيث حاول النجومى غزو مصر من الإدعاءات التى تذرعت بها إنجلترا للدفاع عن مصر و الإحتفاظ بجيش بريطانى الى جانب القيام بتنظيم الجيش المصرى و وضعه تحت إشرافها - اذ أن دعوى الدفاع كانت لا تزال أساس السياسة البريطانيه نحو السودان (١) عموما لقد أدى اختلاف الرأى بين وجهه النظر الانجليزيه و العثمانيه الى تجميد الأتفاق بينهما - حيث كانت تتمثل وجهة نظر انجلترا فى الاحتفاظ بموقف دفاعى فى مصر ضد أى هجوم محتمل من قبل المهديين .

و كانت وجهه نظر السيد بارنج الذى بعث به سالسبورى فيما بعد هو إتخاذ أحد الحلين أما سياسة الدفاع عن حلفا و سواكن أو اتباع خطه هجوميه شاملة تؤدى فى النهاية الى استرجاع السودان ، الأمر الذى يتطلب نفقات باهظه تنوء بها الخزانة المصريه لذالك فهو يرى وجوب إلتزام خطة الدفاع (٢) - أما وجهة النظر العثمانية فكانت تتلخص فى ضرورة إسترداد دنقلة لتكون قاعدة للعمليات العسكرية ضد الدراويش فى السودان على أن يضطلع بهذا العبىء جيش مصرى خالص . (٣)

و على الجانب السودانى ، فقد فشل المندوب العثمانى يوسف باشا شهدى فى الوصول الى إتفاق مع المهديين حين أوفد الى حلفا فى مايو ١٨٨٦ لمعاودة التفاوض

---

(١) على بركات (د.) : مرجع سابق ، ص ص ٣٣-٣٤، ٣٧.

(٢) محمد فؤاد شكرى (د.) : مرجع سابق ، ص٤٨٣.

(٣) على بركات (د.) : مرجع سابق ، ص٣٨.

معهم – و الحقيقه أن أيه محاولة للوصول الى إتفاق مع المهديين كان لابد أن يكون مصيرها الفشل لان أى اتفاق معناه الوصول الى حل وسط و هو ما رفضة المهديون .
هكذا فشلت محاولة الوصول الى إتفاق مع المهديين و فشلت محاوله وولف و بدات فكرة إطالة أمد الإحتلال فى مصر تقوى لدى الحكومة البريطانية (١) و تزايد معها الشعور بضرورة معالجة المسألة السودانية بطريقة تكفل سلامة مصر و أمنها و ذلك بأبعاد خطر المهديين و إنزال الهزيمة بهم سواء فى طوشكى أو حول سواكن فى الشرق حيث نشاط المهديين .

نشاط المهديين على الحدود الشمالية مع مصر .

في ٥ يوليو ١٨٨٥ . كانت دنقلة قد أخليت تماما تنفيذا للسياسة التى إتبعتها إنجلترا نحو السودان ، و وضعت حاميه فى إسوان التى جعلت نهاية الحدود المصرية فى الجنوب و أصبحت مراكز الحدود الاماميه عند وادى حلفا و كان أخرها عند طابية كوشة و تمكن المهديون من إحتلال دنقلة فى أغسطس ١٨٨٥ . وفى نهاية شهر اكتوبر وصل محمد أكبر الى دنقلة و عقب و صوله . أرسل عبد الماجد (قائد جيشه) بمعظم أنصاره لمناوأة جيش الحدود فى كوشة و أخذ يستعد للقاء بهم .
وفى أوائل ديسمبر تمكن المهديون من إحتلال قريتى كوشة و جنس . وفى ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ استطاعت القوات المصرية و الإنجليزية القيام بهجوم مفاجىء على المهديين فى جنس و ألحقت بهم الهزيمة و كانت معركة جنس هى آخر العمليات ضد المهديين بعد أن تقرر أخلاد السودان . و بعد هذه المعركة رأت الحكومة المصرية الدفاع عن الحدود الجنوبية عند وادى حلفا حيث وصلتها أخر مجموعة من

---

(١) محمد فؤاد شكرى (د.) : مرجع سابق ، ص٤٨٢.

الجنود المنسحبين فى ٢١ ابريل ١٨٨٦ ، أنسحب الانجليز من حلفا بعد أن تركوا فيها حامية مصر ية تتولى الدفاع عن الحدود الجنوبية ضد أى هجوم محتمل من أنصار المهدى على الجيش المصرى . و فى مايو ١٨٨٦قبل أن النجومى أشعل النار فى "داره" و أقسم على ألا يعود الا بعد فتح مصر و جمع الخليفة الأمراء و ولوا وجوههم شطر القاهرة و كبروا و نصح الخليفة الأنصار بألا يخشوا الحرب فى سبيل مصر لأنهم سوف يقاسون كثيرا فى معركة أسوان و عليهم التذرع بالصبر .

و فى نوفمبر ١٨٨٦ وصل عبد الله النجومى الى دنقله قادما من بربر فى طريقه الى حدود مصر ، ومن دنقله أرسل مقدمة جيشه بقيادة النور عنقرة الى سرس فوصلها فى آخر نوفمبر و ما لبث أن نشبت بينه و بين القوات المصرية معركة فى ابريل ١٨٨٧ عرفت باسم معركة "سرس" هرم فيها أنصار المهدى و قتل قائدهم ، و ما أن علم النجومى بهذة الهزيمة حتى أرسل جيشا آخر وصل سرس فى يونيو و بعدها وصل النجومى فى ديسمبر من نفس العام على رأس بقية جيشه .

و منذ ذالك الوقت إتخذ المهديون من سرس قاعدة عملياتهم العسكرية ضد المواقع المصرية حول حلفا . وقد كان مشروع غزو مصر يواجه صعوبات ظهر بعضها فى الازمات المتعاقبة على الحدود الشرقية للدولة المهدية الى جانب المشاكل الداخلية التى كادت تعصف بحكم الخليفة . و فى أوائل عام ١٨٨٩ - كان الخليفة قد إستراح من مشاكلة الداخلية و هدأت الحالة على الحدود الشرقية بعد أن أنتصر المهديون على أثيوبيا فى واقعة القلابات . و بدأ التفكير الجدى فى غزو مصر حيث طلب الخليفة من محمد الخير عامل بربر السابق ، وعلى ود سعد شيخ الجعليين جمع الجيوش للحاق بالنجومى . وفى بداية عام ١٨٨٩ أرسل الخليفة تعزيزات أخرى من قبيلة جهينة التى لا تجيد أساليب القتال و من الذين يعوزهم الحافز للجهاد فى سبيل الدعوة المهدية .

و قبل أن يبدأ النجومى زحفه كان القلق و التوتر يسودان معسكرة بسبب الخلافات بين القواد و

كان بعضهم قد أبلغ النجومى إستحالة الهجوم على مصر أو الإستيلاء على حلفا بسبب قلة المياة و صعوبة الطرق الصحراوية أذ أن مياة النيل كانت تحت سيطرة الزوارق الحربية التى كانت تقوم بدوريات مستمرة فتمثل عقبة حقيقية فى طريق الزحف فى محاذاة النهر - و قبل أن يبدا الزحف شمالا ، أرسل الخليفة أربعة رسل يحملون إنذارات نهائية لكل من الخديوى توفيق و الملكة فكتوريا و المعتمد البريطانى بالقاهرة و السلطان عبد الحميد - و من هذه الكتب وثائق تثبت إنتصار التعايشى على الامبراطور يوحنا إمبراطور أثيوبيا (١) .

و فى ٣ مايو ١٨٨٩ خرج النجومى من دنقلة بعد أن أتم استعداداته حيث وصل سرس التى زحف منها بالجيش كلة على معتوقه فوصلها فى ٢٨ يونيه ، و عند أرجين شمال وادى حلفا نشبت معركة إستمرت من الفجر الى قرب الغروب و جرح عبد الرحمن النجومى من شظايا قنبلة أصابته و جرح من أمرائه عثمان أزرق و عبد الحليم مساعد و لكنه إستطاع الإنسحاب الى "بلاجة" التى وصلها فى ١٠ يوليو بعد أن تعقبته زوارق المدفعية المصرية و مكث هناك ينتظر النجدات التى علم أنها فى الطريق اليه و التى وصلته بقيادة على ود سعد و هى القوات التى عوض بها خسارته فى المعركة السابقة .

وفى ١٥ يولية وصل السير فرانسيس جرانفيل سردار الجيش المصرى " الى بلاجة لقيادة العمليات ضد المهديين و علم السردار من مخابراته " أن الكثيرين يفرون من معسكر المهديين بسبب المؤن و الأغذية فأرسل الى النجومى يطلب منه التسليم و يعده بالأمان . وكان رد النجومى أنه يريد مصر باكملها ويحذر السردار مصير هكس و غوردون و يطلب منه التسليم و إعتناق الاسلام (٢) .

---

(١) على بركات (د.) ، مرجع سابق ، صص ٣٩-٤٢.

(٢) محمد فؤاد شكرى (د.) : مرجع سابق ، ص ٤٤٠ .

و فى ٢٨ يوليو – بدأ النجومى زحفة ثانية نحو الشمال بالرغم من الظروف الصعبة التى كانت تحيط به و وصل المهديون الى نقطة تبعد خمسة أ ميال فى الصحراء جنوب طوشكى فى ليلة ٢ أغسطس ١٨٨٩ – و كانت التعزيزات المصرية و الانجليزية قد أرسلت من القاهرة و إن كان وصول القوات المصرية قد جاء أولا . وفى ٣١ يوليو وصل السردار الى طوشكى لقيادة العمليات المنتظرة و إجتمع لديه حوالى ٣٦٨٥ مقاتلا من المصريين و السودانيين و الأنجليز بالأضافة الى (٨٠) مدفعا . وكان واضحا أن مسرح العمليات يناسب كثيرا القوات النظامية و فى صباح ٣ اغسطس دارت المعركة التى استمرت خمس ساعات و إنتهت بهزيمة المهديين و مصرع قائدهم عبد الرحمن النجومى .

و بلغت خسارة المهديين ١٢٠٠ قتيل و ٤٠٠٠ أسير و كان من نتائج هذة المعركة أن أمتدت الحدود المصرية جنوبا الى سرس و احتلتها القوات المصرية فى ١١ أغسطس و أمكن ترميم الخط الحديدى بينها و بين وادى حلفا أما المهديون فقد جعلوا نقطة حدودهم عند سوردة على بعد ١٠٠ ميل جنوبى سرس حتى أرغموا على إخلائها فى ١٨٩٦ عندما تقرر إسترجاع السودان . و الحقيقة أن هذة المعركة كانت بالغة الأهمية لأن المهديين بعدها ظلوا مجمدين فى مواقعهم على الحدود الشمالية و لم يفكروا فى أية عمليات للإستيلاء على مصر . و كتب و نجت معلقا على المعركة بقولة : "ربما كانت هذة أقسى ضربة نزلت بقوات المهدية حتى الأن ، و أن المهدى و من بعده الخليفة كانا يتطلعان الى مصر كهدف يبذل من أجله أقصى جهد ، و لكن بعد سنين طويلة من الاستعداد و وضع الخطط صادف ذلك الجهد الكبير كارثة تامة إذ قتل أشجع القواد و أكثرهم تعصبا للثورة المهدية ، و هو الرجل الذى قام بدور هام فى الايقاع بهكس و إسقاط الخرطوم و اذا كان هذا هو مصير حملة الشمال و قائدهما فان أنصار المهدى بقيادة عثمان دقنة لم يكونوا أكثر توفيقا فى أشتباكهم مع الحامية الموجودة فى سواكن على الرغم من أن السلطات الحكومية فيها كانت تحتفظ بموقف دفاعى تنفيذا لسياسة إنجلترا فى هذا الشأن .

الموقف فى شرق السودان و الدفاع عن سواكن :

فى الفترة التالية لسقوط الخرطوم كان السودان الشرقى بأكملة قد سقط فى يد أنصار المهدى وأصبح تحت سيطرة عثمان دقنة فيما عدا سواكن التى بقيت فى أيدى القوات الحكومية - فقد أمكن بفضل تعاون الاثيوبيين عقب معاهدة عدوة (٣ يونيو ١٨٨٤) إنسحاب حاميه القلابات بسلام فوصلت مصوع فى آخر مايو ١٨٨٥ مع حامية المتمة - التى إحتلها المهديون بقيادة محمد ود رباب فى ٥ مارس ١٨٨٥ ، ثم انسحبت حامية عديب و وصلت الى مصوع فى ١٠ ابريل . كذلك فقد أخليت سنهيت و وصلت حاميتها الى مصوع فى نفس الوقت ، أما حامية الجيرة فقد إنسحبت فى ٨ يوليو و إضطرت كسلا الى التسليم للمهديين فى ٣٠ يوليو من العام نفسة بعد صراع مع المهديين دام أكثر من عام أبلت حاميتها فية بلاء حسنا و بعد أن نفذت فيها الأقوات على الرغم من الخدمات التى أدتها قبيلتا الحلانجة و بنى عامر المجاور تان فى الدفاع عن المدينة (١)

اما الأثيوبيين فقد تسلموا مقاطعة بوغوص فى ٢١ سبتمبر ١٨٨٥ طبقا لنصوص معاهدة عدوة و كانت الغضارف قد سلمت للمهديين فى ابريل ١٨٨٤ . و هكذا أصبح عثمان دقنة يسيطر على كل المنطقة المجاورة لسواكن و بات من الضرورة أن يضع الخليفة يدة على هذا الميناء لانه طالما بقيت به قوات معاديه فسوف يظل نقطة و ثوب على حكومته (٢) و على الرغم من أن دقنة فشل فى الإستيلاء على سواكن الا أنه أصبح يسيطر على شرق السودان كلة بعد إنسحاب حملة جراهام . و فى ١٢ مارس ١٨٨٥ وصل جراهام على رأس قوة كبيرة من الانجليز و الهنود و المصريين تبلغ ١٢ الفا و لم تكن قوات عثمان دقنة تتجاوز عشرة الاف يتركز معظمها فى مركز قيادته فى تساى و مالبث جراهام أن التحم مع المهديين و أوقع بهم الهزيمة فى معركة

---

(١) على بركات (د.) : مرجع سابق ، صص ٤٣-٤٤.

(٢) محمد فؤاد شكرى (د.) : مرجع سابق ٢٤٤.

"توفرك" فى ٢٢ مارس التى تمكن بعدها من دخول تساى فى ٣ إبريل بعد أن انسحب منها عثمان دقنة الى المرتفعات المجاورة أملا أن تطارده القوات الحكومية ، و لكن جراهام إنسحب من تساى نظرا لقلة المياة بعد أن أحرق المؤن و الذخائر التى وجدها بها . و نتيجة لذلك أصبحت سواكن بمنأى التهديد المباشر للمهديين - و لكن جاء قرار الحكومة الانجليزية بإنسحاب حملة جراهام من سواكن تنفيذا لسياسة اخلاء السودان و الاكتفاء بوقف دفاعى فى سواكن [1] و على الحدود الجنوبية لمصر بعد أن تخلت انجلترا عن فكرة هدم المهدى فى الخرطوم .

و الحقيقة أن حملة جراهام الكبيرة لم تحقق الغرض الذى أرسلت من أجله فقد بقى عثمان دقنة يتمتع بحرية الحركة فى شرق السودان و حقيقة أمكن إنقاذ سواكن و تأمينها فضلا عن تأمين مصر من الغزو عن طريق الصحراء الشرقية و ساحل البحر الاحمر . تسلم هندرسون مقاليد الأمور من جراهام فى سواكن و إنسحبت معظم القوة و لم يبقى فى سواكن الا قوة من الجنود المصريين و الهنود و بإنسحاب جراهام و قواته عاد دقنة الى تساى ثانية و عادت سيطرتة على شرق السودان .

كان هذا هو الموقف فى شرق السودان عندما تسلم التعايشى زمام الأمور فى السودان بعد وفاة محمد المهدى و ما لبث عثمان دقنة أن انتقل الى كسلا بعد إستسلام حاميتها للمهديين و بعد أن التفت حوله قبائل الأمرأر و الهدندوة وفى ١٩ أغسطس ١٨٨٥ سلمت حامية سنار الى المهديين ، فأمر التعايشى قائدة محمد عبد الكريم بتخريبها و كان العامل الحاسم فى سقوطها هو أخلاء دنقلة .

و فى سواكن تولت القوات المصرية الباقية الدفاع عنها و لم يحدث تغيير فى الموقف حول سواكن أو فى الموقف الدفاعى الذى إلتزمت به الحكومة البريطانية حتى نهاية عام ١٨٨٥ . و فى العام التالى - كانت أعمال الدفاع حول سواكن قد أخذت شكلها

---

(1) Dularric , G., l'Etat Mahdiste du Sudan , Paris, 1904 P259

النهائى بعد أن تمكن المحافظ الجديد الكولونيل كتشنر من إقامة خطى دفاع . و بدأ الدراويش يقيمون معسكراتهم فى هندوب على مرمى النيران من سواكن بينما كان عثمان دقنة قد إتخذ من طوكر مقرا لقيادته فى دلتا الجاش التى تعتبر أهم مورد لتموين قواته هذا و قد شهدت نهاية عام ١٨٨٦ تدهورا ملحوظا فى نفوذ عثمان دقنة فالقبائل تطور موقفها المعادى له الى حرب أجبر فيها على إخلاء تماى .

و فى مارس ١٨٨٨ – حصل المهديون على تعزيزات من البقارة بقيادة أبو قرجه و أصبح من الواضح أن أنصار المهدى يستجمعون قوتهم فى هجوم أخير للأستيلاء على سواكن ، و على هذا فقد شدد المهديون الحصار على المدينة فى شهر سبتمبر – و إضطرت السلطات العسكرية فى القاهرة الى إرسال تعزيزات سريعة الى سواكن ، و حضر السردار السير جرانفيل ليقود بنفسة العمليات ضد عثمان دقنة ، وفى ٢٠ ديسمبر ١٨٨٦ – حدث الهجوم المرتقب على قوات المهديين فى واقعة الجميزة و فيها إنهزم عثمان دقنة و لكن جرانفيل أوقف العمليات باعتبار أن المعركة كانت دفاعية (١) و لان انجلترا كانت لا تزال متمسكة بسياسة الإخلاء و الإلتزام بموقف دفاعى فى شرق السودان و بذلك أبعد الخطر عن المدينة ، و بدأت بعد ذلك عملية تنشيط التجارة بين مصر و القبائل الشرقية حيث وافقت الحكومة البريطانية فى نهاية عام ١٨٨٦ على أستئناف التجارة مع السودان و كان أن أرسل بارنج برقية الى كتشنر فى سواكن فهم منها أنه قد تقرر التخلى كلية عن سياسة حظر التجارة من الداخل الى حين أستسلام طوكر و يطلب منه إرسال خطة فتح التجارة كاملة مع وضع الشروط التى يراها ضرورية لاغراض الجمارك و لمنع تهريب الاسلحة و الذخائر ، و لقد زاد التبادل التجارى بين سواكن و الداخل بعد إنسحاب عثمان دقنة الى طوكر . و يبدو أنه كان قد يئس من الاستيلاء على سواكن فطلب من الخليفة بأن يأذن له بالانسحاب

(١) محمد فؤاد شكرى (د.) : مرجع سابق ، ص ٤٤٢.

الى طوكر و إعادة فتح باب التجارة ، فأذن له الخليفة فغادر هندروب الى طوكر فى ٢٨ فبراير ١٨٨٩ ليتخذها مركزا لعملياته العسكرية . و حتى نهاية ذلك العام لم تقع حوادث لها أهمية فى المنطقة .

و كانت انجلترا تتمسك بسياسة الدفاع سواء فى الشرق أو فى الشمال عند حلفا ، و فى نفس الوقت الذى كانت إنجلترا تتمسك بهذة السياسة كانت تتجمع العوامل و الظروف التى جعلتها فى النهاية تتخلى عن هذة السياسة و تقرر الدخول فى عمليات عسكرية بقصد إسترداد السودان .

الوضع فى شرق السودان و استرداد طوكر :

منذ فبراير ١٨٨٩ ، أصبحت طوكر مركزا لقيادة عثمان دقنة ، و فى نهاية عام ١٨٨٩ بدأ نفوذ دقنة يتدهور وسط الاضطراب العام الذى حدث فى شرق السودان فالخلافات القبلية إزدادت حدة و بدأ الناس كما كانوا قد أصابهم الملل من هذا الموقف المضطرب بل أكثر من هذا بدءوا يتطلعون الى الخلاص من سوء الحالة التى يعيشون فيها لكن الخلافات و إنعدام الثقة حالت دون القيام بعمل حاسم من جانب القبائل ضد عثمان دقنة . و بدأت هذة القبائل تلح على السلطات الانجليزية بضرورة سحق عثمان دقنة و أظهرت استعدادها للمساهمة فى هذا العمل .

و جاء قرار الهجوم على طوكر تحت ضغط خطر التوسع الايطالى فى شرق السودان كذلك من أجل القضاء على تجارة الرقيق التى نشطت بشكل ملحوظ . و فى مارس ١٨٩٠ وصلت الى بارنج عدة تقارير من السلطات البريطانية عن سواكن تفيد أن الايطاليين يبدون نشاطا متزايدا فى السودان الشرقى و أنه بات من المتوقع أن يزحفوا على كسلا فى وقت قريب و على ذلك فقد عكف بارنج على دراسة مسألة الزحف على طوكر و كان يرى أنها على قدر كبير من الأهمية و مع بداية عام ١٨٩١ خرج عثمان دقنة من طوكر ليغزو قبائل الحباب التى خرجت عن طاعتة و ترك فى

طوكر قوة صغيرة و عندئذ أستاذن هولد سميث من السلطات فى القاهرة فى الهجوم على هندوب ، و عندما أذن السردار للمحافظ إستولى عليها الاخير فى هجوم خاطف فى ٢٤ يناير ١٨٩١ و فى فبراير إستولى على تساى و لعل نجاح هذا الهجوم هو الذى جعل سالسيورى يوافق على الهجوم على طوكر فى ٧ فبراير ١٨٩١ و هو الهجوم الذى حدث على المدينة بقيادة هولد سميث فى ١٩ فبراير حيث تمت هزيمة المهديين بقيادة عثمان دقنة الذى إنسحبت الى العطيرة بعد مقاومة عنيفة متخذا منها مقرا لقيادته . و أثبتت هذة المعركة قدرة الجيش المصرى و كفائته على مواجهة التحديات و دخلت قوات الحكومة المدينة و أستقبلها الأهالى بحماس ظاهر [١] و لم يحدث ما كان يخشى منه سالسبورى فى إتساع نطاق العمليات العسكرية أو الصدام مع ايطاليا ، و أطمأنت الحكومة البريطانية الى حد كبير من ناحية الأطماع الإيطاليه بعد إحتلال طوكر الذى أعقب سقوط وزارة كرسبى و أصبح الأمل كبيرا فى الوصول الى إتفاق مع ايطاليا [٢] و بالفعل تم عقد إتفاق مع إيطاليا أعطى لإيطاليا الحق فى إحتلال كسلا و البلاد المجاورة لها حتى نهر عطبرة بصورة مؤقتة .

التفكير فى استعادة السودان:

كما سبق أن ذكرنا ، لم تستطع الحكومة المهدية أن تمد نفوذها الى أقاليم السودان فقد تكالبت الدول الاستعمارية ، لأقتسام المناطق الهامة فى شرق السودان ، و كانت إنجلترا فى بداية الامر – ترى أنه من الأفضل إنسحاب مصر من السودان بحجة عجزها ماليا و حربيا عن مقاومة تيار المهدى الجارف ، و لكن الخديوى تمسك بالسودان .

---

(١) على بركات (د.) ، مرجع سابق ، ص ١٠٤.

(٢) وقع الاتفاق مع ايطاليا فى ١٥ ابريل ١٨٩١.

كانت النظرة الإنجليزية بعد دراستها لأهمية السودان بالنسبة لها و بالنسبة لمصر ، هى أنه لابد من السيطرة على السودان و أهمية مساعدة مصر فى استعادتها و على هذا قررت إنجلترا فى عام ١٨٩٦ إرسال حملات عسكرية لمقاتلة الدراويش و إسترداد السودان و لعل إتخاذ إنجلترا لهذا القرار يرجع لعدة أسباب منها .

١ - مركز أنجلترا فى مصر :

لم تكن أنجلترا حتى عام ١٨٩٢ متاكدة من قدرتها على الأستمرار فى أحتلال مصر ، و لكن حتى ذلك التاريخ تغير الموقف و أصبحت أنجلترا ترسم سياستها على أساس البقاء فى مصر و حماية حدودها الجنوبية .

٢ - ظهور أهمية التحكم فى اعالى النيل :

و جاء ذالك نتيجة للبحوث التى تم اعدادها و المناقشات التى جرت بين المهتمين بنهر النيل و منابعة ، خاصة بعد أن كشف النقاب عن هذة المنابع و أصبح هناك حديث عن التحكم فيها ، و أثر ذالك فى المشروعات التى يمكن أن تقام فى أعالى أو على طول مجراه و ما يمكن أن يكون لها من آثار على الرى و الزراعة فى مصر .

٣ - حالة الجيش المصرى و المالية المصرية :

ثبتت من المعارك التى خاضها الجيش المصرى الجديد ضد الدراويش و غيرهم قدرته على مواجهتهم و الايقاع بهم كما أن المالية المصرية التى قد تدهورت منذ نهاية عهد اسماعيل و كانت عاجزة عن الوفاء بحاجات الجيش أو تغطيه مصاريف المعارك الكبيرة - تحسنت تحسنا كبيرا و أصبحت قادرة على الوفاء بمثل هذة المتطلبات .

٤ – حالة الانتصار :

لقد تبدلت حالة أتباع المهدى فلم يعودوا يمثلون القوة التى لا تهزم و قد تجمعت المعلومات الكثيرة عن حالة الانهيار التى يعانى منها هؤلاء ، و عن الحالة السيئه التى يعيش فيها السودانيون .

٥ – موقف الدول الاستعمارية :

لقد أعتبرت الدول الاستعمارية أن السودان بعد سقوطه فى أيدى المهديين أرضا لا صاحب لها ، و بدأت دول مثل بلجيكا تفكر فى تحقيق أحلامها الإستعمارية للتوسع فى أملاكها الأفريقية فى إتجاه السودان مما دفع إنجلترا لأن تسرع لحسم الأمر ، لبسط نفوذها على السودان .

الجزء الثانى

الجيش المصرى فى عصر الخديوى عباس حلمى الثانى

(١٨٩٢-١٩١٤)

١- القسم الخامس : الجيش المصرى و سياسة الاحتلال البريطانى فى السودان .

٢- القسم السادس : الجيش المصرى والحكومة الوطنية .

القسم الخامس

الجيش المصرى وسياسة الاحتلال البريطاني

تجاة السودان

١- المبحث الاول : الجيش المصرى والقضاء على الثورة المهدية واستعادة السودان

٢- المبحث الثاني : السياسة البريطانية فى السودان

٣- المبحث الثالث : الجيش المصري بعد استرداد السودان .

المبحث الاول

الجيش المصرى والقضاء على الثورة المهدية

واستعادة السودان

حملات استرداد السودان (١) .

على أثر التفكير البريطانى فى استعادة السودان ، كان من الطبيعى انشاء جيش مصرى على نسق جديد بعد الاحتلال (٢) خاصة بعد تسريح الجيوش العرابية ، وكان على الجيش المصرى الناشئ أن يقوم بحماية الحدود ورد الغارات عنها فرابطت منة وحدات فى حلفا واخرى فى سواكن ، كما دعم الجيش بأورطة من الجنود السودانيين المعروفين بشدة مراسهم وتحملهم للمشاق وقسوةالطقس ونادى بعض المصريين بأهمية إستعادة مصر للسودان قبل إحتلاله بواسطة دولة مستعمرة ، وان ذلك سيعرض مصر حينئذ للخطر ، ان إحتلت تلك الدولة المستعمرة للنيل الاعلى فى السودان .

وحين ألف تشريل كتابه"حرب النهر" ،بعدأن اشترك فى جيش كتشنر (H. Kitchern) يشبة العلاقة بين مصر والسودان بالنخلة ، حيث تكون الدلتا أعلاه والسودان جذورها وعروقها(٣) وفى أول مارس ١٨٩٦ ، تطورت الحوادث بسرعة نحو إستعادة السودان ، ففى هذا اليوم اندحرت الجيوش الايطالية على يد الأحباش ، فإستنجدت الحكومة الايطالية بصديقتها بريطانيا كى تتعاون معها من أجل التخفيف من ضغط الأحباش عليها بل، و للقيام بأعمال عسكرية فى السودان تستدعى بها انتباه المهديين ، واستجابت بريطانيا لنداء ايطاليا وقد ساعدها فى ذلك ما كانت تعرفة عن إستعداد الجيش المصرى ان لم يكن لسحق المهدية ولكن لتمتعه بالكفاية والقـدرة على

---

(١) انظر ملحق الخرائط الخريطة رقم (٤)

(٢)مكى شبيكه : مرجع سابق ص ٢٧٢ .

(٣) السير هوبرت كتشنر هو سرداد الجيش المصرى وهو ضابط إنجليزى من سلاح المهندسين ، يلم باللغة العربية ، وله خبرة ببلاد السودان ، وقد تعرف على المؤهلات النفسية للجندى المصرى ، وقد عمل قبل ضابطا للاستخبارات فى دنقلة ، ثم عين محافظا لسواكن ، ثم عين رئيسا للبوليس المصرى ، ثم عين بعد ذلك قائدا للجيش المصرى عام ١٨٩٢ .

استعادة دنقلة عموما. لذلك فقد صدرت الاوامر فى ١٣ مارس ١٨٩٦من الحكومة البريطانية الى المعتمد البريطانى فى مصر للأعداد للخطة العامة لحملة السودان حيث عين لقيادتها كتشنر باشا " سردار الجيش المصرى " .

وفى ٢٠ مارس ١٨٩٦ ، بدأت العمليات الحربية فى السودان تدخل دور التنفيذ علماً بأنة إنضم الى الجيش المصرى ، الوحدات المصرية التى كانت تتمركز فى سواكن والتى تم غيارها بوحدات هندية وبذلك تسنى لكتشنر أن يحشد قوة تبلغ عشرة الآف جندى على مستوى عال من الاستعدادمن التدريب والتسليح والمؤن .

الجيش المصرى الجديد على الحدود :

أمرت انجلترا مصربالانسحاب من السودان بحجة عجزها ماليا وحربيا عن مقاومة تيار المهدى الجارف ، ووزارة جلاد ستون لا تريد أن تتحمل عبئا جديداً فوق ما حملته ، وهى لا تعد نفسها مسئولة عن الأسباب التى أدت الى الثورة المهدية ومع ذلك فالحقيقة التى لا يغمض لها عين ، هى أن مصر فقدت السودان أثناء الاحتلال الانجليزى ، فكان على الدولة المحتلةأن تساعد مصر فى إ ستعادة ما فقدته لونهضت مصر حربياً ومالياً . وكان أن انشئ جيش مصر على نسق جديد بعد الأحتلال ، وبعد أن تم تسريح فلول الجيوش العرابية ، وكان علي الجيش الناشئ أن يحمى الحدود ويصد الغارات عنها ، فرابطت فرق منه فى حلفا وأخرى فى سواكن وكان أن دعم الجيش ببعض الأورط من الجنود السودانيين المعروفيين بشدة مراسهم وتحملهم للمشاق والطقس ، ومن الناحية المالية أتت سياسة كرومر المالية أكلها، وإن لم تصل الى درجة الانتعاش الكامل الا أن رحلة الخطر قدزالت عنها وفوق ذلك كانت النظرة الانجليزية آنذاك ترى أن السودان جزء متمم لمصر ، وأنه لابد من السيطرة على السودان حتى تطمئن مصر على النيل شريان حياتها .

وأهاب البعض بمصرأن تسارع لإسترجاع السودان قبل أن يقع فريسة فى أيدى دول يصعب عليها طردها من حوض النيل .

وكان الهدف من هذا الضم هو ضمان وحدة شعبين إرتبطت مصالحها ببعض إرتباطا وثيقا.

دروس من حملة الانقاذ :

بعد إتمام جلاء حملة الإنقاذ من دنقلة ، بدء على الفور في تدوين الدروس المستفادة من هذه الحملة وشملت : -

١ - بعض المخططات والخرائط لتفاصيل أرض المسرح خاصة فيما يتعلق بالملاحة البحرية والشلالات والجنادل وأطوالها وما يجب أن يتخذ من إحتياطيات حين عبور البواخر لها ، وكذلك نوعية هذه البواخر .

٢ - الأخطاء التى وقعت فيها حملة الانقاذ خلال القتال .

٣ - الاستعدادات الادارية المطلوب إعدادها مسبقا والدواب المطلوبة وتشمل هذه الدراسة نواحي الإعاشة - المهمات .

٤ - نوعيات الجندى المطلوب أن يعمل فى هذا المسرح الذى يتصف بالطقس الصعب ، والذى يتطلب جنود على مستوى عال من اللياقة والقدرة على السير الطويل وتحمل الصعاب .

٥ - طبيعة القتال فى هذا المسرح وما يتطلب من إستعدادات لمواجهة القوى المعادية ، وكيفية الاسراع بالحصول على المبادئة ضدها وتدميرها .

٦ - نوعية الأسلحة التى يمكن إشراكها ، وأهمية التدريب الجيد لها وكان لتلك المعلومات أهمية كبيرة فى تخطيط الحملة الجديدة لاستعادة السودان كذلك بدأت القيادة فى مصر فى تجميع المعلومات اللازمة عن قوات المهدى وتمركزها وذلك بواسطة العملاء وجهاز الإستخبارات الحربية والتى كان يتعاون معه عدد ممن يعملون فى أم درمان ، وبذلك أمكن للقيادة فى مصر معرفة عدد الأنصار وأسلحتهم وذخائرهم وأنواعها ومدى ولاء القبائل واستعدادها للتعاون مع الحكومة المصرية وبذلك أصبحت الصورة واضحة عن الأحوال فى السودان من الناحية العسكرية والسياسية أمام القيادة الجديدة لتستفيد منها عند التخطيط للجولة القادمة .

كرومر والحملة :

رأى كرومر أن يتم التريث فى تنفيذ هذه العملية ،رأى أن الجيش وقد قطع شوطا بعيدا فى تقدمه من حيث الأعداد ، لا زال أمامه وقت من حيث التمويل المادى ، ولكنه يعلم تماما مدى تفوق هذا الجيش على جيوش المهدية ولكن نقطة الضعف الوحيدة هى مسأله التمويل فى حالة استمرار فترة القتال ، خاصة وأن مشروعات العمران والانتاج الاقتصادى فى مصر كان لها الأسبقية الأولى ، لهذا لم تبدأ الحملة بصفة فعلية الا فى عام ١٨٩٦ .

حملـــة دنقلـــة :

فى أول مارس ١٨٩٦ ، تطورت الأحداث بسرعة مدهشة نحو إستعادة السودان ففى هذا اليوم إندحرت الجيوش الايطالية على يد الأحباش كما سبق أن ذكرت ، وطلبت إيطاليا مساعدتها بفتح جبهة السودان سواء من الشمال أو من سواكن حتى لا يتحد الشعبيين الأفريقيين فى الحبشة والسودان ضد المدنية الغربية ، خاصة أن ضعف المهدية وإستعداد الجيش المصرى ، شجع الانجليز على بدء هذه الحملة . عموما فقد تجمعت تلك الأسباب مع الرغبة القديمة فى إستعادة السودان وعلى هذا قررت الحكومة البريطانية العمل فى شمال السودان ، وأبرقت الى معتمدها فى مصر بذلك ، وعلى الفور إتصل بالسردار واتفقا على الخطة العامة وبدأ فى تنفيذها قبل اخبار الخديوى والحكومة المصرية وبالرغم من عدم ملائمة التوقيت للحملةخاصةمع قرب حلول فصل الصيف والنيل فى أقل مستوى له ومع ذلك فقد صدرت الأوامر لتنفيذ هذه الحملة خاصة وأن السودار ظل منتظرا لفترة طويلة باستعداداته الكاملة وكذلك لإقتناع كرومر بأن الجيش المصرى والخزانة المصرية يمكنها تحمل مصاريف هذه الحملة لاستعادة دنقلة .

وصدرت الأوامر من الجناب العالى الخديوى بتيسير الحملـــة ، وطلبت الحكومـــة المصرية إعتمـاد نصـــف مليون مـــن الجنيهات من الاحتياطى العام لهذا الغرض ، وتسلمت الحكومة المصرية المبلغ المحدد لها . وتعين كتشنر باشا سرداراً للجيش المصرى قائدا لهذه الحملة وهو القائد الملم باللغة العربية وخبير بعادات السودانيين لخدمته الطويلة بها .

التحرك من حلفا :

القوات المصرية وأوضاعها :

١ - وإستعدادا للتقدم من حلفا ، تمركزت بها قوة من الحدود المصرية ، وإحتلت نقطة أمامية فى سوس ، وتم تقدم قوات الحدود جنوبا الى عكاشة على بعد ٧٥ ميلا جنوبى حلفا فى ٢٠ مارس ١٨٩٦، وذلك بهدف خلق قاعدة للهجوم مع تجنب الجنادل التى تعرقل حركة النقل النهرى ، ولتسير طرق التقدم للقوات المصرية .

٢ - وفى مارس ١٨٩٦ قام الخديوى باستعراض قوات الحملة المصرية فى القاهرة ،وفى مساء نفس اليوم بدأ فى تحريك القوات المصرية من القاهرة وسواكن فى نفس الوقت لتتجمع فى حلفا ، كما تم مد خط مواصلات للتموين من القاهرة الى البلينة بالسكة الحديد، ومنها لأسوان بالبواخر النيلية والمراكب الشراعية ، ثم خط طوله سبعة أميال للشلال ، ومن هناك تعمل البواخر فى النيل حتى حلفا وبعد ذلك بالجمال .

٣ - وفى ٢٠ مارس دخلت العمليات الحربية فى السودان طور التنفيذ بقوة مصرية قوامها نحو عشرة آلاف جندى .

قوات الأنصار السودانية :

رابطت فى فركة قوة متقدمة تحت قيادة حمودة ، لا تزيد على الثلاثة الاف معظمهم من قبائل الغرب ، وقبعت هذه الحامية فى اماكنها تنتظر ملاقاه الجيش المصرى الزاحف ، وأخطأت خطأ جسيما بطبيعة الحال حينما تركت للجيش المصرى الحرية فى مد خطوطه الحديدية دون ازعاج ، وكان فى إماكنهم ان يقوموا بهجمات خاطفة من الصحراء لعرقلة التحضيرات المصرية للهجوم .

بدء العمليات وموقعة فركة :

ظل المهندسون المصريون يعملون فى مد الخطوط لنقل الذخائر والمؤن وتكديسها فى حلفا ، فى نفس الوقت حلت القوات الهندية محل القوات المصرية فى سواكن ، وبذلك تسنى لكتشنر

إمكانية حشد عشرة آلاف جندي على أتم إستعداد من حيث التدريب والتسليح والـ... وإنتقلت القيادة الى حلفا في ابريل ١٨٩٦ .

وفى أول مايو اشتبكت داورية من الجيش المصرى مع قوة كبيرة من الأنصار جنوبي عكاشة ، إستطاعت الداورية أن تحقق هدفها ثم العودة الى مكان تمركزها بعد إصابات قليلة ، وفى السادس من يونية تحرك الجيش المصرى من عكاشة متخذاً طريق الصحراء والنهر لفاجئة الأنصار فى تحركه ولمنعهم من الارتداد ، وكانت المقارنات جميعها فى صالح الجيش المصرى من حيث الحجم والكيف ، فالأنصار لا يزيدون على الثلاثة الاف ، والجيش المصرى يبلغ العشرة الاف مع الفارق فى الأسلحة ونوعيتها ومستوى التدريب .

تم تحرك ليلى للقوات المصرية ليلة ٦/٧ يونيو ، ومع فجر يوم ٧ يونيو إقترب الجيش المصرى من فركة ، وبدأ الاشتباك فى أولى المعارك عنفا بين الجيش المصرى وقوات الانصار انتهت بإنتصار الجيش المصرى على الجنود المهدية رغم إستبسالهم فى القتال ، وبلغت خسائر المهدية ، ثمانمائة قتيل و خمسمائة جريح وستمائة أسير وإنسحب الباقى جنوبا الى دنقلا ، كان ذلك النصر بمثابة رفع للروح المعنوية للقوات المصرية ولكل من كتشنر ومعاونيه .

إستئناف تحرك القوات بعد موقعة فركة :

كان لزاما قبل أن نستأنف القوات المصرية سيرها لفتح دنقله أن تمد خطا جديدا الى الجنوب ، ولكن كان عليهم الإنتظار حتى فيضان النيل وبالتالى يمكن إستخدام البواخر للنقل وللحرب معا، وكان عليهم أن يأخذوا راحة قبل بدء المرحلة الثانية .

ولكن كان هناك خطر لم يحسب حسابه وهو إنتشار مرض الكوليرا الذى زحف عليهم جنوبا من مصر ، فحلت بمعسكر الجيش المصرى الذى إنتقل الى جنوب فركة ، وكانت من نتيجته وفاة ثمانمائة من الجنود والمدنيين ، ثم نازلتهم الطبيعة بما ترسلة عليهم من رياح محملة بالرمال والحصى ، بل وكان هناك أيضا السيول التى جرفت معها الخط الحديدى فى أماكن عدة كانت سببا فى التقليل من الإمدادت .كل ذلك كان بطبيعة الحال من الأسباب الرئيسية التى أدت الى توقف الحملة حتى شهر سبتمبر .

وفى شهر سبتمبر ، ومع إرتفاع مستوى منسوب النيل ، تحرك الجيش المصرى ومعه بواخره فى النيل متجها الى كرمة لمواجهة قوات ودبشارة والذى كان يدافع بقواته فى منطقة الخفير.

موقعة الخفير :

إحتلت قوات الأنصار مواقع مجهزة فى الخفير ، والتى جهزت بالخنادق كما إحتل بعضهم للنخيل حولها ، وإقتربت منهـــم البواخر المصرية وأخذت تطلق وابلا من الذخائر ضد قوات الأنصار – وكان هدفها الرئيسى هو التقدم جنوبا للوصول الى دنقله وعدم التورط مع قوى المقاومة من الأنصار .

وتمكنت البواخر من إجتياز مواقع الأنصار تحت ستار قوى من نيران قوات الجيش وكان لإفلاتها وسيرها نحو دنقلة تاثير سريع على قوات الأنصار والتى ظنت أن القوات المصرية تنوى الزحف جنوبا بالضفة الشرقية وتحت حماية البواخر ثم العبور وإحتلال دنقله .

وعلى هذا أخلت قوات الأنصار منطقة الخفير وإتجهت للدفا ع عن دنقله ، وبعد تاكد القوات المصرية من ارتداد قوات الأنصار وإخلائها لمواقعها ، تقدمت إليها القوات المصرية وإحتلتها . وبدأ تحقيق النصر للجيش المصرى فى الخفير ، والواقع أنه لم تلتحم الجيوش فى معركة حامية مثل ما حدث فى فركة .

إحتلال دنقله :

عبر الجيش المصرى بكامله الى البر الغربى وواصل زحفه جنوبا نحو دنقله ليحاصرها من الجانب الصحراوى ولتصلها البواخر فى نفس الوقت عن طريق النيل وتمثلت الخطة فى الآتى :–

١ – قيام البواخر بإطلاق النيران على أنصار المهدى فى المنازل وفى الطوابى وفى المواقع حتى دنقلـه ، مـع عـدم توفير الوقت الكافـى لهـم لإتمام تجهيز مواقعهم فى دنقله ، بالضغط عليهم بصفة مستمرة بالنيران .

٢ – قيام قوات الجيـش المصـرى بحصـار مدينـة دنقلـه ثم مهاجمتها للقضـاء على قوات الأنصار ومنع إرتدادهم .

ولكن بمجرد وصول قوات الجيش الى دنقله ، ومع تفوق حجم القوات المصرية ، قرر ودبشارة الانسحاب عن دنقله وترك حامية صغيرة العدد لحمايتهم أثناء الانسحاب ، وبالفعل تم إنسحاب قوات الأنصار الى الدبة ثم الى المتمة .

والحقيقة أنه عندما تدخلت قوات الجيش للمدينة ، وجدوا أن جنود الأسطول النيلى ، سبقتهم وإحتلت الجزء الأكبر منها ورفعت العلم المصرى على بناية المديرية والذى سيق أن أنزل من عليها منذ إحدى عشر عاما مضت .

وتعقب الجيش الأنصار ، وتمكن من قطع الطريق على بعضهم ولكن معظمهم بما فيهم ودبشارة وعثمان دقنـــة تمكن من الأفلات . وبذا إحتلت قوات الجيش المصرى لدنقله دون مقاومة حتى مروى .

وهكذا إنتهت مهمة الجيش المصرى فى دنقله بعد إسترجاعه لهذه المديرية ، قبل أن يبدأ مهمة جديدة ، تم توزيعه على معسكرات دنقله للراحة والدفاع عنها . والمعروف أن هذه المرحله كانت هى مرحلة النهاية لمهمة هذه القوات .

ولكن كتشنر غادر دنقله الى إنجلترا من أجل اقناع الحكومة البريطانية بإستمرار الزحف للقضاء على المهدية فى مراكزها الرئيسية فى أم درمان ، أضف الى ذلك أن قوات الجيش فى هذه الاماكن تعتبر مهدده من قبل الأنصار خاصة مع بعد طرق الامداد ، وبالتالى يمكن فقدان ما حققته هذه الحملة من إ نتصارات .

كذلك كان هناك نشاط واضح للفرنسيين وتوسعهم فى أفريقيا الاستوائية ، ولهذا كانت السرعة أمر لابد منه لأنقاذ هذا الموقف، ومن ثم سبق التوسع الفرنسى ومن ناحية أخرى فكاهل المالية المصرية لا يزال متماسكا وقوة المهدية لا تزال سليمة ، وبذا استطاع كتشنر اقناع القيادة البريطانية . ومن ثم استكمل حملته بهدف القضاء على دولة المهدية واستعادة السودان بكامله .

موقعة أبو حمد (٧ أغسطس ١٨٩٧)

رجع كتشنر ليباشر مهمته التالية ، وكالعادة برزت مشكله النقل عبر الصحراء وثم مد خط حديدى من دنقلـه حتى الدبـة ولكـن وقفت أما مهـم عقبـة الإتصال بالخرطوم ، فأما عن صحراء

الجكدول وأما عن طريق النيل أما عن الأولى فالمآسى والمشقات التى قاساها طابور الصحراء فى حمله الانقاذ علمتهم دروسا قاسية ، ووضحت لهم خطورة الأعتماد عليه وبالنيل لا زالت هناك سلسلة من الجنادل والصخور تعترض سبيل النهر فى أرض المناصير ، ولا تزال المنطقة بين بربر وسواكن تحت سيطرة الانصار . ولجأ كتشنر إزاء هذه العقبات ، الى إقتراح فيه بعض المخاطرة وفيه فى نفس الوقت الكثير من الفوائد ، وهو وصل حلفا وأبوحمد بطريق حديدى صحراوى ، فالأرض مستوية نوعا ما ولا حاجة لقناطر ، والعدو لا يسيطر عليها بل أن قوات العبابدة المتحالفة بقيادة عبد العظيم بك حسين -أستولت على أبار المرات ، ويكاد الخبراء يجمعون على أنها مجازفة كبيرة ومع ذلك فكتشنر قد هداه تفكيره لهذا المشروع ، وعلى الفور بدأ نشاط فرقة السكة الحديد فى انشاء الخط الجديد .

وعندما تجاوز الخط نصف الطريق وبدأ يقترب من أبى حمد كان لابد من الاستيلاء على هذه النقطة لحماية الخط من خطر الغارات التدميرية المنتظر أن يقوم بها الأنصار من قاعدتهم الأمامية . وبالفعل كلفت قوات هنتر باشا القائد العام للمشاه بالجيش المصرى بالزحف الى أرض المناصير .

وعلى الجانب الآخر إحتلت حامية قليلة من المهديين أبى حمد وتحصنت فى مواقعها تحت قيادة الأمير محمد زين ، وإحتلت المنازل ، وقررت الثبات والقتال ضد قوات الجيش المصرى ، وبالفعل وجدت القوات المصرية أثناء هجومها على أبى حمدإستبسالا وحماسه من جانب الأنصار ، ونشبت معركة كانت نتيجتها معروفة من قبل وهى انتصار قوة هنتر لكثرة عددها وتفوق أسلحتها

وبعد إحتلال أبى حمد فى ٧ أغسطس ١٨٩٧ - كان الاحتفاظ بها من الأمور الشاقة فى ضوء بعدهم عن قواعد امدادهم فى دنقله ، وكذلك عدم وصول خط السكة الحديد اليهم بعد وكذلك قلة حجم الاحتياطى الادارى من المؤن والذخائر والذى لا يكفيهم الا لقتال قوة صغيرة ولفترة محدودة . وظلت القوات المصرية تحت التهديد المباشر من قوات الأنصار المتمركزة فى بربر لان تقدمها الى أبى حمد كان يعنى القضاء على القوات المصرية فيها وبذا ظلوا فى حالة نفسية صعبة لفترة طويلة ، حتى ظهر فى الأفق ما لم يكن فى الحسبان وهو ارتداد الانصار عن بربر للانضمام الى باقى قواتهم فى المتمة .

إحتلال بربر : (سبتمبر ١٨٩٧)

كان تقدير موقف الانصار ، ان كتشنر قد يحاول ما حاوله ولسلى من ارسال الجيوش عبر الصحراء لتنزل على النيل فى المتمه ، وبذا يعزل بربر ورأو أيضا شعور العداء من بعض السكان ، وازاء ذلك قرروا الانسحاب منها .

وعندما علمت العربان المتعاونة مع الجيش المصرى بقيام الأنصار باخلاء بربر قاموا إليها قبل أن يرسل هنتر قواته لاحتلالها رسميا كما حدث فى دنقله وتمكنت فرقة من الجيش المصرى من الوصـــول الى بربر قادمة من سواكن دون مقاومة وبذلك تقلص نفوذ الأنصار فى تلال البحر الأحمر .

إحتلال كسلا (٢٠ ديسمبر ١٨٩٧)

كان الايطاليون يحتلون كسلا حينما حدثت هزيمتهم فى عدوه وكانوا ينوون الجلاء عنها لعدم مقدرتهم على الإحتفاظ بها ولكنهم بقوا فيها بالإتفاق مع كتشنر لتسلم له عندما تزحف عليها قواته .

وتنفيذا للاتفاق تحرك بارسوتز باشا بقوة مصرية من سواكن ، وفى ٢٠ ديسمبر ١٨٩٧ وصلها ورفع عليها العلمان المصرى والايطالى ثم أنزل العلم الإيطالى وبقى العلم المصرى ، وتم بصفة رسمية إنسحاب القوات الايطالية من كسلا ، كما إنضم جند العرب الذين خدموا تحت الراية الايطالية ليعملوا تحت الراية الخديوية .

انضمام قوات بريطانية الى الجيش المصرى لتعزيز جبهه الهجوم :

إزاء هذه المعلومات التى وصلت الى كتشنر باستعداد قوات الخليفة من الأنصار فى أواخر نوفمبر ١٨٩٧ بالزحف شمالا لملاقاه الجيش المصرى قبل موسم الفيضان القادم . وأزعجت هذه المعلومات السردار الانجليزى الذى اتصل " بكر ومر " يطلب نجدات انجليزية .

وبالفعل صدرت الأوامر الى القوات المصرية بتعزيز خط الجبهة جنوبى أبى حمد . وتم نقل القوات المصرية بمنتهى السرعةفى ضوء إتمام خط الصحراء الذى سيصبح أكبر عامل فى الانتصارات التالية ، كما أصبح الشريان الرئيسى الذى يصل السودان بقلب المدنية بعد ذلك .

عموما ، فقد لبت القيادة البريطانية طلب كتشنر أرسلت قـوة مـن جنودها تقدر بنحو لواء ، ثم دعمت هذه القوات حتى وصلت الى فرقة كامله وكانت للسكه الحديد دور هام فى حشد هذه القوات وعتادها وذخائرها وامكانيات اعاشتها :

وبهذه الطريقة تم حشد القوات بمنتهى السرعة وتحت ضغط الشعور بالخطر ، وتركز الحشد فى بربرة فـأصبحت تضم جنود سودانيين ومـصريين وانجليز .

حوادث المتمة :

عندما وصلت الحملة المصرية الى دنقله ظن الخليفة أنهم لابد أن يتخذوا طريقهم الى النيل عبر الصحراء ، وبذلك يجب أن تكون المتمة فى حالة من الإستعداد لصد قوات الجيش المصرى ، وبالفعل كلف الجعليون تحت قيادة عبدالله ود سعد أحد زعمائهم للدفاع عن المتمة وعدم تمكين الجيش المصرى من الإستيلاء عليها . ولكن الحقيقة أن عبدالله ود سعد لم يعطى لهذا الموضوع إهتماما كبيرا ، بل تعاون مع التجار الجعليين فى تجارتهم مع الحملة المصرية ووصلت هذه الأنباء الى الخليفة الذى عين بدلا منه محمود ود أحمد ونقل عبدالله ود سعد الى الشرق فى شندى .

ولكن عبدالله يئس مـن حياة الاضـطراب والبلبلة الفكرية وصمم على المقاومة وأقرته الاغلبية فى ذلك ، ومـا كانوا بحـالة تسـمح لهم بملاقـاه جيش الخليـفة فـاضطر الى الاسـتنجاد بالجيش المصرى فى دنقله.

وتحرك محـمود من أم درمان بقوة كبيرة بهدف إحتلال المتمة للدفاع عنها فى مواجهة الجيش المصرى – وبالفعل تمكن محمود من القضاء على عصيان الجعليين ، وبذلك نشبت المعركة التى عرفت نتيجتها من قبل ومنيت المتمة بأكبر النكبات التى حلت بمدينة " من خراب ودمار .

موقعة عطبرة : (إبريل ١٨٩٨)

تحرك كتشنر بكل الجيش الى كنور ومنها سار مع نهر العطبرة الى رأس الهورى ، عندما تيقن له حركة الالتفاف التى ينويها محمود وسار محمود محاذيا للنيل حتى العالياب ومنها عدل إتجاهه للالتفاف حول جناح الجيش المصرى ، وكانت خطتهم تقضى بأن يتوغلوا فى الصحراء عندما يكونون قبالة عطبرة وكنور ثم يتجهون الى النيل عند بربر ويحولون بذلك بين الجيش المصرى

وخط رجعته ، ويقطعون خطوط مواصلاته . ولكن كتشنر تنبه لخطتهم ولذا سار بجيشه وتم حشد جنوده في رأس الهوري ووصل محمود الى النخيلة وتحصن بها ، وإنتظر الجانبان أن يقوم أحدهما بالهجوم . وقرر كتشنر بدأ الهجوم ، فقام بأعمال استكشافية لاستطلاع مواقع الأنصار وفي يوم ٦ ابريل ١٨٩٨ ، تم الهجوم ونشبت معركة كبيرة من الجانبين ، أبدى الفريقان فيها من الاستبسال ما جعلها رهيبة ومروعة ، وإنتصر الفن الحربي والسلاح الحديث ، وترك الأنصار عدد من القتلى والأسرى ومنهم قائدهم محمود وفر الباقون الى أم درمان ومعهم عثمان دقنه .

وبانتهاء العمليات بدأ الجيش المصري في إعادة صفوفه وأخذ قسطا من الراحة ما بين عطبرة والعبيدية إستعدادا للتقدم صوب العاصمة وعلى الجانب الآخر صمم الخليفة على القيام بالدفاع عن أم درمان وبدأ على الفور إعداد التجهيزات الهندسية والطوابى على النهر اعرقلة تحرك البواخر ووضعت الالغام في مياه أم درمان ، وتم تعزيز العاصمة بقوات جديدة من حاميات الأقاليم حتى وصلت حجم قوات الخليفة الى ما يقرب من ستين ألفا .

موقعة أم درمان : (سبتمبر ١٨٩٨) :

تقدمت قوات كتشنر على محورين صوب أم درمان :

المحور الاول في البواخر والمراكب داخل النيل .

المحور الثاني تقدم برى على الخيل والجمال والأقدام وتم دفع مجموعات وداوريات الاستطلاع لتحديد حجم وأوضاع قوات الأنصار وتجهيزاتهم الهندسية وأماكن طوا بيهم وأماكن الألغام .. الخ ، وبالفعل تمكنوا من الحصول على أدق التفاصيل عن مواقع الأنصار ووصلت القوات المصرية الانجليزية المشتركة الى أم درمان حيث أشرفت على المدينة وباتت واضحة امامها .

وواصلت السفن والمراكب سيرها صوب النيل ، حيث قامت بالقاء قنابلها ونيرانها على الطوابي ، وقامت بدك قبة المهدي ، وتراءى لها عن بعد قوات الأنصار من مشاه وفرسان ، وتلاحقت القوات حتى تم حشدها في منطقة أطلق عليها " زريبة كردي " وهنا أخذت القوات مواقعها في الأطراف والمؤن والخيل في الوسطة وإصطفت السفن على النيل في شكل قوس ، على استعداد للاشتباك مع قوات الأنصار ، مع إضاءة المنطقة أمامها بأنوار الكشافات ، وفي ...

الوقت تحركت العربان المصاحبة للجيش شرقى النيل .

بدأت القوات المهدية فى صباح يوم ٢ سبتمبر من مواقعها فى أم درمان لمهاجمة القوات المصرية الانجليزية المتمركزة فى موقع الزريبة . وقدرت المهدية أن الخطر محدق بهم وأنهم اذ انتصرو ا فى هذه المعركة فتدور العجلة لصالحهم وتتدعم دولتهم اما اذا فشلوا فسيكون ذلك نهاية لدولتهم .

أما على الجانب الآخر فقد اتخذت القوات المصرية الانجليزية استعداداتها لمواجهة قوى الانصار وسحقها ، وتدفقت قوات الأنصار برايا تهم وبعقيدتهم للمعركة الحاسمة .

سير العملية :

القوات المصرية الانجليزية :

قامت بفتح نيران مدافعها بعيدة المدى ضد قوات الأنصار المتقدمة والزاحفة محدثة الخسائر الكبيرة فى صفوف الأنصار الذين تقدموا تحت هذا الوابل من النيران دون أن يخالط قلوبهم الرعب أو الخوف ، وتكدست جثث القتلى فى ميدان القتال وبشكل كبير تحصدهم نيران المدافع والأسلحة الأخرى ، وإرتد من بقى منهم عائداً صوب أم درمان .

وعلى الفور قرر كتشنر إرسال فرسانه (فرقة الفرسان الانجليزية لمطاردة باقى فلول الأنصار قبل أن يتحصنوا فى بيوتهم ، ولكن الفرسان وقعت فى كمين فى خور ، حيث حدثت بها العديد من الخسائر وإرتد من بقى منهم . وعلى الفور أصدر كتشنر أوامره الى قواته بالزحف صوب أم درمان وتحددت لفرقة ماكدونالد حماية الجناح الصحراوى ، ولكن هذه الفرقة ووجهت بحجم كبير من قوات الانصار كان مختفيا خلف التلال ودارت المعركة بينهم وكان يمكن إبادتهم لولا النجدات التى أرسلها كتشنر لهم ، وبذلك تمكنت هذه الفرقة من النجاة من خطر محدق ، ثم بانتهاء هذه المعركة واصلت الزحف داخل المدينة وعسكرت فيها .

القوات المهدية :

بفشل هجوم قوات الأنصار وما حدث بها من خسائر فادحة . وبفشلها فى القضاء على فرقة ماكدونالد ، إتضح موقف الهزيمة تماما أمام الخليفة الذى تسلل مع من بقى من قواته من أم

درمان إلى أرض الغرب ليواصل جهاده من هناك وحاولت القوات البريطانية اللحاق به ولكنها فشلت .

وما أن دخلت القوات المصرية والبريطانية أم درمان وصارت لهم حتى تم رفع العلمان المصرى والإنجليزى على السراى المدمرة وفقا لتعليمات كرومر ، وعلى الفور مرت عاصفة من الأستياء بين الجنود والضباط المصريين لهذا العمل ، رغم أن جميع المدن التى تم فتحها من قبل لم يرفع عليها سوى العلم المصرى .

نهاية الخليفة :

كانت أم درمان الموقعة الحاسمة فى تاريخ حكم المهدية ، وبقى على الجيش الفاتح متابعة قوة الخليفة والحيلولة بينه وبين الإتصال بقبائل الغرب . ووقف الحظ إلى جانب القوات الفاتحة ، حيث فر على دينار من سلالة ملوك دار فور إلى الغرب لإقامة عرش فيها ولم يكن هذا الأمير على وفاق مع المهدية ، وبذلك أغلق على دينار المسالك دون إلتجاءالخليفة إلى دارفور ، وتحتم على الخليفة أن ينتقل فيما بين النيل الأبيض وحدود دارفور ونزل فى أبو ركبة مقر جثمان والده ...أ فى لم الشمل لقواته حيث إنضمت إليه حامية الأبيض ، هذا ما كان فى الغرب . أما فى الشرق فكان يتبع له أحمد فضيل من الأمراء المخلصين والذى يتمركز فى قواته بمنطقة القضارف ، وحال سقوط أم درمان ورحيل االخليفة ، عن قيامه وقواته بدور حاسم فى أم درمان .

وبدأت القيادة البريطانية فى توجيه هجومها تجاه القضارف على محورين : محور البواخر فى النيل الأرزق بقيادة هنتر ، ومحور برى بقيادة بارسونز باشا ، وإلتقت مقدمة القوة النيلية مع أحمد فضيل فى أبى حراز وأطلقت على قواته النيران وجعلته يتجه إلى القضارف ومنعه من العبور إلى ناشورة ، فتراجع أحمد أبو الفضل إلى جبل عمارة ، وحاول أحمد فضيل حصار القوة المصرية / الإنجليزية المتقدمة فى القضارف ولكنه فشل فى تحقيق ذلك لوصول النجدات إلى القوات الإنجليزية . وعلى هذا إتجه أحمد فضيل ببعض من بقى معه من قواته إلى الجنوب الغربى بهدف شق طريقه للوصول إلى الخليفة ، حيث سئم بعض جنده حياة التنقل والجوع وسلموا أنفسهم . ولكن أحمد فضيل ومن معه تمكنوا من الإفلات والوصول إلى الضفة الغربية للنيل

للإلتقاء بالخليفة .

وأقامت القوات البريطانية الحاميات على النيل الأبيض لتقف سدا حائلا بين الخليفة فى كردفان وبين محاولته الدخول فى الجزيرة وحاولت القوات البريطانية إرسال قوة لمهاجمة الخليفة فى دار الجوامعـــة ولكن رجعـت هذه القوة دون تحقيق هدفها ، وذلك فى يناير ١٨٩٩ فرجعت إلى النيل .

أما الخليفة فقد شق طريقه فى جبال النوبة وإستقر فى دار هجرة المهدى ولقى حفاوة من الملك بوش سيد الجبل .

وعندما علمت المخابرات البريطانية بوجود الخليفة فى قدير ، جهز السـردار حملـة كبيـــرة تتكون من ثمانية الآف جندى حشدهم فى كاكا على النيل الأبيض ، ولكن لم تستطع هذه الحملة من تحقيق مهمتها .

حملة ونجت وموقعة أم دويكرات :

رجعت الجنود بعد رحيل الخليفة وظلوا يراقبون تحركاته حتى علموا إتجاهه ، حيث كان قد عزم أمره . على مهاجمة أم درمان .

وقاد ونجت باشا حملة لملاقاة الخليفة وصده عن التقدم نحو أم درمان وإلتقت القوتان فى أم دويكرات ودارت الموقعة بينهم فى أول ضوء يوم ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ أبلى فيها الأنصار بلاءا حسنا وما أن أيقن الخليفة ، أنه أشرف على النهاية لم يشأ أن يقع أسيرا فظل يقاتل ومن معه حتى كانت نهايته [١] ، سجل فيها أروع خاتمة لهذا الرجل الذى لم يستسلم أبدا وظل يقاتل ومن معه حتى النهاية [٢] وبدا أنطوت صفحة من تاريخ الســودان إحتلت حوادث المهدية فيهـــا المكان الأول

(١) مكى شبيكة : مرجع سابق ، ص ص ٢٧٣ – ٢٩٢ .

(٢) ورث الخليفة عن المهدى مثلا عليا للحياة الفاضلة وطبق الشريعة الاسلامية دون تهاون ومهما قيل عن قسوة هذا الرجل وما عزى إليه من حكم بالحديد والنار فإنه كان يطبق مثلا عليا دينية واجتماعية وفقا لتعاليم المهدية ، بتنقية النفوس مما علق بها من بدع وتهيئة الناي ليكونوا فى حالة جهاد . وقد عرف عن الخليفة الذكاء والفراسة وظل وفيا لمبادئه وامامه الى أخر لحظة فى حياته .

والمهدية من حيث كونها قوة روحية زالت بموت المهدى ولم تجد بعده من ينشئ عقائدها بالمنطق والبرهان حتى ينحاز اليها الناس بعد إقناع لا عن كره وإرهاب هذا وقد بدأت الانقسامات الداخلية فى الظهور بعد وفاة الخليفة وظلت عنصر ضعف الى ان تقلص ظل المهدية فى السودان .

بدأت فى ليلة ١٢ أغسطس ١٨٨١ وإنتهت بنهاية يوم ٢٤ فبراير ١٨٩٩ ، وهكذا مر فصل من تاريخ البلاد فيه النار والنور والدم والحيـاة ، فيه ثورة على الظلم ونزوع إلى مثل عليا دينية وإجتماعية ، وفيه من الجانب الآخر ضحايا وآلام تحلت فيها القوة الكامنة فى الشعب السودانى ، إندفعت قوية حارة كالسيل ولكنها حماسية ووقتية أتت بعدها عوامل الإختلاف بعد الوحدة والوئام .

ومع سقوط الخليفة دانت كل البلاد بالطاعة للجيش الفاتح ، وبذا أنطوت صفحة المهدية ، من تاريخ المنطقة .

المبحث الثانى
السياسة البريطانية فى السودان

كانت السياسة البريطانيةتجاه السودان من أقوى العوامل التى أثارت الإستياء من سياسة الإحتلال فى مصر ، فلم يكن كثير من المصريين راضين عن إعادة فتح السودان عام ١٨٩٦ . إذ أدركوا أن إعادة فتحه فى ظل الإحتلال البريطانى لمصر سيؤدى إلى وقوعه تحت السيطرة البريطانية ، وإلى تثبيت أقدام الإحتلال فى مصر ، لذلك فقد سيقوا إلى إعادة فتحه مرغمين وهم يدركون أن ذلك سيكون على حسابهم ولصالح بريطانيا ، كما أنه لمساعدة إيطاليا بتخفيف ضغط الأحباش على جيوشها التى هزمت فى موقعة عدوة بأرتريا [١] قاسى الجيش كثيرا خلال الفتح بسبب سياسة الإقتصاد الشديد فى مصاريف الحملة فعانى الجندى نقصا شديدا فى الطعام والملابس والأحذية والبطاطين التى كانت تصرف لهم إلى درجة أن أحد كبار الموظفين كتب يقول أن الإنجليز دخلوا دنقلة فى أسمال بالية .

وقام الجند بمد خط السكة الحديدية بين وادى حلفا وأبو حمد مخترقا الصحراء فى ظروف السودان الجوية القاسية . وحتى بعد الفتح كان على الجند أن يزيلوا ما تهدم من مدينة الخرطوم ويبنوا سراى الحاكم العام [٢] .

وجاءت معاملة الضباط الإنجليز القاسية المهينة للجند ، بل ولز ملائهم الضباط المصريين لتضيف إلى تلك المتاعب متاعب أخرى نفسية يكفى أن نذكر من ذلك أن سفن النقل التى كان يستعملها الجيش لم يكن بها سوى دورة مياة واحدة إستأثر الضباط الإنجليز بإستعمالها ولم

---

(١) المؤيد ١٨ ، ٢٨ مارس ١٨٩٦ .

(٢) Milner papers Dawkius to Milner , 16 october , 3869 box no. 13 + Bluut . W.s , my diaries , being a porsonal narrative of event , 1888 - 1914 , Part . I, London 1919 ,pp. 299 - 300

يسمح للمصريين بذلك ، كما تكررت كتابة الجرائد المصرية عن حوادث إعتداء الضباط الإنجليز بالضرب على الجند المصريين [1] ولم يكن الأهالى وبخاصة الفلاحين بمعزل عما يعانيه الجند والضباط وهم أبناؤهم وأخواتهم .

وقد قاسى الأهالى المدنيون بدورهم كثيرا خلال فترة الحرب إذ تعطلت المشروعات الحكومية المختلفة وذلك لتوفير الأموال اللازمة للحرب . وإستولت السلطات العسكرية على حصص التموين اللازمة للجيش ، وقبضت على العمال بالقوة للعمل فى خدمة الحملة وطبقت نظام التجنيد الإجبارى فى المدن ، بل أنها أرسلت المساجين إلى السودان للعمل فى خدمة الحملة [2] .

كانت تلك المشاق والتضحيات تهون لو أتت بالنتيجة المرجوة ، وهى عودة السودان إلى مصر . ولكن إتفاقية السودان عام ١٨٩٩ سلبت المصريين هذا الحق وإشتركت بريطانيا مع مصر فى إدارة السودان وحتى هذه الشركة لم تكن على قدم المساواة فقد إستأثرت بريطانيا بالسيطرة وبالمناصب العليا والوسطى فى السودان ، وتركت للمصريين المناصب الدنيا رغم أنه كان على مصر أن تسد العجز فى ميزانية السودان وتوفر الأموال اللازمة لمشروعات التنمية فيه ، ورغم أن جيشها تحمل عبء إستكمال إخضاع السودان ويقوم بالمحافظة على الأمن والإستقرار فيه [3] .

لذلك كان الرأى العام الواعى فى مصرفى فترة خضوع السلطة التشريعية للإحتلال يغلى بالثورة ضد سياسة الإنجليز فى السودان ، وكان الفلاحون يتألمون لما أصاب أبناءهم خلال فترة الفتح .

أما الجيش المصرى فقد عبر عن إستيائه بطريقة عملية ، فقد تمردت فرقتان منه فى أم درمان فى يناير ١٩٠٠ ، وهجم جنودها على المخازن وإستولوا على الأسلحة والذخيرة وتحصنوا فى معسكراتهم وجعلوها فى حالة إستعداد وقبضوا على الضباط الإنجليز . وقد عانى سردار الجيش المصرى ريجينالد وتحت مشقة بالغة فى القضاء على هذا التمرد .

---

(١) المؤيد ، ١١ يوليو ١٨٩٥ ، ٨ نوفمبر ، ٨ ديسمبر ١٨٩٨

(٢) المؤيد ، ٢٩ مارس ، ١٣ أكتوبر ١٨٩٦ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ١٣٦ - ١٣٩

أسس الحكم الجديد فى السودان :

عند ما كان كتشنر يحشد جيوشة لإستئناف الزحف على أم درمان وملاقاة الخليفة فى عاصمته إستعرض القنصل العام مع حكومته مستقبل الإدارة فى السودان حينما يتم فتحهابالقضاء على حكومة المهدي .

وتعمد كتشنر وهو يزحف جنوبا أن يرفع العلمين المصرى والإنجليزى عندما يدخل أم درمان فاتحا ، وفى ذلك علامة ظاهرة على إتجاه الحكم الجديد ، ومعناه أن السودان ستديره شركة ثنائيه عضواهاالحكومتان المصرية والإنجليزية وفى زحام النصر لم يقابل هذا العمل الأباعتراضات ضئيلة خافتة الصوت .

وضع كرومر بعد عودته من إنجلترا وبمعاونة المستشار القضائى للحكومة المصرية نص إتفاقية يدار السودان بموجبها وبعث بها لحكومته للتصديق عليها .

وفى ٤ يناير ١٨٩٩ ، وهو يخطب فى الجمهور المحتشد من الأعيان والزعماء فى أم درمان أراد أن يحضر الأذهان للإتفاقية التى سوف تذاع عن قريب . وما كان يعنى آنذاك ذلك الجمع الذى وقف يستمع إليه ، فهم قد رضوا بحكم القدر ولا يهمهم من يحكمهم ولكنه كان يقصد الرأى العام فى مصر وإنجلترا وأوروبا ، وما أن أعاد كرومر من رحلته هذه فى السودان حتى واتاه التصديق بإمضائها وتم التوقيع فى يوم ١٩ يناير ١٨٩٩ على وثيقة الحكم الثنائى وحملت توقيع كرومرمن الجانب الإنجليزى وتوقيع بطرس غالى باشا من الجانب المصرى ، وإذا كان كرومر صاحب الرأى الأ وحد فى هذه الإتفاقية ، فالحقيقة أن مصر كانت مغلوبة على أمرها . فالحقيقة أن إنجلترا انفردت بحكم البلاد وكانت مصر أداة فقط لهذا النصر، ونقف هنا لحظة عند الحكم الثنائى ، فهو رسميا ثنائى ولكن الفعلى هو حكم إنجليزى وكانت هذه الإتفاقية بدعة لم يجد التاريخ مثيلا لها فبلدين تحكمان بلد هو السودان وواحدة من تلك البلدين وهى مصر محتلة من الدولة الأخرى وهى بريطانيا ، ووضع الإنجليز إستراتيجيتهم فى السودان لتحقيق أكبر مغنم لهم ومثال ذلك موضوع زراعة القطن وتلخص المخطط الإنجليزى فى العمل على إثارة صدور السودانيين ضد

مصر ، وبين السودانيين أنفسهم أى بين الخاتمية والأنصار ، وظل هذا التنافس على مر السنين بين الأنصار إتباع المهدى وبين الخاتمية أتباع الميرغنى .

عموما فقد إنتهى الأمر فى مطلع القرن العشرين إلى سيطرة إنجلترا على كل من مصر والسودان معا .

إدارة بريطانية فى حقيقة الأمر :

رأى كرومر أن الإدارة فى السودان يجب أن تسيطر عليها أيادى بريطانيا حتى لا تعود المظالم التى إرتكبت فى العهد الماضى ، والتى يرى أنها ألقت بالبلاد فى آتون الثورة المهدية ، ورأى أن تنقطع أى صلة بينهما وبين السيادة التركية ولا يترك سبيلا للإمتيازات الأجنبيةلتجد طريقها إلى السودان ، وكان الطريق الواضح لتلبيه هذه المطالب هو ضم السودان الي الامبراطوريه البرطانيه. وإذا قيل بأن الجيش المصري والخزانه المصريه تحملتا أكبر ألعبء لإستعاده السودان ، يكون الرد البريطاني – هو أن كفاءه وأستعداد الجيش المصري وما وصل اليه من استعداد –يعزي للتدريب والقياده الانجليزيتين ،وأن الخزانه المصريه ماأن استقرت وبدأت تفيض مواردها بفضل الاداره الانجليزيه الحازمه وحتي اذا رأت مصر أنها ضحت بالرجال والأموال فيمكنها تأمين حدودها الجنوبيه وقد كانت معرضه لغزوات المهديه الخاطفه ويكفيها أيضاً وصول المياه الكافيه في شريان حياتها "النيل" وأنه طالما تسيطرعلي أعلاه وروافده دوله صديقه مأمونه الجانب ،فالرجال والاموال التي صرفت قد جنت ثمارها ولكن علي الجانب الآخر ،كانت انجلترا تخشي معارضه الرأي العام العالمي وخاصه فرنسا والتى تقف لانجلترابالمرصاد ،وما تركتها تهدأ منذ أن إحتلت مصر ،وما ان انسحبت القوات الفرنسيه من فاشوده الاحين ووجهت بحجه انها كانت من الأملاك الخديويه وكان كشتنر بعيد النظر في سياسته عندما رفع العلم المصري وحده بالقرب من المعسكر الفرنسي ،والحمله عندما تحركت ،وعندما دخلت العربان خدمتها ومعاونتها كانت بأسم الخديوي وحين دخول الجيش المصري في دنقلة وكسلا وبربر خفق العلم المصري وحده، ومهما كانت الحجج التى تسوغها القيادة البريطانية فى تدريب الجيش وتحسين المالية ، فالحقيقة التى لا مراء فيها " فهو جيش مصرى والأموال مصرية " . وإزاء هذه الظروف ، فليس من العدل والإنصاف أن ترفع اليد

المصرية عن إدارة السودان وخاصة أن إنجلترا آنذاك ترى فى إدارة السودان عبئا ثقيلا وليس مـا يعين على نموه وتقدمه إلا المعونة المالية المصرية .

وكان كرومر والحالة هكذا ،يريد أن يخترع إدارة إدارية تكفل السيطرة الإنجليزية وتبعد دعوى السيادة التركية وشبح الأمتيازات الزجنبية وفوق ذلك ترضى بعض الشىء الأمانى المصرية والإحتجاجات الدولية ، وكان عليه أن يضع الوثيقة التى ترضى كل هذه الإعتبارات فى لغة واضحة نوعا ما ، وأن يكون إشتراك إنجلترا فى الحكم مبنيا على أساس قوى ليس - كمثل مركزها الضعيف من الوجهة الشرعية فى مصر .

ومقدمة الإتفاقية تبين بوضوح أن إنجلترا لها أن تشارك فى إدارة السودان بحق الفتح حتى لا تنشأ إشكالات فى المستقبل ، وحتى لا تتلقى فى المستقبل الضربات والهجمات على مركزها مثل ما ظلت تعانيه فى مصر وأن السيادة تتركز فى إنجلترا ومصر ، وعلى ذلك فالسيادة التركية قد أزيلت قانونيا بعد أن أزيلت فى الواقع بواسطة الثورة المهدية ، وعندما تأكد كرومر من متانة أسسه وضع الهيكل الذى يضمن تنفيذ المطالب السابقة بطريقة عملية .

فقد عين خط عرض ٢٢ شمالا كحد فاصل بين مصر والإدارة الجديدة وترك الحد الجنوبى بلا تعيين للأتفاق عليه بين الدول المجاورة وكعلامة ظاهرة للإشتراك فى الحكم وتكون الإدارة العسكرية والمدنية العليا بيد موظف ترشحه حكومة جلالة الملكة ويعينه خديوى مصر ، ولا يزاول منصبه إلا بموافقة حكومة جلالتها ، ويكون لقب ذلك الموظف ، " حاكم عموم السودان "ولمنشورات حكم القانون ، ولا يسمح بتمثيل قنصلى فى السودان الإبموافقة الحكومة البريطانية ولا تمتد سلطة المحاكم المختلطة إلى أى جزء من السودان والنقطةالبارزة ، فى هذه الإتفاقية أن تعيين الحاكم العام ترك أمر ترشيحه للحكومة الإنجليزية وأعطى سلطات كبيرة تجعله فى حكم المستقل عندمايصدر الأمر بتعيينه فليس له أن يرتبط بتصديق مبدئى حين يشرع وحين يرسم الخطط التى تؤدى إلى تقدم البلاد ورفاهيتها ، وقد يستعين بأحدى الحكومتين وقد يقتبس من نظمها ، ولكنه ليس بملزم قانونيا الحصول على موافقتها ، طالما أن الأمر يختص بالإدارة الداخلية وبالمالية السودانيـة ، وطالمـا أن هيكـل الإتفاقيـة ونصوصها سليمة لم تمس من ناحية أخرى فقد أرضى

كرومر كل الدول بأن منح حرية التجارة مع السودان الصفة البارزة فى الإتفاقية الجديدة من حيث الإدارة هى أنها وضعت فى يد الحاكم العام سلطات واسعة حتى لا يعوق الرجوع إلى الحكومتين - حركة الإصلاح المراد القيام بها ومع ذلك فالمعتمد البريطانى فى مصر وخاصة فى عهد كرومر يشرف من بعيد على ما يجرى فى السودان ويشير وينصح عند الضرورة .

إتفاقية الحكم الثنائى - ١٩ يناير ١٨٩٩ ونظام الحكم الجديد فى السودان

إستطاع كرومر بمساعدة مستشارية القانونيين أن يضع نظاما جديدا لحكم السودان متمثلا فى الإتفاق الذى أبرم فى ١٩ يناير بين الحكومتين المصرية و البريطانية . وكانت انجلترا قد مهدت لهذا الاجراء برفع العلمين المصري والبريطاني علي مبني الحكومة بالخرطوم و رفضت الحكومة البريطانية ان تعيد مصر المبالغ التى اقرضتها لها الحكومة البريطانية اثناء عمليات الفتح و استندت بريطانيا علي أن هذة المساعدات المالية بالاضافة للمساعدات العسكرية في عمليات الاسترداد لتثبيت حقها في المشاركة في حكم و ادارة السودان طبقا للإتفاق الذي اضطرت الحكومة المصرية للتوقيع علية من مقدمة واثني عشر مادة توضح كلها النظام الذي تحكم بة السودان على ان تشترك فى الحكم من ناحية الشكل - كل من مصر و بريطانيا [1] (ملحق د المرفق نص الاتفاقية)

تحليل لنص الاتفاقية:

١ - انة لم يتوفر فيها الشرط الاساسى الضرورى لصحة اية اتفاقية او معاهدة و هو ان يتاح جو الحرية التامة لكل طرف .

٢ - لم يكن للخديوى الحق فى عقد المعاهدات أو الاتفاقيات مع الدول الاجنبية .

٣ - المعاهدات الدولية التى وقعت عليها انجلترا كانت تحتم عليها عدم المساس باى جزء من ممتلكات الامبراطورية العثمانية.

٤ - لم تتعرض الاتفاقية لمسالة السيادة على السودان و تركتها مبهمة عن قصد .

٥ - ما استندت الية انجلترا لتبرير اشتراكها فى حكم السودان غير سليم فالعبء كله وقع على عاتق الحكومة المصرية .

---

(١) انظر ملحق الوثائق الوثيقة (د) .

٦ - ركـــزت الاتفاقية السلطة فى يد الحاكم العام ؛ و لما كان يشترط فى اختيارة موافقة الحكومة البريطانية فقـد كان حكام عـموم السودان ؛ طيلة سريان هذا النظام حتى استقلال السودان - بريطانيين .

٧ - الاتفاقـية تخالف المبادئ الدوليـة بإلغائها الامتيازات الاجنبية و المحاكم المختلطة فى الســودان و هـــو امـر لم يكـن من سلطة مصر او بريطانيا وقد هاجمت الصحف المـصرية هــذة الاتفاقية بشدة و نشر مصطفي كامل فى جريدة اللواء فى ٢٠ يناير ١٩٠٠ ؛ بمناسبة مـــرور عام هذة الاتفاقية مقالا مستفيضا ندد فيه بالاتفاقية وذكر المصريين بأن الاتفاقية مخالفة لدستور البلاد والفرمانات الســلطانية و معـــاهدات الدول الاوربيــــة .

وفى ظل هذة الاتفاقية اصبحت السلطة فى يد الحاكم العام البريطانى وكان كتشنر أول حاكــم عام للســودان ؛ و خلفـة "السير ونجت " فى ٢٣ ديسمبر ١٨٩٩ ؛ ثم " سيرلى ستاك" فى الفترة مــن ١٩١٦ الى ١٩٢٤ ؛ هذا وقد ظهرت فى السودان حركات و ثورات محلية لكنها أخمدت كلها فى حينها [١] .

كتشنر أول حاكم للسودان :

رات الحكومة البريطانية انة ما من رجل أقدر على ادارة البلاد تحت هذة النظام الجديد من اللورد كتشنر ؛ فـهو قـائد الجيش الذى فتح البلاد و لايزال يطفئ الثورات و يقضى على جيوب المقاومـة و فوق ذلك كلة ؛ فكتشنر عرف البلاد و خبر أحوالها عندمـا كان ضـابط اتصال بين غوردون و حملة الانقاذ ؛ وعندما كان محافظا لسواكن ؛ و أثناء تجهيز الحملة جمع من البيانات و المعلومات عن السودان مـالا يتأتي لرجل غيرة . وتعيينة لا يثير ضجة أو غبار فـهو يحتل مركز ممتازا فى الحكومـة المصرية كسردار للجيش المصرى والان يضطلع بادارة السودان فوق قيادتة. وتيسيرا للامر و اقتصادا للنفقات رؤى أن يكون حكام المديريات و المراكز من ضباط الجيش المصرى ايضا ؛ و العجيب أن معظم الضباط العظام فى الجيش المصرى كانوا من الانجليز . فهم

---

(١) مركز الدراسات الأستراتيجية للقوات المسلحة : دراسة خاصة غن السودان .

يحتلون مناصب المديرين و المفتشين ؛ و يبقى للمصريين ادارة المراكز و المأموريات و رواتب الجميع من الخزانة المصرية .

ومثل ماكان السرداد اجدر من يحكم البلاد فى مثل تلك الظروف فالحكام الآخرون قد صقلتهم حياة الجندية و تمرسوا على أهبة الاستعداد حتى لا يباغتهم الانصار بالهجمات الخاطفة ؛ و القانون العسكرى الذى ألفوة و عملوا بة ؛ سيطبق على السكان المدنيين الى ان تشرع القوانين و تصـدر اللوائح المدنيـة :

عصيان بعض الجنود فى ام درمان :

هكذا بنت بنور الأستياء من الاتفاقية عند فريق من المصريين و ظلوا يجاهرون ببطلانها قانونياالأنها إرغام من قوى على ضعيف و سرى الحماس الى صفوف الضباط فى الجيش المصرى وشاءت الأقدار أن يسحب عدد من مدافع مكسيم من الجيش المصرى ليبعث بها الى جنوب افريقيا . وطارت إشاعة بأن الوحدات السودانية فى الجيش المصرى سترسل الى ميادين القتال . ورافق ذلك ان ماكسويل باشا بدأ يجمع الذخيرة التى فى أيدى الجنود ؛ فوجد من الضباط المتحمسين من حفز الجندعلى العصيان و الامتناع عن تسليم الذخيرة وكان أن هجموا عليها لاستردادها بعد أن سلموا جزءا منها و إمتنعت نهائيا الاورطة الرابعة عشر السودانية من الرضوخ . وظلت الحالة فى ام درمان مقلقة الى أن تعاون الجنود الكبار فى الاورطة مع ضباطهم السودانيين بتسليم الذحيرة تدريجيا ؛ وانشئت محكمة تحقيق لتعاقب المتمردين و أتت الرسائل من الخديوى تستنكر هذا العمل ؛ و تؤيد السردار الجديد السير ونجت باشا وحكم على بعض الضباط باحكام مختلفة ؛ وذهب المحكوم عليهم الى القاهرة فى حراسة من الجند . وانتهى تمرد لو لم يكن محصورا فى اورطة واحدة لأدى الى زعزعة أركان الحكم الثنائى و هو علامة ظاهرة لروح السخط السارية بين الضباط المصريين من عدم إسناد و ظائف كبيرة لهم فى الادارة الجديدة ؛ ومن عدم إجابة مطالبهم فيما يختص بالرواتب ؛ وفوق ذلك كلة كانوا يرون فى معاملة كتشنر قسوة و شدة .

مشاكل الحدود بين السودان و الدول المجاورة [١] :

الحدود مع إيطاليا (إقليم اريتريا) :

اذا كان للحكم الجديد أن يستقر هيكله الداخلي وتتركز الاتفاقية فان مشاكل الحدود لابد من تسويتها مع إيطاليا والحبشة والكونفر البلجيكي ، وكان مسلك الحكومة الايطالية منذ البداية مسلك التعاون والوفاق ، فانجلترا لبت ندائها عندما طلبت منها القيام بعمليات حربية في دنقلة أو سواكن وايطاليا احتفظت بكسلا الى أن سلمتها للجيش المصرى ، وبعد مفاوضات بين اجلترا وايطاليا تقابل كرومر مع وزير الخارجية الايطالية في روما واتفقا على تفويض حاكم السودان العام وزميله حاكم ارتيريا لتعيين الحدود وتم ذلك في وفاق وتعاون .

الحدود مع الحبشة :

بالرغم من ترحيب منليك بالجيوش الفاتحة كجيران ، تمكنوا من القضاء وازالة الدولة الاسلامية في السودان وفك أسرى الاحباش في سجون أم درمان ، الا أنه كان أقل تعاونا في مناقشة مسأله الحدود فاخذ يراوغ ويطاول في المفاوضات التي جرت بينه وبين المستر هارنجتون معتمد بريطانيا في أديس أبابا ، وظل يرفع الاعلام الحبشية على بعض المناطق والقطاعات السودانية ، ليضعوا الحكومة في السودان أمام الأمر الواقع .

وتساهل هرنجتون معه في مسأله بني سنتول اذا تركها للحبشة بالرغم من أنها كانت جزءا من السودان لتشبس منليك بها وهي ذات شهرة بمعادن الذهب ولما قدمه الامبراطور من مقابل لأحدى الشركات البريطانية لحق استغلال هذه المنطقة .

الحدود مع بلجيكا :

إدعت بلجيكا الحق في احتلال منطقة من بحر الغزال ومنطقة اللادو والرجاف على النيل ، وبعد مفاوضات بين الفريقين تم التفاق على أن تظل منطقة بحر الغزال بكاملها جزءا من السودان وأن توجر منطقة اللادو للكونغو لضرورتها كميناء نهرى ، ويمتد زمن الايجار الى حياه الملك فقط

---

(١) مركز الدراسات الاستراتيجية ، مرجع سابق ، ص ٥٦ - ٦٣ .

وبعدها تعود لحكومه السودان ، وما كان لانجلترا أن تسمح لأى دولة تعترض طريقها .

أماالحدود مع أوغندا فقد تم تحديدها دون أثاره نزاع .

الأداة الادارية فى السودان والجيش المصرى :

قسمت السودان الى مديريات أو مراكز ، اضطلع بأعباء ادارتها لضباط الجيش المصرى من انجليز ومصريين ، فالمدير الانجليزى يساعده مفتشان انجليزيان ، وعلى كل مركز يقوم مأمور مصرى ومعه معاون أو معاونان ، ووضع كتشنر التعليمات اللازمة لمن وكل اليهم أمر الادارة وحددت تفاصيل النظام الادارى ووضعت القوانين واللوائح لتنظيم الشئون القضائية والادارية والزراعة –الخ ولحاجة انجلترا لضباطها فى حرب البوير غادر كتشنر وادى النيل الى جنوب افريقيا وحل محله كسر دار للجيش المصرى وحاكم عام للسودان السيد ريجلند وكذلك تم استدعاء عدد من الضباط الانجليز الاشتراك فى حرب البوير ، وحتى تستمر السيطرة البريطانية على السودان تم اعداد جيل من الشبان الانجليز المدنيين من خريجى الجامعات لتكون نواة السلك الادارى بالسودان ومنذ عام ١٩٠٠ بدأ هؤلاء الشبان يحتلون المراكز الادارية التى كان يشغلها الضباط بالتدريج حتى أصبح غالبية المديرين من تلك الطبقة وكل المفتشين منهم تقريبا .

الخلاصـــة

كان واضحا ان انجلترا وضعت خططها للسيطرة تماما على أمور السودان وأبعاد المصريين عنها شيئا فشيئا واستمرت فى تطبيق هذه السياسة خلال مراحل ثلاث مارست فيها الضغط على مصر لاخلاء السودان والقضاء على كل أثر لمصر فيه .

إيجاد نظام للحكم فى السودان يخدم أغراض بريطانيا الاستعمارية هذا مع الاستفادة بخبرة مصر السابقة وعلاقتها الطبيعية بالسودان وبما لديها لخدمة هذه الاغراض .

عموما فالحقيقة التى يجب ان نعلمها جيدا ، أنه منذ بداية حكم محمد على لمصر ، وتحويله مصر لتكون دولة قوية فى المنطقة تؤثر بفاعلية على مجرى الأحداث فيها ، وكان هذا بطبيعة الحال تحولا مضادا لسياسـة واستراتيجيـات القوى الكبرى التى أرادت أن تسيطر على المنطقة وبعد ان

كانت لمصر القوة والغلبة فى المنطقة تجمعت ضدها القوى العظمى والكبرى فى هذا الوقت لكى تقلص هذه القوة وتحولها الى دولة ضعيفة كما كانت تحت حكم العثمانيين وبذلك يسهل لها التهام تلك الرقعة الهامة من العالم ، وهذا ما تحقق بالفعل ، حيث استغلت الأحداث الداخلية فى مصر وضعف الخديو واعوانه ضد الشعور القومى المصرى لتتدخل وتحتل مصر ، ثم تزحف ناحية السودان وتسيطر عليه أيضا وعلى خيرات كل من مصر والسودان ومواردها .

ولقد سطر الجيش المصرى منذ مطلع القرن ١٩ وحتى نهايته ، خطاً مليئا بالتضحية والدماء والفداء ، ولكن الخيانه كانت أقوى ، والقوى المضادة العميلة كانت أغنى ، لكن مصر لم تقف عند هذا الحد ولكنها قامت مرة أخرى ونهضت على يد رجالها حتى كان عام ١٩٥٢ . حين استعاد الجيش المصرى أمجاده وحقق أمال أمتة بثورة يوليو .

المبحث الثالث

الجيش المصرى بعد استرداد السودان

رأينا كيف أصبح الجيش المصرى باعتراف الكتاب من السياسين الانجليز قوة مقاتله على جانب عظيم من الكفاءة وحسن التنظيم ، وذلك على العكس تماما من الفكرة السائدة فى كتابات الباحثين بأن الاحتلال عمل دائما على أضعاف الجيش المصرى منذ وقوعه . ويهمنا قبل أن ننتقل الى بحث التطور فى السياسة البريطانية بعد استردد السودان ، ان نستعرض حالة الجيش فى ذلك الوقت .

كان عدد الجيش بعد استرداد السودان يتراوح بين ٢٠ - ٢٥ الف ضابط وجندى فقد كانت هناك ١٢ كتيبة مشاة تتكون من الفلاحين المصريين ، وما لا يقل عن ٩ أورطة من الجنود السودانيين وكانت الطوبجية والسوارى والهجانه تتكون من المصريين ايضا ، وتبلغ فى جملتها ١٤ الف جندى وقد تم تجنيد الاورط السودانية من صفوف الدراويش الذين كانت تمتلىء بهم االمعسكرات المصرية والانجليزية عقب كل انتصار وقد إشترك منهم فى الهجوم على أم درمان ٧٠٠ جندى .

كانت أربع من الكتائب المصرية تحت قيادة ضباط مصريين وبقية الكتائب تحت قيادة ضباط انجليز . وكان فيلق الهجانه المصرى وسلاح الفرسان (السوارى) تنقسم قيادة وحداته بين الضباط المصريين والانجليز أما الاورط السودانية فقد اقتصرت قيادتها على الضباط الانجليز وحدهم فى ذلك الوقت .

كانت ترقية الضابط المصرى المتخرج من المدرسة الحربية تتوقف عند رتبة الأميرالاى اما الضابط السودانى فكانت ترقيته تتوقف عند رتبة (صاغقول اغاسى) أى رتبة (الصاغ) بينما كان الضباط الانجليز يلتحقون الخدمة برتبة بكباشى (المقدم) ولا تتوقف عند حدٍ وكان ذلك

الأسباب التى أدت الى سريان روح التذمر بين الضباط المصريين الذين كانوا يرون أنفسهم يتخطون فى الترقية من جانب الضباط الانجليز ذوى الرتب الصغيرة الذين يفدون من انجلترا وكان الضباط المصريون يختارون من بين الأسر المصرية المتوسطة ذات الأصول التركية والكردية والشركسية . أما الجنود فمن بين الفلاحين ، وكان جنود الأورط السودانية يجتدون من مختلف أرجاء السودان ، وبصفة خاصة من قبيلتى " الشيلوك " - " والدنكة " وكان الفلاح المصرى يقضى فى الخدمة العسكرية ست سنوات علاوة على ست سنوات أخرى يقضيها فى الاحتياط أو البوليس ، أما الجندى السودانى فكانت خدمته العسكرية الى ما لا نهاية . ويعترف الكتاب الانجليز بطول مدة الخدمة العسكرية التى كانت تشكل فى مصر ضريبة فادحة على بنيها من الشبان ، ولكنهم يبررون ذلك بأن انقاص هذه المدة كان يقتضى مضاعفة هيئة التدريب لتزويد المجندين بالتدريب والتمرين الكافيين ، وهو ما كانت تحول دونه العقبات المالية بينما كانت الحاجة ماسة لوجود جيش قوى كفأ ومدرب ليستتب الأمن فى السودان [1] .

وكانت وزارة الحربية المصرية والادارات العسكرية المصرية تصطبغ بالصبغة الانجليزية البحته . فقد كانت الوظائف الادارية العلياوقيادة الفرق فى أيدى الضباط الإنجليز فى الجيش المصرى وفي الحقيقة وكما يقول " هوايت " لم يكن ثمة وزارة مصرية يتمتع فيها الانجليز بيد مطلقة كتلك التى كان يتمتعون بها فى وزارة الحربية فقد كان الخديوى هو القائد الأعلى من الناحية الاسمية ، وكان بهذه الصفة يسيطر على جميع الجهاز وكان يليه فى قيادة الجيش " الارجوتانت جنرال " (Adjutant General) وكان رئيس أركان الجيش المصرى إنجليزيا أيضا ، ويتبعه مباشرة مدير التموين والسكرتير المالى ومدير المخازن ومدير القسم الطبى وكلهم إنجليز وكان يتبعه بعض الضباط المصريين كرؤساء لمكاتب التجنيد وغيرها وكان مدير المخابرات العسكرية يتبع مباشرة السردار . وفى عام ١٨٩٩ كان الجيش المصرى يستخدم ١٣٢ ضابط انجليزيا و٤٧ مساعدا وصف ضابط انجليزى . وكانت وزارة الحربية تستخدم ٢٠ موظفا أوربيا منهم ١٢إنجليزيا ، ٤ إيطاليين وإستراليا ويونانى واحد .

---

(١) د. عبد العظيم رمضان ، الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ص ٧٤ - ٧٥ .

وقد قامت السياسة البريطانية على الإحتفاظ بالجزء الأعظم من الجيش المصرى فى السودان وبعد إسترداده وذلك لعدة أسباب :

السبب الأول : مواجهة الاضطربات فى السودان والعمل على اخماد أية مقاومة منه .

السبب الثانى : إبعاد الجيش المصرى عن مجال تأثير العناصر الوطنية المتحمسة ومصدر الغليان الشعبى فى مصر ، خوفا من أن تنسحب روح الاضطراب ومقاومة الإحتلال الى الضباط والجنود ، فيتم الاندماج بين الجيش والشعب كما حدث أثناء الثورة العرابية .

السبب الثالث : اطلاق الأمر لجيش الاحتلال فى مصر دون منازع ، خصوصا بعد أن اصبح الجيش المصرى قوة قتالية يخشى بأسها .

وفى الحقيقة ، فان وجود الجيش المصرى بأسره تقريبا فى السودان قد أعفى السياسة البريطانية من ضرورة الاحتفاظ بجيش احتلال كبير فى مصر ، وهو الذى كانت الخزانه المصرية تتكفل بدفع ٨٥ ألف جنيه نفقات اقامته . وكان هذا المبلغ يكفى فى الأحوال العادية للانفاق على جيش تعداده ٥٠٠٠ جندى . وكان جيش الاحتلال فى القاهرة يعسكر فى المواقع الاستراتيجية الهامة ، فى القلعة وقصر النيل والعباسية . وفى عام ١٨٩٨ كان هذا الجيش يتوزع على النحو الآتى (آلايان فى القلعة وقصر النيل – اورطة من المشاه واللانسرز (Lancers) والطوبجية فى العباسية اما طابية الاسكندرية فكانت تتكون من أورطة من المشاه وبطارية من الطوبجية وعدد من السرايا) .

على أن هذا العدد كان يزيد فى الأحوال التى كان يخشى فيها من وقوع اضطرابات داخلية خطيرة . ففى حادثة العقبة سنه ١٩٠٦ وحين اشتد النزاع بين انجلترا وتركيا ، وكان الرأى العام المصرى يساند موقف تركيا ، طلب اللورد كرومر زيادة الحامية البريطانية فى مصر ، فاستجابت حكومته لهذا الطلب وصدرت الأوامر بتحرك ثلاثة فيالق من كريت الى القاهرة تعززها قوة اخرى من مالطة الى جانب ارسال قوة من المدفعية من بريطانيا نفسها وقد تم وصول أغلب هذه القوات الى مصر وتكلفت الخزانة المصرية زيادة قدرها ٤٥ ألف جنيه نتيجة زيادة مصروفات جيش الاحتلال .

الجيش المصرى فى السياسة البريطانية بعد إسترداد السودان :

يمثل استرداد السودان نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة فى السياسة البريطانية ازاء الجيش المصرى ، فقد اختفت تقريبا كل الظروف التى دفعت السياسة البريطانية الى التخلى عن سياسة اللورد دفرين وانتهاج سياسة تهدف الى تقوية الجيش المصرى ورفع كفاءته القتالية وحسن تدريبه ... وفى الوقت نفسه بدأت ظروف جديدة تدفع الى اعاده النظر فى الجيش المصرى بما يكفل تمام السيطرة عليه من جانب الاحتلال . وأهم هذه الظروف ارتفاع المد القومى فى مصر ، ومحاولة الخديو عباس الثانى السيطرة على الجيش للاستفادة به فى مقاومة الاحتلال ، كما تتمثل فى حادث الحدود ، وفى الحقيقة أن الخديو عباس لم يكف عن مناوأة الاحتلال سرا ، وان كف عنها جهرا حيث تألفت فى أعقاب الحادث – جمعية سرية فى الجيش المصرى من الضباط الموالين للخديوى عرفت باسم " جمعية المودة السرية " وكانت تبعث بالأنباء الهامة عن كل نشاط يحصل أوحادث يقع الى الخديوى وكان بعض ضباط هذه الجمعية فى الحملة المصرية التى استردت السودان ، وقد استمعوا الى الخطبة التى ألقاها اللورد كرومر فى أم درمان وأعلن فيها عن قيام نظام الحكم الثنائى ، وكتبوا الى الخديوى عباس يخطرونه بأن جميع الضباط المصريين استاءوا لهذه الخطبة . (١)

لكل هذه الأسباب ، فقد إتبعت السياسة البريطانية إزاء الجيش المصرى فى السودان الخطوط الرئيسية التالية :

* تجريد الضباط والجنود المصريين والسودانيين فى السودان من الأسلحة والذخيرة . ففى يناير ١٩٠٠ تم سحب عدد من المدافع المكسيم من الجيش المصرى بحجة ارسالها الى حرب جنوب أفريقيا – كما أخذ الجنرال مكسويل ، نائب الحاكم العام ، فى جمع ذخيرة فرقتين من الجيش . وقد سلم بعض الجنود ذخيرتهم ولكن الضباط المتحمسين رأوا فى ذلك انتهاكا لكرامة الجيش وعدم الثقة به ، فحرضوا الجنود على التمرد ، وما انتهت اليه هذه الأحداث كما سبق ذكرها الى محاكمة هؤلاء الضباط وصدور الحكم بطرد سته منهم من الجيش . وإحاله ضابط الى المعاش

---

(١) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٥٨٠ .

وأخر الى الاستيداع ، وتوبيخ (تكدير) ضابطان (١) .

هذا وقد أورد اللورد كرومر هذه الحادثة فى كتاب " عباس الثانى " ولكن دون تفصيل وفى شكل مبهم ، وأتهم الخديو بأنه كان وراء هذا التمرد لانه لم يشف من مرض الرغبة فى ايقاع الخلل فى نظام الجيش ، وروى أن الخديوى كان تفوه ببعض الأقوال التى جعلت الجنود المتمردين فى الاورطة السودانية يعتقدون أنه متعاطف معهم ، وأنه لذلك رأى أن يحرم الخديوى من مكاسب عمله فطلب مقابلته وطلب منه أن يستدعى المحكوم عليهم ويؤنبهم بعبارات معينه اختارها له وترجمها له وذلك ليضعه فى موقفحرج لأن رفضه أوقبوله لطلبى كلاهما لا يسره ، فاذا رفض فسوف يعرض نفسه لشبهه أنه حرض على الثورة فى جيشه ، كما فعل جده من قبل ، واذا وافق فسيتضح على الفور للمتمردين انه لا يمكن الاعتماد على مساعدته ، وبذلك يفقد كثيرا من نفوذه فى الجيش وكما توقع كرومر ، فقد أختار الخديوى الأمر الاخير ، فاستحضر المحكوم عليهم وأنبهم على ما وقع منهم وأبدى تأييده للسردار ونجت باشا .

* إنقاص عدد الوحدات المصرية البحته فى الجيش وزيادة الوحدات السودانية وكان هدف الانجليز من ذلك أولا : التفريق بين المصريين والسودانيين فى الجيش

ثانيا : تأليف نواه جيش سودانى بحيث يكون عونا فى المستقبل للاستقلال عن مصر . فقد ألغوا الكتيبتين السابعة عشر والثامنه عشر من البيادة المصرية وأنشأوا أورطتى خط الاستواء وبحر الغزال من السودانيين ، حيث كانوا يعملون مع الجنود الانجليزية . كذلك لم يبقى من البطاريات الطوبجية المصرى سوى أربعة ، فأنشأوا وحدة سودانية . ومن أورط السوارى المصرية لم يبقى سوى أورطة مصرية وفى المقابل أنشأوا بدلا منها ست أورط سودانية أطلقوا عليها أسم " البيادة الراكبة ، وأركبوها الخيل السودانية والبغال الحبشية .

واستبدلوا بالهجانه المصرية هجانه سودانية ، وأنشأوا فرقتى العرب الشرقية والغربية السودانية . وبينما كانت الأورطة السودانية تتكون من ٨٠٠ ضابط صف وجندى ، كانت الكتيبه المصرية لا تبلغ سوى ٦٠٠ فقط ، وأنقصوا الضباط المصريين فى الوحدات السودانية حيث نزل

(١) مكى شبيكة ، السودان عبر القرون ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ ، ص ٤٤١ – ٤٤٢

عددهم الى عُشر عدد الضباط البريطانيين والسودانيين أما فى اورطتى بحر الغزال وخط الاستواء ، فقد إختفى منهم كل أثر للمصرى .

*تشتيت الجيش المصرى فى أنحاء السودان الى كتائب صغيرة ، بين كل كتيبة والأخرى مئات الأميال بينما كانت الحامية البريطانية تتمركز فى الخرطوم وكانت هذه الحامية تتألف من سته بلوكات من المشاه وفصيلة من الطوبجية مع ما يتبعها من البيادة الراكبة .

* إستخدام الجيش المصرى فى بناء السودان وتعميرة بصفة خاصة وكما سبق أن ذكرنا فان حكم السودان وقيادة الجيش كانا بيد الحاكم العام للسودان ، وبالتالى فقد كانت الادارة العسكرية المدنية تخضع لسلطة واحدة . فالسودان والجيش المصرى على هذا النحو كانا شيئا واحدا أو على حد قول " هوايت ، كانا متداخلين .

ولما كانت السودان خلوا من الصناع ، وكانت مصلحة الأشغال بالجيش المصرى عبارة عن قسم قليل من الصناع العسكريين لا يتجاوز المائة ومعهم اثنان من الضباط المهندسين ، فقد رؤى تكبير هذه المصلحة وجعلت الآيا وصل تعداده ١٢٠٠ من هؤلاء الصناع . ولما كان قانون القرعة العسكرية فى ذلك الحين يحظر التجنيد من القاهرة والأسكندرية ، فقد إستصدر اللورد كتشنر أمر عاليا من الخديوى بمعاملة هاتين المدينتين أسوة بباقى القطر . وسرعان ما تم فى أيام قلائل تجنيد بنائين ونجارين ونحاتين ونقاشين وحدادين وبرادين وغير هؤلاء من صناع المعمار . وبهذه الوسيلة جند من أمهر الصناع وقتها عدد كبير ، وبدأ هؤلاء الصناع يصلون الى الخرطوم فى أوائل عام ١٨٩٩ ، وانتخب لهم الضباط الفنيون . وقد قام هؤلاء الصناع العسكريون ببناء أهم المنشآت الكبيرة المدنية والعسكرية فى الخرطوم هذا بالاضافة الى ما أنشىء فى الأنحاء الأخرى وعلى الاخص فى حلفا وابى احمد وشندى وخورشجات ، وكسلا ، والقضارف

وسواكن وبورسودان والأبيض وتالورى والدويم ، والتوفقيه والسوباط وبلاد دارفور وبحر الغزال وغيرها .

وكانت أورطة السكة الحديدية أكبر أورطة فى الجيش المصرى وقد قامت هذه الأورطة على صيانه هذه السكك ومتابعتها بالاصلاح كلما دمرتها السيول أو جرفتها الرياح أو غمرتها الرمال وذلك فى أشق الظروف وأسوأها . ويرى الدكتور مكى شبيكة أن الانتصار الذى حققة الجيش المصرى فى مد خطوط السكك الحديدية أثناء تقدم القوات المصرية لاسترداد السودان كان " أبقى على الدهر وأنفع من إنتصارات الميادين " وتتضح أهمية هذا الدور الحضارى للجيش المصرى فى تقدم السودن وإقرار الامن فى ربوعه ، مما أورده السير ونجت فى تقريره لعام ١٩٠٦ ونقله عنه اللورد كرومر عن الظروف السائدة فى السودان وقتذاك فقد ذكر أن المدن الكبرى تفصل احداها عن الاخر مسافة بعيدة خالية من الطرق والآبار ، ومن ثم يتعذر على البلدان البعيدة عن النهر أن تتقدم قبل مرور زمن طويل وتحمل مصاريف باهظة وأول شىء يجب عمله فى السودان هو تحسين المواصلات ، بذلك يصير الشروع فى أعمال الرى ، أما فى الوقت الحاضر ، فكل مشروع عظيم من هذا القليل يكون سابقا لأوانه ، لا سيما أن الاهالى قليلون ، والبناء يصعب جدا اذا لم توجد سكك حديدية للنقل [1] وفى عام ١٩٠٨ تحدث السير جورست فى تقريره الى السير ادوارد جواى عن أهمية المواصلات لاقرار الأمن وإخماد الاضطرابات والفتن مع عدم كفاية القوة العسكرية الموجودة فى السودان لمواجهة الغارات التى تحدث ، فقال : أن القوة العسكرية التى فى السودان الآن لا تكفى لتلافى كل ما يحدث ، ولكن زيادة الحامية فقط ليست الدواء الشافى لهذا الداء لو صرفنا النظر عن الاعتبارات المالية ، لأن البلاد التى يخشى تمردها واقعه فى الجهات التى لا تلائم المعيشة ، فلا يستطاع وضع الجنود الانجليزية أو المصرية فيها دائما ولا سبيل لزيادة الاورطة السودانية زيادة تذكر لأسباب جوهرية تحول دون ذلك ، فالطريقة الصحية

---

(١) عبد العظيم رمضان (د) : مرجع سابق ص ص ٨٠ -٨١ .

لتلافى هذه الحالة هى تحسين المواصلات الداخلية ، حتى يسهل إنتقال الحامية الحالية من مكان الى آخر[١] هذا رتتضح صعوبة وقوة العمل الذى قام به الجيش المصرى فى مد السكك الحديدية فى السودان فى قول أحد الضباط الذين عملوا فى إنشائها ، (انه توجد تحت كل شبر فيها جثة جندى مصرى " وفى فبراير ١٩٠٦ عند افتتاح خط السكك الحديدية بين النيل والبحر الأحمر ، اعترف اللورد كرومر بأهمية العمل الذى قام به الضباط المصريون والإنجليز والجنود[٢] .

وفى مواجهة الاعتراف من جانب السلطات البريطانية بدور القوات المصرية فى أعمال الانشاء والتعمير ، نلاحظ من جانب آخر تجاهلها ذكر الجيش المصرى فى عمليات إخماد الثورات الداخلية فى السودان فمن الغريب أن التقارير التى رفعها السير يجنالد وينجت واللورد كرومر والسير الدون جورست واللورد كتشنر الى وزارة الخارجية البريطانية عن السودان – تتجاهل تجاهلا شبه تام ذكر القوات المصرية فى اخماد الاضطرابات والفتن والقلاقل فتشير هذه التقارير الى اخماد هذه الاضطرابات بواسطة الجنود السودانيين تحت القيادة البريطانية ومن الغريب أن يذكر تقرير الدون جورست عام ١٩٠٨ عن السودان موت ضابطين بريطانيين وأربعة ضباط مصريين ولكنه حين يتحدث عن القوات التى إستخدمت فى إخماد الفتن لا يذكر الجنود المصريين وإنما يذكر " العساكر السودانية .

---

(١) عبد العظيم رمضان (د) : مرجع سابق ، ص ص ٨٠ – ٨١ ، ٩٨ .

(٢) يبلغ طول هذا الخط ٣٢٥ ميل وتم انجازه فى ١٤ شهر فى أحوال جوية صعبة .

القسم السادس

الجيش المصرى والحركة الوطنية

" فى عصر عباس حلمى الثانى "

١ - المبحث الأول : تصاعد الحركة الوطنية فى مصر ودور الجيش المصرى

٢ - المبحث الثانى : الجيش المصرى فى عهد الإحتلال وحتى عام ١٩١٤

٣ - المبحث الثالث : الجيش المصرى ومقدمات الحرب العالمية الأولى

المبحث الأول
تصاعد الحركة الوطنية فى مصر ودور الجيش المصرى

تمضى بنا الأيام بعد النكسة العرابية الى تباشير اليقظة ، تشع أضواؤها بين جموع الشباب فى معاهده العليا ، وذلك قبل أن ينتهى هذا القرن الذى نكست فيه رايات الإستقلال فى القاهرة ومن بعدها في الخرطوم .

وفى أعقاب إحتلال الإنجليز لمصر ، تلاحظ سرعة إنتفاضة الفلاحين فى وجه رجال الإحتلال حين يصيبهم على أيديهم أى ظلم ، فيتم مواجهتهم للأستعمار في قوة وصلابة .أما في المدن فكان العداء للإحتلال قويا – قاومه الحرفيون والعمال فى مواقف كثيرة ، كما تحمل المثقفون منهم العبء الأكبر فى تصعيد الحركة الوطنية .

اذن لم تصفو الحياة للمحتل في مصر، فبعد أن زالت الرهبة الأولى من المحتل ، وأخذ جنوده ينتشرون بين الناس بدأت الإحتكاكات بين الطرفين ، كان سببها غطرسة الجندى البريطانى وغضبة المصرى لكرامته وشعوره بالعداء الطبيعي تجاه عدو غاصب وتعددت الحوادث والمواقف مثل حادث صيد السمان قرب أهرامات الجيزه عام ١٨٨٧ ، وحادث بحارة الأسطول البريطانى فى الأسكندرية عام ١٨٩٥ ، وحادث قذف جند الإحتلال بالطوب عند قليوب عام ١٨٩٧ ، وحادث ضرب ضباط جيش الأحتلال فى المنتزة بالأسكندرية عام ١٩٠٠ ، وحادث دنشواى عام ١٩٠٦ ... الخ من هذه الأحداث ، هكذا جاءت تلك الإنتفاضات ضد الإحتلال فى الوقت الذى أبعد فيه الجيش المصرى تماما عن الإشتراك في المعركة الوطنية بسبب الإجراءات التى أتخذت ضده وأبعاده من الدائره الوطنية .

عموما بانتكاس الثورة العرابية بدأ كأنما الحركة الوطنية قد فارقتها الحياه ، إذ كانت حركة وليدة لم تتعمق جذورها بعد ، وقد عبرت عن نفسها أكثر ما عبرت عنه فى المجال العسكرى لذلك كان أثر هزيمة التل الكبير شديدا عليها ، يضاف الي ذلك وسائل القمع العنيف التى أتبعها الخديوى والأحتلال فى تصفية عناصرها سواء بالأعدام أو بالنفى أو بالسجن .

وحين أفاق المصريون من الصدمة الأولى أخذ لون الحياه يعود ضعيفا باهتا الي ملامح الحركة الوطنية في أواخر عهد توفيق ، تمثل ذلك فى ظهور أول جريدة وطنية حينئذ وهى جريدة المؤيد عام ١٨٨٩ ، وتمثل ذلك أيضا في مجموعات المثقفين التى ألتفت حول الزعماء تلك الجماعات الوطنية بنشاطها الضعيف كانت هى همزة الوصل بين الحركة الوطنية فى أيام عرابى والحركة الوطنية أيام مصطفى كامل وجماعته .

السياسة الداخلية والإقتصادية بعد الإحتلال :

نتيجة لإنطباع السياسة الداخلية والإقتصادية علي الجيش المصرى فى تلك الفترة فقد رأيت أن أشير إليها بايجاز .

١ - إلغاء الدستور وحل مجلس الشورى والنواب :

ألغيت بريطانيا الدستور عقب الإحتلال ، وحلت مجلس النواب ، وحرصت على تشكيل هيئات هزيله مثل مجالس المديريات وجلس شورى القوانين وكان الغرض من إنشاء تلك المجالس مجرد التفتيش ، إذ أن الحكومه لم تكن في الواقع تلتزم بقرارات تلك المجالس .

أما فى الوزارات والمصالح الحكومية فقد عينت الحكومة عدداً من المفتشين الإنجليز ولم يكن هؤلاء من طراز ممتاز فى العلم أو فى الكفاية ، وكانت كلمة المستشار البريطانى أقوى من كلمة الوزير المصرى ، وكان لكل وزارة مستشارها ، وقل نصيب المصريين فى الوظائف الكبيرة ، وأصبحت الوزارة المصرية تأتمر بأوامر الإنجليز ، واستمرذلك تقريبا بالنسبة لجميع الحكومات المصرية التى تعاقبت خلال سنوات الإحتلال .

وذلك منذ أرسل اللورد جرانفيل وزير الخارجية البريطانية برقبته المشهورة فى عام ١٨٨٤ بشأن أزمة السودان وجاء منها " ما دام الاحتلال قائما فلا بد من إتباع النصائح التي ترسلها حكومة جلاله الملك الي الخديوى ، ويجب على الوزراء والمديرين المصريين أن يكونوا علي بينه من أن الحكومة الإنجليزية تصر علي إتباع السياسه التى تراها ، ومن الضرورى أن يتخلى عن منصبه كل وزير يعارض هذه السياسة [١] .

---

(١) حماد طه (د.) : مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

٢ - انجلترا والإستغلال الإقتصادى :

كان من أهم أهداف الإحتلال البريطاني - الإستغلال الإقتصادى ، فكان أول ما جاهر به أن مصر بلد زراعى ولا يمكن أن تنهض فيه الصناعة ، ومن أجل ذلك أغلق الإنجليز المصانع التى كانت موجودة بالفعل ومنها الصناعات العسكرية . وقد عمل الإنجليز علي إيجاد طبقة من الملاك ترتبط مصالحها بمصالحهم - وشجع على إنشاء الملكيات الكبيرة ، وفعلا إرتبطت مصالح هؤلاء بالإحتلال ، لأن مصالحهم أضحت فى أيدى سلطات الإحتلال . وكان يؤخذ من هؤلاء الملاك ممثلو البلاد فى مجلس شورى القوانين ، وفي الجمعية العمومية ، لأنهم كانوا هم المسيطرين على الجباه في الريف ، وبذلك إختل البناء الإجتماعى فى الريف المصرى إختلالاً شديداً ، وأصبحت غالبية الأرض الزراعية فى أيدى قلة من كبار الإقطاعيين .

عموما فقد أعتقد كثير من المصريين أن الإحتلال إستغل موارد البلاد لصالحه بل وأساء إستغلالها ، من ذلك أنه كان عليهم أن يقاسوا مرارة الإحتلال وأن يدفعوا أيضا نفقات جيش الإحتلال .

وفى عام ١٨٩٨ ، حدث ما أطلقت عليه جريدة المؤيد الإنقلاب المالي ، فقد بيعت شركة بواخر البوستة الخديويه الي شركة إنجليزية ، وبيعت آراضى الدائرة السنية - الي شركة انجليزية ، وتأسس البنك الأهلى المصرى برأس مال إنجليزى ، وعهد الى شركة انجليزية فرنسية بإنشاء خزان أسوان ، كما وقع ضغط شديد على الحكومة المصرية لبيع سكة حديد السودان ومنحت إمتيازات أخرى لشركات أجنبية وقد وقع على المصريين غبن شديد فى هذه الصفقات التى لم تطرح فى مناقصة أومزاد عام . فشركة بواخر البوسته الخديويه على سبيل المثال بيعت بمبلغ ١٥٠ ألف جنيه رغم ما كان لديها من ورش وأحواض جافة فى السويس والإسكندرية ومن بواخر جديدة (١) .

وإرتفعت تكاليف المعيشه فى المدن وبخاصه ايجار المساكن إرتفاعا كبيرا .. وتأثر بذلك الفقراء وذوى الدخل المحدود .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، شعراء الوطنية ، تراجمهم وشعرهم الوطنى فى المناسبات التى ألقوا فيها قصائدهم ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٠٦ .

٣ - **التعليم :**

كان هدف التعليم في عهد الإحتلال هو المحافظه علي الأوضاع السياسيه التي قامت ، ومعنى هذا اقرار الأمن وجعل النظام مستتبا بحيث لا تستشرى روح الوطنية في النفوس . ولذلك كان التعليم في بداية عهد الإحتلال تابعا لنظارة الداخلية ولا شك أن هذه التبعيه توضح ما كان يريده الإنجليز من التعليم ، وهو أبعاده تماما عن دائرة التعليم الوطنى الذى يرمى الي تكوين المواطن الصالح الحر . وصارت اللغه الإنجليزية هي الأساس فى مراحل التعليم المختلفه ، وكان هذا علي حساب تدريس مواد الدين واللغه العربيه وعلى حساب شخصيه الشعب وقوميته .

هذا وقد تعرضت سياسة كرومر التعليمية بوجه عام للنقد الشديد ، علي أساس أنه تعمد الحد من التعليم بحرمانه من الأموال اللازمه ، لأن الجهلة أسس قيادة من المتعلمين ، فقد ألغى مجانية التعليم ثم زاد من المصاريف الدراسية ، كما أنه حد من التعليم الإبتدائى والثانوى وربط القبول بهما بحاجة الحكومة من الموظفين . وفى نفس الوقت تكرر نقد مجلس شورى القوانين لسياسه إهمال وإغلاق المدارس وتكرر طلب الأهالى فتح مدارس فى بلادهم .

بلغت نسبه ما خصصته الدوله للصرف على التعليم فى العشرين سنه الأولى من الإحتلال (١٨٨٢ - ١٩٩٠) أقل من ١٪ من اجمالى المصروفات العامه ، وهو نسبة بالغة الإنخفاض .. وقد تأثرت سياسة الأحتلال في تلك الفترة بثلاثه عوامل هى ربط التعليم بالحاجة الى موظفين لدواوين الحكومة ، والتطور الإقتصادى فى مصر ، ونمو الحركة الوطنية بين الطبقه المثقفه . ويتضح العامل السياسى وراء هذه السياسه التعليميه فى وثيقتين نرجع أحدهما الى عام ١٨٩٥ ، حين كتب كلنتون دوكنز وكيل نظارة المالية الإنجليزى الي ملنر مسجلا بعض تنبؤاته السياسية فى رسالة بتاريخ ٢٣ نوفمبر " سترتفع صيحه مصر للمصريين وستكون هناك تلك الطبقه من أشباه المتعلمين التى تنمو بسرعه هنا ، وسنواجه متاعب برلمانيه نتيجة هذين العاملين " ، وقد أثبتت الأحداث صدق تنبؤاته .

إنتفاضات الفلاحين وعناصر أخرى من المدن أيام الإحتلال

كان لهزيمة التل الكبير أثرها على الفلاحين مثلما كان لها على بقية طبقات الشعب وضاعف من ذلك الأثر سياسة الإحتلال تجاههم . لقد قدر الإحتلال ما للفلاحين من وزن بإعتبارهم الغالبية الساحقة من الشعب ، لذلك حرص على إجتذابهم إلى صفه وبإبعادهم عن التأثر بتيار الحركة الوطنية . ساعده على إنتهاج هذه السياسه ما قام به من اصلاحات فى نظام الرى والصرف واستصلاح الأراضى لرفع انتاج مصر وتمكينها من سداد ديونها ، يضاف الى ذلك أن الإحتلال قام باصلاح فى النظام الضرائبى أدى الى الغاء الكثير من الضرائب الصغيره التى تجلب المشاكل والتذمر أكثر مما تجلب من الإيراد .

هذه السياسه أدت الى تحييد شعور الفلاحين تجاه الإحتلال والى حصر نشاط الحركه الوطنيه فى المدن . لكن ذلك لم يؤد الى أن يكون لدى الفلاحون ولاء للإحتلال ، ذلك لأن سياسة الإحتلال الزراعية خلت من مضمون إجتماعى مما أدى إلى أن الرخاء الناتج عنها وقع فى نصيب كبار الملاك . كما حصل استقطاب فى الملكية الزراعية فقلت الملكيات المتوسطة وزادت الملكيات الكبيرة عددا ومساحه ، وتعرضت الملكيات الصغيره للالغاء وزاد عدد الفلاحين المعدمين ، وهكذا زاد الأغنياء غنى ، وبقى الفقراء على فقرهم . فى وقت إرتفعت فيه الأسعار فى أوائل القرن العشرين . أدت هذه العوامل الى تذمر الفلاحين .

ولقد زاد من تذمر الفلاحين ومن تذمر باقى طبقات الشعب سياسة الإحتلال فى محاوله القضاء بكل قوة و شده على أيه حركة معادية قبل أن تستفحل وتصبح مصدر قوه للحركة الوطنية . وقد نفذت هذه السياسه فى شكل أشد قسوة وصرامه بالنسبه للفلاحين وذلك لإبقائهم بعيدا عن تيار الحركة الوطنية . وفى المدن كان العداء للإحتلال قويا قاومه الحرفيون والعمال والمثقفون وكما سبق أن ذكرت ، زادت الحوادث حده بين المصريين وقوات الإحتلال ،

الخطوط العامة التى إجتمعت عليها تلك الحوادث :

١ - إن الطبقات التى وقفت فى وجه جنود الإحتلال هم الحرفيون وصغـــــار الكتبة والفلاحين بالإضافة إلى البدو (مثل حادث حديقة مستر بلنت) .

٢ - إتبع الإحتلال سياسة الشدة المتناهية تجاه المصريين فى هذه الحوادث ، سواء بالتلويح بالقوة أو باستصدار أحكام صارمه أو بارسال المحكوم عليهم إلى السودان ، وذلك بقصد الإرهاب واحاطة الإحتلال والقوات البريطانية بجو من المهابه والرهبة . وقدحاولت الجرائد الوطنية التقليل من أهمية معظم تلك الحوادث ونسبتها الى صبية من الرعاع.

٣ - ولا شك أن ذلك يرجع الى رغبتها فى نقد سياسة الشدة التى اتبعها الإحتلال لكن كان هناك عامل آخر دفعها الى اتخاذ هذا الموقف ، وهو أن الحركة الوطنية حينئذ كانت ضعيفه تخشى التطرف وتسعى إلى تحقيق أهدافها بالطرق السلمية المشروعة .

سياسة الإحتلال فى مواجهة إنتفاضات المصريين :

بعد أن أتم الجيش البريطانــى إحتلال مصــر ، قــررت بريطانيا أن تتحمل الخزانه المصرية نسبة معينه من نفقات جيش الإحتلال ، وقد سببت هذه النفقات عده مشاكل لسلطات الإحتلال ، فقد كانت مثار تذمر الوزراء المصريين وإعتراض مجلس شورى القوانين يضاف الى ذلك مشاكل ماليه وسياسيه ترتبت على مسئولية بريطانيا باعتبارها الدوله المحتلة ، عن جعل مصر غير قادره على سداد ديونها للدول الأوروبيه فى الوقت الذى كانت فيه قدره الحكومه المصرية علي تنمية مواردها محدوده جدا ، بسبب القيود التى فرضتها دول أوروبا على حريه مصر فى إستخدام مواردها المالية . لذلك فبمجرد أن استتبت الأمور فى مصر خفض جيش الإحتلال لدواعى إقتصادية حتى وصل عدده الى حوالى ثلاثه آلاف جندى ، لا يزيدون الا اذا اضطربت الأحوال الأمنية بما يستدعى إرسال نجدات سريعة لهذا الغرض .

كان هذا العدد من قوات الإحتلال يكاد يكون مركزا فى القاهره والأسكندريه ، وكان كافيا القضاء على أية إضطرابات محدوده تقوم فيهما أو فى غيرهما من أماكن . لكن لا شك أن العدد لم يكن كافيا لو إتسع نطاق الإضطرابات ، وكانت الحاميه البريطانيه هى الدعامه التى تستند عليها السياسة البريطانيه فى مصر، كما كانت فى نظر بريطانيا القوه الوحيده التى يمكن الإعتماد عليها في حماية الرعايا البريطانيين الذين كانوا قد إنتشروا فى أماكن كثيرة بعيدة عن القاهره أو الأسكندريه نتيجة إتساع المصالح البريطانية لذلك كان علي سلطات الإحتلال أن تعوض هذا

النقص فى القوات حتى لا تتعرض سياستهافى مصر للأنهيار ، ويتعرض رعاياها ومصالحها للخطر ، لهذا لجأت الى إتباع سياسه ترمى الى منع قيام أيه اضطرابات فى جميع أنحاء القطر المصرى ومنع إنتشارها لو قامت . تلك هى سياسه نشر الرعب . وتقوم على أساس نفسى هو نشر جو من القوه والرهبه حول القوات البريطانيه بوجه خاص ، والرعايا البريطانيين بوجه عام وإظهارهم بمظهر العنصر الممتاز القوى الشكيمه الشديد البطش الغالب الذى لا يقهر .

وتقوم تلك السياسه أيضا على أساس عملى هو القضاء على أية اضطرابات تنشأ بسرعه وبمنتهى الشدة ، ومعاقبة مثيريها بمنتهى العنف حتى يكونوا عبره لغيرهم ، وكذلك إستخدام أعمال القمع الوحشى العنيف في حالات الإحتكاك بين المصريين وأفراد القوات البريطنية . هذه السياسه التى اتبعها الإحتلال شكلت سببا أساسيا فى ضغطه لإنشاء المحكمه المخصوصه التى نظرت قضية دنشواى ، بالإضافه الى أسباب أخرى هى إصرار جيش الإحتلال على معاملة خاصة لأفراده فى النواحى القضائيه ، والظروف القائمه وقت صدور " دكريتو ٢٥ فبراير ١٨٩٥ " المنشىء للمحكمه المخصوصه .

تفصيل ذلك انه فى حالة حدوث إحتكاك بين المصريين وأفراد القوات البريطانية فانه بمقتضى الإمتيازات الأجنبيه لا يمكن للمحاكم الأهليه أن تحاكم البريطانيين " ، وأصر جيش الإحتلال علي أن يحاكم المعتدون من المصريين علي أفراده أمام محاكم خاصه

إنشاء المحكمه المخصوصه :

فى عام ١٨٩٥ قامت ظروف جعلت كرومر (المعتمد البريطانى) يرى الوقت مناسبا لتحقيق ذلك ، فالشعور الوطنى أخذ يشتد بعد أن تولى عباس حلمي الثانى منصب الخديويه بعد وفاه والده الخديو توفيق فى ٧ يناير ١٨٩٢ وأخذ يعمل علي إيقاظ الحركه الوطنيه ، وبعد أن عاد عبد الله النديم خطيب الثوره العرابيه من المنفى وأصدر مجله وطنيه هى .. الاستاذ ، وبعد أن عاد مصطفى كامل من فرنسا عام ١٨٩٤ وكرس جهوده لخدمه القضيه الوطنيه ، وفى أوائل عام ١٨٩٥ نشأت أزمة بين الخديوى من جانب وبين الوزراء فحواها رفضهم تحقيق رغبه الخديوى في السماح لجده اسماعيل بالعوده الى مصر لمرضه .

وفى هذا الجو المكفهر حدث فى الأسكندرية صدام بين الأهالى وبين ثلاثه مـــن البحاره الإنجليز ، وعجل لورد كرومر بمخاطبة وزير الخارجية البريطانيه تلغرافيـــا بهذا الحادث فى ١٥ فبراير ١٨٩٢ ، وطلب تشكيل لجنه خاصه أو محكمه مخصوصه لها سلطه كامله لإصدار الأحكام بما فيها الإعدام بالجلد .

وبالفعل صدر القانون بتشكيل محكمه مخصوصه فى فبراير ١٨٩٥ لتحكم فى الأحوال الخصوصيه فيما يقع من الأهالى من الجنايات والجنح على عساكر وضبـــاط جيش الإحتلال أو على بحارة المراكب الحربيه الإنجليزيه الرأسيه فى أحد الموانى المصريـه ، وتؤلف هذه المحكمه من :

١ - ناظر الحقانيه بصفته رئيسيا

٢ - المستشار القضائى

٣ - قاض انجليزى من محكمة الإستئناف يختاره ناظر الحقانيه .

٤ - من يكون قائما بأعمال المحاماه والقضاء فى جيش الإحتلال بالقاهره أو الأسكندريه

٥ - من يختاره ناظر الحقانيه من رئيس محكمه مصر والأسكندريه الإبتدائيتين .

موقف السلطه الشرعيه من الإحتلال :

١ - الخديوى يقاوم الإحتلال :

حين تولى عباس حلمى الثانى منصب الخديويه عام ١٨٩٢ بعد وفـــاه والده الخديوى توفيق ورث عن والده تركه مثقلة .

كانت الثوره العرابيه وهزيمة التل الكبير على أيام توفيق قد أدت الـــى سقوط السلطة من أيدى أصحابها الشرعيين ، و كان هم الخديوى والوزراء هو تصفية جيش الثورة العرابيـه . وسقطت السلطه من أيدى هؤلاء فأســرع الغزاة بإلتقاطها ، وقضـت سلطـات الإحتلال السنوات العشر الباقيه من حكم توفيق فى إحكام قبضتها على زمام السلطه وتقويتها ، بحيث انه حينما ولى عباس حلمى الحكم وجد سيطرة سلطات الأحتلال تكاد أن تكون كامله فى اداره البلاد ، فالجيش المصرى الجديد معظم ضباطه من الرتب الوسطى والعليا من الإنجليز ، وعلى رأسهم السردار (أى القائد العام) إنجليزى والبوليس يسيطر عليه الإنجليز ، ومعظم النظارات (أى الوزارات) يسيطر عليها مستشارون وموظفون كبار من الإنجليز والمعتمد

البريطانى (سير ايفيلين بارنج – ثم لورد كرومر) ينفرد دون الخديوى بالكلمة العليا فى شئون البلاد . كل هذا والسلطة إسميا فى يد أصحابها الشرعيين ، الخديوى والوزراء "والثانيه سلطه رجال الإحتلال .

حاول عباس حلمى تصحيح الوضع واسترداد سلطاته فإصطدم بسلطات الإحتلال ، و دار الصرا ع حول نقطتين أساسيتين هما السيطره على الإداره والسيطره علي الجيش ، وأدى ذلك الى قيام عده أزمات بين عباس وسلطات الإحتلال ، أهمها أزمتان مشهورتان في تاريخ الإحتلال منى فيهما الخديوى بالهزيمه : وهما الأزمه الوزاريه عام ١٨٩٣ حين أقال الخديوى وزاره مصطفى باشا فهمى المواليه للإحتلال ، وأزمة الحدود عام ١٨٩٤ حين حاول الخديوى أضعاف وضع الضباط الإنجليز فى الجيش المصرى وتقوية مركز زملائهم المصريين .

إعتدلت سياسه الخديوى نحو الإحتلال بعد هذه الهزائم ، ولم يعد يبدى مقاومة قوية مكشوفة للاحتلال ، الا أنه أبدى بعض المقاومه فى فتره إعادة فتح السودان بين سنوات ١٨٩٦ – ١٨٩٨ ، وذلك لمعارضة المصريين فى إعادة فتح السودان فى ظل الإحتلال . كان الخديوى فى مقاومته للإحتلال يعتمد على مساعدة مصادر معينة منها الدول الأوروبية التى لها مصالح فى مصر وخاصة فرنسا ، والسلطان صاحب السياده الشرعيه على مصر ، والحركة الوطنيه التى عمل على ايقاظها ومساعدتها على أن تقوى وتشتد ليتخذ منها حليفا ضد الإحتلال ، كانت مساعده فرنسا ضعيفه قليله الأثر كما أنها لم تكن خالصه لوجه مصر وخديويها ، يتمثل ذلك فى حادث فاشوده عام ١٨٩٨ ، حين أرسلت فرنسا قوه بسيطه من جنودها بقياده " مارشان " إحتلت فاشوده على النيل الأبيض بالسودان وكان غرضها من ذلك الضغط على بريطانيا للجلاء عن مصر من جهة وإقتطا ع السودان الجنوبى وضمها الى أملاك فرنسا الأفريقيه من جهة أخرى ، قامت لذلك أزمه بين بريطانيا وفرنسا هددت بقيام الحرب بينهما مما إضطر فرنسا الى سحب قواتها من فاشوده دون أن تحقق أيا من أغراضها وهكذا انكشفت السياسة الفرنسية فى مصر وإتضح ضعفها . ثم ضا ع أى أمل فى مساعدات فرنسا بعد أن عقدت مع بريطانيا الإتفاق الودى عام ١٩٠٤ وبمقتضاها أطلقت يد بريطانيا فى مصر .

أما السلطان فكثيرا ما لجأ اليه عباس طالبا مساعدته ضد الإحتلال لكنه لم يلقى منه سوى النصائح والتشجيع علي مقاومة الإحتلال فى حرص وبون شطط . والحق أن السلطان كان أضعف من يقدر على مساعده للخديوى بل إنه هو نفسه كان في حاجه الى مساعده . بعد أن اخذت دول أوروبا تساعد الأرمن وشعوب البلقان فى ثوراتها ضده ، وتتآمر على تقسيم الإمبراطوريه العثمانيه ، وضاع الأمل نهائيا فى أيه مساعده من جانبه حينما علم برفع العلم البريطانى على الخرطوم عام ١٨٩٨ بعد إعاده فتح السودان ولم يحرك ساكنا .

ولم يلق الخديوى من الحركه الوطنيه ما كان يرجوه من مساعده ، فقد كانت ضعيفه لحداثه عهدها ولأنها إقتصرت على المدن . كما أنها انقسمت على نفسها فى النهايه وتعاون جانب منها مع الإحتلال وعادى الخديوى . وقد عبر عباس عن إستيائه وخيبة أمله فى الحركة الوطنيه حين تقابل مع مصطفى كامل فى ديفون بفرنسا عام ١٩٠٤ .

فقد الخديوى إذن ، الأمل فى أيه مساعده فعاله من المصادر التى كان يرجو مساعدتها ، ووجد نفسه وحيدا تقريبا فى مواجهة الإحتلال . لذلك بدأسياسه التسليم للاحتلال بعد حادث فاشوده . وأول معالم تلك السياسه موافقته على إتفاقيه السودان عام ١٨٩٩ ثم توالت خطوات الخضوع ، فزار بريطانيا عام ١٩٠٠ وبعد الزياره أدلى بحديث الى " فارس النصر " صاحب جريدة المقطم المواليه للإحتلال عبر فيه عن إستعداده للتعاون مع الإحتلال وكرومر .

وأخذت علاقته تفتر بمصطفى كامل حتى قطعت عام ١٩٠٤ . وفى نوفمبر من هذا العام حضر لأول مره العرض الذى أقامه جيش الإحتلال في ميدان عابدين ووقف تحت العلم البريطانى وفى فترة الخضوع هذه ، التى إمتدت حتى حادث دنشواى ، لم يقاوم الخديو تزايد السيطره البريطانيه فى الإدارة فقد انشئت وظائف كبرى جديده شغلها الإنجليز ، ومن ذلك وظيفتا مستشار ووكيل وزارة الأشغال ووكيل وزاره الحربيه بل أن عباس قبل تعيين ضابط إنجليزى هو الكولونيل واطسن ياوراله يضاف إلى ذلك أن كرومر تدخل فى أمور دينيه صرفه ؛ كتعيين كل من أمير الحج والمفتى فى عام ١٩٠٥ ، وبدأ يزور الأقاليم ويقيم له العمد والمديرون الحفلات ويظهر فيها بمظهر الحاكم الفعلى للبلاد ، تلقى أمامه الخطب ويصدر التوجيهات .

٢ - **خضوع الوزراء للإحتلال :**

قى الإحتلال بعض المقاومه من جانب الوزراء فـى بدايه عـهـد عباس حلمـى أيام وزاره مصطفى رياض باشا ، لكن تلك المقاومه انقلبت الـى تسليم كامـل وتعاون تام حـين تولى الوزاره صديق الإنجليز مصطفى باشا فهمى عام ١٨٩٥ ، تلك الوزاره التى إستمرت فى الحكم حتى عام ١٩٠٨ وبذلك تعتبر أطول الوزارات المصريه عمراً على الإطلاق .

موقف السلطه التشريعيه :

ومثلها مجلس شورى القوانين والجمعيه العموميه ، لم تكن للمجلسين سلطه تشريعيه حقيقيه اذ كان رأيه استشاريا ، وقد إتبع تجاه الإحتلال نفس سياسه الخديوى تقريبا ، فقاوم الإحتلال فى أول الأمر ، إذ لم يوافق علي المبالغ المخصصه لنفقات جيش الإحتلال في الميزانيه . وانتقد كثرة عدد الموظفين الأوروبيين ومرتباتهم العاليه ، وطالب بتخفيض الضرائب وبزيادة المبالغ المخصصه للتعلم ، ثم كف المجلس عن المعارضه واتبع سياسه الخضوع والتعاون مع الإحتلال مثله فى ذلك مثل الخديوى والوزراء ، ففى ديسمبر ١٩٠٤ وافق على ميزانيه عام ١٩٠٥ والحساب الختامى لعام ١٩٠٤ ووجه الشكر للحكومه علي تنفيذ بعض توصياته . وفـى ينايـر ١٩٠٦ قبل الأعضـاء دعـوه كرومر لافتتاح ميناء بور سودان وجلسوا محيطين به فى نفس الخيمه خـلال الاحتفال ؛ كمـا لو كانوا يلتفون حول حاكم البلاد ؛ لذلك إمتدحهم كرومر في تقريره عام ١٩٠٥ وشكر تعاونهم مع الحكومه .

وحتـى بعـد حادث دنشواى ، لـم تصدر عنهم كلمة إحتجاج على الأحكام التى صدرت . أما الجمعيه العموميه فكان إجتماعها أقل ؛ مما أضعف أثرها كما كانت تضم أعضاء مجلس الشوري . يتضح مما سبق أن جميع أركان السلطه التشريعية الحاكمه كفت عن المقاومه واتبعت سياسة الخضوع للإحتلال فى الفتره بين ١٨٩٩-١٩٠٦.

موقف الحركه الوطنه من الاحتلال : -

إذا كان موقف السلطه الشرعيه قد تغير من مقاومه الاحتلال الى الخضوع والإستسلام له ؛ فإن موقف الحركه الوطنيه من الإحتلال و شعور جانب كبير من الشعب تجاهه لم يتغير فقد إستمرت مقاومه الحركه الوطنيه للإحتلال ؛ أخذ شعور العداء نحوه يتزايد ؛ وإن بقى مكبوتا حتى ظهر واضحا لإخفاء فيه عام ١٩٠٦ فى حادثى طابه ودنشواى .

وبعد إنتكاس الثوره العربيه بدا كأنما الحركه الوطنيه قد فارقتها الحياه ؛ إذاكانت حركه وليده ولذلك كان أثرهزيمه التل الكبير شديدا عليها . يضاف إلى ذلك كانت وسائل القمع العنيفة التي إتبعها الخديوى أو الاحتلال فى تصفية عناصرها ؛ سواء بالإعدام أوبالنفي أو السجن أو مصادرة الاملاك او الفصل . لكن الحقيقه أن الحياه بقيت تدب واهنة في شرايينها ؛ ساعد على ذلك تلك المقاومه التي قابل بها النظار المصريون محاولات الاحتلال بسط سيطرته على مصر ؛ والصحف المعبرة مثل الاهرام التى أخذت تهاجم الإحتلال وسياسته .

وحينماافاق المصريون من الصدمه الاولى أخذ لون الحياه يعود ضعيفا باهتا الي ملامح الحركه الوطنيه فى أواخرعهد توفيق . تمثل ذلك في ظهور اول جريده وطنيه حينئذ وهى جريده المؤيد عام١٨٨٩ بتشجيع من مصطفي رياض باشا رئيس النظار . وتمثل ذلك أيضا فى مجموعات المثقفين التى إلتفت حول بعض الزعماء مثل لطيف باشا سليم الحجازي زعيم حركه الضباط ضد الوزاره الاوروبيه الاولى فى فبراير ١٨٧٩ على أيام الخديوى اسماعيل ؛ وكان لطيف سليم يفكر فى تكوين جبهة معارضه للاحتلال .

تلك الجماعات الوطنية بنشاطها الضعيف هى همزه الوصل بين الحركة الوطنية على أيام عرابى والحزب الوطنى القديم والحركة الوطنية على أيام مصطفى كامل وجماعته التى كونت الحزب الوطني فيما بعد . وكانت جماعه لطيف باشا سليم هى التى إتصل بها الشاب مصطفى كامل فى بدايه نشاطه الوطنى ، كما إتصل بعبد الله النديم من كبار زعماء الثوره العرابية حين عاد الأخير من منفاه عام ١٨٩٢ . وأخذ يصدر مجلة الاستاذ رافعا فيها لواء الوطنيه والحرب على الإحتلال .

كان تولى عباس حلمى الثانى خديوية مصر وظهورمصطفى كامل على مسرح الحركه الوطنيـــه

نقطه تحول فى تاريخها ؛ فقد وجد الزعيم الذي قاد خطاها بكفاءة ومقدره فى بعثها الجديد ؛ وتبدل موقف الخدى وبحيث أصبح فى معسكر الحركه الوطنيه بعد أن كان فى المعسكر المعادى على أيام توفيق ؛ ذلك أن عباس حلمى فى محاولاته إسترداد سلطانه ؛ إحتاج الي سند شعبي يؤازره فى مقاومه الاحتلال ؛ وهكذا تحالف مع الحركه الوطنيه وساعدها ، وقرب إليه كثيرا من الأمراء والزعماء وقاده الفكر . من هولاء عبدالله النديم والشيخ محمد عبده والشيخ على يوسف ومصطفى كامل لطفى السيد وغيرهم .

فى الفتره البكره من حكم عباس حلمي كانت الحركه الوطنيه بعناصرها المختلفه من مثقفين وكبار ملاك وعرابيين سابقين وغيرهم متحده وملتفه حول الخديوي . لكن الموقف أخذ يتبدل بعد ذلك ؛ فقد خسر الخديو معاركه مع الاحتلال وأخذ الإحتلال بالتالى يعمل على زياده سيطرته وتمكن سلطانه فى مصر مما جعل مقاومه عباس تأتى ظاهريا بنتيجه عكسيه ضاره بمصالح البلاد وأخذت تتصح أيضا ميول الخديوى الإستبداديه وإتجاهه الى جمع الثروة . وفى نفس الوقت إنفرجت أزمه مصر الماليه وبدأت إصلاحات الإحتلال فى الرى والزراعه تؤتى ثمارها على شكل رخاء أصاب طبقه كبار الملاك بوجه خاص . يضاف إلى ذلك أن الإحتلال عمل على الفصل بين الخديوى والحركه الوطنيه وعلي تفتيتها واجتذاب فريق منها الى صفة . ونتيجة تلك العوامل السابقه تشعبت الطرق بحملة لواء الحركه الوطنيه؛ والإنقسام يدب فى صفوفها ؛ وأخذت الإنفسامات تتضح مع بدايه فتره خضوع السلطه الشرعيه للإحتلال .

ويبدو لنا هذا ؛ على سبيل المثال ؛ فى رفض الشيخ علي يوسف صاحب جريده المؤيد نشر مقالات مصطفي كامل عام ١٨٩٩ ؛ بعد أن كان قد عهد اليه فى العام السابق بتحرير الجريده في غيابه أخذ هذا الإنفسام يزداد عمقا والخلاف يتبلور بالتدريج خلال فتره الخضوع بحيث أننا حين نصل إلى نهايه تلك الفتره نجد أن الحركه الوطنيه قد إنقسمت الى :

جماعات ثلاث متميزه هى :

١- فريق متطرف بزعامه مصطفى كامل ؛ هدفه الاول تحقيق الجلاء و يرى أنه لا مجال لأى مهادنه مع الاحتلال وسياسه التعاون مع جميع الأطراف المعاديه للإحتلال ؛ وتعتمد هذه الجماعه

وقد وجدت فى سياسه الإحتلال نواح كثيره كانت مثارتذمر وإستياء وكان إفتقاد زعماء الحركه الوطنيه لتلك النواحى ومهاجمتها فى فتره الخضوع عاملا زاد من كراهية الكثيرين من المصريين للاحتلال وهذا بدوره كان عامل قوه للحركه الوطنيه فى مواجهة الإحتلال .

الإحتلال البريطانى ونظام الإداره فى مصر خاصه بالجيش المصرى :

من الأمور التى أثارت الإستياء سيا سة إستحدام الموظفين الأجانب وبخاصه الإنجليز فى الإداره المصريه وشهدت فتره الخضوع قبل أحداث دنشواي زياده كبيره في عدد المو ظفين الانجليز كبارهم وصغارهم وأثارت تلك السياسه تزمر المصرين لأنها أد ت إلى استحواذ بالتدريج على السلطه فى الإداره المصريه عن طريقين . أحدهما تعيين ، موظفين إنجليز فى المناصب العليا . ففى عام ١٩٠٦ كان هنال مستشار انجليزي فى نظارة الداخليه ؛ كما كان مدير مصلحه الصحه والسجون من انجلترا .

أما نظارة الماليه فكان بها مستشار مالي ووكيلين ومراقب الضرائب من انجلترا ؛ وكان في تظاره الاشعال مستشار و و كيلين ومفتش عام للرى أما فى الجيش فقد شغل الإنجليز منصب وكيل تظارة الحربية وسردا رالجيش المصري (أى قائد عام الجيش) . وبالإضافه الي السردار كان مديروا الأسلحه المختلفه وقادة عشرة من أورط الجيش الأربع عشر من الإنجليز .

وشغلوا أيضا منصب المستشار القضائي والمدعي العمومي ومفتش عام النيابات فى تظارة الحقانية أما نظاقه المعارف فكان بها مستشار إنجليزى . وهكذا سيطر الإنجليز من مستشار بن وو كلاء وزارات ومديرى مصالح على جميع النظارات عدا نظارة الخارجيه لقلة أهميتها حيث لم يكن لمصر وهى ولايه عثمانيه ؛ علاقات دبلوماسيه رسميه مع الدول . اما الطريق الآخر للسيطره في الاداره فكان طريق اللجان المختلفه التي سيطر عليها كبار الموظفين الإنجليز ، فإختصت اللجنه الماليه بشئون الميزانيه والأفراد وسيطر عليها المستشار المالى وإختصت اللجنه الاستشاريه القوانين واللوائح بصاغه القوانين واللوائح وإبداء الرأى فيها ؛ وسيطر عليها المستشار القضائى ؛ كما سيطر هذا المستشار على لجنة المراقبة القضائيه المختصه بمراجعه أعمال المحاكم ؛ وعلى لجنة تعيين القضاة فى وقت كان قضاة المحاكم الإبتدائيه قابلين للعزل والنقل ، وصلت سيطرة الانجليز

الى المستويات الدنيا ؛ علي سبيل المثال سيطر مفتشو البو ليس الإنجليزى على لجان الشياخات المختصه بتعيين وتأديب وفصل عمد الريف .

وكان لتلك السياسه نتائج أخرى أثارت كثيرا مـن الإستياء ، فقد حرم المصريون من الوظائف التي شغلها الانجليز . وزاد الشعور بضرر هذه السياسه كلما تزايد عدد الموظفين الإنجليز وإنتشروا من المستويات العليا الى أسفل لشغل الوظائف الوسطى والدنيا .

ففى السنوات العشر الأولى من الإحتلال كانت سياسة الإنجليز إستخدام عدد قليل من الانجليز يشغلون الوظائف العليا فقط ثم تبدلت هذه السياسه وأصبحت تستهدف السيطـــره الكامله علـــى الادارة عن طريق زيادة عدد الموظفين الإنجليز وزياده سلطاتهم ؛ ففي السبعه عشر عاما الاولي من الاحتلال زاد عدد الموظفين الإنجليز بنسبه ١٢٥٪ تقريبا وتضاعفوا في الجيش ونظارة الحربيه ثلاثـــين مره . لم تكن الزياده نتيجة زياده عامـــه فى موظفى الدولـــه ؛ فلم تتعـــد تلـــك الزيـــاده حوالى ٤٠٪ .

وفى الجيش نجد أن الضباط من رتبه العقيد كان منهم ١٢٥ من الإنجليز و٤٧ من المصريين ومن الرتب الأعلى كان هناك عشرة إنجليز مقابل خمسه من المصر يين .

كان تزايد عدد الموظفين الإنجليز فى فترة الخضوع عاملا أثار مخاوف الكثيرين وزاد إستيائهم من الاحتلال . يطلبون الجلاء ؛ وكانت حجه الانجليز في البقاء هي تدريب المصريين على حكم انفسهم ؛ لذلك رأوا أن إبتلاع الانجليز للوظائف والسلطه فى الإداره يعنى إستمرار الاحتلال .

الإحتلال البريطانى والسياسه الاقتصاديه:

أثارت سياسه الاحتلال الاقتصاديه كثيرا من السخط لدي طبقات الشعب . فقد إعتقد كثيرا من المصريين أن الاحتلال إستغل موارد البلاد لصالحه وأساء إستخدامها ، ولذلك كان عليهم أن يقاسوا مرارة الاحتلال وأن يدفعوا أيضا نفقات جيش الإحتلال . أضف إلى ذلك أنه بعد إعادة فتح السودان كان على مصر أن تدفع مقدار العجز فى ميزانية السودان وقدره حوالى نصف مليون جنية سنويا ، كما كان عليها أن توفر الأموال اللازمة لمشروعات التنميه فى السودان ، كمد السكه الحديد بين بربر والبحر الاحمر ، وإقامه مشروعات الري لتوفير الماء اللازم لمزارع القطن فى أرض الجزيره . أى أن أموال مصر إستخدمت فى مشروعات بعضها ضار لمصر كتحويل تجارة السودان

بالسكة الحديد من طريق النيل و مصر الي طريق البحر الاحمر . السودان .

وقد اشتكي كثيرين من المصريين من العقبات التي وضعها كرو مر في سبيل قيام الصناعه في مصر ، علي أساس أنه يريد أن يجعل البلاد سوقا مفتوحا للمصنوعات البريطانيه. وكذلك أدت سياسه كرومر الزراعية إلى حركة استقطاب في الملكيات الزراعيه ، وإلى زيادة التناقضات الطبقية بين كبار الملاك وصغار الملا ك والفلاحين وتقويه روح التذمر في الريف .

بريطانيا وقناه السويس بعد الاحتلال :

منذ احتلال بريطانيا لمصر لم يعد بمصر مراقبه ثنائيه وفقدت فرنسا الى الأبد من جراء تصرفاتها كل أمل كانت ترعاه في شئون مصر التي أصبحت رغم كل شيء حماية بريطانية وتوالت النتائج الثلاث التي تخص القناه تباعا وربما كان أقلها أهميه هو مطالبة بريطانيا بقسط كبير في إدارة الشركة وقد كان لها عقب عمليه شرائها لأسهم الخديو مقاعد ثلاث في مجلس الإداره المكون من ٢٤عضوا – والأن حصلت علي وظائف لسبعة من المديرين الإنجليز . وكانت النتيجه الثانيه أن بريطانيا إعتبرت نفسها حامية القناه تنوب عن مصر في حمايه برزخ قناه السويس (١) . وقد وصف "دليسبس " نزول القوات البريطانيه الي البر أثناء ثورة عرابي أنها " ضروره حربيه تنطوي علي خرق خطير لحياد القناة " .

وهنا حسب رأى الانجليز وقع ديليسبس في الخطأ ، ذلك لأنه هو نفسه حين تقدم بعروضه الي مؤتمر باريس سنه ١٨٥٦ وذكر ، حاله معينه تنص على أنه ليس لأى قوة أجنبية ان تعسكر على شاطيء القناه بدون الحصول مقدما علي إذن من من الحكومه المحليه ، وفي هذه الحاله كان الانجليز يحتلون مصر تلبيه لرغبات الخديوي . وبعد نهاية الثورة وإستقرار الأمن في البلاد برزت معضله حرجه هو أنه هل يحق لبريطانيا حتي و لو وافقتها مصر علي ذلك أن تتولي زمام أمر القناه بدون أن تتعهد بأية تعهدات دولية تلزمها بأنها لن تقدم علي إتخاذ أي خطوات في صالحها تؤثر علي موقف الدول الأخرى .

---

(١) محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، القاهرة ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، ١٩٧٤ ، ص ص ١٣٤ – ١٣٦ ، ١٤ – ١٥ ، ٢٤ – ٢٥ ، ٣١ – ٣٤ ، ٤٠ – ٤٨ ، ٥٣ .

وكان هذا الموقف مفتاحا للنتيجه الثالثه التي أدي إليها الأحتلال كانت الحكومه البريطانيه على تمام الإستعداد بل في شديد اللهفة على أن تدخل فى سلسلة ضمانات مع الحكومات الأخرى تهدف بها إلى تقرير حرية القناة في عبور كل السفن وفي كل الأحوال ، غير أنها فوق هذا كانت راغبة فى الإحتفاظ بحقها فى حماية القناة إذا جد إعتداء على مصر ، طالما بقيت الضرورة إلى إستمرار إحتلال مصر قائمة . وكانت هذه الشروط مقبولة لدى الحكومات التى يهمها أمر القناة فى الدرجة الأولى ، وكان السؤال هو كم تطول مدة إحتلا ل مصر ؟ . وطالت المفاوضات حتى عام ١٨٨٨ ، إلى أن رؤى قبل الإتفاق الودى الذى تقدمت به فرنسا من حيث تشكيل هيئة من وكلاء الدول المفوضين بمصر لمراقبة تنفيذ المعاهدة التى كان يرحب بها الجميع .

هذا وقد وقعت معاهدة إتفاقية القناة كما أتفق عليها نهائيا في مدينة الآستانة بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ من ممثلين عن بريطانيا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا وروسيا وأسبانيا وتركيا وهولندا وتتلخص فى الآتى :-

ستبقى القناة الملاحية على الدوام حرة ومفتوحة سواء فى أوقات الحرب أو السلم لأية سفينة تجارية أو حربية مهما كانت الراية التى تظلها . وفى نفس الوقت تقر الدول الموقعة على ألا تتدخل بأى حال من الأحوال فى حرية إستعمال القناة سواء فى زمن الحرب أم فى زمن السلم ولن تكون القناة بحال من الأحوال عرضة لتطبيق حق الغلق (١) .

هكذا إستطاعت أن ترسخ بريطانيا أقدامها في مصر وتسيطر على قناة السويس من خلال تواجدها ، حماية لمصالحها وتنفيذا لمخططها الإستراتيجي بالمنطقة وهذا بطبيعة الحال كان أحد المبررات الهامة التى أدت إلى إحتلال بريطانيا لمصر حتى توقيع إتفاقية الجلاء فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

التيارات السياسية السائدة فى مصر ... أوائل القرن العشرين:

لم تكن تيارات الرأى السياسية فى مصر لتلتقى عند أمر يجمع الكل عليه ، فيكون صيحة للشباب والجماهير ، اللهم الإشارة بسلطان الإنجليز المطلق فى حكم البلاد . لكن الوسيلة للتخلص من هذا

---

(١) محمد فاضل يوسف : قصة الإحتلال ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ص ٩٨ - ٩٩ .

السلطان كانت موضع خلاف شديد ، كانت مصر تابعة للسيادة العثمانية ، مستقله إستقلالا داخلياعن تركيا . محرومة من هذا الإستقلال الداخلى بسلطان الإنجليز ، للأجانب المقيمين بها على إختلاف أجناسهم ومنحهم إمتيازات تجعلهم أعلى من أبناء مصر .

هذه المجموعة من العلل السياسية والإجتماعية كانت تجثم على صدر مصر ، وتضعف روحها المعنوية أيما ضعف ،فأيهما يجب البدء بالتخلص منه ، فالتخلص منها جميعا دفعه واحده أمر غير ميسور . هنا إختاف الرأى وعلى أساس هذا الأختلاف قامت الأحزاب المصريه خلال تلك الفترة . ألم يكن من المستطاع أن تقوم الأحزاب على أسس من مبادىء محدده تدعو اليها وتجعل من تحقيقها غايه جهادها . فانما تقوم الأ حزاب علي أساس من المبادىء المجرده في الأمم الحره المستقله ، المتمتعه بالحكم النيابي على وجه صحيح ، يجعل هذا الحكم بالفعل رهنا بإراده الشعب ممثلا في هيئه نيابيه منتخبه إنتخابا حرا . ولم تكن مصر يومئذ مستقله ولم تكن حره ، ولم تكن متمتعه بحكم نيابى، فقد كانت خاضعه لسياده تركيا ، محتله بالانجليز وللامتيازات الأجنبيه بها أبلغ الأثر فى توجيه إقتصادياتها وإجتماعياتها .لم يكن للسياده التركيه على مصر أثر ظاهر أو مباشر إلا في تعيينها الخديو صاحب السلطه الشرعيه في البلاد بمقتضي الاتفاقات الدوليه . والحقيقه فان السلطان المطلق كان في أيدي الانجليز ؛ الذي كانوا يزدرون المصريين أشد الازدراء ويحقرونهم أشد التحقير . كان اللورد كرومر ممثل إنجلترا في مصر خلال هذه القتره ؛ وكانت سياسته أن يحرم الخديوي عباس كل سلطه ؛ بحجه أن سلطه الخديوي معناها عوده الحكم التركي البغيض الي نفسي المصريين ؛ ولم يكن الخديوي عباس يطمع في أن يجد من جانب تركيا أى عون لرد شىء من سلطانه اليه ؛ لكنه كان مع ذلك شديد الاتصال بالباب المعالي العثمانى .

فكان يذهب الي الآستانه (إستانبول) كل صيف ؛ لذا رأى أن يوقظ في نفوس المصريين سياسة الكراهية ضد الإنجليز- الدولة الغاصبة المحتله ؛ ثقه منه بأن جلاء الإنجليز بعيد إليه السلطان الذي حرمه إياه كرومر ؛ وكان الاحتلال بطبيعته بغيضا الي نفسي كل مصري ؛ فلم يكن من العسير علي "مصطفي كامل ، الزعيم الشاب الذي بعث به الخديوي الي أوروبا وشجعه علي ان يقيم الدنيا ضد هذا الإحتلال .

ووجد مصطفي كامل في فرنسا أعوانا ومشجعين ؛ لأن الفرنسيين كانوا ينقمون على إنجلترا التي خدعتهم وإنفردت بدخول مصر وإنفردت بالسلطان فيها ؛ بعد أن كان هناك إتفاق بين الدولتين علي أن تكون سياستها في مصر سياسه إشتراك وتعاون (١) . وعاد مصطفي كامل الي مصر ١٩٠٠ وعاونه الخديوي على إصدار جريده اللواء وتأليف الحزب الوطني لمقاومة سلطان الإنجليز ولمطالبتهم بالجلاء عن مصر . لقد لقيت دعوه مصطفي كامل الي الجلاء آذانا صاغيه من شباب مصر المتعلم فأمنوا به زعيما وإنضموا الى حزبه . على أن الإنجليز كانوا يقدرو ن أن مثل هذه الحركه آتيه لامحاله ؛ فشجعوا علي انشاء جريدة (المقطم) عقب الإحتلال مباشره للدفا ع عن سياستهم . ولقد لخصوا هذه السياسه في أنهم إنما جاءوا الي مصر لإنقاذها من الخراب المالى ؛ الذي جره الخديوي اسماعيل عليها ؛ ولإنقاذها من إستبداد الخديوي ومن حوله من الأتراك والجراكسه ؛ ولإقامة العدل بين أبنائها ولتوزيع الضرائب توزيعا عادلا . وكان من اليسيرأن تلقي هـــذه الدعوه تجاوبا بين الذين عاصروا حكم إسماعيل وبطشه ؛ ورأوا السنوات الأولي من حكم توفيق وضعفـه . وأيدوا ثوره عرابي للتخلص من الأتراك والجراكسه ؛ ثم رأوا في حكم الانجليز مساواه لحد ما بين الجميع (التركي والشراكسي والمصري) . تري هل ينظر سلطان تركيا؛ خليفه المسلمين ؛ الي هذا الذي يجري في مصر نظره المتفرج ؟ أم تري تنتهز تركيا فرصه الخلاف بين إنجلترا وفرنسا فتناوىء إنجلترا لتستعيد هيبتها أو شيئا من هذه الهيبه في المحيط الدولي ؟

لقد كانت تعلم أن ذلك ليس يسيرا . لذلك إستعانت بالثائر ، " السيد جمال الدين الافغاني " الذي جاء الي مصر وجعل يلقي تعاليمه فيها ؛ حيث إلتف حوله تلاميذ أخذ وا عنه مبادىء الحريه ؛ ورددوا معه الصيحه عاليه بأن العالم الاسلامى فى خطر بسبب الإستعمار الأوروبى ، وأنه لا منفذ لهذا العالم الإسلامي إلا أن يكون كتله واحده تقاوم هذا الإستعمار، أما وسلطان تركيا هو خليفه المسلمين ، فيجب أن تتجه إليه الأنظار وأن يتطلع اليه الجميع ؛ وأن يتحدوا كلهم تحت لوائه للتخلص من هذا الهوان الذى نزل بهم .

---

(١) محمد حسنين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ، جـ ١ ، ص ص ٢٢ - ٢٣ .

وكان الشيخ علي يوسف يصدر جريده المؤيد ؛ ويؤيد هذه الحركه ؛ ولما لم يكن في مقدور تركيا أن تمد لتأييده يد العون ؛ كان من الطبيعي أن تنعقد بينه وبين أنصار الخديوي موده لا تبلغ بالمؤيد أن يقف من عدواه الانجليز موقف اللواء .

وكان من الطبيعي أن يؤيد مصطفي كامل ؛ حركه الجامعه الاسلاميه تحت لواء السلطان ، لأنه يعتمد في مطالبته وإستقلال مصر الذاتي ؛ في حدود ما لتركيا من حقوق دوليه في مصر تكفلها معاهدات واجبة الإحترام ؛ فصاحب اللواء يؤيد هذه الحقوق بكل قوته ؛ لتكون حجه علي انجلتراعند فرنسا وغيرها من الدول التي لم تسترح لإنفراد إنجلترا بالسلطان في وادي النيل . ومن ناحيه أخرى ؛ فقد نشأت في التفكير الدينى حركه كان لها أثرها في مصر كلها . تلك الحركه التي تزعمها الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغاني والتي تدعو الي التفكير الحر وفتح باب الاجتهاد في المسائل الدينية ورغم صدق دعوه الشيخ محمد عبده وتلافيها مع تعاليم الاسلام ؛ لكن لقيت دعوته مقاومه من بعض رجال الدين ؛ وكان الخديوي عباس غير راض عن تلك الدعوه ولو تحدثنا عن موقف الوزارات المصريه في ذلك الوقت نجد أنها لم تكن جديره بالذكر فقد كان المستشار الإنجليزي في كل وزاره هو كل شيء ، ولم يكن للوزير سلطات . فكان ذلك شان وزاره مصطفى باشا فهمي التي استمرت في الحكم ثلاثه عشر عاما . علي أن تنبه الشعور القومي في مصر ؛ جعل لورد كرومر يفكر في إختيار وزراء أقوياء يقدرون على الأقل ان يدافعوا عن القدرات التي يتفق عليها المستشار مع الوزير أمام الراي العام . وسبب ذلك ان الطبقه المتعلمه في مصر بدأت تمسها هذه الحاله من الركود ؛ وجعلت تدعو الي إصلاحات جوهريه رات القيام بها ضروريا للإرتفاع بالمستوى القومي .

وكان أول وزير رحب المصريون بدخوله الوزاره - سعد زغلول باشا ؛ الذى كان مستشارا فى الإستئناف ثم عين وزيرا للمعارف ؛ حيث قام بجهد كبير لاصلاح بعض شئونها وبذلك بدات تظهر سلطه الوزير المصرى واضحه .

أحداث لها أهميتها خلال السنوات الأولى من القرن العشرين :

١ - حادث طابا :

طابا تقع على رأس خليج العقبة إلى الجنوب الغربى من أم الرشراش أو إيلات الحالية ،

وقـد إحتلها الأتراك في يناير ١٩٠٦ فى محاوله لإنتزاع ما يتيسر لهم إنتزاعه من شبه جزيرة سيناء التى تشكل حينئذ جانبا من الأراض المعهود بإدارتها الى خديوية مصر ، ولم تكن هذه هى المحاوله الأولى التى قامت بها تركيا لإنتزاع سيناء من مصر ؛ فقد حاولت ذلك عام ١٨٩٢ حين ولى عباس حلمي الثانى خديويه مصر ؛ إذ أسقط السلطات العثمانى سيناء من بين الأرض المعهود بإدارتها الى خديوية مصر ؛ وذلك فى فرمان توليه عباس حلمى رغم أن الفرمانات السابقه تضمنتها . حينئذ قام نزاع بين الحكومتين المصريه والعثانيه وتدخلت بريطانيا لتأييد حق مصر الواضح فى سيناء ؛ وكان تدخلها باعتبار الدوله التى تحتل قواتها مصر وتسيطر علي ادارتها من جهه ؛ وبإعتبارها إحدي الدول الموقعه على معاهده لندن ١٨٤٠م ؛ التى فصلت فى التزاع بين محمد علي والسلطان العثمانى وحددت شكل العلاقات بين السلطه العثمانيه وخديويه مصر من جهه أخرى إنتهى الأمر بتأخير قراءة فرمات توليه عباس حلمى حتى وصلت إراده سلطانيه تصحح الفرمان فيما يختص بسيناء وقرئت مع الفرمان كجزء مكمل . ويمكن النظر الى محاوله إنتزاع سيناء عام ١٨٩٢وتكرار المحاوله فى حادث طابه عام ١٩٠٦ فى إطار محاولات السلاطين المتكرره منذ معاهده لندن ؛ فى القضاء على الإمتيازات التى حصلت عليها خديويه مصربمقتضى التسويه التى تمت بعد تلك المعاهده أثناء حادث طابه تدخلت بريطانيا لوقف محاولات الأتراك والإحتفاظ بسيناء لمصر وتأكيد حقوقها فيها .

ولم يكن ذلك لإرضاء المصريين والمحافظه على حقوقهم ومصالحهم بل خوفا من أن إستيلاء الأتراك على سيناء سيؤدى الى سيطرتهم على شريان المواصلات الامبراطوريه المار بقناه السويس ولم يكن هذا خوفا من الأتراك فقط . بل من أصدقائهم الألمان إيضا . وضاعف من هذه المخاوف أن الأتراك كانوا حينئذ يقومون بمد سكه حديد الحجاز، بمساعده الألمان .

وبين سكه حديد الحجاز وسيناء بضعة عشرات من الكيلو مترات . تسبب حادث طابا وما كشفته من أطماع تركيا فى سيناء فى قيام أزمه عنيفه بين تركيا وبريطانيا من يناير الى مايو ١٩٠٦ ومما يوضح خطورة الأزمه ؛ والخطر الذى شعرت به بريطانيا على مصالحها وعلى مصر ؛ إنها عززت حاميتها فى مصر ؛ وأخذت تضع الخطط للدفاع عنها وعن سيناء وقناة السويس ضد أى هجوم تركي محتمل كما وضعت خططا أخرى لإستخدام الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط للضغط على

تركيا والاستيلاء على بعض جزرها في بحر ايجه تحت هذا الضغط ؛ الذى بلغ درجه توجيه إنذار رسمى ، اضطرت تركيا الى التخلى عن محاولتها ؛ وقبول تعيين لجنه مشتركه لتخطيط الحدود بين سيناء المصريه وباقى أملاك الدوله العثمانيه الواقعه الي الشرق من سيناء وهى الحدود الدوليه المعترف بها .

خلال الأزمهإاتخذ الكثيرون من المصريين موقفا يبدو فى ظاهره شاذا ومتعارضا مع مصالحهم الوطنيه ؛إذا قللوا من أهميه طابا وإحتلال الاتراك لها ؛ وأظهروا عطفا على وجهه النظر التركيه وموقف تركيا وانكروا على بريطانيا تدخلها فى المشكله . وتفسير موقفهم انهم استنكروادور الحاميه الذى إتخذته بريطانيا بالنسبه لمصر فى المشكله ؛ وخشوا أن تكون تلك مقدمه لإنهاء السيادة التركية وضم مصر الى الإمبراطوريه البريطانيه أو إعلان الحمايه عليها ؛ يضاف الى ذلك أنهم إعتقدوا أن تركيا أثارت المشكله كوسيله لفتح باب المسأله المصريه ومفاوضه بريطانيا فى شأن جلاء قواتها عن مصر ، كما أن شعور العداء ضد الإحتلال كان حينئذ منتشرا بين المصريين بسبب موقف بريطانيا من تركيا فى المسأله المقدونيه .

اما الخديوى عباس حلمى فقد أيد وجهة النظر الإنجليزية فى الظاهر وعارض فى الظاهر أيضا موقف تركيا ؛ لكنه كان على إتصال سرى السلطان ؛ ويوكدذلك كرومر عندما توتـر الموقف بينـــه وبين الخديوى .

وصلت أزمه طابا الذروة فى مايو١٩٠٦ ؛ وفى هذه الفتره وصل التوتر السياسى قمته فى مصر فالاحتلال يشعر بعداء الخديوى وبإحتمال تحالفه مع السلطان بعدما ، كشف من إتصالات سريه بينهما ويشعر بتزايد شعور العداء نحوه فى مصر ؛ وبتعاطف المصريين مع السلطان ؛ وقد أعلن زعماء الحركه الوطنيه بوضوح عطفهم على السلطان وهكذا أصبح هناك من خطرمما ثل ضد الاحتلال هو قيام تحالف ضده من الخديوى والسلطان والحركه الوطنيه .

لم يكن الاحتلال ليقف ساكنا إزاء هذا الخطر ؛ وإتجه للقضاء عليه الى وسيلتيه التقليديتين وهما فرق تسد ، والإرهاب . وكانت وسيلته الأولى ضد الحركه الوطنيه لضربها وتفريق صفوفها بمواصله جهوده لتشجيع وإجتذاب الفريق المتعاون معه من كبار الملاك وتلاميذ الشيخ محمد عبده أما سياسة

الإرهاب وإظهار القوة فتمثلت فى وسيلة الملاك لجأ اليها الإحتلال من قبل بعد حادث قذف جنده بالطوب فى قلبوب ؛ وهى تسبير فصائل من جيش الاحتلال بين القاهره والاسكندرية . كان الإحتلال يريد بذلك أن يقوى جانب المتعاونين معه ويرفع من شأنهم ، وأن ينكمش الوطنيون ويضعف شأنهم تحت ضغط الارهاب ؛ لذلك كان الموقف من الخطوره بمكان – من وجهه نظر الاحتلال – حين إشتبك الفلاحون فى دنشواى فى معركه مع ضباط إحدى هذه الفرق وضربوهم وأصابوهم بإصابات مختلفة . وأجبروهم على الفرار و قع أحد الضباط صريعا .

٢ - **حادث دنشواى :**

أصبح الموقف السياس فى مصر فى النصف الاول من عام ١٩٠٦ يتميز بوجود حالةمن التوتر الشديد ويتصاعد شعور العداء نحو الإحتلال .. فهناك التراكمات المتزايده من عوامل الإستياء والتذمر خلال فترة خضوع السلطة الشرعية للاحتلال في سنوات ١٨٩٩ - ١٩٠٦ وهناك ثورة الرأى العام الإسلامى فى آخر عام ١٩٠٥ بسبب موقف بريطانيا من الإمبراطورية العثمانية ، وفى يناير ١٩٠٦ افتتح كرومر ميناء بور سودان على البحر الأحمر وخط السكه الحديد الذى يصل بالنيل هذان المشروعات اللذان اعتبرهما المصريون خطوة حاسمه فى تحويل تجارة السودان الى طريق البحر الأحمر بدلا من مصر ، وفى فصل السودان تماما عن مصر في النهاية .

وجاء حادث طابا وأمتدت أزمتها لتشمل معظم النصف الأول من عام ١٩٠٦ - فغذت روح الإستياء والعداء ، وخلال ذلك زار ولى عهد بريطانيا مصر ، فتقدم إليه أعضاء شورى القوانين برجاء هو أن تولى الحكومة أمور التعليم إهتماما أكثر ، وطالبوه بإعطاء مصر مجلسا نيابيا .

وهكذا تركت تلك الزيارة جرحين غائرين أصابت بهما سياسه الإحتلال - الوجدان المصرى . ثم زاد الطين بله حين نشر تقرير كرومر السنوى فى إبريل ١٩٠٦ ، متضمنا مشروعه لتعديل نظام الإمتيازات المصرية والمحاكم المختلطه ، هذا المشروع الذى رفضه الأجانب ، وأعتبره المصريون زياده فى تسلط وسيطرة بريطانيا علي مصر وتثبيتا لها ، كما أعتبروه تحالفا بين بريطانيا ودول أوروبا لإقامة حكومة أوروبية داخل الحكومة المصرية .

ورأي كرومر تزايد روح العداء في مصر تجاه الإحتلال ، فلجأ الي وسيلتين لمواجة الحالة .

الأولى : هى الإستعانه في محاربه الحركة الوطنية بالفريق المتعاون مع الإحتلال من كبار الملاك ومن يشايعهم من المثقفين المصريين ، بتشجيعهم علي التعبير عن آرائهم المعتدله فى صحيفه ينشئوتها لهذا الغرض ، وفعلا صدرت تلك الصحيفه وهى " الجريده " لسان حال حزب الأمه لكنها صدرت متأخره بعد دنشواى .

الثانيه : تصعيد وسائل الإرهاب بما يتناسب مع تزايد روح العداء ، ففى ديسمبر ١٩٠٥ أمر كرومر بوضع قوات جيش الإحتلال فى حاله إستعداد .وبإستبقاء إحدى السفن الحربية فى ميناء الأسكندريه وخلال أزمة طابا زيدت الحامية البريطانية فى مصر بناء على طلبه . وأخيرا أمر بتسيير دوريات عسكرية من قوات جيش الإحتلال خلال الريف بين القاهره والأسكندريه .

كان طبيعيا مع سياسه التصعيد من الجانبين أن يقع صدام ما ، حين يتهيأ السبب المباشر له ، فوقعت حادثه دنشواى حين وقع السبب المباشر له ، وهو صيد الحمام وإشتعال النار فى جرن أحد الأهالى ، المفاجـأه التى حدثت هى أن الصدام وقع فى دنشواى فى الريف ، وليس فى القاهره أو الأسكندريه ، حيث الطبقات الأكثر وعيا من المثقفين وغيرهم ، هذه الطبقات التى كانت تكون جمهور الحركه الوطنيه حينئذ . هذه المفاجـأة كانت لأناس غفلوا عن روح التذمر التى كانت موجودة فى الريف بين الفلاحين و صـغار الملاك ، لم يتسم هذا التذمر بنفس الدرجة من الوعى الموجـود فـى المدن ، لكنه كان تذمراً عاما فى الأحوال القائمة وموجهـا ضد كبار الملاك وضد الإحـتلال كقوة أجنبية من جهة . وبإعتباره مسئولا عن الأحوال القائمة من جهه أخرى . هذه الغفلة عن روح التذمر فى الريف نتجت عن عجز هذه القطاعات من أهله عن التعبير عن نفسها ، وعدم وجود قيادات بينها من المثقفين .

كان طبيعيا أيضا و قد تلقى الاحتلال هذه الصفعة فى دنشواى أن يصعد إرهابه و يلعب بآخر ورقة يمكن أن يلجأ اليها ، و هى عقد المحكمة المخصوصة لتوقيع ما يشاء من عقوبات وحشية على أهالى دنشواى حتى يكونوا عبرة لغيرهم .

عقدة الموضوع فى حادث دنشواى و فى الأحكام الوحشية التى صدرت ضد اهلها ، وفى الطريقة المجردة من الإنسانية التى نفذت بها تلك الأحكام ، هى تزايد روح العداء ضد الاحتلال وخـــــوف

رجال الاحتلال من هذه الروح ، مما دفعهم الى تصعيد سياسة الارهاب لكسرها والقضاء عليها - لم تكن سياسة الأرهاب نتيجة الشعور بالقوة ، بل نتيجة الخوف والشعور بالضعف - لقلة عدد الحامية البريطانية فى مصر ، والخوف من قيام اضطرابات على نطاق واسع لايمكن لتلك الحامية أن تواجهها وبطبيعة الحال لن يتم التعرض الدراسة المستقبلية لهذا الحادث ، ولكن أحب أن أوضح سؤالين هامين هما ؟

ماهو موقف الخارجية البريطانية ؟ -

وماهو موقف الجيش المصرى من هذه الاحداث ؟

<u>موقف الخارجية البريطانية وانتعاش الحركة الوطنية فى مصر :</u>

ان طريقة تنفيذ الاحكام فى حادث دنشواى هى بصمة أخرى من بصمات كرومر فى هذا الحادث - والسؤال هنا إذا كان هذا هو موقف كرومر ورجاله ، فماذا كان موقف وزارة الخارجيه البريطانية أوماذا كان موقف الحكومة البريطانية ؟

يجب أن يكون معلوما لدينا من البداية أن أى خلاف يبدو لنا بين كرومر ورجاله فى مصر وبين الحكومة البريطانية فى هذا الشأن ، كان سببه الأساسى جهود المصريين وأصدقائهم فى بريطانيا فى فضح سياسة الاحتلال بوجه عام فى مصر ، وما إتخذه من إجراءات فى حادث دنشواى بوجه خاص -ظهر أثر ذلك فى كتابات الصحف البريطانيه وفى الاسئلة التى قدمت الى مجلس العموم البريطانى - والحكومات البريطانيه بوجه عام حساسه من جهه فضح سياسة رجالها فى المستعمرات والمحميات والبلاد الخاضعة ، وما يؤدى اليه ذلك من غضب الرأى العام وتذمر أنصارها وحملات تقوم بها المعارضة فى البرلمان وفيما عدا ذلك فالحكومة البريطانية كانت فعلا قد أطلقت يد كرومر فى ادارة شئون مصر منذ وقت طويل - تحت هذا الضغط إذن ، حاولت الحكومة البريطانية الحد من تطرف رجالها فى مصر فى إتخاذ إجراءات شديده فى قضية دنشواى ، لكنها فى النهاية فشلت فى ذلك -

عموما فقد كان لحادث دنشواى نتائج بعيده المدى فى مصر وفى بريطانيا ، هذه النتائج التـــــى

أعطت للحادث ماله من أهمية وماميزه عن غيره من إنتفاضات الفلاحين وغيرهم من طبقات الشعب وفي أضواء هذه الأحداث ، إنتعشت الحركة الوطنية في مصر وإزدادت قوة بعد فتره ركود وضعف ، هذا الانتعاش ترتب على أن دنشواى زودت زعماء الحركة الوطنية بمعين لاينضب للهجوم – وبحق وبدليل عملي على سياسها في مصر . كما أن تزايد العداء ضد الإحتلال أضاف الى صفوف الحركة الوطنية الكثيرين ممن كانوا مترددين من قبل ، بعد أن تبين لهم بالدليل العملي أن الاحتلال يعني الذل وسياده حكم الارهاب .

وجاءت دنشواى وزادت من تذمر الفلاحين وركزت عدائهم على الإحتلال ، فتعددت الإشتباكات بين رجال الإحتلال وبين الفلاحين في فترة قصيرة . وبذلك إنضم الفلاحون الى صفوف الحركه الوطنيه إن حادث دنشواى ساعد على بلورة الوضع في مصر وإستقطابه في النهايه ، بما أدى إلى أن ظهرت بشكل رسمي الأحزاب المصريه الرئيسيه الثلاثه المعروفه حينئذ وهي الحزب الوطني ، وحزب الأمه ، وحزب الإصلاح الدستوري . الأول برئاسه مصطفى كامل وهو يعادي الإحتلال والثاني برئاسه محمود باشا سليمان وهو متعاون مع الإحتلال والثالث بزعامة الشيخ علي يوسف وتقوم سياسته على التعايش مع الإحتلال . وقد أدت دنشواى الى أن الحكومه البريطانيه تبينت خطأ سياسة كرومر في مصر فكفت عن تأييدها له ، مما أدى في النهايه الى استقالته من منصبه .

وكانت إستقاله كرومر فرصه إنتهزتها الحكومه البريطانيه لمراجعة سياستها في مصر ففكرت في إتباع سياسة جديده تحاول فيها إرضاء المصريين ، بإعطائهم نصيبا أكبر من حكم بلادهم وارضاء الخديو عباس بإعادة قدر من سلطاته إليه ، وكان غرضها من هذا إجتذاب الخديو الى صف الإحتلال ، وإستخدامه كاداة لضرب الحركه الوطنيه ، فعينت الحكومه البريطانيه " ألدون جورست " خلفا لكرومر لتنفيذ هذه السياسه ، وقد نجحت تلك السياسه في الحصول على تعاون الخديوى وفي الإستعانة به لضرب الحركة الوطنيه ، ولكن الهدف النهائي وهو القضاء على الحركة الوطنية لم يتحقق [١] .

---

(١) محمد جمال الدين المسدى : مرجع سابق ، ص ص ٦٣ – ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠ – ٧١ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ – ١٣٢ .

موقف الجيش المصرى من هذه الأحداث :

لقد كان الجيش المصرى مغلوبا على أمره من تلك الأحداث ، فوقف موقف المتفرج لا يستطيع أن يتحرك ، وكان هذا نتيجة طبيعيه لما إتبعته القياده البريطانيه فى عزل هذا الجيش عن مسرح الأحداث فى مصر ، وعدم قدرته علي التدخل وذلك نتيجة للآتى :-

أ - إبعاد معظم وحدات الجيش المصرى الى السودان بعيدا عن مصر .

ب - تقليل حجم هذا الجيش الى أقل حد ممكن وبذلك تستطيع أن تضعفة عن الإشتراك فى الحركة الوطنية فى مصر .

جـ - إن معظم قيادات هذا الجيش كانت من العناصر البريطانية التى إستطاعت أن تبعد الجيش كلية عن السياسة .

د - الأحكام الشديدة التى وضعتها بريطانيا لمحاسبة أى فرد مخطأ من وجهة نظرها وبالتالى إستطاعت أن تحقق الإرهاب داخل هذا الجيش .

هـ - تحييد الجيش المصرى وجعل ولاءه أولا وأخيرا لكل من بريطانيا والخديوى .

و - لم تستطع الحركة الوطنية أن تنفذ الى جسم أبناء الجيش من المصريين بسبب النظام الأمنى الذى إتبعته بريطانيا فى هذا السبيل .

ز - إشراك بعض وحدات الجيش فى مشروعات داخل السودان وبالتالى إبعاده عن الناحية العسكرية وإستغلاله الى أقصى درجة ممكنه ، وتحويل ميوله .

التيارات السياسية السائده فى مصر بعد أحداث دنشواى وحتى عام ١٩١٤ (فى ضوء المتغيرات الإقليمية والعالمية)

أشرنا الى أن حادث دنشواى نبه الشعور القومى المصرى تنبيها عنيفا ضد الإنجليز ، وكان من أثر ذلك أن أقيل لورد كرومر من منصب معتمد الدوله الإنجليزية فى مصر ، وعين مكانه السيد الدون جورست ، وذكرنا أن سياسة كرومر كانت ترمى الى إضعاف سلطة الخديوى عباس ، لذلك كان عباس نصيرا للحركه القوميه المتطرفه بكل قوته . فلما تولى سير " ألدون جورست " منصبه عدل عن سياسة كرومر " وبدأ في ايجاد جو من التفاهم والإتفاق بينه وبين قصر عابدين . وقد كان من

أثــر السايسه التى جرى عليها سير ألدون جورست أن إنفسح المجال أمـام الخديوى ، فـأصبح يحقق من أغراضه ما لم يكن يستطيع تحقيقه فى عهد لورد كرومر . وترتيب على ذلك أن فترت العلاقـات بين الخديو والحـزب الوطنى ، وأن قـويت العلاقـات بين الخديوى والشيخ على يوسف صاحـب " المؤيد " والذى ألف حزبا أسماه " حزب الإصلاح على المبادىء الدستوريه " .

اذا لم يكن من هذا الفتور مع الحزب الوطنى مفر . فقد كان رئيسه وقتئذ محمد بك فريد ، وكان رجل عقيدة ، لا يعرف فى الوطنيه مهادنه أو مساومه .

وقد ظن أن السياسه الإنجليزية أرادت بهذا التقارب بينها وبين الخديوى أضعاف الحزب الوطنى ، سواء بتسكينه عن المطالبه بالجلاء أو بإفساد ما بينه وبين الخديوى ، فآثر أن يغضب الخديوى على أن يتوهم الناس أن هذا الحزب يعمل لحساب عباس لا لحساب مصر ، وأنه لذلك سكت عن الإلحاح فى أمر الجلاء عندئذ لم يكن للخديوى غير الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد لأن فساد الصله بينه وبين لطفى السيد والجريدة وحزب الأمة ، من يوم نشأة هذا الحزب ، وظهور الجريدة ، كانت تحول دون التقريب السريع بينهما .

ويبدو وأن رجال الجريدة الذين إتهموا منذ ظهورها بمالاة الإنجليز ، حرصوا على أن يظلوا عند المطالبة بالدستور ليكون لهم من ثقة الناس بهم ما يزيدهم قوة .

ولم يكن الإنجليز ولا كان الخديو ليطمئنوا إلى هذا الإلحاح فى المطالبة بالدستور الحالحا جعل حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية حين أنشـأه الشيخ على يوسف ، يبدو أمام الناس فى صورة من يريد التلويح بالفكرة الدستورية التى يطالب بها لطفى السيد بإحلاص واضح .

عموما لم يطل العهد بسياسة الإئتلاف بين الخديوى وممثل إنجلترا فى مصر ، فقد توفى السير الدون جورست بعد أقل من ثلاث سنوات من تعيينه ، وحل محله لورد كتشنر لذى جاء الى مصر لينفذ سياسة كرومر بروح عسكرية صرفه . وقد أذاع أنصار الساسة البريطانية أن السبب فى هذا العدول هو الخديوى نفسه الذى كان يريد أن يجعل للسراى - السلطان النافذ فى شئون الحكم .

والحقيقة الفعلية وراء هذا التغيير فى السياسة البريطانية ، أما يرجع السبب الصحيح لذلك ، هو تغير الموقف الدولى ، فقد كانت انجاترا قد أطمأنت على إستقرارها الفعلى فى مصر وعقدت مع فرنسا إتفاق ودى تطلق فيه يد فرنسا فى مراكش فى مقابل إطلاق يد بريطانيا فى مصر ، وإستمر الحال على ذلك حتى سنة ١٩٠٨ . فلما بدأت المانيا تبسـط نفوذها على منـاطق الإمبراطـورية

العثمانية وفكرت فى مد سكة حديد من برلين الى بغداد والى البصرة، ومدت بصرها الى شمال إفريقيا - بدأت مخاوف إنجلترا من هذا الموقف الدولى فدفعها الى أن تشدد قبضتها على المناطق الإستراتيجية فى البحر المتوسط . وإذا كانت قناة السويس تعد فى نظر إنجلترا يومئذ مفتاح الهند ، فقد حرصت على تقويه سلطانها فى مصر بل وعلى الإستئثار بها .وقد بعثت لورد كتشنر بعد وفاة السيد جورست الى القاهرة فجعل سياسته تبنى على إعداد العده لما يحتمل من حرب مقبلة ، ولم يكن فى مقدوره أن يفعل ذلك إلا إذا جمع السلطة فى يده ويلغى سلطة الخديوى .

وفى صيف عام ١٩١١ ، وقع حادث دولى ، كان له فى مصر دوى عظيم ، وفى السياسة المصرية أثر بالغ ، فقد أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا فى برقة . وفى طرابلس الغرب وكانتا يومئذ ولايتين تركيتين تحكمهما السلطنة العثمانية حكماً مباشراً .

إذا ما عسى أن يكون موقف مصر من هذه الحرب ؟ فمصر داخله فى نطاق السيادة التركية مع تمتعها بالاستقلال الداخلى . هل تيسر قواتها المسلحة الى جانب القوات التركية للدفاع عن هذا الجزء من الإمبراطورية العثمانية ؟ أم تقف على الحياد حيث ليس لها من وراء هذه الحرب مغنم - وإذا وقفت على الحياد وأرادت الجيوش العثمانية أن تمر بأراضيها فماذا يكون موقفها ؟ وإنجلترا ما موقفها وهى محتلة مصر هل تسهل للجنود الأتراك المرور أم تقف فى طريقها تصدها أن هى حاولت هذا المرور ؟ .كان موقف الحكومة المصرية فى هذا الظرف الدقيق سلبياً صرفا تركت الأمر لإنجلترا رممثلها فى مصرُ لورد كتشرُ تتصرف فيه السياسة البريطانية كما تشاء .

وكان موقف بريطانيا هو أن إيطاليا معتدية على تركيا من غير حق .. والساسة البريطانية لم تذهب إلى أبعد من ذلك ، سوى الإعلان فقط ، فلم تسمح بإشتراك الجيش المصرى فى هذه الحرب ، ولم تسمح بمرور الجيوش التركية من الأراضى المصرية ، محتجة فى هذا وفى ذاك بأن مصر مستقـــله داخليا عن تركيا . فإن إشتراك مصر سيؤدى بإنجلترا والتى لها مركزها الخاص فى مصر بحكم الإحتلال ، الى أن تتهم بالخروج عن الحياد .

أحداث عام ١٩١٤ (بداية الحرب العالمية الأولى وإعلان الحماية البريطانية على مصر وعزل الخديوى عباس) :

فى أواخر عام ١٩١٣ صدر قانون نظامى جديد أحل الجمعية التشريعية محل مجلس الشورى والجمعية العمومية ، وعد ذلك خطوة فى سبيل النظام النيابى المصرى . وتمت الإنتخابات للجمعية التشريعية ، وإنعقدت فى أواخر سنة ١٩١٣ وأوائل عام ١٩١٤ . وكانت دورة الجمعية التشريعية فى ختامها ، حين أعلنت الصحف أن الخديوى عباس حلمى الثانى سيقوم بجولة يطوف خلالها أنحاء الوجه البحرى قبل سفره الى مصيفه بالأستانه .

وسافر عباس الى مصيفة بالأستانه مع بداية صيف ١٩١٤ ، وهو لا يعلم ما يخبئه له القدر ، وما يحسبه دار بخلده أنه يوم أن يغادر مصر ستكون هى الأخيرة ، فلا يعود لها بعد ذلك ، بل يفقد عرشه ، ويظل متنقلاً فى ربوع أوروبا محظوراً عليه أن يعود الى مصر ، ويقضى باقى عمره بالمنفى حتى يتوفى فى سويسرا ، ويبقى جسمانه دفيناً بها حتى يؤذن بحملة الى مثواه الأخير فى مصر .

ولم يكن أحد يقدر يومئذ أن العالم الذى كان ينعم فى بحبوحه الرخاء ، يغلى تحته بركان سينفجر عما قريب ، ويزج بالدول كبيرها وصغيرها فى حرب عالمية ضروس .ففى شهر يوليو من هذا العام نقلت الصحف أن مجرماً إعتدى على حياه ولى عهد النمسا إذ كان فى (سراييفو) عاصمة الصرب فأودى بها .

ووجهت حكومة النمسا إنذار إلى حكومة الصرب تطلب فيه مطالب قاسية ، إن لم تجبها صربياً إحتفظت حكومة النمسا بحرية التصرف ، وتلا الناس جميعاً فى أرجاء العالم كله هذا النبأ ، ولم يدر بخلد أحد أن الصرب هذه الدولة الصغيرة التى لا تستطيع مقاومة النمسا ، ستذعن للأنذار وتجيب دولة النمسا والمجر أو إمبراطورية النمسا والمجر الى مطالبها . لكن الصرب تلكأت وتدخلت الدوائر الساسية فى باريس ولندن وبرلين تريد أن تجد من هذا المأزق السياسى مخرجاً ، والانباء كلها تؤيد أن حكمة الساسة ستتغلب على حادث مؤلم أدى اليه شاب طائش ، وأن الحرب لا يمكن أن تقع .وإستمرت الأحداث تمر بسرعة و تصاعدت التهديدات بين الدول إنتهت مع أوائل أغسطس ١٩١٤ بإعلان المانيا الحرب على فرنسا وكانت بداية جرت العالم كله إلى الحرب العالمية الأولى .

وبدأت تسود فى مصر العديد من المناقشات عن الموقف المصرى وهل ستقف مصر على الحياد سواء إشتركت إنجلترا فى الحرب أم لم تشترك وسواء إشتركت فيها تركيا أم لم تشترك ؟

وبعد مضى ثلاثة أيام من إعلان فرنسا الحرب ، إنضمت إنجلترا الى فرنسا ، ومن هنا بدأت المسألة تأخذ أبعاداً جديدة ، فيما سيكون عليه الدور المصرى .

وهناك من تشيع للألمان ودعا الرأى العام المصرى لتأييدهم بكل قوة ومنهم الحزب الوطنى بإعتبار أن إنجلترا دولة مستعمرة لمصر ، وإن نجاح المانيا فى الحرب سيحقق لمصر حريتها من نير هذا الاستعمار البغيض فى قلوب المصريين وكان ذلك هو الرأى السائد .

وهناك من تشيع لانجلترا ، بأعتبارأن وقوف مصر مع إنجلترا فى الحرب سيعطى لمصر الحق فى المطالبة بإستقلالها بعد نهاية هذه الحرب ، بإعتبار الدور الذى قامت به فى مساندة إنجلترا ماديا ومعنويا ، وكان لطفى بك السيد يؤيد الحلفاءً إنجلترا وفرنساً ويعيب على الألمان بقوة غزوهم لبلجيكا واعتدائهم على حيادها . بل أن بعض الصحف مثل صحيفة المقطم روجت لفكرة وهىً أن مصر تريد الاستقلال فإذا لم يكن السبيل غير ميسور ، وكان لابد لها من أن تحكمها أمة أخرى ، فإنجلترا خير أمة ترضاها مصر وكان هناك رأى ثالث ينادى بحياد مصر فى هذه الحرب البعيدة عن حدودها والقائمة بين الدول الكبرى وكان من مؤيدى هذا الرأى محمد حسين هيكل (١)

والحقيقة أن السبب الحقيقى للحرب جاء لعوامل إقتصادية بحته ، فقد أستأثرت إنجلترا وفرنسا أو كادتا تستأثران باستعمار أفريقيا وآسيا ، وقد أقامتا خطتها إزاء المانيا على أساس التطويق ، فعقدتا معاهدات مع روسيا ومع بعض الدول الآخرى حتى لا تخرج المانيا من دائرة البلطيق . وقد حملتا إيطاليا على أن تقف فى صفهما ، بأن أعلنتا أن لهابحق الفتح أن تستولى على برقة وطرابلس فى أفريقيا ، وبرقه وطرابلس كما هو معروف واقعتان بين مصر التى تحتلها أنجلترا وتونس الواقعة تحت نفوذ فرنسا وحكمها .

هذه الأسباب الإقتصادية هى التى أثارت الحرب ، وسيكون من نتيجتها تزعزع أركان المدنية الأوروبية المتحكمة فى العالم ، وأن تنقل الحضارة من حوض البحر المتوسط الى حوض الأطلنطى أو الباسيفكى وبذلك تتيح لأمم الشرق فرصة التحرر من العبودية التى فرضت عليها .

---

(١) محمد حسنين هيكل : مرجع سابق ص ص ٤٩، ٦٥ .

ولم تدخل إيطاليا الحرب مع حليفتها المانيا . وكانت الحرب قد أعلنت بين روسيا القيصرية والمانيا ومن ناحية اخرى فقد دارت المفاوضات بين إنجلترا وتركيا . حتى تظل الأخيرة على الحياد مقابل ضمان سلامتها . وفى هذا الوقت لم يكن ثمه ما يقتضى أن تلجأ إنجلترا الى سياسة الشدة مع مصر . لكن الأحوال صارت بسرعة بعد ذلك فى إتجاه آخر ، فلم يغب عن بال السياسة البريطانية أن تركيا قد تدخل الحرب فى صف المانيا . وكان هذا الإحتمال متوقعاً لان العلاقات بين تركيا والمانيا قبل الحرب كانت تجعله أدنى الى التصور ، وكان كثير من المصريين يتوقون شوقاً الى ذلك اليوم ، حباً من بعضهم لدولة الخلافة ، وكراهية من البعض للاحتلال البريطانى ، وإعتقاداً بأن إنتصاراً تركياً يقرب يوم الخلاص من هذا الاحتلال . وكان مما دار بخلد السياسة البريطانيين ، على ما صرح به لورد جراى من بعد" بأن تضم إنجلترا لمصر لتصبح من مستعمراتها" لكن إنجلترا أرادت أن تظهر فى مظهر من لا يريد من وراء الحرب توسعاً إقليماً وبخاصة أن مركزها فى مصر كان مركز المستعمر بالفعل وان لم يكن بالقانون . لهذا قرر ساستها فى حالة دخول تركيا الحرب الى جانب المانيا ، أن تلغى إنجلترا ما لتركيا من حقوق فى مصر ، وأن تأخذ بيدها هذه الحقوق ، وأن تعلن حمايتها على مصر ، وأن تذكر فى الوقت نفسه أنها أخذت هذه الحقوق بيدها وديعة للشعب المصرى .

وتقدمت الحرب وإكتسحت ألمانيا أراضى بلجيكا وأظهرت نجاحاً كبيراً فى المسرح الأوروبى وبدأت الإمارات تدل على أن تركيا ستدخل الحرب لا محاولة فى صف الألمان ، وبالفعل أعلنت تركيا الحرب وتطورت الأحداث ، ففى مصر إشتدت الأحكام العرفية التى أعلنها ممثل إنجلترا فى مصر وزادت الرقابة على الصحف وشعر الناس بأنهم مقبلون على وقت عصيب .

وفى يوم ١٤ ديسمبر ١٩١٤ ، أعلنت إنجلترا حمايتها على مصر وأنها أخذت بيدها ، وديعة للشعب المصرى ، ما كان لتركيا من حقوق على مصر ، وفى اليوم نفسه أعلن ممثل انجلترا عزل الخديوى عباس من الخديوية المصرية ، لأنه إنضم الى أعداء إنجلترا وتنصب السلطان حسين كامل سلطاناً على مصر ، وتلا ذلك بطبيعة الحال إعادة تشكيل وزارة جديدة برئاسة رشدى باشا . وبذلك إنتهت صفحة هامة من تاريخ مصر المعاصر .

التغير فى أوضاع القوى الإجتماعية والسياسية فى مصر (١٨٨٢-١٩١٤) :

أولا :القوى الخارجية :

بالنسبة للقوى الخارجية التى كانت لها اليد الطولى فى الموقف بين عامى ١٨٨١ - ١٨٨٢ ، نستطيع أن نلخص الموقف كما تطور على النحو التالى :

١ - إختفاء فرنسا كقوة دولية وإستعمارية منافسة للإحتلال البريطانى وقد إنتهت منافسة فرنسا منذ عام ١٩٠٤ ، كنتيجة لمساومة إستعمارية بينها وبين إنجلترا ، تمت على حساب مراكش ومصر حين تركت إنجلترا فرنسا طليقة اليد فى مراكش فى مقابل أن تترك فرنسا أنجلترا طليقة اليد فى مصر وبهذا الإتفاق الودى تدعم موقف الاحتلال البريطانى من الناحية الدولية ، كذلك كان ضعف الدولة العثمانية المستمر يدعو الى تقلص النفوذ العثمانى فى مصر بصفة مستمرة من الناحية الفعلية وعلى ذلك فالتنافس الدولى الاستعمارى الذى بدأ بعد إنهيار نظام محمد على ، وإستمر طوال القرن التاسع عشر ، بل وحتى بعد إنفراد بريطانيا باحتلال مصر ، إختفى تماما . بالوفاق الودى ورضاء الدولة العثمانية بالأمر الواقع .

٢ - **ومع ذلك فالصفة الدولية للمسألة المصرية باقية لسببين رئيسيين :**

أ - لأن الإحتلال البريطانى لم يتخذ له قبل اعلان الحماية فى عام ١٩١٤ صفة شرعية أو دولية ، فظلت مصر حتى عام ١٩١٤ تابعة من الناحية الدولية أو الشرعية للدولة العثمانية ، كما لم يتغير نظام الحكم فى مصر بعد الاحتلال ، فظل الخديوى مجلس النظار السلطة السياسية الرسمية الحاكمة فى ظل الاحتلال ، كما ظل ممثل إنجلترا فى مصر كبقية ممثلى الدول الأجنبية يحمل فقط لقب القنصل العام وهذا الوضع كان يتيح للدولة العثمانية من وقت لآخر وعلى قدر ما تستطيع ، معاكسة انجلترا بصفتها الدولة صاحبة الحق الشرعى فى السادة على مصر ، ومثال ذلك ما حدث عند تولية الخديوى عباس الثانى عام ١٨٩٢ وما صدر من فرمان بإنتزاع شبه جزيرة سيناء وقد سبق الإشارة تفضيلاً لهذا الحدث .

ب - كذلك من العوامل التى أبقت على الصفة الدولية للمسألة المصرية ، الإمتيازات الاجنبية والديون الأجنبية ، التى كان من شأنها أن تشل يد القوة السياسية المسيطرة من الناحية الفعلية . لهذه الإعتبارات كان الموقف السياسى فى مصر على النحو التالى :

إختفاء المنافسة الدولية ، وإنفراد بريطانيا بالموقف فى مصر . لكنه إنفراد غير تام للأسباب التى أشرنا اليها .

ثانيا: القوى السياسية الداخلية :

ويثار سؤال هنا وهو كيف كانت تحكم بريطانيا مصر وتمارس سياستها رغم أن مصر كانت حتى عام ١٩١٤ تابعة من الناحية القانونية للدولة العثمانية ؟ .

لقد كانت بريطانيا تمارس سلطتها عن طريق :

١ – مجموعة من الموظفين البريطانيين فى خدمة الحكومة المصرية ، هم المستشارين فى كل وزارة ، وهؤلاء كانوا الوزراء الحقيقين فى هذه الوزارات .

٢ – عن طريق مجموعة من الضباط فى خدمة الجيش والبوليس المصرى ، على رأسهم سردار الجيش المصرى ، وكان بريطانيا .

٣ – عن طريق ما كان يسمى بالنصائح الملزمة (التى اعلنها جرانفيل وزير خارجية بريطانيا فى عام ١٨٨٣) من جانب ممثل بريطانيا فى مصر للخديوى أو رئيس الوزراء المصرى .وكان من شأن هذا الوضع أن وجدت فى مصر سلطتان : سلطة شرعية هى الخديوى والوزارة المصرية ، وسلطة فعلية هى السلطة البريطانية التى تنتهى عند المعتمد البريطانى .ثم كانت هناك سلطة ثالثة ، هى سلطة الأمة أو الحركة الوطنية وبين هذه القوى الثلاث ، تشكل التطور السياسى فى مصر من عام ١٨٨٢ حتى عام ١٩١٤ . وبمعنى آخر كانت بين هذه القوى تناقضات ، بعضها رئيسية وبعضها ثانوية : والتناقض الرئيسى كان بين الحركة الوطنية وبين الاحتلال ، التناقض الثانوى بين الإحتلال والخديوية أو بين الخديوية والحركة الوطنية . لذلك لا يجب أن نعجب من أن تلجأ الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد فى فترة الاحتلال الى إيجاد نوع من التحالف بين الحركة الوطنية والخديوية بقصد استخدام الخديوية ضد الاحتلال فمثل هذا التكتيك من جانب الحركة الوطنية كان إدراكاً للتناقض الرئيسى فى الموقف السياسى[1] ولكن عند نشوب الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٤ بدأت هذه القوى تتغير فقد عزل عباس بسبب مضايقاته المستمرة للاحتلال ، وهى مضايقات كانت تستهدف آخر الأمـــر

---

(١) محمد أنيس (د.) ـ محمد رجب طراز (د.) : مرجع سابق ، ص ص ١٠٩ – ١١٢ .

مساومة الإحتلال على أكثر ما يستطيع الخديوى الحصول عليه من نفوذ شخصـــــى ٠ وبعزل عباس إختفت إحدى القوى الثلاث وأصبح الإحتلال فى المواجهة المباشرة للحركة الوطنية ٠

قيادة الحركة الوطنية :

فيما يختص بتطور الرأسمالية المصرية طوال القرن التاسع عشر نلاحظ ما يلى : -

أنها نشأت فى مجال الزراعة وخلال سلسلة طويلة من تطور الملكية الزراعية الفردية حتى تآلفت كطبقة ذات مصلحة إقتصادية وسياسية ٠

وان الطوائف الحرفية التى كانت من الممكن ان تتحول الى طبقة بورجوازيه تجاريه أو صناعية كانت قد أصيبت بإضرار بالغة بسبب نظام محمد على الاحتكارى ٠ وفى عهد الإحتلال تضخمت قوة الطبقة البورجوازية المصرية الزراعية ، وقد حدث ذلك نتيجة لسياسة الإحتلال البريطانى ، الذى عنى بالزراعة فى مصر عناية واضحة ، ليجعل من مصر بلداً متخصصاً فى إنتاج القطن لخدمة صناعة القطن فى إنجلترا ٠ ومن الناحية السياسية إعتمد الإحتلال على الرأسمالية الزراعية المصرية ، فمنهم كان يتشكل مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية حتى عام ١٩١٣ ، ثم الجمعية التشريعية منذ عام ١٩١٣ ومجلس المديريات ٠ وكان الإحتلال يشجع البورجوازية المصرية الزراعية ضد العناصر الوطنية المتطرفة ، ممثله فى القطاع التجارى وقطاع المثقفين من البورجوازية الصغيرة المركزة فى « سكان المدن ٠ وكان كرومر يطلق على البورجوازية المصريـــة الزراعية " الجيروند " أى المعتدلين ، نسبه إلى الجيروند فى الثورة الفرنسية ، بينما يعتبر عناصر البورجوازية التجارية والمثقفين من المتطرفين والغلاه فى الوطنية ٠

وكان الحزب السياسى الممثل للبورجوازية الزراعية هو حزب الأمة وأما الحزب الممثل للقطاع الاكثر ثورية من البورجوازية فكان الحزب الوطنى ، وحزب الامة هو حزب أصحاب الأراضى الزراعية الكبيرة ، والحزب الوطنى يضم بصفة أساسية عناصر المدن من المثقفين والطلبه والتجار ٠ وكان حزب الأمة يرى العمل من أجل الإستقلال الذاتى فى حدود الاحتلال البريطانى ، لذلك كان همه المشاركة فى السلطة مع سلطات الإحتلال عن طريق ممثلى الامة (من كبار المزارعين من الاقاليم) بينما كان الحزب الوطنى يلجأ مباشرة الى مهاجمة الإحتلال وإقتلاعه من جذوره ٠ ومن هنا ... كل الحركات الثورية أبان فترة الإحتلال كالجمعيات السرية وحركة الأغتيالات وتأسيس النقابات

العمالية وما الى ذلك ، كان كل ذلك من نشاط الحزب الوطنى وحده ، كذلك لا شك فى أن الحزب الوطنى زادت ثوريته نتيجة اختلاط قياداته أبان مؤتمرات السلام العالمى ومؤتمرات الشعوب المطالبة باستقلالها بالأحزاب الإشتراكية الأوروبية ويبدو تأثير الحزب الوطنى بالتيارات الإشتراكية واضحاً فى نشاط الحزب فى حركة النقابات . فقد كان من الواضح أن الحزب يعمل فى حقل النقابات متأثراً بفكره التناقض الطبقى بين العمال وأصحاب رؤوس الاموال[١] ولكن الحزب الوطنى صفى أوكاد من أيام كتشنر وخلال الحرب العالمية الاولى واختفت قياداته بخروج محمد فريد من مصر فلما إنتهت الحرب لم ليكن على المسرح من الناحية القيادية سوى عناصر حزب الامة والجمعية التشريعية .

عموماً نستطيع القول أنه لم تكن فى القيادة المصرية بورجوازية وطنية تقدميه والسبب فى ذلك يرجع الى سيطرة الرأسمالية الاجنبية فى مجال التجارة والصناعة ، وعلى ذلك لم توجد ظروف موضوعية إبان الإحتلال لظهور رأسمالية وطنية واسعة النطاق على درجة من الثورية تدفع الى مستوى المعركة الوطنية ضد الإستعمار . على أن هذا لم يمنع من أن الرأسمالية المصرية التجارية على صغرها ، كانت قد بدأت تنشط قبل الحرب العالمية الاولى ، فأخذت تندد بتغلغل الغزو الاقتصادى الاجنبى . وكان طلعت حرب فى طليعة اللذين عبروا عن الإتجاه الإقتصادى لهذا القطاع من الرأسمالية المصرية .وكان من رأيه ان السبيل الى تحرير مصر من الناحية الاقتصادية هو انشاء بنك مصرى برؤوس أموال وباداره مصرية ثم شاهد هذا القطاع من الرأسمالية المصرية . نوعا من الإنتعاش إبان الحماية المؤقتة التى فرضتها الحرب العالمية الاولى .بانقطاع الواردات من الخارج من جهة ، وإشتداد الحاجة من جهة إخرى الى صناعات مختلفة تسد حاجة الجيش من الكساء والغذاء والذخيرة وصيانة الاسلحة والصناعات

---

(١) لعل من أوضح الامثله على ذلك اتصال الحزب الوطنى بشخصية تيودور روزشتين مؤلف كتاب (خراب مصر) ، وكان روزشتين اشتراكيا منفياً من روسيا القيصرية يعيش فى إنجلترا فعمل مع الحزب الوطنى كمراسل لجريدة اللواء ى لندن ، ثم حضر الى مصر ليصدر الطبعة الانجليزية من جريد اللواء ، وظلت علاقاته بالحرب الوطنى حتى قامت ثورة اكتوبر فى روسيا عام ١٩١٧ ، حيث عاد الى روسيـــا .

المدنية المختلفة[1] خلال هذه الفترة يقول عبد العظيم رمضان ان الجيش كان له موقف من الحادثين الاول حادث طابا والثانى الحرب الطرابلسية التى نشأت بين تركيا وايطاليا ٠

دور الجيش المصرى فى حادثى العقبة والحرب الطرابلسية :

١ - الجيش المصرى وحادثة العقبة :

فى الفترة من ١٩٠٦ إلى قيام الحرب العالمية الاولى فى سنة ١٩١٤ وقعت حادثتان تعلقت كل منهما من أحد محاورها الرئيسية بالجيش المصرى وبموقف السياسة البريطانية إزاءه .

والحادثة الاولى هى حادثة العقبة (طابا) سنة ١٩٠٦ ٠

والحادثة الثانية هى الحرب الطرابلسية ١٩١١ سنة ١٩١٤ ٠

وفيما يتعلق بحادثة العقبة ، فتتمثل أهميتها فى أنه كان فى أثنائها أن وقعت اول مواجهة بين الجيش المصرى والجيش العثمانى بعد الإحتلال البريطانى وكان واجب الجيش المصرى فيها أن يدافع عن أرضه ضد العدوان التركى ، ولكن وضع مصر الشاذ بين الاحتلال البريطانى والتبعية التركية ، وإنعكس على موقف الجيش بما انعكس بدوره على موقف الإحتلال وأدى الى زيادة الحامية الإنجليزية ٠

وقد بدأت الازمة حين اعتزمت الدولة العثمانية مد خط سكة حديد الحجار من معات الى العقبة ، لمواجهة نفوذ إنجلترا فى البحر الأحمر من جهة - وهو النفوذ الذى أخذ ينمو بإنشاء ميناء بور سودان ولمد هذا الخط بعد ذلك الى قناه السويس مناوأه النفوذ البريطانى فى مصر وتهديد خطوط المواصلات الامبراطورية من جهة أخرى ٠ ومن أجل تنفيذ هذه المشروعات أرادت تركيا سلب مصر جزءاً كبيراً من شبه جزيرة سيناء (من العريش الى السويس أولا ، ثم فيما بعد من رفح الى رأس محمد) بحجة أن شبه الجزيرة جزء من الدولة لم تتنزل عنه لمصر الا الى حين وتسهيلاً للحج ، وأنها لا تعتبر هذا الجزء منسلخاً من املاكها فى أى وقت من الاوقات[2] ٠

---

(١) محمد أنيس (د٠) ، السيد رجب طرز (د٠) : مرجع سابق ص ١١٣ ٠

(٢) عبد العظيم رمضان (د٠) : مرجع سابق ص ص ٨٤ - ٨٥ ٠

وكان من الطبيعى عندما علمت االسلطات البريطانية فى مصر ، بعزم السلطان على مد الخط الحديدى الى العقبة ، وجعل هذا الثغر قاعده حربية تهدد منهاقوارب الطوربيد خط المواصلات الى الهند ، أن أبدت إهتمامها بالمسألة . فقد أرسلت ضابطاً بريطانيا، هو المستر براملى على رأس قوه مصرية صغيرة الى الحدود المصرية قرب العقبة لتحرى صحة الامر ، وعينته مفتشاً على سيناء ولكن السلطان اعتبرو وجود هذه القوه فى هذه المنطقة إعتداء من مصر على الأراضى التابعة له ، وطلب سحب هذه القوه ، وهنا إقترح اللورد كرومر فى ١٥ يناير ١٩٠٦ تعيين الحدود لحسم الخلاف ولكن الحكومة العثمانية أظهرت دهشتها لهذا الاقتراح على أساس أن مصر ولاية عثمانية . وفى نفس الوقت أصدرت تعليماتها الى رشدى باشا ، قائد القوات التركية فى العقبة ، للتقدم واحتلال " طابا " وهى قرية صغيرة على الساحل الغربى للخليج على بعد ثمانية اميال براً من قلعة .

وكانت نتيجة رفض السلطان تعيين الحدود أن قررت السلطات البريطانيه بدورها إرسال قوه مصرية صغيرة بقيادة ضابط مصرى هو سعد بك رفعت ، لمقابلة المستر براملى على الحدود قرب العقبة ولاحتلال " طابا " وقد أقلعت هذه القوة المصرية على السفينة " نور البحر " وعندما وصلت وجدتها فى قبضة الاتراك فتم اجتماع على ظهر السفينة بين سعد بك رفعت وقبطان السفينة الانجليزى من جانب ، وبين قائد القوات التركية من جانب أخر ، أعلن فيه الجانب التركى ان لديه الاوامر الصريحة بمنع أى قوة من النزول فى طابا - ونظراً لعدم توفر القـــوه الكافية للضباط المصرى للنزول الى البر ، فقد إنسحب ومعه براملى الى جزيرة فرعون الواقعة على بعد أميال قليلة من طابا ، حيث وصلتها التعليمات بأنه فى حالة هجوم تركى فإن عليهما المبادرة باحتلال (أباربيور) الواقعة على رأس خليج العقبة ونقب العقبة وطابا التى سبقها إليها الاتراك (١) وعلى هذا النحو قفزت المسألة الى مستوى أزمة حادة خصوصاً بعد أن أصرت انجلترا على أن تسحب تركيا قواتها من طابا وأصبح الموقف يهدد بمواجهة عسكرية بين القوات المصرية والقوات التركية . ولما كان الجيش المصـــرى يـدين قانوناً بالو لاء للسلطان

---

(١) يونان لبيب رزق : أزمة العقبة المعرفة بإسم ، طابا عام ١٩٠٦ ، المجلة التاريخية المصريـــة ، عـــدد ١٣، عـــام ١٩٦٧ . ص ص ٢٥٥ - ٢٥٦

العثمانى صاحب السيادة الشرعية على مصر ، ولكنه من الناحية الفعلية كان واقعاً تحت سيطره ، الإحتلال ، وفى الوقت نفسه كانت الدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية هى التى تهدد بسلب مصرقطعة هامة من أراضيها ، بينما كانت انجلترا ، الدولة المحتلة ، تدافع عن الحقوق التاريخية لمصر فى سيناء ، فان هذا يصور الموقف الفريد الذى كان الجيش المصرى يجد نفسه فيه من هذه الأزمة .

فى ذلك الحين كان الرأى العام المصرى يقف من الأزمة قلباً وقالباً الى جانب الدولة العثمانية ، بينما كان يظهر عدائه الصريح والعنيف لدولة الاحتلال ويرجع السبب فى ذلك الى ان استراتيجية القوى الوطنية فى ذلك الحسين كانت تقوم على احراج مركز الاحتلال فى مصر عن طريق التمسك بالسيادة التركية والدعوة للجامعة الاسلامية .

وكان من الطبيعى ، فى هذا المناخ من التأييد فى الجبهة الداخلية للدولة العثمانية أن يقف الضباط والجنود المصريون موقفاً خاصاً . فتذكر اللواء أن هؤلاء الضباط والجنود قد وقفواموقف الفتور عندما كلفوا بالمحافظة على الحدود المصرية أثناء الأزمة ، وذلك بحكم الميل والاقدام لجنود الدولة العثمانية .

كما استغل القائد التركى لقوات البعثة هذا الولاء للسلطان لتحديد موقف القوة المصرية ، ففى رسالة بعث بها الى سعد بك رفعت قال إننا إخوان نخدم نفس السلطان ، وحيث لن المقام العالى قد أتم شرح الأمر بالتفصيل لسمو خديوى مصر ، فليس هناك خلاف بيننا ثم ناشده العود ه إلى السويس وتسوية المسألة بين الأخوة وقد أرسل القائد التركى فى أعقاب ذلك برقية الى حكومته أخبرهما فيها أن تفاهما قد أمكن التوصل إليه بعد مقابلته مع قائد القوات المصرية . على أننا لا نلبث أن نرى القائد التركى يعود فيسوق التهديدات للقوة المصرية فى جزيرة فرعون ثم يخبر سعد رفعت وبراملى بأنه لن يستطيع الإستمرار فيالاتصال بهما فى المستقبل لعدم إعترافه بمركزهما الذى إحتلاه فى الأراضى التركيه .

ولا يلبث أن يحتل مركزين آخرين فى الأراضى المصرية هما : نقب العقبة والقطار .

فهل يفهم من ذلك أن ولاء الضباط والجنود المصريين للخليفة عبد الحميد خان قد تغلب عليه الاعتبارات الأخرى ؟ أننا نلاحظ أن السلطات البريطانية قد أرسلت بعد ذلك تعزيزات من

القوات المصرية الى منطقة النزاع فى حين هدد القائد التركى القوة المصرية فى جزيرة فرعون ، أمدت هذه القوه بجنود جديدة ، إنزلت على برها مدفعاً ، وقامت بتحصينها تحت إرشاد الضباط الانجليز.

وفى ٨ مايو ١٩٠٦ أرسلت الى سيناء نصف البطارية المصرية الخامسة على أنه بعد ان تطورت الازمة لتهدد بصدام بين انجلترا وتركيا ، وبعد أن اشتدت حملة الصحف الاسلامية على الأحتلال ، حتى أصبح من الممكن الان أن يتحول أى حادث صغير الى ثورة دينية عارمة ٠ على حد قول كرومر ، فان السؤال الذى طرح فى ذلك الحين هو : هل يحارب الجيش المصرى فى صف القوات البريطانية ضد جيوش الخليفة العثمانى ، أم يعلن العصيان وهل يعاقب هؤلاء الجنود على عصيانهم ؟ وهل يلامون على تمردهم ؟

على أن السلطات البريطانية كانت فى ذلك الحين نجيب عملياً عن هذا السؤال ٠ فمع ورود الأنباء عن احتمال تحرك الأتراك نحو قناة السويس ، قررت الحكومة البريطانية الاستعانة بقوات هندية للدفاع عن القناه ومصر فى حالة الهجوم عليها وذلك بالاضافة الى قواتهـــا البحرية ، وفيما يتصل بالجبهة الداخلية فان شك السلطات البريطانية فى ولاء الضباط والجنود المصريين قد دفعها الى طلب زيادة الحامية البريطانية بمصر لاخماد الاضطرابات الداخلية المحتملة والمتوقع حدوثها عند وقوع صدام بين انجلترغا وتركيا ، وقد حتم العقل تدعيم هذه الحامية٠

وقد اخذت الصحـــف الانجليزية بعـــد ذلك تشكك فـــى ولاء ضباط وجنود الجيش المصـــرى فقد اعتبر ضباط الجيش من بين العناصر المحركة لروح الثورة فى البلاد ٠ وقد كتب مراسل جريدة الاكسبريسً الانجليزية فى مصر يوم ١٠ يوليو ١٩٠٦ يصف الضباط الوطنيين الشبانً بأنهمً موجب لخطر عظيم بسبب ثورة الضباط الذين هم أكبر منهم سناً أو المتقاعدين ثم دعا الى تقليل عدد الضباط الوطنيينً بحجة أن الضابط الوطنى ، وحضوصاً من كان شاباً ، هو عامل خطر فى حالة القلق الحاضر ، اذ ليس له ناد ياوى اليه ، فهو يميل بإرتياح الى الاختلاط بالطبقة الوسطى من الأهالى أى العناصر الثائره من الشعب المصرى وقتذاك هذا وقد سأل مراسل احدى الصحف النمسوية السير روولف سلاطين باشا مفتش عام السودان ٠ عن مدى إخلاص ضباط وجنود الجيش المصرى فى ذلك الحين ، فأجاب بأنه

لا شبه فى إخلاصهم ولكنه فى الوقت نفسه أكد ضرورة تعزيز الحماية الإنجليزية على كل حال ، فقد أسفرت الازمة عن زيادة الحامية الانجليزية فى مصر وكان فى مناخها المتأجج بالعداء للأحتلال من جانب الشعب المصرى ، والمشحون بالريبة والشك وعدم الثقة من جانب سلطات الاحتلال ، أن وقعت حادثة دانشواى فى ١٣ يونية ١٩٠٦ أى بعد شهر واحد من انتهاء الازمة .

٢ - **الجيش المصرى والحرب :**

كانت الازمة الثانية هى الحرب الايطالية الطرابلسية ، أو الحرب الايطالية العثمانية ، كما كان يطلق عليها فى ذلك الحين (١٩١١ - ١٩١٤) رتختلف عن أزمة العقبة فى أنه بينما كان على الجيش المصرى فى تلك الأزمة أن يواجه جيش الخليفة العثمانى فانه فى الحرب الطرابلسية كان عليه ان يحارب فى صفوف هذا الجيش . وإن اتفقت الأزمتان فى شيء واحد ، هو أنهما أكدتا ولاء الشعب المصرى التام لدولة الخلافه وعدائه للاحتلال .

وقد بدأت الحرب الطرابلسية بعد أن قدمت ايطاليا يوم ٢٧ سبتمبر إنذاراً تهائياً للدولة العثمانية ابلغتها فيه انها قررت التدخل عسكرياً فى طرابلس الغرب وبرقه (ليبيا) نظراًلاستفحال حالة الفوضى التى تعرض لها الاجانب ، وفى ٣٠ سبتمبر بدأت ايطاليا فى الاستيلاء على الساحل الليبى .

وكان من الطبيعى أن يثير هذا الغزو عواطف الشعب المصرى من جانبين : جانب الولاء للدولة العليا وجانب الأخوه للشعب الليبى ، على أن أهم ما أثارته هذه الحرب فيما يتعلق بالجيش مسألتان الاولى مرور الجيش العثمانى عبر الأراضى المصرية الى ليبيا ، نظراً الحصار الذى فرضه الأسطول الايطالى على الساحل الليبى والثانية استخدام الجيش المصرى الى جانب الجيش العثمانى فى الحرب ضد الايطاليين ، طبقاً للفرمانات العثمانية التى تتضمن حق الدولة العثمانية فى إستخدام الجنود المصريين عند نشوب الحرب فى اية جهة تريدها .فلقد أجمعت القوى الوطنية الاسلامية فى مصر على أن تبادر الدولة العثمانية بإرسال جنودها الى مصر دون أن تلجأ الى استئذان وزارة الخارجية البريطانية أو حتى احاطتها علماً بذلك .

وإستندت فى هذه الدعوة على أن بريطانيا لن تستطيع إرغام الحكومة المصرية على الوقوف فى وجه الجيوش العثمانية عند مرورها فى مصر ، تفاديا لغضب الأمة المصرية وإستدلت على نجاح هذه الطريقة بما أبداه اجنود والضباط المصريون من الفتور فى حادثة طابا .

وبالنسبة لإشتراك الجيش المصرى فى الحرب ضد الإيطاليين إلى جانب القوات العثمانية ، فقد طالبت الأصوات الوطنية بأن تصدر الدولة العثمانية أوامرها إلى الحكومة المصرية بتزويد الجيوش العثمانية بما تحتاج إليه طبقاً لحدود الدولة على أن بريطانيا لم تلبث أن سارعت بإعلان حياد الحرب (١) .

وقد آثار فرض إنجلترا الحياد على مصر إستياء الرأى العام المصرى الذى أعتبر مصر فى حالة حرب فعلية ، وليست فى حالة حياد سواء من الجيش العثمانى من مصر أو لم يمر منها ، وأن مصر فى حالة حرب طبقاً للقواعد والقوانين الدولية لأنها خاضعة قانونا للدولة العثمانية وأخذت الصحف الوطنية تسوق الأسانيد القانونية على أنه يتحتم على الحكومة المصرية عند إعلان الحرب أن تتخذ كل الوسائل القانونية لذلك ولكن الدولة العثمانية إمتنعت عن إرسال قواتها إلى مصر حتى لا تنتهز بريطانيا الفرصة لإعلان حمايتها على مصر رسميا ، ولذلك لم تطالب مصر بتنفيذ الإلزامات المفروضة عليها (٢) .

ومع ذلك فقد أصر الوطنيون فى مصر على مساندة الدولة العثمانية والوقوف إلى جانب الشعب الليبى بل إن وفدا من كبار المصريين ذهب إلى اللورد كتشنر طالبا منه إرسال بعض أورطة الجيش المصرى لمساعدة الأتراك كما تكررت موافقة مشابهة حين ذهبت جماعة من الضباط المصريين إلى كتشنر أيضاً وطلبوا منه السماح لهم بالتطوع فى الجيش العثمانى فوافق بشرط أن يحل محلهم آخرون .

على ذلك لم يمنع أعداد كبيرة من المصريين من التطوع فى صفوف الليبيين . وفى الوقت نفسه أخذت المؤن والذخائر والأسلحة تتدفق من الصحراء الغربية إلى برقة وطرابلس – مما أدى إلى قيام إنجلترا بالعمل على قطع سبل الإتصال بين مصر وليبيا وممن تطوع من مصر – عزيز المصرى الذى سافر متنكرا إلى طرابلس الغرب وعلى كل حال ، فقد كان هذا الموقف من مواقف الولاء للدولة العثمانية من جانب الشعب المصرى وضباط الجيش المصرى آخر المواقف التى إرتفع عنها ستار الحرب العالمية الأولى .

(١) عبد العظيم رمضان (د .) : مرجع سابق ، ص ص ٨٧ – ٩٢ .
(٢) د . جمال زكريا : موقف مصر من الحرب الطابلسية ١٩١١ – ١٩١٤ ، المجلة التاريخية مجلد ١٣ سنة ، ص ٣١٦ .

المبحث الثانى

الجيش المصرى فى عهد الاحتلال البريطانى حتى عام ١٩١٤

اولاً : الجيش المصرى فى عهد الاحتلال البريطانى لمصر :

عمدت السلطات البريطانية بعد الاحتلال الى تمزيق الجيش المصرى وعلى ايه حال فإن الخديوى توفيق أصدر مرسوما فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ بتسريح الجيش ، وحوكم القادة العرابيون بتهمة عصيان الخديوى وحكم على عرابى وسته من رفاقه بالاعدام ، مع صدور الامر الخديو ى بابدال الاعدام بالنفى المؤبد . كما اصدر الخديوى أمراً آخر فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ بمصادرة ممتلكات الزعماء السبعه وتجريدهم من جميع الرتب والالقاب وعلامات الشرف التى كانوا حائزين عليها . (١)

وفى ١٦ يناير ١٨٨٣ أصدر الخديوى أمراً عاليا بتعيين " الفريق السير ايفين وود" سرداراً للجيش المصرى ورئيسا لأركان حربه مع منحه رتبة الفريق (٢) ولكن هذا الجيش المصرى الجديد الذى شرعت بريطانيا فى تكوينه لم يكن سوى قوة بوليسية للمشاركة فى الحفاظ على الأمن عند حدوث أى اضطراب فى مصر ومنذ عام ١٨٨٦ وضع نظام البدل النقدى للأعفاء من التجنيد وادى هذا النظام الي امتهان الجيش وأعتبار التجنيد تكليفا تختص به الطبقات الفقيرة التى لا يستطيع الفرد منها أن يفتدى نفسه بدفع بدل العسكرى . وهذا النظام خرج بالجندية فى عهد الأحتلال ممن معناها السامى فى أنها فرض واجب على كل مواطن للدفاع عن بلاده الى إعتبارها عبئا يقع على كاهل الفقراء .

على أن بريطانيا فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، سمحت ببعض التدعيم للجيش المصرى سواء من ناحية زيادة عدد الأفراد أو التسليح . . وكان هذا الموقف نابعا اساسا من المخطط الهادف الى إقتحام الجيش المصرى فى عملية إستعادة السودان فى تلك الأثناء حدث بعض التطورات التى أرغمت الحكومة البريطانية على الاسراع فى عملياتها ، والتقدم الى

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، الزعيم الثائر احمد عرابى ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٢ ، ص ص ٢٠١ - ٢٠٢

(٢) الوقائع المصرية ، عدد ١٤٥٢ فى ١٧ يناير ١٨٨٣ .

الخرطوم قبل ان يتم استعدادها لهذا الغزو [١] وليس من شك فى ان اولى هذه العوامل انما يرجع الى أن بريطانيا بعد أن كانت تنظر الى إحتلالها لمصر علي أنه اجراء مؤقت لم تجد غضاضه من التلميح بعد ذلك بأنه امر قد يطول به الزمن [٢]

ولما كان السودان هو مفتاح مصر من الجنوب ، فلا بد من الاطمئنان على الحدود الجنوبية لمصر [٣] اذ أن اى دولة قوية معارضة لانجلترا تستطيع السيطرة على السودان يمكنها تهديد سلامة مصر وأمنها بسيطرتها على مياه النيل وكان الرأى العام البريطانى شديد الرغبة فى وجوب التقدم الى أعالى النيل على أساس أن استعادة السودان تعد انتقاما للطريقة التى قتل بها جوردون [٤] الذى كانت الحكومة المصرية قد كلفته باجلاء قواتها من الخرطوم أثناء ثورة المهدى ، ولم يكن فى وسع أحد أن يغفل أن مصر قد اضطرت فى عهد الاحتلال البريطانى لها الى أن تفقد املاكها [٥] وحتى أن للورد سالسبورى صرح فى شهر يونيو ١٨٩٨ فى مجلس اللوردات بأننا لن نكون قد اعدنا الى مصر مكانتها التى تسلمناها بها ، ولن نكون قد وضعناها فى المركز الأمن الذى تستحق أن تكون فيه حتى يرفرف العلم المصرى على الخرطوم [٦] .

ومن الواضح أن سالسبورى لم يكن يبغى سوى مد النفوذ البريطانى من مصر إلى السودان اذ لا يعقل ان تتمتع مصربالسيطرة على السودان وهى لا تتمتع بالسيطرة على أرضيها نفسها وقد انتهزت بريطانيا فرصة إلحاح الايطاليين عليها فى وجوب مساعدتهم بعد هزيمتهم على يد الاحباش فى "عدوه" سنه ١٨٩٦ [٧] لان هذه الهزيمة أدت الى تهديد السودانيين للمستعمرة الايطالية فى إرتريا كما أنها كانت مهددة أيضا للهجوم عليها من إمبراطور اثيوبيا المنتصر بقواته الضخمة ولذا أصبح موقف الايطاليين فى كسلا فى شرق السودان موقفا انتحاريا .[٨]

---

(١) PHILIP,Magnns / Kitehener /portrait af an . Imperialist , P .5I

(٢) د. محمد فؤد شكرى ، مرجع سابق ، ص ٤٧٧ .

(٣) .Philip Magnms: OP.CIT, P.81 .

(٤) . Hold, The Mo Idist State, P,205 .

(٥) د. محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان ، ص ٤٨٥ .

(٦) Wiliam, Ianger: The Diplomacy of Imperia lism , p.537

(٧) H.Alford , TheEgyptian sudan / P.41

(٨) Philip Magnms / OP. Cit, P.90

وقد استندت بريطانيا الى هذا الالحاح الايطالى وقررت إسترجاع السودان فى ١٢ مارس ١٨٩٦ دون أن تستشير معتمدها فى مصر اللورد كرومر أو الخديوى عباس حلمى الثانى .[١] اما كرومر فقد فوجئ بهذا القرار ، وطلب من سالسبورى ان يجعل كتشنر قائدا للحملة ، وكرومر نفسه هو الذى كان قد رشح كتشنر لسردارية الجيش المصرى منذ ١٨٩٢ خلفا للسير جرانفل وكان من المعروف أن تكوين الجيش مصرى بقيادات بريطانية سوف يكون كافيا لهزيمة الدراويش [٢] وهكذا أوكلت القيادة العامه للعمليات الحربية لكتشنر ، وكانت لكرومر بعض السلطة الأسمية ، اما حكومة الخديوى فكانت الشريك النائم فى هذه العملية على أيه حال فقد تم استرداد السودان على أيدى الحملة المصرية ذات القيادات البريطانية وهكذا انتهت الظروف التى اوجبت تدعيم الجيش المصرى ، وفى الوقت نفسه تنتعش الحركة الوطنية فى مصر ويشتد العداء للأحتلال بين أفراد الشعب ، وكان من الطبيعى ان تخشى السلطات البريطانية إنتقال الروح الوطنية الى الجيش ، وكان هذا من أسباب ابقاء الجيش المصرى بأسره تقريبا فى السودان بعد إسترداده لان هذا الجيش كان قد استرد ثقته بنفسه واصبح قوة مقاتلة لها شأنها ووصل عدده نحو ٢٥,٠٠٠ مقاتل ، وإن كانت السلطات البريطانية عمدت الى وضع إجراءات وقائية خوفا من هذا الجيش ، كسحب بعض قطع الاسلحة المتطورة منه وإنقاص عدد من الوحدات المصرية فى الجيش وزيادة الوحدات السودانية وتشتيت الجيش فى انحاء السودان ، بينما كانت الحامية البريطانية متمركزة فى الخرطوم ، وكذلك إستخدام الجيش المصرى فى تعمير السودان وإبعاده عن الأعمال العسكرية البحته [٣]

سيطرةالانجليز على الجيش المصرى ومنع الخديوى من التدخل فى شؤونه .

بادر الانجليز الى إلغاء الجيش الوطنى منذ الساعات الاولى للإحتلال ، واستعاضوا عنه بجيش هزيل وضع تحت اشراف ضباط إنجليز ليكون أداة مسخرة فى أيدى الاحتلال ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حرص الانجليز على ان يعرقلوا أى سبيل للنهوض بالجيش من جديد ، فعمدوا الى إلغاء المدارس الحربية العليا ، كما أغلقت المصانع الحربية وبيعت سفن الاسطول المصرى

(١) د. محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ص ٥٠١

(٢) H. A. L. Fisher, History of Ewope,1072

(٣) د . عبد العظيم رمضان (د.) : مرجع سابق ، ص ص ٧٢ - ٧٣ ، ٧٧ - ٧٨ .

فعندما زار الخديوى الشاب عباس الثانى وحدات الجيش المصرى بصحبه ماهر باشا وكيل نظارة الجهادية ، أبدى الخديوى بعض الملاحظات ، ولعل وكيل النظارة لقنها له واذ بالقيامة الانجليزية تقوم ، فقدم كتشنر استقالته محتجا على تصريحات الخديوى ، وبعث اللورد كرومر الى كتشنر برقية قال فيها : " أوافق تمام على ما فعلت ، ويجوز اذا رأيتك انت موافقا ان تبلغ الخديوى بانى علمت بمزيد الأسف بالكيفية التى تكلم بها عن الجيش المصرى ، الذى لا شك فى كفاءته وفى حسن نظامه ، وقد أبلغت الحادث الى وزارة الخارجية وقد رد وزير الخارجية البريطانى على كرومر بالبرقية التالية (١) " تلقيت برقيتك التى تبلغنى فيها العبارات المحقرة المهيمنة التى وجهها الخديوى الى السردار كتشنر - والضباط البريطانيون فى موقع وادى حلفا بشأن حالة الجيش المصرى ، فعليك أن تخبر الخديوى ، انى اعتبر هذا العمل امر خطيرا ، ويظهر انه اصبح من عاده سموه أن يهين الضباط البريطانيين ، وهذا أمر لا تستطيع حكومة جلالة الملكة أن تسمح به وإنى أرى نقل ماهر باشا (وكيل الجهادية) الذى هو مستشار سوء وعقبة فى سبيل التعاون والاتحاد على العمل ، ثم اصدار امر عسكرى يثنى به الخديوى على الضباط البريطانيين والجيش ، وهى الترضية الوحيدة التى يستطيع الخديوى تقديمها ، وفى حالة رفضه اعطاء الترضية العادلة ، ينظر فى استعمال الشدة التى يكون ورائها وضع الجيش المصرى رأسا تحت سلطة الحكومة البريطانية الفعلية . وبذلك توجد ضمانات كافية لحماية الضباط البريطانيين من المعاملة السيئة ، ثم فى الوقت نفسه سأنشر حوادث الاهانات العديدة التى وقعت منه حتى يدرك الشعب البريطانى هنا الحالة كما هى "

وغنى عن البيان أن الخديوى أذعن لما طلب منه ، ونقل ماهر باشا محافظا لبور سعيد واستقال رئيس النظارة رياض باشا وتولى مكانه نوبار باشا هذا وقد دفع عباس الثانى ثمنا غاليا بما فقده من السمعه والهيبة والنفوذ حتى إكتسب الاختبار الذى اكتسبة فى ثلاث سنوات تالية لجلوسة على العرش ، فتعلم انه لا فائدة من مقاومة السياسة البريطانية فى مصر جهارا .

---

(١) محمد صبيح : مرجع سابق . ص ١٩٩ .

وهبط عدد الجيش الى اقل من عشرة الاف جندى [١]

وكان الضباط المصريون لا يضمنون البقاء فى مناصب الجيش الا اذا أبدوا ولاءهم للاحتلال ، أما إذا بدت منهم روح وطنية ، كان جزائهم الإحالة الى الاستيداع ، وبذلك اضعف الاحتلال روح الجيش الوطنية .

ومنذ عام ١٨٨٦ ، وضع نظام البدل النقدى للأعفاء من التجنيد ، وأدى هذا النظام الى إمتهان الجيش وإعتبار التجنيد تكليفا تختص به الطبقات الفقيرة التى لا يستطيع الفرد منها ان يفتدى نفسه بدفع البدل العسكرى وهذا النظام خرج بالجندية فى عهد الاحتلال من معناه السامى فى أنها فرض واجب على كل مواطن للدفاع عن بلاده ، الى إعتبارها عبئا يقع على كاهل الفقراء ، وبذلك حرمت البلاد طيله عهد الاحتلال من روح الجندية الأصيلة المبنيه على الشجاعة والتضحية ، كما حرم الجيش من الفئه المثقفة التى تستطيع أن تنهض بالجيش .

ازمة الجيش المصرى عام ١٨٩٤ :

فى عام ١٨٩٤ ، جاءت قارعة هامه من قبل الاحتلال البريطانى تمس القوة المصرية التى سمح الانجليز بوجودها باسم الجيش المصرى وجعلوا مركزها فى اسوان وجعلت لتصدى الزحف المهدى وعينوا سردارالها (قائد) هو كتشنر الذى أشرف على هذه الحملة . هذا وقد عرف هذا الحادث باسم ازمة الجيش المصرى عام ١٨٩٤ [٢] .

---

(١) د . جاد طه : مرجع سابق ، ص ٢١١ .

(٢) قال كرومر وهو يرى احداث هذه الازمة التى وقعت فى يناير ١٨٩٤ : صرف الضباط البريطانيون عشرة سنوات يبذلون كل قواهم فى افهام الجندى المصرى ، ان اقدس واجباته الطاعة والاجلال للخديوى ، ولا شئ من الغرابة فى عملهم لان وجودهم (اى الانجليز) فى مصر هو نتيجة انتقاض الجيش المصرى على الخديوى السابق (توفيق) اما الان فقد انعكس الامر ، وقام الخديوى الشاب (عباس الثانى) يحرض الجنود على عدم الطاعه والولاء لضباطهم وبذلك ضرب بفأسة على جذور النظام العسكرى .. اما الذى حدث ، حتى هاج الاستعمار وماج .. هو ابداء الخديوى بعض الملاحظات على تدريب الجنود الذين كان يقودهم الانجليز . . وماذا صنع كرومر . قال : " شعرت ان الخديوى قد استحق العقاب ، وان من مصلحة اوروبا ومصلحة مصر نفسها ان يعاقب عقابا صارما . على انى لم اشعر بذلك فقط ، بل شعرت انه بعمله هذا قد وضع نفسه فى موقف لا يصعب معه كثيرا توقيع العقاب علية " .

ثانيا :اعادة تنظيم الجيش المصـرى :

ذكرنا ان الخديوى توفيق اصدر مرسوما فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ بتسريح الجيش وحوكم القادة العربيون بتهمة العصيان للخديوى كما اصدر الخديوى امر اخر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢ بمصادرة ممتلكات الزعماء السبعه وتجريدهم من جميع الرتب والالقاب وعلامات الشرف التى كانوا حائزين عليها .

وفى بداية عام ١٨٨٣ شرعت بريطانيا فى اعادة تنظيم الجيش المصرى وبناء جيش جديد بهدف حماية الامن الداخلى ، وفى اواخر القرن التاسع عشر بدأت بريطانيا فى اعادة بناء الجيش المصرى من حيث التنظيم والتسليح ، وحتى يمكنة المشاركة فى عملية القضاء على الثورة المهدية بالسودان ودعم ومد النفوذ البريطانى من مصر الى السودان . (١)

وكانت وحدات الجيش المصرى فى مصر والسودان كالاتى : (فى نهاية القرن ١٩)

١ – الوحـدات المصرية فى السودان :

أ – المشاة : ٦ كتائب من المشاة قوة كل منها ٢٣ ضابط و٦١٢ رتب اخرى وهـــذه الكتائب غير مدعمه بمدافع الية

ب – الخيالة : اورطة خيالة قوتها ٦ ضباط و١٤٨ من رتب اخرى مسلحة بالبنادق والسيوف .

ج – المدفعية : ٢ بطارية مدفعية قوة كل منها ٥ ضباط و١٥٤ رتب اخرى وكل بطارية مسلحة بعدد ٤ مدفع جبلى عبارة ٢.٩٥ "

د – سرية حراسة قوتها ٥ ضابط و١٠٣ رتب اخرى .

هـ – كتيبة سكه حديدية وقوتها ٢٤ ضابط و ٨٠٨ رتب اخرى .

و – القـــوات المعاونـــه :

(١) الامداد وقوتها ٦ ضابط و ١٦٠ رتب اخرى

(٢) الاشغال العسكرية وقوتها ١٦ ضابط و ٣٨٨ رتب اخرى

(٣) القسم الطبى وقوته ٣٣ ضابط و ١٢٤ رتب اخرى

ز – قوة من حرس الحدود (بالجمال) من مصريين وسودانيين .

---

(١) جاد طه (د .) : بريطانيا والجيش المصرى ، الجزء الاول ، مكتبة سعيد رافت ، ١٩٨٤ ، ص ١٣ .

٢- الوحدات المصرية فى مصر :

أ - كتيبة مشاة فى القاهرة قوتها ٢٣ ضابط و٦١٢ رتب مختلفة وهى غير مدعمة بمدافع آلية .

ب - بطارية مدفعية قوتها ٥ ضباط ، ١٣٨ من رتب مختلفة قوات معاونـــة :

ج - (١) قسم أشغال عسكرية ٦ ضابط و ٤٠ رتب أخرى (غير مسلحين)

(٢) ادارة صــيانة .

(٣) قسم طـــبى .

(٤) قسم بيطـــرى .

(٥) ادارة تجنيد وقواتها ٤٤ ضابط و٥٨ من رتب أخرى .

د - قوة من حرس الحدود :

وبطبيعه الحال فإن السلطات البريطانية قامت باجراءات وقائية خوفا من قوة هذا الجيش فعمدت الى الاجراءات التالية : -

سحب بعض القطع المتطورة منه (الأسلحة) .

وانقاص عدد الوحدات المصرية وزيادة حجم الوحدات السودانية فى المقابل .

وتشتيت الجيش فى انحاء السودان ، حتى لا يكون هناك تجمع كبير من حجم القوات المصرية فى مكان واحد .

وابعاد الجيش عن الاعمال البحته وتكليف بأعمال فى المجال المدنى (١) .

وتقليل عملية التمويل المادى خاصة الرواتب الى اقل اجر ممكن وتجميد عمليات الترقية بين الضباط المصريين . وأن يتولى قيادات هذا الجيش ضباط من الانجليز ، خاصة القيادات الكبيرة وبالتالى يتولى الضباط المصريين قيادات السرايا والفصائل .

٣ - مســتوى التدريب :

أ -المرحلة قبل حملة السودان :

أعطت القيادات البريطانية أهتماما كبيرا بمستوي تدريب الضباط والجنود في المراكـز المختلفة ، وبدأت تبرز كوادر مختلفة وتم التدريب في مجال .

(١) د عبد العظيم رمضان : مرجع سابق ، ص ٧٢ – ٧٣ .

(١) التكتيكات الصغري .

(٢) الرماية بالأسلحة الصغيرة .

(٣) التدريب علي السير لمسافات طويلة وتحت ظروف الحر شديد .

(٤) التدريب الاداري علي الإمداد والإخلاء والعلاج الطبي .

(٥) التدريب علي مد خطوط السكك الحديدية ، وقد اثبتت كفاءة عالية في هذا المجال .

ب – المرحلة بعد القضاء علي الثورة في السودان :

بعد القضاء علي الثورة في السودان وتوقيع الاتفاق الثنائي بين مصر وبريطانيا في حكم السودان قل الاهتمام بالجيش المصري ومستوي تدريبة ، بل وفي النواحي الادارية وفي ذلك الاسباب التاليه .

(١) إنتشار وحدات الجيش المصري في أقاليم السودان ، وبالتالي كان يتم العمل بالسرايا والفصائل .

(٢) إتخاذ اوضاع دفاعية لتأمين أماكن تمركزها وبالتالي قل الاهتمام بمستوي التدريب .

(٣) سحب بعض الاسلحة الهامة ذات التأثير النيرانى ، وبالتالي الكفاءة القتالية للقــوات .

(٤) قلة الأهتمـــام بالنواحى الإدارية ، وكان ذلك من أحـــد الاسباب التى أدت الى تمرد بعض الضباط والجنود فى أم درمان .

٤ – فيما يختص بالتمويل :

تم اعتماد نصف مليون من الجنيهات للحملة المصرية بالسودان ، ومن ناحية أخرى فقد تحملت الميزانية المصرية جميع مصروفات القوات المصرية بالسودان وكذلك الوحدات السودانية ، وبذلك اثقلت الميزانية بمصاريف عدة فى هذه الظروف الصعبة التى كان يمر بها اقتصاد البلاد وهى على أبواب الحرب العظمى

ماهى الأسباب التى جعلت الحكومة المصرية تتجه الى تطوير الجيش المصرى ؟ .

بالرغم ما تحملته الميزانية المصرية من تكاليف لإعادة تنظيم هذا الجيش ، فقد كان ذلك للأسباب التالية :

١ - استرجاع السودان ، وأهميته بالنسبة لمصر والشعب المصرى ، وشــريان الحيــاة لمصر وهو نهر النيل .

٢ - زيادة قوة مصر العسكرية ، حتى تعطى القيادة السياسية المصرية القدرة على مواجهة الاحتلال البريطانى.

٣ - استخدام الجيش المصرى كسلاح سياسى .

٤ - الرغبة الواضحة لدى الوطنيين المصريين لخلق جيش قوى بدرجة كافية حتى يمكن استخدامه فى تحقيق أغراض سياسية ، وفى نفس الوقت تحقيق هدف أمنى داخلى وخارجى « لحدود مصر » .

تأمين حكم الخديوى ، حيث كان الولاء أولا وأخيرا للخديوى (١) .

ورغم عمل الانجليز على تطوير الجيش المصرى ، الا أن الخوف من تطور قوة الجيش المصــرى ، كان يلازمهم باستمرار ، فالخوف إذن كان يحكم العلاقات المصرية البريطانية .

بل أن الصحف الانجليزية اشارات الى « اته يجب أن تدعم قوات الاحتلال البريطانى بجندى انجليزى جديد ، كلما زاد حجم الجيش المصرى بجندى جديد ... » (٢) .

والمهم هنا أن السياسيين المصريين أنفسهم ، كانوا يحسون بضعف مراكزهم لأن بلادهم لا تسيطر على جيش قوى ، والعجب أن يقال ذلك فيما بعد على لسان سعد زغلول عندما أشار بذلك فى حديثه الى النواب ، انهم لايملكون تجريده « أى لا يملكون جيش . اذا فالحكومة المصرية واقعيا ، كانت بغير جيش ، ولذا أصبح على القوة المستعمرة أن تفعل ماتشاء ، بلا حدود .

---

(١) كان ذلك أحد الدروس التى استفاد منها الخديوى عقب الثورة العراقية .

(٢) محمد صبيح ، المرجع المشار اليه ، ص ٢٤٣ .

المبحث الثالث

الجيش المصرى ومقدمات الحرب العالمية الاولى

عندما قامت الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٤ ، ظلت الأحوال فى مصر هادئة باعتبارها بعيدة عن مسرح هذه الحرب ، الا أنه فى ٥ أغسطس سنة ١٩١٤ ، أصدرت الحكومة المصرية قرارا تحت الضغط البريطانى - بمنع التعامل فى الأمور المالية والاقتصادية مع الدول المعادية للحكومة البريطانية وحث القرار المصريين على تقديم كل عـــون ممكن لبريطانيا فى هـــذه الحرب [١] وفى ٢ نوفمبر أعلن السيد جون مكسويل قائد القوات البريطانية فى مصر الاحكام العرفية [٢] كما أعلنت بريطانيا الحماية على مصر فى١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، وهكذا أصبحت مصر قاعدة للعمليات الحربية فى البحر المتوسط وخضعت لاضرار لاناقة لها فيها ولا حمل والخطوة الثانية كانت من جانب بريطانيا هى تجنيد الشباب المصرى [٣] ، للعمل فى الخنادق وراء جيوش اللنبى فى فلسطين التى كانت تحارب القوات التركية فى هذا الميدان ، ولا شك أن المظالم قد حلت بجميع الأسر المصرية الفقيرة فى ريف مصر ، من عنت السلطــة العسكرية ، وحاول بعض شباب مصر القيام بحركات اغتيال تعبر عن سخطهم ... وحدث هذا قبل الحرب وفى أثناءها وحدثت محاولة لاغتيال كتشنر المندوب البريطانى فى مصر ولكنها لم تفلح ، ومحاولة لاغتيال السلطان حسين الذى ولاه الانجليز حكم مصر ، ومحاولات أخرى كثيرة ...

ولم تكن هذه المؤمرات ، الا تنفيسا عن ألم مكبوت فى نفس الشعب عبر عنه بهذه الطريقة ، فكانت النفوس تغلى بغضب مكبوت . وبدأ يظهر فى الأفق ، كلمات عن الاسقلال والتى تعنى : « اعتماد الشعب على نفسه والاستعانة بقوته الذاتية فى الحصول على استقلاله » - اتحاد الجبهه الداخلية - الدستور الذى يولد منه مجلس نيابى حقيقى له سلطة على ادارة الحكم وانهاء حكم الفرد مصريا كان أو اجنبيا - تعميم الخدمات لجميع أفراد الشعب ولاسيما طبقة الفلاحين والعناية الكبرى بنشر التعليم .

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى (د.) : مصر والمسألة المصرية ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ،١٩٧٩، ص ص ١٠ - ٩١ .

(٣) محمد صبيح : مرجع سابق ص ٢٢٨ .

تطور الجيش المصرى حجما وتسليحا أبان الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ :

يمكن بتحليل تطور الجيش المصرى فى هذه الفترة أن نستخلص ، أنه كان هناك تطور ملموس فى زيادة فاعلية هذه الجيش :

١ - فى المشـــاه :

كانت هناك ٦ كتائب مشاه فى السودان منها ٤ كتائب أعيدت الى مصر أثناء الحرب العالمية الاولى وبذا أصبحت حجم كتائب المشاه فى مصر نحو ٦ كتائب .

٢ - فى الخيالـــة :

تم تشكيل أورطة خيالة جديدة ليصبح اجماليها ٢ أورطة خيالة (احداهـا فى مصر والاخرى فى السودان) .

٣ - فى المدفعيـــة :

٣ بطارية مدفعية (٣ منها بالسودان والرابعة فى مصر)

وبذا أصبح توزيع الجيش المصرى كالآتى :

وحدات مصرية بالسودان :

أ - ٢ كتيبة مشاه (بعد سحب أربع كتائب) قوة كل منها ٢٣ ضابط ٦١٢ رتب أخرى .

ب - ٣ بطارية مدفعية : قوة كل منها ٥ ضابط ، ١٥٤ رتب أخرى وكل بطارية مسلحة بأربعة مدافع جبلية ٢ر٩٥ .

ج - أورطة خيالة ، قوتها ٦ ضابط و ١٤٨ رتب أخرى ، ومسلحة بالسيوف والبنادق .

د - سرية حراسة مدفعية : قوتها ٥ ضباط ، ١٠٣ رتب أخرى وهى مسلحة بأربعة رشاشات .

هـ - كتيبة سكك حديدية فى عطبرة وقوتها ٢٤ ضابط ، ١٨٨ رتب أخرى .

و - وحدات معاونة .

(١) أشغال عسكرية ١٦ ضابط ، ٣٨٨ رتب أخرى .

(٢) الامداد و قوتها ٢٠ ضابط ، ١٦٠ رتب أخرى .

(٣) قســـم طـــبى ٣٢ ضابط ، ١٢٤ رتب أخرى .

٢ - الوحدات المصرية في مصر :

أ - ٧ كتائب مشاه منها ٤ كتائب انضمت اليها من السودان وموزعة كالآتى :

(١) ٢ - ٣ كتائب فى القاهرة قوة كل منها ٢٣ ضابط ، ٦١٢ من رتب مختلفة وغير مدعمة بمدافع آليه .

(٢) ٤ كتائب فى الاقاليم قوة كل منها ٢٣ ضابط ، ٦١٢ من رتب مختلفة وهذه الكتائب غير مدعمة بمدافع آليه .

ب - البطارية الرابعة مدفعية وقوتها ٥ ضابط و١٣٨ من رتب مختلفة ، وهى متمركزة فى القاهرة ، وتسليحها ٤ مدافع جبلية .

ومع بطارية المدفعية - السرية الثالثة حراسة بقوة ٣ ضابط و٦٤ رتب أخرى وتتمركز بالقاهرة أيضا .

ج - أورطة خيالة قوتها ٦ ضابط و١٤٨ رتب أخرى وهى متمركزة فى القاهرة ومسلحة بالبنادق والسيوف .

د - وحدات معاونة ونقل :

(١) قسم أشغال عسكرية : ضباط و ٤٠ رتب أخرى وأفراد غير مسلحين .

(٢) قسم طبى : ١٢ ضابط و ٩٩ رتب أخرى .

(٣) قسم بيطرى : ضابط و ٩ رتب أخرى .

(٤) ادارة تجنيد : ٤٤ ضابط و٥٨ رتب أخرى .

هـ - وحدات حدود :

(١) مركز تدريب حدود سرية جمال قوتها ٢ ضابط بريطانى ، ضابط مصرى ، ٣٦٥ سودانى ، ١٠٩ مصرى من الرتب الاخرى .

(٢) سريةحدود قوامها ٦ ضابط مصرى ، ٤٨ جندى مصرى ، ١٧ سودانى من الرتب الأخرى .

٣ - إجمالي وحدات الجيش المصري في مصر والسودان[١] :

		ضابط	صف ضابط
أ -	٨ كتائب مشاه	١٨٤	٤٨٩٦
ب -	٤ بطارية مدفعية	٢٠	٦١٦
ج -	٢ سرية حراسة	٨	١٦٩
د -	٢ أورطة خيالة	١٢	٢٩٦
هـ -	الحدود	٢٢	٥٠٧
و -	وحدات معاونة	١٤٥	١٠٢٩

٤ - تسليح الجيش المصري عام ١٩١٤ :

المدفعية : مدافع عيار ٢ر٩٥ بوصة

مدافع مكسيم ٤٥٠ر

المشاه : بنادق عيار ٣٠٣ ر مم

دعمت فيما بعد بأربع مدافع فيكرز آلي .

٥ - القيادة :

كان الجيش المصري في عام ١٩١٤ تحت القيادة البريطانية ، وكان السردار مقيما في السودان ، وكانت كل الرئاسات والقيادات وهيئات المصالح والأدارات بريطانية ، ومعظم الضباط العظام والقادة من الضباط الانجليز [٢] .

٦ - التجنيد :

مدة التجنيد الاجباري ٥ سنوات ، يصبح بعدها من قوات الاحتياط هذا وقت خفضت عام ١٩٢٦ لتكون ثلاث سنوات لأرضاء الفلاحين الذين تأتي منهم غالبية الجنود .

---

(١) لم يبدأ في تشكيل وحدات الحرس الملكي الا اعتبار من عام ١٩٢٢ المصدر .

(٢) جاد طه (د .) : مرجع سابق ص ص ١٢٥ .

٧ - التطوير الذى تم فى الجيش المصرى عام ١٩١٤ [1] :

أ - تم تشكيل كتيبتين مشاة جديدتين بالقاهرة لتصبح ثلاث كتائب بالاضافة الى أربعة كتائب انضمنت اليها من السودان مع بداية الحرب - وهذا يزيد قوة المشاة بنحو ٤٦ ضابط ١٢٠٠ من رتب أخرى .

ب - تشكيل أورطة فرسان جديدةبالقاهرة بالاستفادة من العائدين من السودان .

ج - تدعيم الجيش المصرى ببعض الاسلحة الاخرى التى زادت من فاعلية وحداته « مثال ذلك الفيكرز » .

٨ - الأسس التى وضعتها بريطانيا من أجل الاشراف والسيطرة على الجيش المصرى :

أ - عدم زيادة حجم الجيش المصرى بالشكل الذى يخل التوازن ويؤثر على فاعلية القوات البريطانية.

ب - تحقيق وفرض الأمن بالسودان - كذا فى مصر فيما بعد الحرب .

ج - المحافظة على سلطات ومكانة المفتش العام وتعيين مساعدا له بريطانى .

د - تأسيس قوة دفاع سودانية تمكن من سحب وحدات الجيش المصرى من السودان مستقبلا ، وهذا ماخططت له السياسة البريطانية فيما بعد .

هـ - الابقاء على القادة والضباط البريطانيين من الرتب العليا داخل الجيش المصرى .

و - الا يعمل ضابط بريطانى تحت امره ضابط مصرى الا كمستشار فقط اذا لزم الامر .

ز - الا يكون للحكومة المصرية سلطات على الجيش المصرى ، وبذلك تضمن عدم وقوفه ضدها مستقبلا .

ح - ان يستمر نظام التجنيد الاجبارى .

ط - الا يتحول الجيش المصرى مستقبلا الى جهاز سياسى.

تساؤل هام كان يدور فى تفكير القيادة البريطانية ازاء الجيش المصرى :

كان هناك تساؤل هام من قبل القيادة البريطانية وهو ... هل القوات البريطانية المرابطه فى مصر كافية من ناحية العدد والعدة للتصدى بسرعة لاى موقف معاد لها قد يقــع فى مصــر

---

(١) اعيد تطوير الجيش المصرى مرة اخرى فى اعوام ١٩٢٢ ، ١٩٢٦ .

ويؤدى الى تثبيت وجودها والى تهديد أمن قناة السويس التى تشكل السبب الرئيسى لوجود القوات البريطانية فى مصر .

يجيب الجنرال هوكنج على هذا التساؤل بقوله " ... أننى منذ وصولى الى مصر طورت الخطة البريطانية للدفاع عن قناة السويس وذلك للعمل على تخفيض القوات ، وبصفة رئيسية بتغيير استراتيجية العمليات واتجاه الجهود الرئيسية من الاسكندرية الى قناة السويس وذلك بتخفيض عدد افراد حامية الاسكندرية من اجل تدعيم مسرح عمليات « القناة » ويستمر هوكنج موضحا المقارنة بين القوات البريطانية فى مصر فى ذلك الوقت وبين الجيش المصرى فيقول .

١ - ان وجود الجيش المصرى فى القاهرة والدلتا وعلى طول نهر النيل جنوبى القاهرة لا يهدد القوات البريطانية والتى تركز جهودها الرئيسية فى قناة السويس والقاهرة .

٢ - ان القوات البريطانية مستعدة تماما لمواجهة اى اعتداء من جانب الجيش المصرى ، وذلك بالسيطرة عليه والحد من تسليحه وبعده عن الاهداف الهامة وتمركز الجزء الاكبر منه بالسودان

٣ - ان القوات المصرية بهذا الحجم من التسليح لايمكنها مواجهة القوات البريطانية ذات التسليح المتطور (١) .

٤ - أبعاد الجيش المصرى عن قناة السويس بصفة دائمة أو على طول خط المواصلات بين القاهرة والاسماعيلية .

٥ - أن قيادات هذا الجيش من الضباط الانجليز ، وأن انجلترا عملت دائما على إبعاد هذا الجيش عن سلطة الحكومة المصرية .

ومرة أخرى يقترب هوكنج من الحقيقة بقوله ، ان الحكومة البريطانية ترغب فى الاستمرار فى حماية مصر من اى عدوان خارجى وأن تأمين قناة السويس يعتبر أمرا حيويا بالنسبة للامبراطورية البريطانية ، وذلك فان بريطانيا مضطرة للأحتفاظ بقوات عسكرية فى مصر ، ومن

---

١) يتسلح جيش الاحتلال البريطاني بعدد ١٢ مدفع ١٣ بوندر ، ١٢ مدفع ٧٥ر٣ بوصة هاورتزر ، ١٠٤ فيكرز ، ٥٤ هوتشكيس ٢٥٨ مدفع لويس آلي . وأن قوام الجيش البريطاني حتى ٦٢٢ر١٠ جندى ، كما أن القوات البريطانية بالسودان يمكن تحريكها فى حالة اضطرابات فى مصر ونقلها الى هناك فى فترة زمنية قصيرة ليصبح مجموع القوات البريطانية ٩٨٢ر١٢ جندى اذا فالتفوق [illegible] فى جانب القوات البريطانية .

هذا المنطلق ، فان مصر يجب أن تعتمد على بريطانيا ضد أي عدوان خارجي ، كما أنها يجب أن تكون تابعة لبريطانيا - ويجب أن تكون مصر صديقة لبريطانيا وراغبة فى مساعدتها للتمسك بأمبراطوريتها .

وهكذا يمكننا أن تستخلص من وجهة النظر البريطانية ، أنه ليس هناك داعى لزيادة حجم الجيش المصرى والعمل على رفع كفاءة تسليحه ، وكذلك ليس من المرغوب فيه تدعيم الجيش المصرى بمدافع آليه لأن مثل هذا التدعيم سوف يتطلب زيادة حجم قوات المشاه البريطانية فى مصر .

كذلك ترى بريطانيا أن الجيش المصرى ليس هو المسئول الأول عن تحقيق الأمن الداخلى ، فى مصر ، وان كان يمكنه معاونة البوليس عندما يطلب منه ذلك وليس من المستحب هنا وجود اسلحة آليه مع أفراد الجيش المصرى عند التدخل ضد الاضطرابات والتى قد تؤدى الى سقوط كثير من الضحايا عند المصادمات .

كان ذلك تحليلا بسيطا لأسباب عدم تطوير أو دعم قوات الجيش المصرى والأسلوب البريطانى لوضع وحدات الجيش المصرى فى موقف محايد ، بعيداً عن الالتزامات السياسية ، أو قيامه بتهديد القوات البريطانيةفى أي من مصر أو السودان .

تلك كانت سياسة الاستعمار البريطانى إزاء الجيش المصرى الجديد حتى عام ١٩١٤ .

الجيش المصرى والحرب العالمية الأولى :

بطبيعة الحال لن أتدخل فى تفاصيل هذه الحرب ولكنى أحب أن أوضح دور الجانبين المصرى والانجليزى خلال هذه المرحلة .

١ - القوات البريطانية وتهدف طبقا لاستراتيجيتها فى المنطقة الى :

أ - تأمين قناة السويس ضد أي عمليات هجومية من جانب الجيش التركى المتمركز فى هذا الوقت فى سيناء ومن أجل ذلك تعمل على :

(١) دعم قوتها بمنطقة القناة .

(٢) اعداد مسرح العمليات بالقناة استعدادا لخوض الحرب ضد تركيا من حيث (اعداد هندسى - اعداد ادارى - مواصلات الخ) . مستغلة فى ذلك شباب مصر وثرواتها الزراعية والمادية .

(٣) الاستعداد للهجوم عبر قناة السويس ، داخل سيناء ضد تركيا التى دخلت الحرب الى جانب ألمانيا والنمسا - وذلك (أى الهجوم البريطانى) بالتعاون مع هجوم الجيش العربى فى الحجاز وبالفعل تحقق ذلك باستيلاء اللنبى على القدس عام ١٩١٧ ثم على دمشق فى أول اكتوبر ١٩١٨ ، ثم سقطت بيروت فى السادس من أكتوبر وحمص وطرابلس فى ١٥ أكتوبر ثم حلب وقد أدت هذه الحملة الى سيطرة البريطانيين على فلسطين وسوريا التى كانت خاضعة للحكم العثمانى ثم تلاها الاستيلاء على العراق فى ٣١ اكتوبر ١٩١٨ .

ب - تمركز بعض القوات البريطانية داخل مصر لتأمين طرق الامداد والعاصمة السياسية ، وذا فرضت الأحكام العرفية حينما أعلنت الحماية على مصر .

جـ - تأمين السودان والحفاظ على سيطرة بريطانيا عليها .

٢ - القوات المصرية وقد خططت له القيادة البريطانية لدورها الرئيسى :

أ - عدم اشراك الجيش المصرى بشكل فعال خلال الحرب ، حتى لا تضطر بريطانيا الى زيادة دعمه وتطوير تسليحه .

ب - الابقاء على حجم محدد من القوات داخل مصر موزعة كالآتى :

(١) داخل العاصمة « القاهرة » .

(٢) فى الدلتـــــا .

(٣) على طول وادى النيل جنوب القاهرة .

بهدف : الحفاظ على الأمن الداخلى بالتعاون مع قوات البوليس وحماية الأهداف الهامة داخل العاصمة السياسية وباقى اجزاء مصر فى الدلتا وجنوبا ، وتخفيف حجم الأعباء الداخلية عن القوات البريطانية والتى يمكن أن تتفرغ للعمل فى مسرح العمليات السينائى ضد الجيش التركى ولتأمين قناة السويس .

ج - الأبقاء على حجم محدد من قوات الجيش المصرى موزعة داخل أقاليم السودان بهدف الأبقاء على سيطرة انجلترا على السودان .

د - إبعاد الجيش المصرى عن قناة السويس ، الهدف الرئيسى للقوات ... مما سبق

يتضح لنا أن الجيش المصرى كان له دور محدود قبيل وفى بداية الحرب العالمية الأولى ، موزع بين مصر والسودان وتحت سيطرة بريطانية تخطيطا وتدريبا وقيادة .

الخلاصـــــــة :

رأت بريطانيا فى الصراع بين الخديوى ، والثورة العرابية فرصة للتدخل والسيطرة على مصر فبدأت منذ ٢٩ مايو سنة ١٨٨٢ تخطط لتنفيذ هذه العملية ، وفى يوم ١٠ يوليو أرسلت بريطانيا انذارا نهائيا الى مصر بتسليم الطوابى ، وفى صباح ١١ يوليو بدأت فى ضرب الاسكندرية ، وثارت حرب بين بريطانيا ومصر ، والتجأ الخديوى الى الاسكندرية وانضم للأنجليز .

أما الأمة المصرية فقد جادت على اختلاف مذاهبها بالمال والغلال والدواب والخضروات .. فضلا عما أمدوا به الجيش من أقمشة وأربطة ومن الأهالى من تبرع بنصف مايملكه ، ومنهم من تبع بجميع مقتنياته ، وهنا نشيد فى وقفة الشعب المصرى بجوار جيشه .

ولكن الحرب لم تكن متكافئة ، فالدولة المصرية منقسمة على نفسها ، والقيادة والتسليح البريطانى المتطور لايمكن مقارنتها بالقيادة والتسليح المصرى حينذاك وعلى أية حال دخلت القوات الانجليزية القاهرة بعد عدة معارك .

وبطبيعة الحال فقدت عمدت سلطات الاحتلال بادىء ذى بدء الى تمزيق الجيش المصرى ، ولا يمكن الاخذ بكلمات عرابى نفسه بأن هذا الجيش كان قبل الاحتلال قد بلغ نحو ٧٢ الـف جندى ، ولكنه يمكن أن يكون قد وصل الى ١٣ الف جندى « طبقا لرواية بلنت [(١)] و١٩ ألف جندى طبقا لما ذكره جون نينيه » على أية حال فالخديوى اصدر مرسوما فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ بتسريح الجيش المصرى ، هذا ولم يكن من الممكن الاستغناء عن جيش دولة لحماية حدودها وأمنها لذا اضطرت القيادة البريطانية فى يناير ١٨٨٣ فى اعداد جيش مصرى جديد فى شكل قوة بوليسية اضطرت الى تطويره ليدخل حملة السودان الى جيش نظامى اعتبارا من عام ١٨٩٢ . على أى حال فقد تم اعداد جيش مصرى جديد يدين بالولاء للخديوى والانجليز ، وخاض هذا الجيش الناشىء الحرب فى السودان وأثبت جدارة فائقة ، كانت الطريق نحو اعادة تطوير وبناء هذا الجيش الوطنى .

---

(١) د . عبد العظيم رمضان ، الجيش المصرى فى السياسة ، ص ٤١ – ٤٢ .

ملحـــق الوثائـــق

ملحـــق الوثائـــق

« المنشـــورة »

الوثيقـــة(أ)

نص تعهد ضباط الجيش الى . شريف باشا

(سبتمبر ١٨٨١)

نحن ضباط الجيش المصرى ، نعتقد الاعتقاد التام فى حسن صداقة وغيرة دولتكم وخلوص طويتكم ، وسلامة نيتكم فى خدمة الوطن العزيز ، والمحافظة على حقوقه ، والسعى فى رفاهية أهله ، ولهذا وكوننا جميعا نحسب تقدم وطننا العزيز نلتمس من دولتكم قبول مسند رياسة مجلس النظار ، ونسترحم من دولتكم انتخاب نظار الدواوين ممن يكونون موصفين بالصفات الحسنة ، والعرض عنهم للحضرة الفخيمة الخديوية للقيام بأعباء خدمة الوطن العزيز ، واعلانا لصداقتنا وانقيادنا لأوامر الحكومة التى تصدر فى صالحها العمومى ، فقد أمضينا هذه العريضة ، ونحن على يقين أن تقع لدى دولتكم موقع القبول »[١] .

(١) الوقائع المصرية ، عدد ١٧ سبتمبر ١٨٨١ .

الوثيقـــة (ب)

مستخلص من مذكرة السيد ج . ولسلى

بشأن اعداد الحملة البريطانية على مصر

« توفيرا لخفة الحركة لفرقتى المشاه ولواء الفرسان التى قد يتقرر ارسالها للاسماعيلية فمن الضرورى أن يبحر بكامل حملته كل الاى من الفرسان وكل كتيبة من المشاه وبطارية من المدفعية وسرية من المهندسين .... ومصر اقليم يمكن فيه فى الأوقات العادية الحصول على أعداد ضخمة من الجمال ودواب النقل . غير أننا لا نتوقع الحصول على شئ من ذلك فى هذا الاقليم اذ قمنا بعمليات حربية به الى أن تتم لنا هزيمة الجيش المصرى فى الميدان .... وأظن أن عملياتنا ستتضمن من البداية تقدما من الاسماعيلية صوب القاهرة ، وهناك طريق حديدى يرابط بين هذين المكانيين ويمر بالزقازيق . وقد نتمكن أولا نتمكن من الاستيلاء على بعض الكميات النافعة من القطارات والعربات على هذا الخط الحديدى ، غير أنه يجب علينا على الأقل اتخاذ الترتيبات للاستقلال بأنفسنا بأخذ ٥ قطارات من عربات كبيرة مخصصة للمياه والفحم وخمس عربات سبنسة ، ١٠٠ عربة بضائع مكشوفة ذات أغطية من الشمع ، خمس عربات نجدة وكميات كافية من أدوات الاصلاح وقضبان حديدة لا يقل طولها عن ١٠ أميال ... ويمكن للمهندسين الملكيين اعداد الافراد اللازمين لادارة هذه الكميات الحديدية المحدودة وأن ترسل معها الادوات لوضع القاطرات على الخطوط عند النزول فى مصر .

وبهذا يمكننا الاستعانة بأربعة قاطرات تعمل على الطريق الحديدى وتحمل المؤن والخيام وخشب الوقود والاحتياطى من الذخيرة وتمكننا من أرسال المرضى الى سفن المستشفى بالاسماعيلية .... وسوف يوفر لنا هذا الكثير من حملاتنا خاصة وانه من المتوقع أن يقف الجيش المصرى فى وجه قواتنا فى مكان ما على مقربة من التل الكبير .... ، واذا ما نشـــبه القتال هناك فقد لا نتوقع نسوب قتال له خطوة فعلا حتى الوصول الى القاهرة ولو أنه قد تبذل بعض المحاولات للدفاع عن تلك المدينة اذا ما تمت هزيمة الجيش المصرى فى الميدان ولن يكون لأية مقاومة أخرى شأن بذكر ..... »

امضاء

٣ يوليو ١٨٨٢ — ج . ج . ولسلى[١]

وزارة الحربية : الحملة الاستعمارية على مصر ١٨٨١ ، كود ٦/١١ ص ٩٨

الوثيقـــة (ج)

نص رســـــالة من السيد جارنت ولسلي الى

رئيس هيئة أركان حربه السيد أدوارد هاملي

الاسكندرية في ١٨ أغسطس ١٨٨٢ :

عزيزى هاملى ....

لست أزمع النزول في أبي قير ، فالأسماعيلية وجهتي الحقيقة وأني لآمل أن أصلها نحو الساعة الرابعة مساء يوم الاحد القادم ومع ذلك فسنقوم بمظاهرتنا في أبي قير غدا وأرجو أن يكون لها الأثر المطلوب في عرابي وصديقه دليسبس . وهناك سفينة جنحت بالقرب من بحيرة التمساح ، واذا كان هذا عن عمد فقد يؤخر بعض الشيء مروري داخل القناة .

عندما تقرأ هذا ، احتفظ بما جاء فيه لنفسك ، ولا تخطر به أحدا ، إقتصر على اظهار اكبر عدد ممكن من جنودك أمام جبهة عرابي وفتح أقصى نيران ممكنة عليه من مدفع أي موقع يمكن منه وصول القنابل الى مواقعه ، لن أبرق الى أنجلترا بأنباء تحركاتي الزمنية حتى أصل بنفسي ال بورسعيد التي أرجو أن أصلها قبل بزوغ فجر الأحد .

ساستدعيك بأسرع ما أستطيع لاني سأكون في حاجة الى كل جندي في قتالي قرب التل الكبير اذا ترفق عرابي وبقي لمقابلتي بها الى اللقاء ....

« المخلص »

(أمضـــاء)

ج . ولســــلى[1]

---

(١) وزارة الحربية : الحملة الاستعمارية على مصر ١٨٨٢ ، ص ص ٩٩ - ١٠٠ .

الوثيقــــة (د)

نص التفاق الثنائـــــى

وفـــــاق

بين حكومة جلالة ملكة الانجليز وحكومة الجناب العالى خديوى مصر

بشأن ادارة السودان فى المستقبل

حيث أن بعض اقاليم السودان التى خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية المالية التى تمت باتحاد حكومتى جلاله ملكة الانجليز والجناب العالى الخديوى وحيث قد أصبح من الضرورى وضع نظام مخصوص لاجل ادارة الاقاليم المفتتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الاقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال الى الان ، وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياطيات المتنوعة ، وحيث أن من المقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتب على مالها من حق الفتح وذلك بأن تشترك فى وضع النظام الادارى والقانون الآنف ذكره ، وفى اجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه فى المستقبل وحيث أنه ترآى من جملة وجوه أصوبيه الحاق وادى حلفا وسواكن اداريا بالاقاليم المفتتحة المجاورة لها فلذلك صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لها من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتى وهو :

المادة الاولى : تطلق لفظة السودان فى هذا الوفاق على جميع الأراضى الكائنة فى جنوبى الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهى :

أولا : الأراضى التى لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ .

ثانيا : الأراضى التى كانت تحت ادارة حكومة المصرية قبل ثورة السودان الأخيرة وفقدت منها وقتيا ثم إفتتحتها الآن حكومة الملكة والحكومة المصرية .

ثالثا : الأراضى التى قد تفتحها بالأتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعدا .

المادة الثانية : يستعمل العلم البريطانى المصرى معا فى البر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن ، فلا يستعمل فيها الا العلم المصرى فقط (الحقت سواكن بادارة السودان فى اتفاقية خاصة فى يوليو ١٨٢٩) .

المادة الثالثة : تفوض الرئاسة العليا العسكرية والمدنية فى السـودان الى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوى بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته الا بأمر عال خديوى يصدر برضاء الحكومة البريطانية .

المادة الرابعة : القوانين وكافة الأوامر واللوائح التى يكون لها قوة القانون المعمول به والتى من شأنها تحسين ادارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية ايلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحويرها أو فسخها من وقت لآخر بمنشور من الحاكم العام وهذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسرى مفعولها على جميع أنحاء السودان أو على جزء معلوم منه ويجوز أن يترتب عليها صراحة أوضمنا تحرير أو نسخ أى قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة .

وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التى يصدرها فى هذا الشأن الى ركيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار الجناب العالى الخديوى .

المادة الخامسة : لا يسرى على السودان أو على جزء منه شيء ما من القوانين أو الأوامر العالية أو القرارات الوزارية المصرية التى تصدر من الآن فصاعدا الا ما يصدر بأجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها .

المادة السادسة : المنشور الذى يصدر من حاكم عموم السودان ببيان الشروط التى بموجبها يصرح للأوربيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكن بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة أو دول .

المادة السابعة : لاتدفع رسوم الواردات على البضائع التية من الاراضى المصرية حين دخولها الى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضائع العادية من غير الاراضى المصرية الا أنه فى حالة ما اذا كانت تلك البضائع الآلية الى السودان عن طريق سواكن أو أية موانى أخرى من موانى ساحل البحر الاحمر . لا يجوز أن تزيد الرسوم التى تحصل عليها عن القيمة الجارى تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج ......

المادة الثامنة : فيما عدا مدينة سواكن لاتمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوده (أصبح الحكم نافذا على سواكن بعد اتفاقية يوليو ١٨٩٩ .

المادة التاسعة : يعتبر السودان بأجمعه ما عدا مدينة سواكن تحت الاحكام العرفية ويبقى كذلك الى أن يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام .

المادة العاشرة : لا يجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأمورى ، قنصلاتات بالسودان ولا يصرح لهم بالأقامة قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية .

المادةالحادية عشر : ممنوع منعا مطلقا ادخال الرقيق الى السودان أو تصديره منه . وسيصدر منشور بالاجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن .

المادة الثانية عشر : قد حصل الاتفاق بين الكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢ يوليه سنة ١٨٩٠ ، فيما يتعلق بأدخال الاسلحة النارية والذخائر الحربية والاشر به المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها تحريرا بالقاهرة فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ .

الامضاءات

كرومـــــر بطرس غالى (١)

---

(١) وزارة الحربية : الحملة الاستعمارية البريطانية على مصر ١٨٨٢ .

ملحق الخرائط

"الخرائــــــــط"

أولا : فى الميدان الغربى :

خريطة رقم (١) الوجه البحرى ومدينة القاهرة .

خريطة رقم (٢) ضرب الإسكندرية (١١ يوليو ١٨٨٢) .

خريطة رقم (٣) الإسكندرية وكفر الدوار (المواقع المحصنة التى إحتلتها القوات البريطانية تحت قيادة السير " ا . أليسون " يوم الإثنين ٢٣ يوليو ١٨٨٢ فى الرحلة) .

خريطة رقم (٤) القطاع الغربى للعمليات .

ثانيا : فى الميدان الشرقى :

خريطة رقم (١) الإسماعيلية قبل نزول الجيش البريطانى فى يوليو ١٩٨٢ (١ : ٢٠,٠٠٠) .

خريطة رقم (٢) الإسماعيلية - التحسينات التى أدخلت لتسهيل عملية النزول إلى البر والتخزين والتحرك الخاص بالجيش البريطانى فى يوليو ١٨٨٢ .

خريطة رقم (٣) طبيعة الأرض بمنطقة الإسماعيلية وأبو صوير (لوحة ١) .

طبيعة الأرض بمنطقة تل المسخوطة والمحسمة والقصاصين (لوحة ٢) .

طبيعة الأرض بمنطقة التل الكبير وأبو حماد (لوحة ٣) .

خريطة رقم (٤) القطاع الشرقى للعمليات .

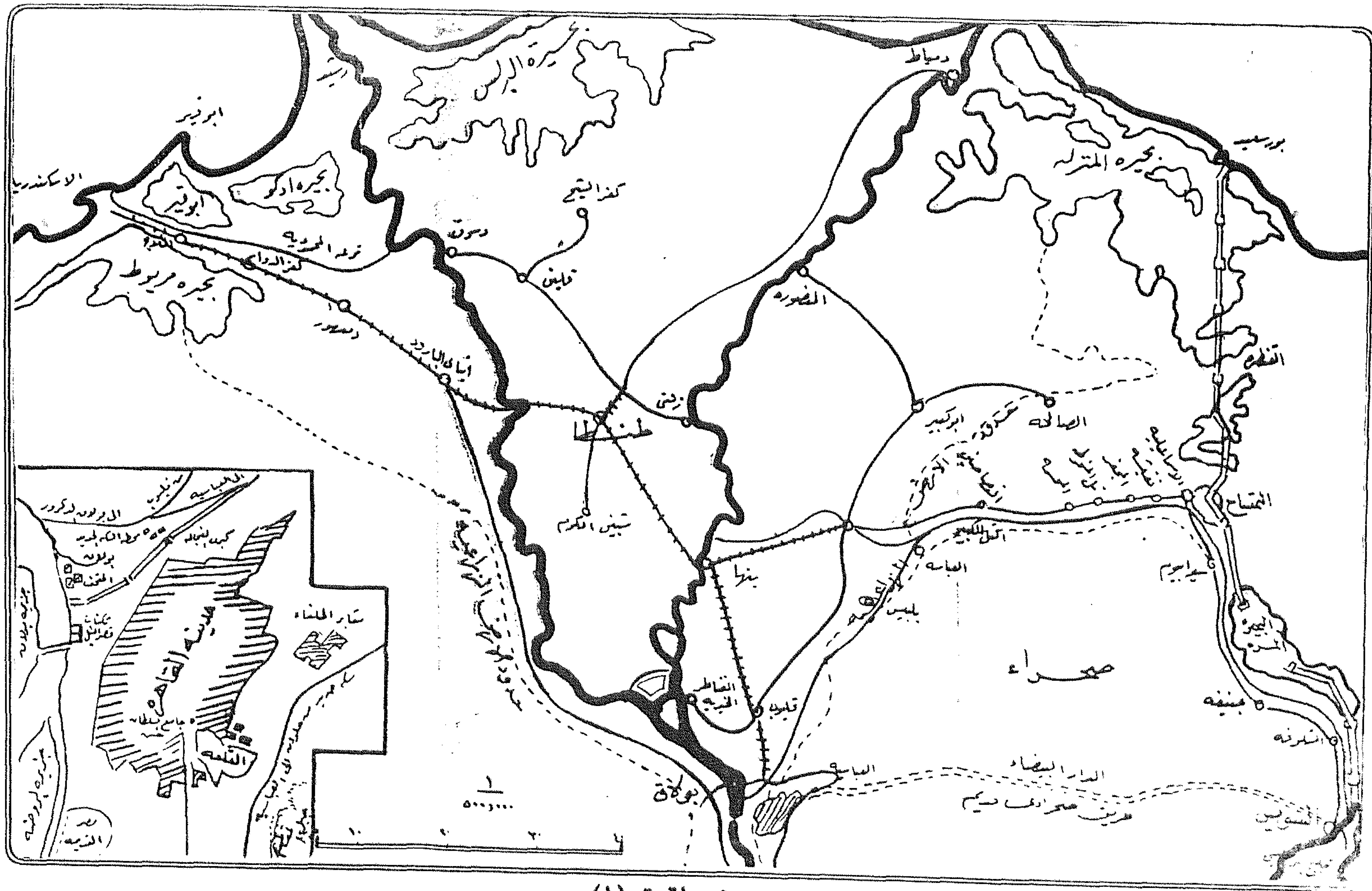
خريطة رقم (٥) أوضاع القوات المصرية فى معركة القصاصين الأولى (٢٨ أغسطس ١٨٨٢).

خريطة رقم (٦) تشكيل تقدم الحملة البريطانية فى معركة التل الكبير .

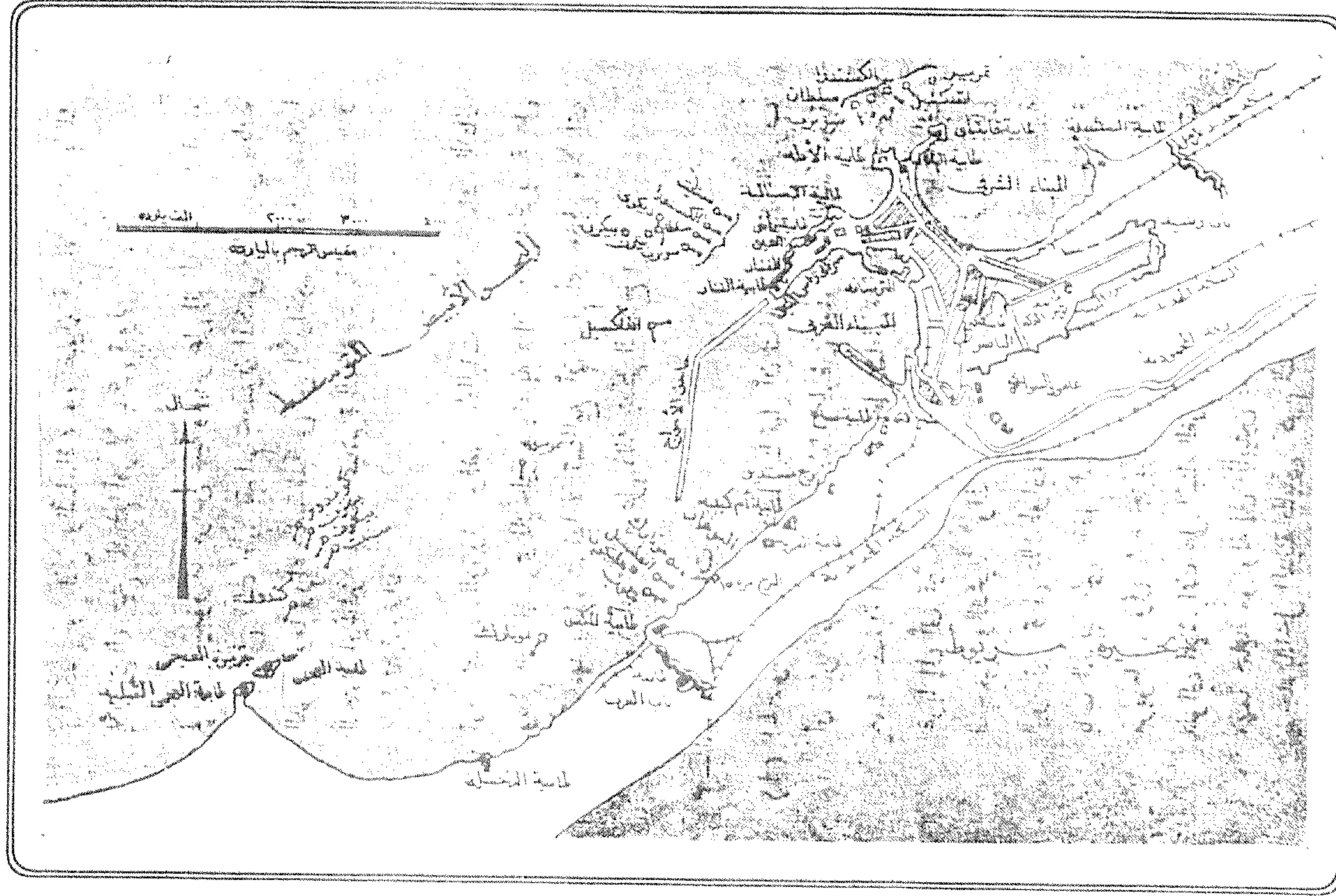
خريطة رقم (٧) معركة التل الكبير - أوضاع القوات البريطانية عند بدء الهجوم (٢٣ ديسمبر ١٨٨٢) .

خريطة رقم (٨) تشكيل هجوم الحملة البريطانية على التل الكبير (كما وزعت على قادة الفرق واللواءات قبل الهجوم) .

خريطة رقم (٩) رسم تخطيطى لأوضاع وخطط الجانبين فى معركة التل الكبير (١٣ سبتمبر ١٨٨٢) .



خريطة رقم (١)
الوجه البحري ومدينة القاهرة



خريطة رقم (٢)

ضرب الإسـ ـية (١١ يوليو ١٨٨٢)

خريطة

الاسكندرية - كفر الدوار

تبين المواقع المحصنة التي احتلتها القوات البريطانية

تحت قيادة السير أ السون

يوم الاثنين ٢٣ يوليه ١٨٨٢

في الرملة

البحر الأبيض المتوسط

بحيرة أبو قير

الميناء الشرقية

الميناء الغربية

بحيرة مريوط

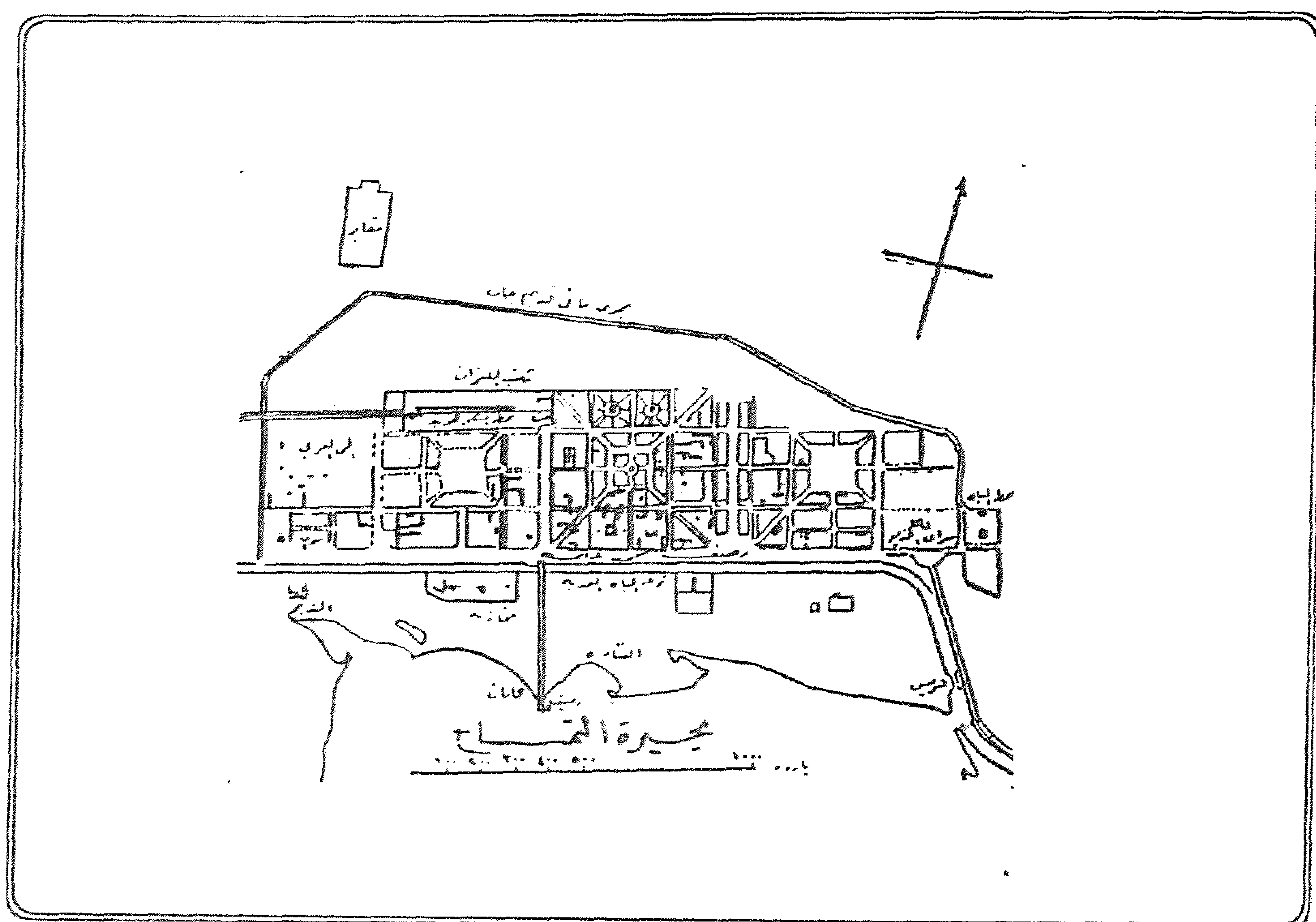
خريطة رقم (٣)

الإسكندرية وكفر الدوار (المواقع المحصنة التى إحتلتها القوات البريطانية

تحت قيادة السير "أ. اليسون" يوم الإثنين ٢٣ يوليو فى الرملة

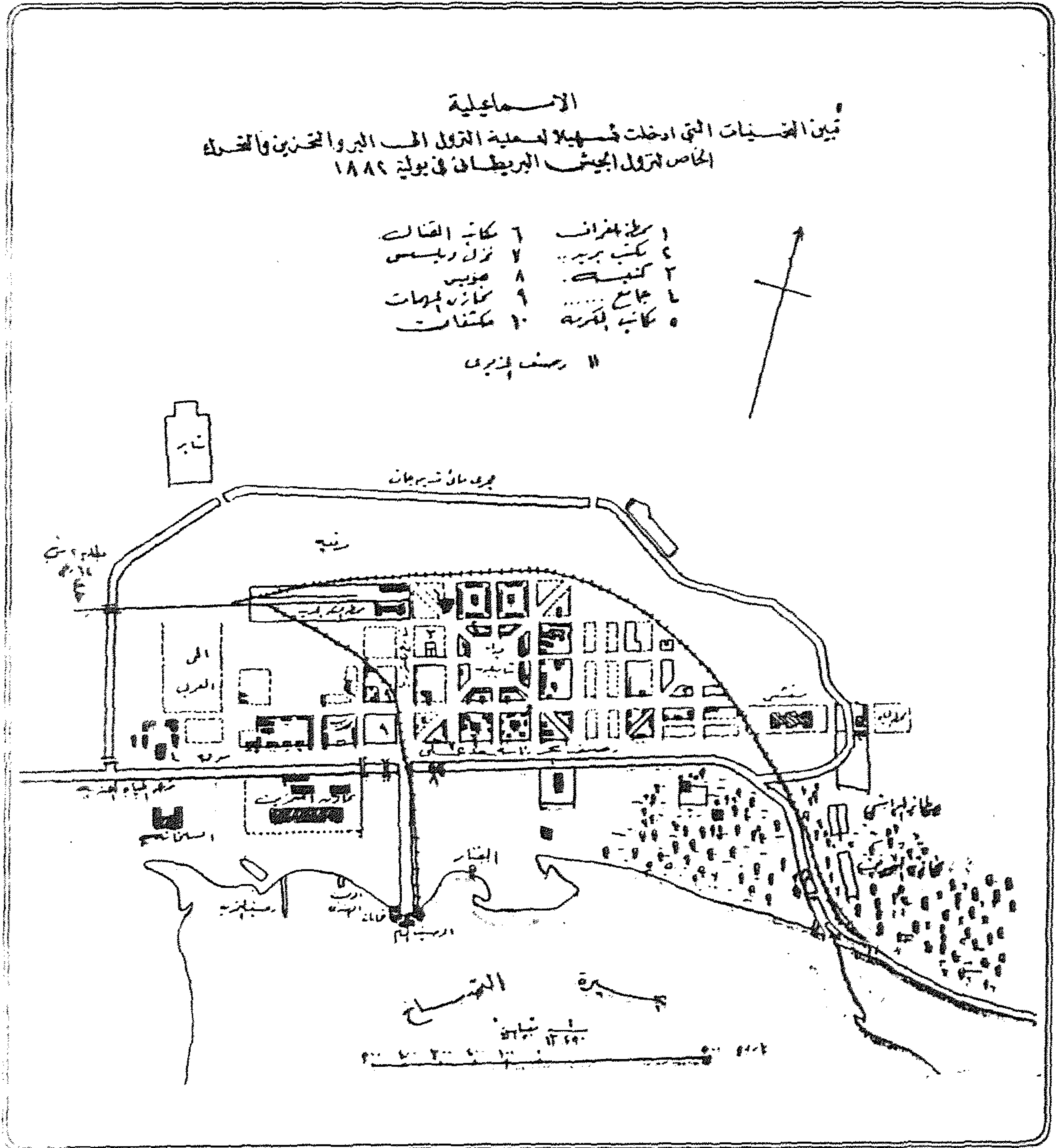
خريطة رقم (٤)

القطاع الغربى للعمليات



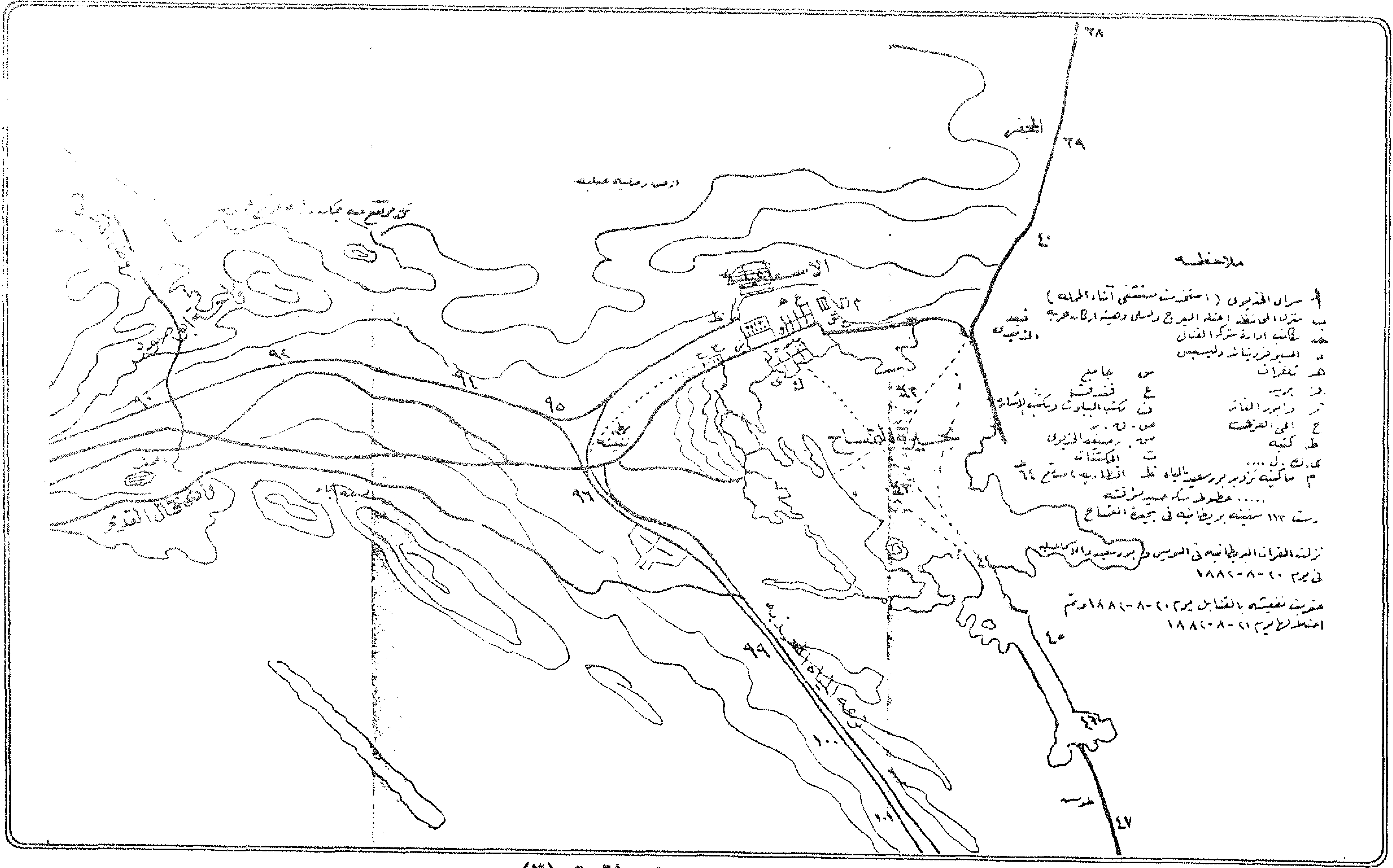
خريطة رقم (١)

الإسماعيلية قبل نزول الجيش البريطانى فى يوليو ١٨٨٢ (١ : ٢٠,٠٠٠)

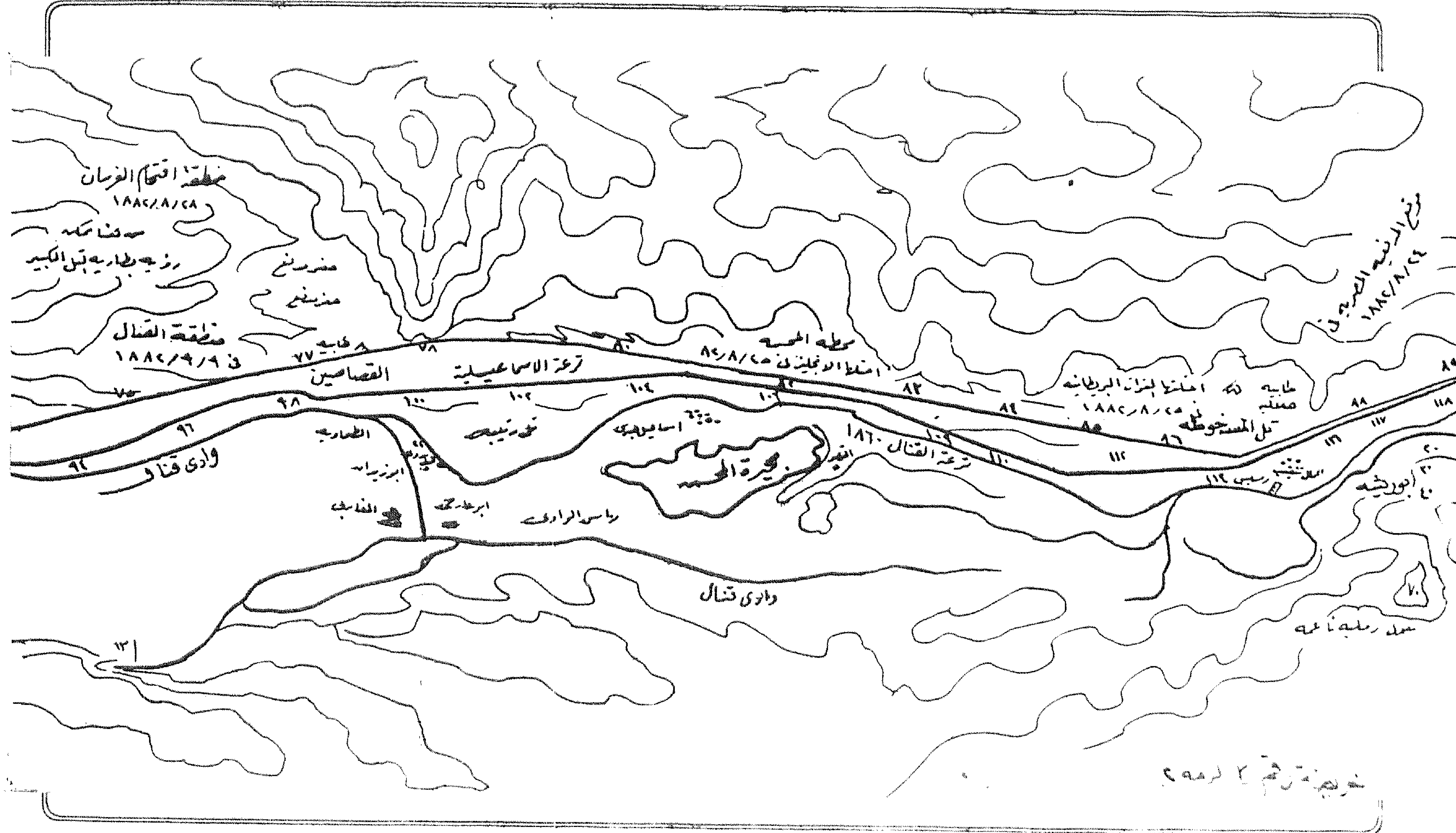


خريطة رقم (٢)

الإسماعيلية – التحسينات التى أدخلت لتسهيل عملية النزول إلى البر والتخزين الخاص بالجيش فى يوليو ١٨٨٢



خريطة رقم (٣)
طبيعة الأرض بمنطقة الإسماعيلية وأبو صوير (لوحة ١)

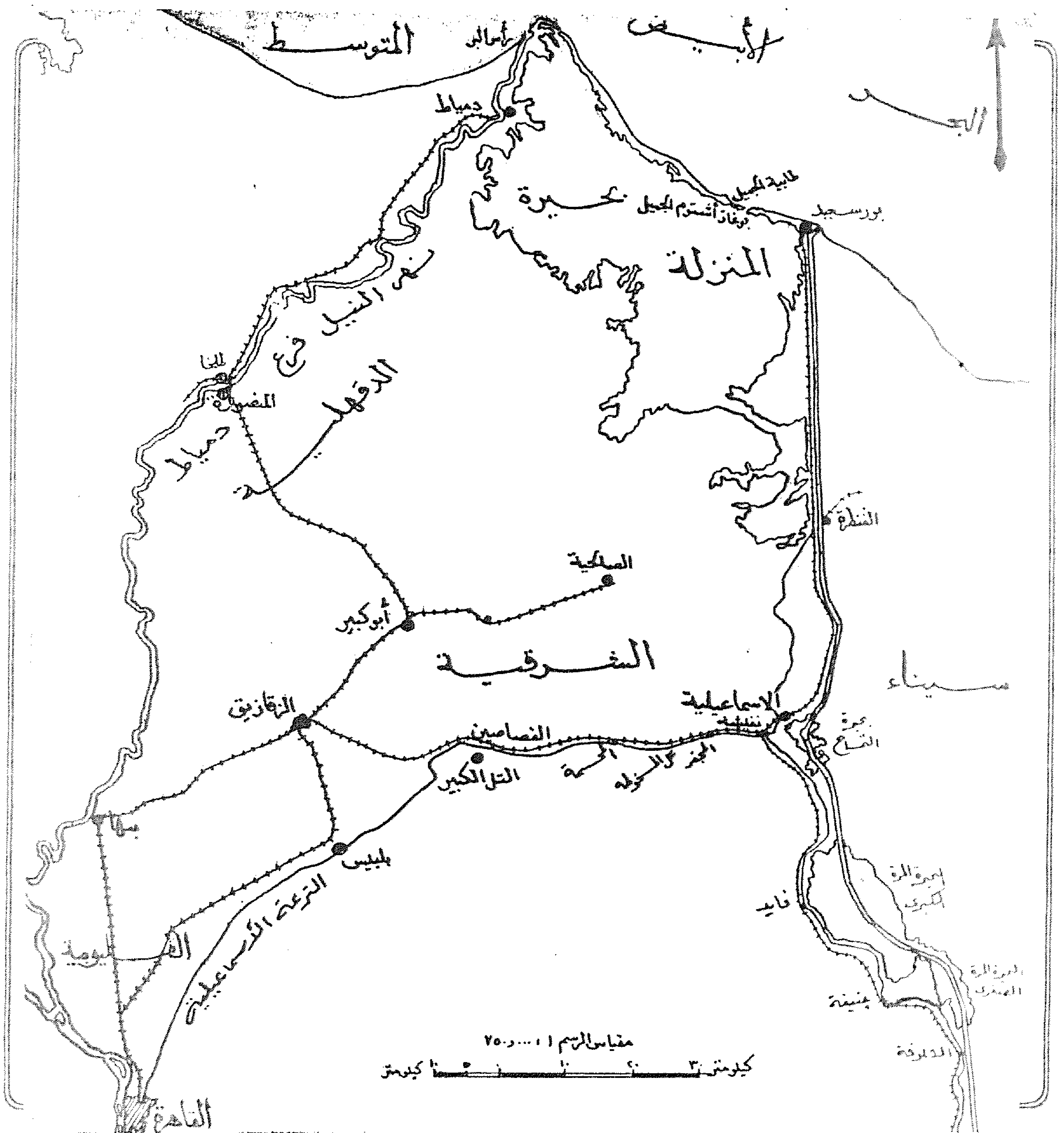


خريطة رقم (٣)

طبيعة الأرض بمنطقة تل المسخوطة والمحسمة والقصاصين (لوحة ٢)

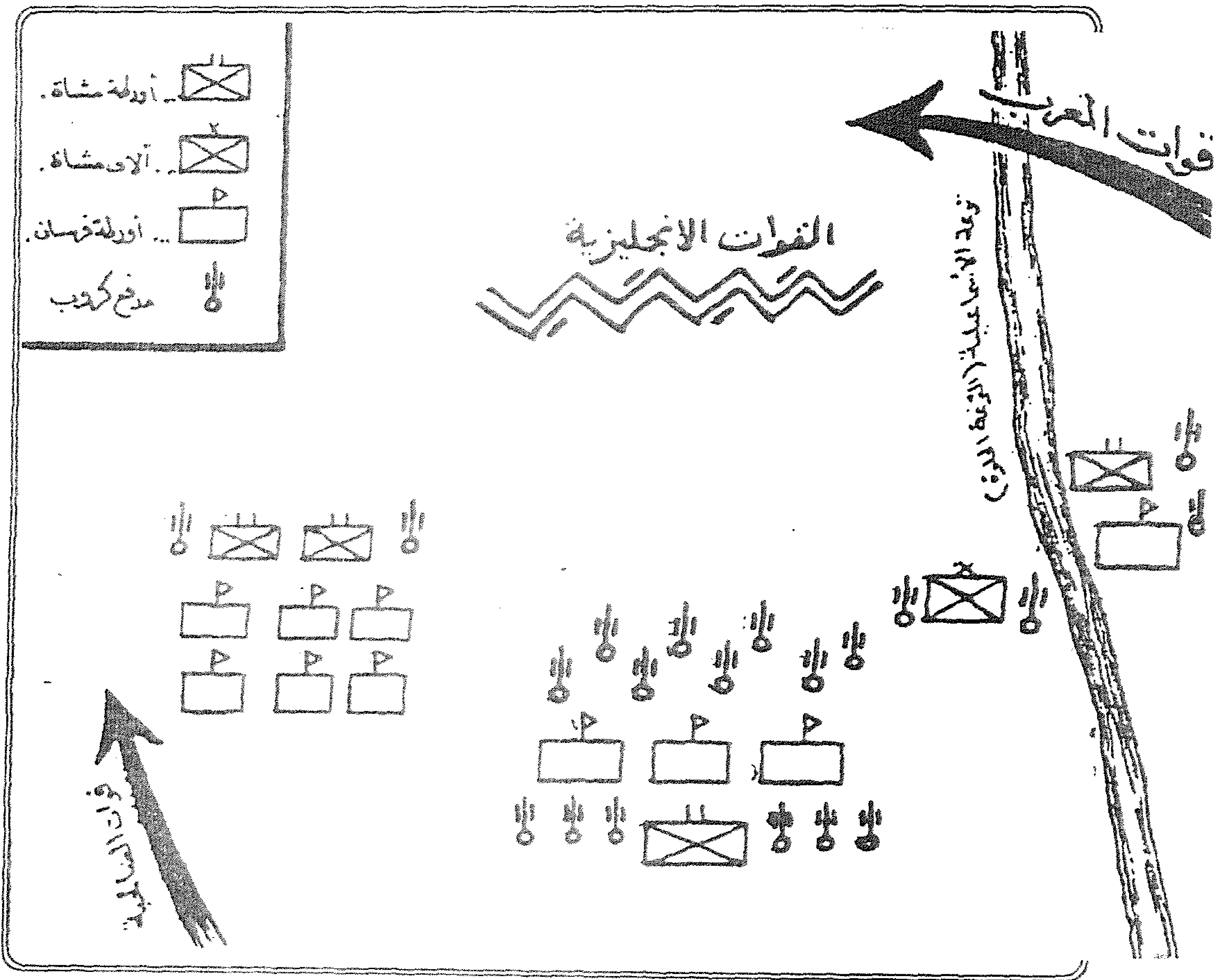
خريطة رقم (٣)

طبيعة الأرض بمنطقة التل الكبير وأبو حماد (لوحة ٣)



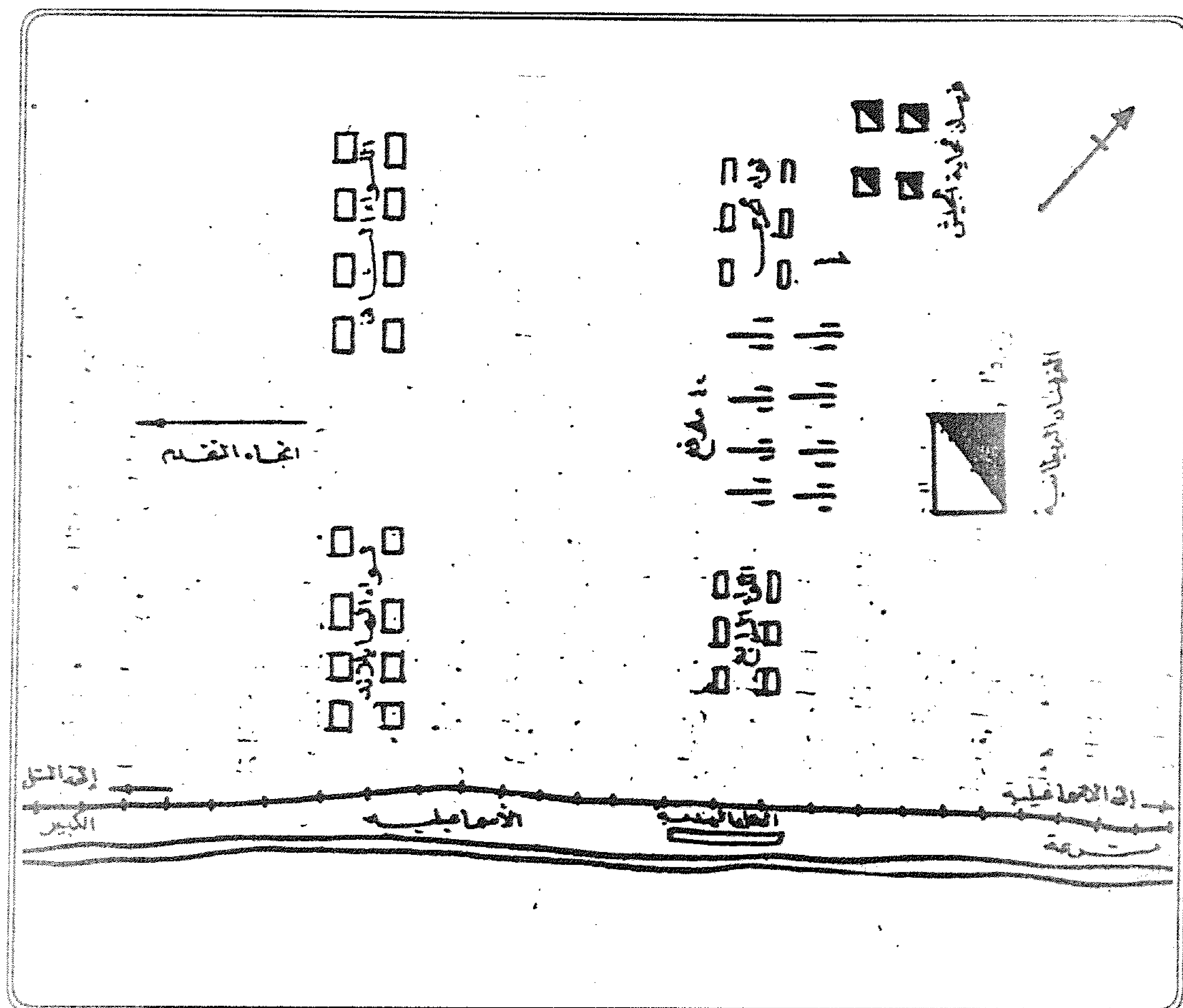
خريطة رقم (٤)

القطاع الشرقي للعمليات



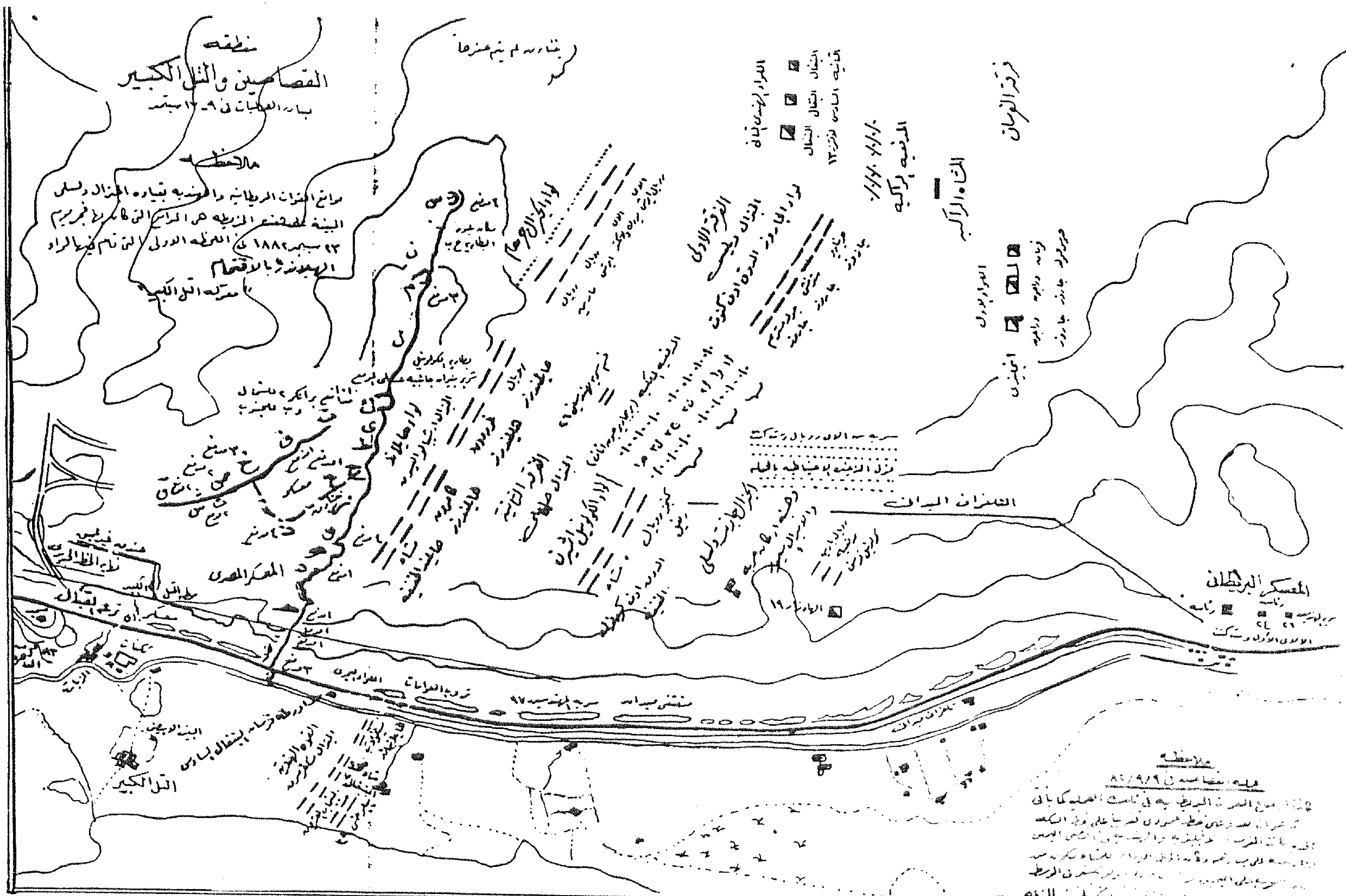
خريطة رقم (٥)

أوضاع القوات المصرية فى معركة القصاصين الأولى (٢٨ أغسطس ١٨٨٢)



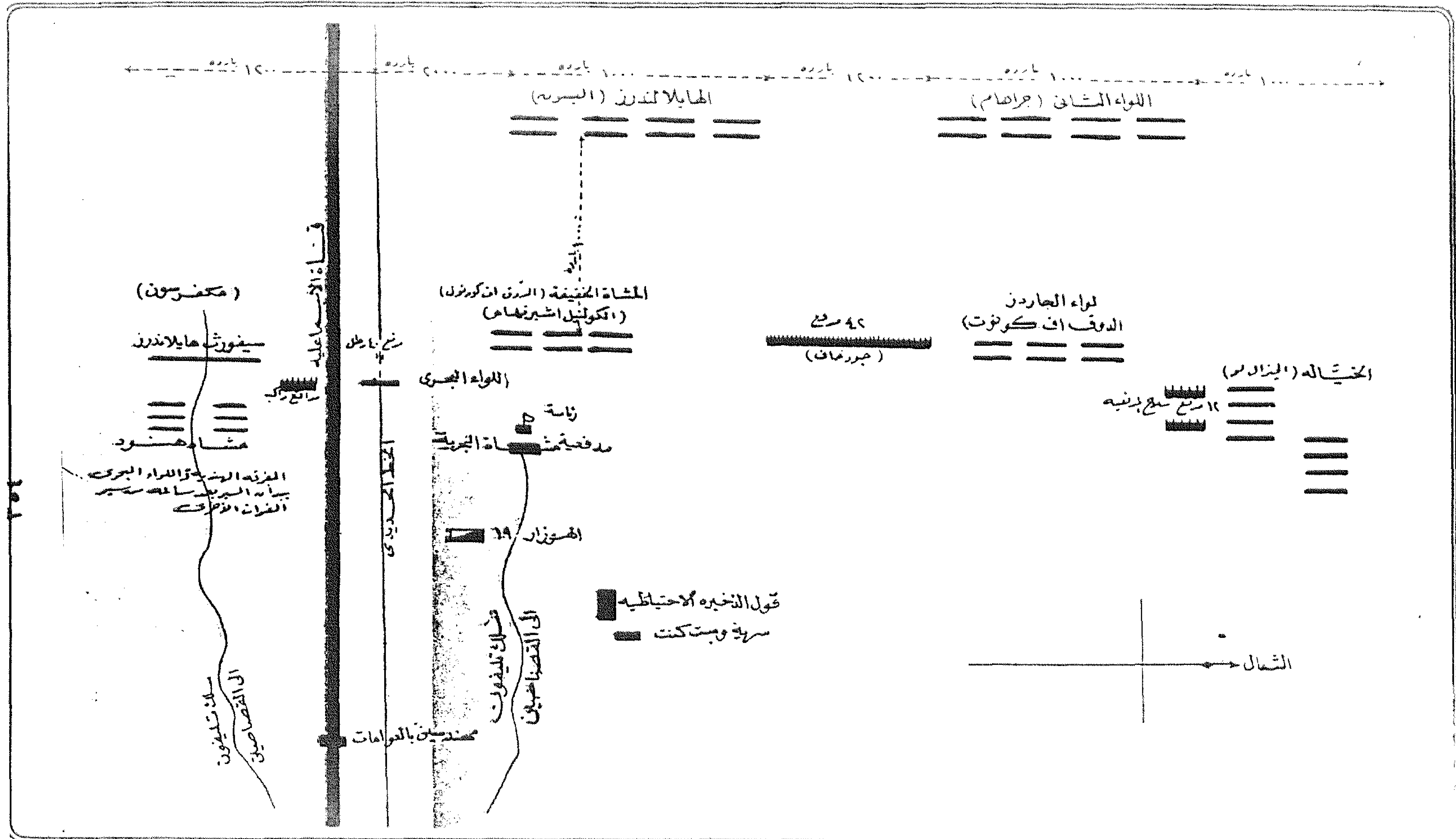
خريطة رقم (٦)

تشكيل تقدم الحملة البريطانية فى معركة التل الكبير



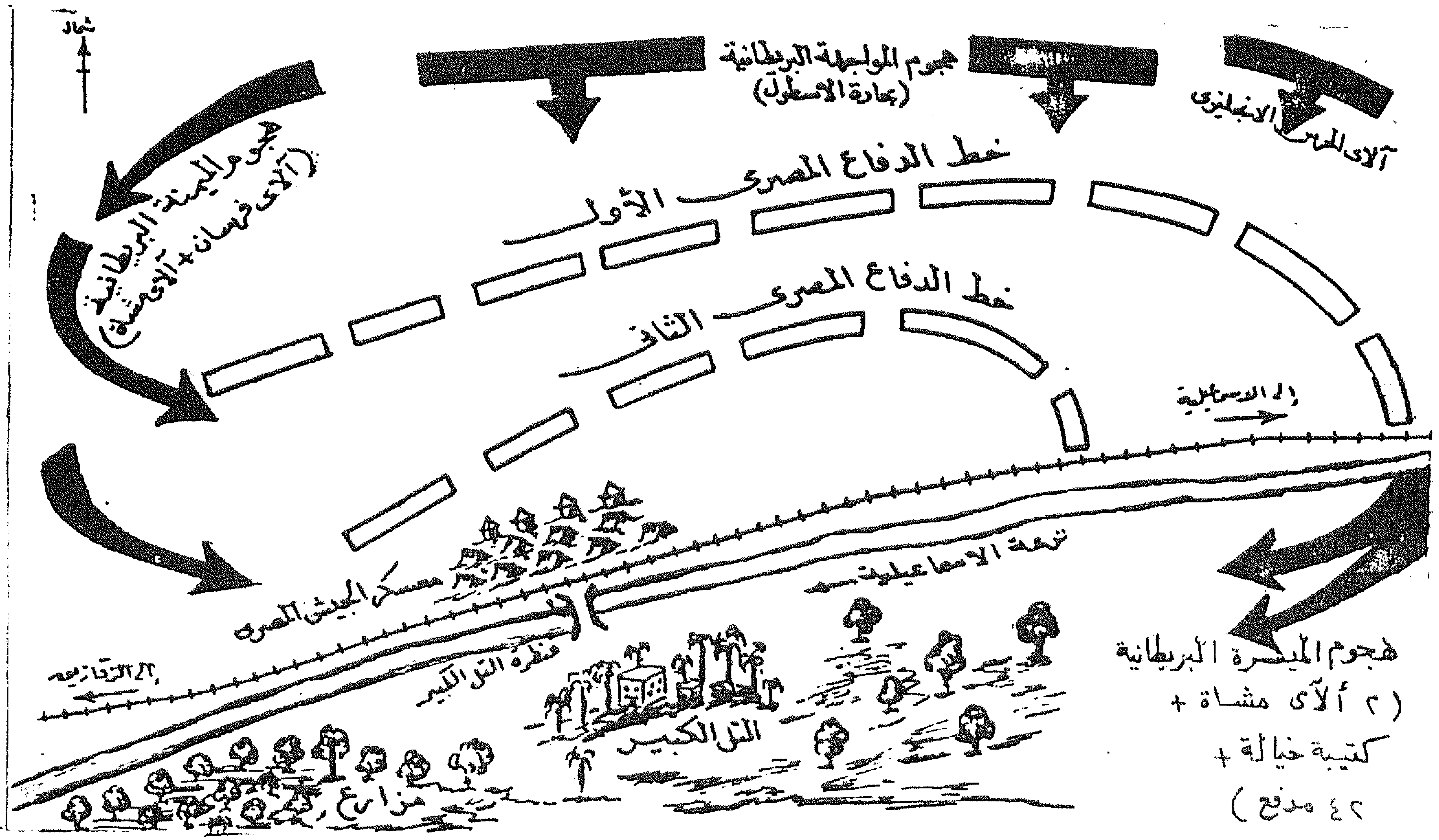
خريطة رقم (٧)

معركة التل الكبير – أوضاع القوات البريطانية عند بدء الهجوم (٢٣ ديسمبر ١٨٨٢)



خريطة رقم (٨)

تشكيل هجوم الحملة البريطانية على التل الكبير (كما وزعت على قادة الفرق واللواءات قبل الهجوم)



خريطة رقم (٩)

رسم تخطيطى لأوضاع وخطط الجانبين فى معركة التل الكبير (١٣ سبتمبر ١٨٨٢)

ملحق المراجع والمصادر

قائمـــة
« المراجـع العربيـــة »

١ - احمد عبد الرحيم مصطفى (د .) :

مصر المسألة المصرية ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٧٩ .

٢ - أحمد شفيق :

مذكراتي في نصف قرن ، القاهرة ، ١٩٣٦

٣ - أمين سعيد :

تاريخ مصر السياسي الحديث ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٥٨ .

٤ - جاد طه (د .) :

معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٥ .

٥ - جاد طه (د.) :

بريطانيا والجيش المصري ، القاهرة ، مكتبة سعيد رأفت ،١٩٨٤ .

٦ - جلال يحيى (د .) :

الثورة المصرية . وأصول السياســة البريطانيا في الســودان ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٥٩ .

٧ - خليل سليم النقاش :

مصر للمصريين ، القاهرة ، دار الطباعة المصرية ، ١٩٨٤ .

٨ - عبد الرحمن الرافعي :

الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .

٩ - عبد الرحمن الرافعى :

الزعيم الثائر احمد عرابى . القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٢ .

١٠- عبد الرحمن الرافعى :

شعراء الوطنية تراجمهم ، شعرهم الوطنى ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٥٤ .

١١ - عبد الرحمن الرافعى :

مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ١٨٨٢ - ١٨٩٢ ، القاهرة ، مكتبة الفجالة ، ١٩٤٢ .

١٢ - عبد الرحمن زكى :

الجيش المصرى فى يوم ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ ، القاهرة الجمعية التاريخية ، ١٩٥٢ .

١٣ - عبد العظيم رمضان (د .) :

الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

١٤ - عبد اللطيف حمزة :

أدب المقالة الصحفية فى مصر ، القاهرة ، مطبعة جريدة اللواء ، ١٩٥٢ .

١٥ - على فهمى كامل :

مصطفى كامل فى أربعة وثلاثين ربيعا ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٠٨ .

١٦ - على بركات (د .) :

السياسة البريطانية واسترداد السودان ١٨٨٩ - ١٨٩٩)

القاهــرة الهيئـــة المصريـــة العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

١٧ - محمد أنيس (د .) السيد رجب حراز (د .) :

ثورة ٢٣ يوليو ، القاهرة ، مطبعة

الجبلاوى ، ١٩٦٦ .

١٨ - محمد جمال الدين المسدى :

دنشواى ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

١٩ - محمد صبيح :

أيام وأيام ١٨٨٢ - ١٩٥٦ ، القاهرة ، مطبعة العالم العربى ، ١٩٦٦ .

٢٠ - محمد فاضل يوسف :

قصة الأحتلال ، القاهرة ، المطبعة الكبرى ، ١٩٥٤ .

٢١ - محمد فؤاد شكرى (د .) :

مصر والسودان ، القاهرة ، دار الطباعة المجيدة ،١٩٥٥ .

٢٢ - محمد حسنين هيكل :

مذكرات فى السياسة المصرية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية

، ١٩٥١ .

٢٣ - محمد محمود السروجى (د .) :

الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر ، القاهرة

دار المعارف ، ١٩٦٧ .

٢٤ - محمود حلمى مصطفى :

التنظيمات الادارية والحكومية وأثرها فى مصر ١٩١٤ ،

القاهرة ، جامعـــة القاهـــرة ، ١٩٥٧ (رسالة ماجستير) .

٢٥ - مكى شبيكة :

السودان عبر القرون ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٥ .

٢٦ - مكى شبيكة :

السودان فى قرن (١٨١٩ - ١٩١٩) ، القاهرة ، جمعية لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٤ .

٢٧ - وزارة الحربية :

الحملة الاستعمارية البريطانية على مصر ١٨٨٢ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، كود ١١/٦ ، ١٩٥٦ .

٢٨ - وزارة الحربية :

الحملات الاستعمارية على مصر فى القرن ١٩ ، القاهرة ، وزارة الحربية ، كود ١١/ ٥ ، ١٩٥٦ .

٢٩ - يونان لبيب رزق (د.) :

أزمة العقبة المصرية (أثر حادثة طابا عام ١٩٠١) القاهرة ، الجمعية التاريخية ، ١٩٦٧ .

قائمـــة
« المراجـــع الأجنبيـــة »

1) Millner , paper : Dawkins to milner , 16 October , W.S my dairies , being personal narrative of events 1888 - 1914 , London 1919 ~

2) Lyall , A. : The life of manquis of Dufferin and Ava London , 1905 ~

3) Wingate , F.R : Mahdism and the Egyptian Sudan London , 1981 ~

4) Philip , magnus , : Kitchener , A partrait on an imperialist

5) William Langer , The Diplomacy of imperialism in 1890 - 1902, N. Y. 1951~

6) Jackson , H.c: Osman Digna , London 1926~

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية ٩٩٤٦/ ١٩٩٢

الترقيم الدولى ISBN -977 - 5407 - 03 - 6

طبع بمطابع الرنيو
الهيئة العامة للاستعلامات
(ج . م . ع)

طبع بمطابع الزنبو
الهيئة العامة للاستعلامات
(ج . م . ع)